

دعوة الحق
مجلة شهرية
تعنى بالدراسات الإسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها:
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
بالمملكة المغربية
ثمن العدد:
درهم واحد
العدد السابع - السنة السادسة عشرة
رجب 1394 – غشت 1974

مجلة تصدرها
وزارة الأوقاف
والشؤون الاسلامية
بالمملكة المغربية



العدد السابع
السنة السادسة عشرة
رجب 1394
غشت 1974
ثمن العدد : درهم واحد

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » ـ قسم التحرير ـ وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، الرباط-المغرب ، الهاتف 10-308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فاكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث راسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » ـ قسم التوزيع ـ وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية . الرباط ـ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« دعوة الحق » ـ قسم التوزيع ـ وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ـ الرباط تليفون 10-308 ـ 03-327

كلمة العدد

لا يخرجنّ أحدكم إلّا وهو ممسكٌ بيد صاحبه

كان نداء الزعيم الصادق ، والقائد الشجاع ، والبطل الملهم ، والموقظ المبكر ، صاحب الجلالة مولانا الحسن الثاني نصره الله وأيده في خطابه التاريخي الاخير الذي اتخذ من هذه السنة سنة تعبئة وتجنيد ، واضحا في خطوطه ، رائعا في بيانه ، بارعا في خطته ، صريحا في طلبه ، موفقا في عرضه ، ساطعا في حجته ، أدرك معه العالم اجمع حقيقة الموقف المغربي الصريح فيما يتعلق بصحرائه المحتلة التى اقتطعت منه ظلما وعدوانا أيام ضعفه العسكري ، وعزلته الدبلوماسية .. فقد أكد حفظه الله مرارا وتكرارا وما زال يؤكد ، وفي كل مناسبة أن المغرب يطالب بصحرائه ، وأنه ليست له نيات الحاقية ، ولا مقاصد في السيطرة والتوسع ، وانما يتطلع دائما الى الاجزاء التى ظلت منه واليه قرونا طوالا ، ثم انتزعت منه في احوال استثنائية ، او بمقتضى اوفاق دبرت في الخفاء ، فباتت مفصولة تعيش في عزلة قاسية مفروضة من طرف استعمار كافر جاحد ، اضله الهوى والعمى والطمع، فرفض ان يساير منطق العصر ، وأبى الا ان يعيش بعقلية القرون الخوالي !!

فمنذ اعلان استقلال المغرب والامة وراء عاهلها وقائدها تجأر بالشكوى ، وتضج من كابوس الاحتلال وتطالب بصحرائها ، وتدافع عن مغربيتها باقصى ما يمكن من الحكمة والرزانة والدبلوماسية ايمانا منها بأن حقها الصريح تؤيده الدلائل الناهضة، والحجج العالية ، والحق المبين ، ولكن الاستعمار كان يتحدى ويماطل، ويعرض ، في شموخ ، عن كل المطالب المشروعة ، ويقابل نداءاتنا بالصموت والاهمال الى ان فاجاه صوت الحق ملعلعا مجلجلا في خطاب اعياد الشباب حينما واجه صاحب الجلالة الموقف بما يقتضيه من الصرامة والصلابة ، والجدية والفعالية والنجاعة ، فكان حفظه الله اليد البريئة الطاهرة التي هياها الله اليوم ، وفي عصرنا الحاضر لارخاء الستر على فصل من فصول مآسي الاحتلال الاجنبي على جزء من ترابنا الوطني ..

وانها لامانة عظمى يحافظ عليها سيد البلاد ، الذي زان الله بالصدق لسانه ، وثبت على الحق اقدامه ، وقوى بفضله عزيمته ، وجعل الفتح المبين والنصر المؤزر على يديه ، ازاء هذا الشعب الشكور الفخور الذى يرعى مصالحه ، ويدرأ ما يهدده من شرور واخطار ويتحيفه من عناصر الفساد والاستعمار .. حتى لا يخاف ظلما ولا هضما ..

واذا كانت الكنوز الصحراوية التي تزخر حبات رمالها بطاقات هائلة من الثروات قد ضربت حجاباكثيفا على عيون مخططي سياسةالمستعمرين الاسبانيينالذين يتكئون على الباطل ، ويتسعون على الظلم ، ويعيشون على السحت الحرام ، واسالت لعابهم ، وافقدتهم رشدهم ، فلم يرعووا عن غيهم ، ولم ينصاعوا لمطالبنا المشروعة فان أبناء الصحراء الاشاوس الذين لهم موقفهم الفاصل ، وقولهم المسموع ازاء كل ما يعرض من الاحداث ، قادرون على ان يعرفوهم الحقيقة ، ويبصروهم براهينهم القاطعة على بطلان دعاواهم المغرضة التى ما انفكت منذ سنوات تلبس الحق بالباطل ، وتكتم الحق، وتنكر الواقع ، وتقلب الحقائق ، وتشوه عين اليقين ، وتخدش وجه الكرامة .

— ◆ —

لقد جاوز الظالمون المدى ، فحق الجهاد وحق الغدا ، واقتربت ساعة الخلاص ، ووقفت الصحراء اليوم تحدث العالم الحر والضمير الانساني حديثا مسلسلا منقطع النظير عن المآسي التى ترتكب فى رحابها بغيا وعدوانا !!

اليس مما يرفع الجباه ، ويعطر الافواه ، ما نراه من مواقف البسالة والتضحية والشهامة والايثار والشدة والنبل التى تجلت في هذه الانتفاضة الشعبية، والحركات الوطنية القومية النابعة من ابناء الصحراء التي تذكر بأيام مجدهم وعزهم ، وبانهم من ابناء الامة الوسط التى كانت خير امة اخرجت للناس .. تتعاون على البر ، وتتناصر في الشدة ، وتتسارع الى الخير ، وترخص يوم الروع أنفسها ، وتابى الا ان تتبوأ مكانها الاول من قيادة الانسانية ...

وسيعرف الجميع ما يقدمه ابناء الصحراء في الوطن المغربي من عمل مجد ، وجهاد واصب ، وكفاح مستميت ، وبطولات رائعة لفكاك الاسار ، وتحرير الارض، واجلاء الغاصب ، وتحقيق المشروعية ...

— ◆ —

لقد تحدث الاستعمار ، وهو في اخس معانيه ، واقبح صوره ، وفي ايامه المدبرة ، والشمس على آطراف النخيل ، فقال ان الصحراء - ويا للوقاحة - بلدي ، وكنوزها ملك يدي ، وأبناءها من رعيتي يأتمرون بأمري ، ويسيرون على نهجي ، ويتحركون باشارتي ...!

سبحانك هذا بهتان عظيم ..!

ففي اي وقت كانت الصحراء جزءا من التراب الاسباني ، وهي تذيق ابناءها منذ عرفوها لباس الجوع والخوف ، وتسلك بهم سبيل التجهيل والتدجيل ، وان يثقفوهم ، يكونوا لهم اعداء ، ويبسطوا اليهم أيديهم والسنتهم بالسوء ! فالتاريخ واللغة والدين والجغرافية والاماني المشتركة ورغبة السكان الصحراويين الى عودتهم الى وطنهم ، وتعلقهم بالعرش

العلوي المجيد ، كلها عوامل تكذب دعواهم ، وتفند مزاعمهم ، وتؤكد مغربية الصحراء ، وترمي بالخيانة من يساير دعاية الانهزامية الاستعمارية التى هي كفر صراح بالوطنية والحساد ..

— ◆ —

لقد قامت سياسة الاسلام على استدامة القوة بالمحافظة على الوحدة ، والحرص على الجماعة ، فالفرد الذى يفكر بوحدة العقيدة ويتنكر لأماني الامة المشروعة يقتل ، والطائفة المارقة التي تبغي على جماعة المسلمين ، وتبع آجلها بعاجلها تقاتل ... فمن فرق الكلمة بعد توحيدها ، وفصم العروة بعد توثيقها ، ونقض الايمان بعد توكيدها ، فقد حلت عليه اللعنة ، وباء بغضب من الله ، وقوتل مقاتلة العدو ، وعذبه الله جزاء خيانته ، عذابا لا يعذبه احدا من العالمين ..

— ◆ —

ان الاسلام قد امتهد فى الصحر ، فجاء كل مسلم ثابت العقيدة ، قوي الايمان ، راسخ اليقين ، شديد المراس ، فلا غرو اذا راينا النبي عليه السلام يولي عناية كبرى ، واهتماما متزايدا بالصحراء ، ويوجه اصحابه لغشيانها لبث العقيدة ، وتركيز السلام ، ونشدان الكرامة ...

ففي غزو تبوك او العسرة امر الرسول جيش المسلمين بان يتصلوا بالروم ويخوضوا معهم معركة تاريخية فيدخلوا الى الصحراء! وقد اضطر الجيش الى قطع أميال شاسعة ، ومسافات بعيدة حتى نـزل فى وسط الصحراء حيث الرمال الوعساء ، والرياح اللافحة ، والشمس المحرقة ، وانعدام الشجر والماء ... وقد قال فيها عليه السلام كلمته الخالدة :

« لا يخرجن احدكم الا وهو ممسك بيد صاحبه » .. فخالف اثنان من اصحابه أمره ..!!

فماذا وقع ؟

لقد ابتلعت الصحراء أحدهما ..

وأطارت ريحها الآخر ...

— ◆ —

وقد كانت الدولة المغربية ذات التاريخ الامجد ، والصيت الذائع فى العالم من نتاج الصحراء .. فهذا عبد الله بن ياسين الجزولي مؤسس الدولة المرابطية التى أشعت انوارها الاولى من الصحراء حيث غيرت هذه الدولة مجرى تاريخ الشمال الافريقي وغرب أوربا ، ويمكن ان نسمي هذه الدولة بانها دولة الصحراء.. ودولة الاشراف السعديين الذين جيء بجدهم زيدان حفيد فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم برغبة من أهالي درعة اقتناء لبركته ، كما تاسست بها تافيلالت التى التمست البركة والخير فى جد الدولة العلوية اذ طلبت كذلك استقدامه الى بلدها للتبرك ... بل ان المرينيين كانت بدايتهم قبائل تنتجع الصحراء حيث يتعلمون فيها الفروسية والصيد وطراد الخيل فى اوقات الشتاء حتى اذا اشتدت حمارة القيظ هرعوا الى اكرسيف على ضفاف ملوية ،

ومن هناك امكن الاطلاع على داخلية المغرب اذ بدأوا يشنون غاراتهم حتى تاسست دولتهم ، فكانت بداوتهم الصحراوية عونا لهم على ركوب المهالك ، واقتحام الصعاب ، وتجشم الاهوال ، بل ان هذا الجزء من المغرب كان لهذه الدول عليه من الاجتباء والاصطفاء والحنو والرعاية والعناية ما ليست لغيره من الاجزاء الاخرى ..

فالامير ابو بكر بن عمر اللمتوني المرابطي كانت الصحراء مقر امارته، ومن هناك تمكن من التوغل في بلاد السودان ...

ومفخرة ملوك السعديين أبو العباس أحمد المنصور الذهبي كانت له صولة خاصة في الصحراء ، بل تخطى ذلك ، كما تذكره كتب التاريخ ، الى خارج الحدود الى « كانمو » حيث بايعه هذا القطر ، وحضر رسوله الى فاس ليرى روعة الاستقبال على وادي فاس عندما دخل على المنصور ، وهو في جلال الملك، وابهة السلطان ، وروعة المقام في شتى كثير من النظام ، وقد كان لغانا شان آخر مع المغرب ايضا ...

— ◆ —

ان للمغرب أدلته الواضحة ، وحجته الملزمة، ووثائقه الثابتة التي تؤكد حقه في صحرائه، وهو حين يطالب بعودتها الى الوطن، فانما يصدر عن وعي بصير، وينقل عن شعور صادق ، ويترجم عن أشواق وتطلعات اخواننا الصحراويين المظلومين المجاهدين المكافحين الذين باتوا في جحيم مرهق اليم ، وظلم فادح ثقيل يعانون أخطر والعن نوع من الاستعمار يعتبر غريبا من نوعه في هذا القرن ، يملي مظالمه ومآسيه على امة البطولات والامجاد ، التي ترفض الظلم ، وتمقت الظالمين ...

وعنت الوجوه للحي القيوم ...

وقد خاب من حمل ظلما ...

فلا غرو اذا جعل قائدنا الملهم ، وبطلنا الموفق من هذه السنة سنة استكمال السيادة الوطنية وتحرير الصحراء وفكاكها من اسار الاستعمار الاسباني .

ولقد أجمعت الامة وراء قائدها بسائر طبقاتها ومنظماتها واحزابها على ما جاء في الخطاب الملكي السامي الذى دعا في صراحة ووضوح الى الجلاء التام الذى يكشف الضر ، ويجعل حدا نهائيا للسيطرة الاستعمارية الاسبانية في اراضينا الصحراوية .

اننا ، وكما صرح بذلك سيد البلاد في خطابه الاخير لعيد الشباب : « حينما نصل الى قضية التراب الوطني والوحدة الترابية ، وبالاخص ضمان مستقبل المغرب ، فان المغاربة يقفون وقفة واحدة كيفما كانت مشاربهم السياسية، وكيفما كان مستواهم الاجتماعي ...»

وهل هناك شاهد قاطع صادق على اتساع الوعي القومي الذى تيقظ واستبصر في نفوس الامة التي بكرت تفصح عن استعدادها ليوم جهاد البغي والجور ومقاومة التحدي والعناد واللصوصية !..

وهل هناك دليل أقوى من حماس اخواننا سكان الصحراء الذين فار الدم المغربي في عروقهم ، وثار التاريخ المجيد في نفوسهم ، فاندفعوا كالأتي اذ ينحط عن صبب ، ووقفوا في مقدمة الصفوف ، وثبتوا لبوارق السيوف ، وفتحوا صدورهم لمصافحة الحتوف ، فمن لم يكن لهم ، فهو عليهم ، ومن لم يقم للدفاع معهم ، فليس منهم ..!

وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون !!

وهل هناك، ايضا، حجة اكثر وضوحا واسطع دلالة من ان منطقة النفوذ الاسباني في الجنوب المغربي كانت جزءا من الحماية الاسبانية في المغرب وكانت عاصمتها ايفني .. وان جزءا من الصحراء التى تحت النفوذ الاسباني هو الذى كان يعتبر في نظر الاسبانيين مستعمرة ((ريو دورو)) وان كان الاسبانيون لم ينكروا قط ان هذه الاطراف كلها جزء لا يتجزأ من بلادنا .

وقد استمرت هذه المنطقة تحت الرعاية الفعلية لجلالة السلطان بواسطة خليفته المفوض في الشمال ، وصارت تابعة للنفوذ المغربي بتطوان ماديا واقتصاديا واجتماعيا واداريا بحيث لا يمكن ترشيح أي موظف لاي خدمة ما ، الا بقرار رسمي موقع عليه من طرف المسؤولين المغاربة بتطوان، ثم اصدر الاسبان اوامر لسكان هذه المنطقة ، مضمنها انه لا يسمح لاحد أن يبني دارا لسكناه الا باذن خاص من ادارة الاملاك المخزنية بتطوان ، ويتسنى لكل طالب ان يقدم طلبه معينا فيه القطعة الارضية وعدد امتارها ، فبذلك يصدر له مرسوم الاجابة لطلبه موقع عليه من طرف مدير الاملاك المخزنية بتطوان وأمينها ، والعضو المسلم والعضو الفني ، وبانه مكتر لتلك القطعة من الارض لمدة محدودة من الزمن ، فعند ذلك يوقع المكتري على ثلاث رسوم بقبول ذلك واحد منها يدفع لادارة الاملاك المخزنية بتطوان والثاني يبقى بالمراقبة التى بها المكتري متمسكا .. وقد بقي الحال على ذلك الى عام 1949 ، فمن ثم صارت اسبانيا تتلاعب بهذا الجزء من التراب المغربي ، وتطلق عليها اسماء غير اسمائه ، وتخلع عليه القابا غير القابه ، وصار كل حاكم من اسبانيا على هذه الارض يضيف لنفسه اللقب الذى يختاره ويصبو اليه ...

وهناك ، ايضا ، دلائل اخرى قاطعة في موضوع الصحراء تمليها مئات الظهائر والقرارات التى اتخذت في مختلف الاوقات ، والتى توجد بالجريدة الرسمية لشمال المغرب ، ومن أعظم تلك الوثائق القرار الوزيري الذى يقضي بتعيين خليفة نائب دولة الصدر الاعظم بالمنطقة الجنوبية ، واعطاء تلك الوظيفة للسيد السائب السناني بن الشيخ الامجد بن العالم وذلك بتاريخ 30 مايو 1938 (الجريدة الرسمية عدد 19) من السنة نفسها ، ومنها ايضا القرار المعدل للمادة الثانية من مرسوم 13 أبريل سنة 1934 المتعلق بادارة العدل بمنطقة سيدي ايفني عاصمة الصحراء المغربية ومنحه الصبغة المعلن عنها (مرسوم فاتح اكتوبر سنة 1934 انظر الجريدة الرسمية عدد 28 و 29 صفحة 757) ومن ذلك القرارات المتعلقة بتنظيم الدخول بمنطقة الصحراء ومزاولة التجارة والصناعة فيها (مرسوم بتاريخ فاتح اكتوبر 1934 الجريدة الرسمية للشمال عدد 28 ، و 29 صحيفة 758) .

— ◆ —

ان سكان اقليم الصحراء كانوا دائما يترددون على شمال البلاد ايمانا منهم بان اقليمهم جزء لا يتجزأ من الوطن المغربي ، وقطعة من التراب الاصلي فيصلون ما امر الله به ان يوصل، ويجددون البيعة لملوك البلاد ، ويؤكدون العهد لولاتها حتى لا يدعو خنزوانة تعبث فى راس طاغية ، ولا املا فى صدر طامع ، وما قدوم ابناء الشيخ ماء العينين الشيخ سيدي محمد الاغضف والشيخ سيدي محمد الامام صاحب « الجاش الربيط » وشرفاء القبائل واعيانها وعليتها على مدينة الرباط قديما وحديثا للمثول بين يدي صاحب الجلالة المرحوم مولانا محمد الخامس ، طيب الله ثراه ، وسيد البلاد مولانا الحسن الثاني نصره الله لتجديد البيعة، وتاكيد الولاء نيابة عن سكان الصحراء المغربية حتى ينتظم الشمل ، ويرتفع الحاجز ، وينهد السد ، الا دليل على ما قلناه ، وحجة على ما بسطناه .

ان فى الصحراء المغربية اليوم شبابا سليم الروح ، صليب العود ، نقي الجوهر ، كريم المحتد ، خالص الارومه ، شجاع القلب ، لا يرضى بالبقاء فى الدون والهوان، والذل والعبودية تحت سيطرة الاسبان النصارى، والخضوع لهم حتى يكون دائما محبوسا فى مجال حيوي شحيح خانق ، مفصولا عن وطنه، منقطعا عن تراثه الاسلامي والحضاري ، واخوته الاماجد ، وكانهم من ابناء ليون Lyon او سانتاندير Santander والواقع الصريح الواضح انهم مغاربة اقحاح برزوا للوجود ، ولسان حالهم ينشد :

اخبروا القوم ، اعلموهم باننا
قد حيينا ، واننا سنكون

قد بعثتم رجالنا ، فاديموا
سيركم ، واعملوا ، ولا تستكينوا

ان امتنا المغربية التى وضعت المبادىء وحددت المطالب ، واملت الخطوط، وقدرت العواقب لا تريد من مطالبها الا ارادة التغيير ، ونشدان الكمال ، وتحقيق الوحدة ، وطلب الاحسن حتى يتحرر ابناؤها من القيد ، ويتطهر جزء من وطنها من المغير ، فمن تخلف عن الركب، او خزل عنه ، بات كالمنبت عن الجماعة ، لا ارضا قطع، ولا ظهرا ابقى، واستحق اللعنة والطرد والخزي والعار، وقوتل مقاتلة العدو .

وان شعبنا المغربي الذي يهتز اليوم ، اكثر من اي وقت مضى ، اهتزاز الغبطة والحماس، ويعتز اعتزاز الفخر والنصر، لتحقيق مطالبه، وتسليم اجزاء من ترابه طبقا لمقتضيات الاتفاقية الاسبانية المغربية لعام 1956 ، ليعاهد الله على الذياذ عن حماه ، والدفاع عن صحرائه ، وسيظل بفضل ايمانه وثباته وعقيدته ، وبقيادة ملكه البطل جلالة الحسن الثاني ، حفظ الله زمانا اطلعه - آمنا من كل سوء ، نابيا عن كل فتنة ، معافى من كل مكروه ، محفوفا برعاية الله ، مؤيدا من احرار العالم والضمير الانساني ، رافلا فى حلل السعادة الراضية التى يطرز حواشيها النعيم .

دعوض الحق

صاحب الجلالة الملك المعظم يوجه خطابا تاريخيا إلى الأمة

بمناسبة عيد الشباب

وجه جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله خطابا تاريخيا الى الامة بمناسبة عيد الشباب حيث اعلن جلالته لشعبه انه نظرا لخطورة الموقف في الصحراء المغربية المحتلة فستكون هذه السنة سنة تجنيد لاسترجاع اراضينا المغتصبة .

وقال جلالة الملك : اننا ان نياس من الحوار حينما يكون هذا الحوار مجديا .

وذكر جلالة الملك بجميع المراحل التى عرفتها العلاقات المغربية الاسبانية فيما يتعلق بالصحراء المغربية المحتلة .

وفي بداية الخطاب التاريخي اعلن جلالة الملك عن قرار اشراك العمال في معمل لاسمير لتكرير النفط وفي معمل صوماكا لتركيب السيارات، وفي معمل صناعة قنوات السقي وفي معمل جديد للسكر بسيدي بنور .

واستعرض جلالته المكاسب والمنجزات العظيمة التى حققها المغرب منذ استقلاله الى الآن .

وهذا هو النص الكامل للخطاب التاريخي لجلالة الملك نصره الله :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه .

شعبي العزيز :

عودتني كل سنة في التاسع من شهر يوليوز ان تحتفل بعيد الشباب ، ذلك العيد الذى يصادف يوم ميلادي ، وعودتك انا بدوري ان اتجه اليك في مثل هذه المناسبة لاخاطبك واحدثك حتى نحكم الروابط التي تربط بيننا ، وحتى نصل يومنا بامسنا ، وحتى نوطد بتفاهمنا وتعاطفنا وانسجامنا ، الاركان والدعامات وقد صدق النبي (ص) وقال : « ما كان لله دام واتصل »

ونحمد الله سبحانه وتعالى على هذه المواصلة وهذا الاستمرار الشيء الذى يجعلك ويجعلني كيفما كانت الاحداث ، وكيفما سارت الايام والسنون ، ان نكون مطمئنين ، على حالنا موقنين بمستقبلنا مؤمنين بصواب اتجاهنا واختياراتنا .

انطلاقة جماعية واقتصادية

شعبي العزيز :

مرارا نتذاكر في المسائل التي تهمنا من قريب ومن بعيد ، واذا تذكرت في السنة الماضية كان خطاب تاسع يوليوز الذي وجهته حيث يرمي قبل كل شيء الى اهداف محدده ، من الناحية الاقتصادية والاجتماعية ، بل اقول الى ناحية واحدة هي الانطلاقة الاجتماعية الاقتصاديه ، ذلك ان كل عمل اقتصادي لا يرمي من ورائه الفرد والمسير الى تكريم البشر والرفع من مستواه ذلك يكون عملا اقتصاديا ناقصا ، وكل عمل اجتماعي يراد منه الديماغوجية والمبالغة والقفزات الى الامام (المتهورة) ، لا يتعرف الانسان على امكانياته ولا التعرف على وسائله يكون عملا اجتماعيا بدون جدوى ويكون عملا اجتماعيا لا يرجع لا على الدولة ولا على الامة ولا على الافراد باي خير كان .

اهداف تحققت بعون الله

لذا في السنة الماضية تذكر اننا تذاكرنا على نقط معدوده .. نقط ترمي الى احياء الفلاحة ، نقط ترمي الى تكريم الطبقة العاملة ، نقط ترمي الى تقريب الاداره من الشعب ، نقط ترمي الى ايجاد عدلية يطمئن اليها الانسان ويعيش في ظلها الوارف كل مغربي مغربي ولله الحمد، حققنا كل هذا ، بل حققنا فوق هذا ، حققنا كل هذا بأن استرجعنا اراضينا ، حققنا كل هذا حيث اننا خلقنا من لا شيء الخدمة المدنية ،، حققنا كل هذا حيث اننا وضعنا اللبنة الاولى لاشراك العمال في المعامل، وحققنا فوق هذا حيث اننا لم نكتف باسترجاع الاراضي ، بل في وسط السنة، بمعنى في الوقت الستراتيجي بالضبط، استراتيجي مهم قررنا ونحن في اكادير اننا سنراهن الزمن ، واننا سنقوم بعملية حرث للاراضي المسترجعة بيدنا ، وكان الله سبحانه وتعالى في عوننا ، نظرا لانه يعلم سبحانه وتعالى صدق نيتنا ، وايماننا بحقنا ، فأعاننا الله سبحانه وتعالى واعطانا سنة خصبة من الماء وهكذا فان الرقم الذى كنا حددناه وهو معدل (17) قنطار في الهكتار ، يمكنني ان ابشرك شعبي العزيز اننا وصلنا الى هذا الرقم، ولست اقنع بهذا الرقم ولست انت بدورك تقنع بهذا الرقم ، ولكنه رقم مهم جدا بالنسبة لنا ، حيث انه سيكون منطلقات وحيث انه من جهة اخرى سيعلمنا اننا اذا اردنا شيئا ، ووطدنا العزم على شيء واتكلنا بعد هذا كله على الله سبحانه وتعالى ، ما كان الله ليخيبنا وما كانت عزائمنا ولا اراداتنا ان تخيب امام مجهوداتها وها نحن في هذه السنة نظرا لنجاح هذه التجربة سنخطو خطوات أخرى في الميادين التى ذكرتها لك ، وسنزيد في تجربتنا .

اشراك العمال في ارباح الشركات

فمثلا من ناحية اشراك العمال في الشركات قررنا ان نضيف الشركات الآتية هذه السنة :

معمل سكر سيدي بنور ، في هذه السنة سنشرك فيه العمال والفلاحين وسوف لا نقتصر على معامل السكر قررنا اننا نخطو خطوات في المعامل الصناعية الصرفة وهكذا سنضيف : (لاسامير) للائحة ، ونضيف اليها مصنع قنوات الاسمنت التى تستعمل للري ، ونضيف لهذه اللائحة معمل ((صوماكا)) للسيارات .

نظام اجتماعي اشتراكي لا يكتفي بالشعارات

وهكذا شعبي العزيز خطوة تلو الاخرى تعطي الدليل على اننا في المغرب نعيش في نظام اجتماعي واشتراكي في صلبه ، في كنهه ، في فلسفته ، لا يكتفي بالشعارات ، ولا يكتفي باللافتات ، ولا يكتفي باستيراد الفلسفات من الخارج ، بل نقول فنفكر ونطبق فننجح ، وكل هذا يرجع فضله يعلم الله سبحانه وتعالى الى تماسكنا وتعاضدنا وايماننا بمغربيتنا .

اما من الناحية الاخرى : ناحية اشراك الشباب في تسيير الامور المدنية والعامة فزيادة على الخدمة العسكرية ، وحتى نزيد في اشراك الشباب المغربي ليس فقط لكي يدلو بدلوه في الاسرة الصغيرة التي هي المغرب ، بل يقوم بواجبه نحو الاسرة الكبيرة وهي افريقيا سندعو للتطوع في آخر كل سنة ، للشباب الذى اشتغل مع الدولة سنة لكي ناخذ منهم مائة او اكثر وسنرسلهم الى افريقيا لمدة سنة او اكثر منهم اساتذة ومنهم اطباء ، ومنهم المهندسين ومنهم فنيين ، حتى يمكن للمغرب ، اذا قالوا عنه ،

وسألوا عنه ، يراه جميع اخواننا الافارقـة ، ويروا الشباب المغربي في الحقول ، في المصانع في المكاتب ، يرونه على واجهة القتال ، تلك الواجهـة التى هـي قبل كل شيء تطارد التخلف ، وتحارب الاستعباد نظرا لان كل دولة ليست لها الاطر الكافية نعتقد انها لا زالت مستعبدة ، ولا زالت مستعمرة ، ولا زالت لا تعرف الاكتفاء الذاتي فيما يخـص مقدراتهـا وامكاناتها .

هذه شعبي العزيز كلمات وجيزة بمناسبة هذا اليوم ، حول الماضي ، وحول المستقبل ، في الميادين الحيوية التى تعرفها وهي ميادين اجتماعية واقتصادية

واذا اردنا ان نحلل هذا كلـه نجـد علـى ان ميزاننا راجح ولله الحمد ، وعلـى اننا رابحـون في جميع هذه الميادين التى حصرناها امامك .

خطورة الموقـف في الصحـراء

ولكن شعبي العزيز تعرف كذلك ان كل عمل في الداخل لا توطده عزيمة قوية على ان يسند باحترام في الخارج وان يسند باطمئنان على المستقبل، ان عملا مثل هذا لا يدوم .

فلذا ونظرا لخطورة الموقف اريد شعبي العزيز وشبابي العزيز ان نجعل من هذه السنة المقبلـة ، سنة استكمال حريتنا واستقلالنا الترابي .

شعبي العزيز، تعلم اننا غداة الاستقلال كنـا وقعنا على وثيقة مع الحكومة الاسبانيـة يـوم 12 ابريل 1956 ، تضمن للمغرب استقلاله وتضمـن وحدته الترابية ، ولكن مع الاسف ، ورغم المطالبات العديدة ، ورغم ما اظهره المغرب من مرونة ، ورغم ما اظهره المغرب من تشبث على الطريقة السلميـة والمنطقية كل المشكل لم يستجل الى رغبة المغـرب ولم يجد المغرب مخاطبا في مستواه ، وفي مستوى حسن نيتـه .

واستمرت بعد ذلك المفاوضات والمشـاورات والمناقشات ، الى حد اننا سنة 1965 حينما احتفلنا بالسنة العاشرة لاستقلال المغرب وكان احتفالنا ذاك يوم ثاني مارس في مدينة فاس ، واقتبلنـا وزيـرا اسبانيا جاء يمثل حكومته وقلنا له بالحرف : ((اننا نطالبكم باسترجاع الاراضي المغتصبة والصحراء التى تديرونها ، ولكننا لا نريد ان نقع في مثل الاغلاط التى وقعنا فيها مع بعض الدول الافريقية ، ولـذا فاذا لم ترد اسبانيا أن ترد الينا حقنا ، فسنطالبها اذ ذاك امام هيئة الامم المتحدة .

وكان بالنسبة الينا حق تقرير المصير ، هو طرح السؤال بصفة واضحة ((هل تريدون البقاء مع الدولة التى تحتلكم ام هل تريـدون الرجـوع الى حظيرة الوطن ؟)) وطالبنا بأن يجرى الاستفتاء على هذا الاساس ، وفي اطار هذا السـؤال المحـدود بضمان من هيئة الامم المتحدة والمجموعة الدولية ، وكنا دائما ننبه اسبانيـا وحكومتهـا الى خطـورة اقدامها ـ فيما هـي اذا اقدمـت ـ على عمـل انفرادي يمكن من اعطـاء الاستقـلال او استقـلال داخلي .

وعندما سافرنا الى اسبانيا سنة 1970 ودارت بيننا وبين الجنرال فرانكو محادثة خاصة كان عرضنا لهذه المشكلة اعمق وكان موقفنـا اكثـر مرونـة ، وسياستي ليس فيها ما يخفى لانها واضحة كالشمس في وسط النهار ، واذ ذاك طرحنـا على الحكومـة الاسبانية الاختيارات التالية :

◆ اننا نعلم الموقـع الاستراتيجـي لمدينـة العيون وفيلاسيسنيروس بالنسبة لجزر كناريا .

◆ اننا نعلم انكم تولون لهذه الجزر اهميـة بالغة من الناحية العسكرية ، فنحن مستعـدون اذا أنتم ارجعتم للمغرب سيادته على التـراب الى ان نضع رهن اشارتكم قواعد عسكرية لمدة ما نتفق عليها تجعلكم تطمئنون على كاناريـاس علمـا منا ان القواعـد العسكرية في الاخير لا ينتفع بها الا البلد التي هي على ارضه .

وعلما من ان التطورات الاستراتيجية وتطورات الاسلحة تجعل دائما من القواعد العسكرية شيئـا يتطـور .

وقلنا ايضا اما اذا كانت خيرات الصحراء سواء التى على الارض او التى في قعر البحار تهمكم كذلك فالمغرب مستعد ليبرم معكم اتفاقية يشترك بموجبها معكم في عمليات الاستخراج والتسويق وكل ما من شانه ان يستخرج ويسوق .

وكنا نعتقد ان تفتحا مثل هذا لا يكون من شانه الا ان يرجع الاسبانيين عن غيهم وينظـروا الى

مصالحنا العليا ويعلموا انه لا محل ولا موضع لبلد اجنبي في افريقيا .

وهذه القاعدة تزيد وضوحا وحقيقة يوما بعد يـــوم .

لا يمكن تنصيب دولـة مزيفـة

اما الآن وقد احسسنا بان اي مطلب من مطالبنا لم يستجب اليه ، وان اسبانيا تسير الى اقرار نظام الاستقلال الداخلي ـ ونحن نعلم طبيعة هذا الاستقلال فالسياسة الخارجية والدفاع تبقـى في يد الدولـة الحامية ـ فاذا حقيقة اتجهت اسبانيا هذا الاتجاه فانا شخصيا ، كمسؤول على وحدة هذه البلاد من جهة وعلى صيانتها من الاخطار في المستقبل اترك هـذا وصية لكل مغربي مغربي انه لا يمكـن ان يعقل او يتم تنصيب دولة مزيفة لا حقيقة لها في جنـوب ترابنا لانه من الناحيـة الستراتيجيـة والناحيـة الهيدرولوجية ومن ناحية المنافذ على بحر المحيـط الاطلسي لا يعقل مثل هذا لانه سيكون خطرا مستمرا على سلامة البلد وحرمتها وعلينـا وعلـى ابنائنـا ومستقبل ابناء ابنائنا .

فهذه ليست مسالة عاطفية فحسب بل مسالة حيوية لكل مغربي مدنيا كان ام عسكريا مسؤولا كان ام موظفا ، رجل اعمال او عامـلا ، ولـذا سأقـول للاجانب هنا الذين سيعلقون على خطابي هذا .

ـ وتعرفون «العطف» الذي يكنه هؤلاء الاجانب المعلقون للمغرب الذين « ذاقوا » الاستعـمار في المغرب لم يريدوا ان ينسوا أن المغرب هو اول دولة فلتت من ايديهم ، ثم تبعته جميع المستعمرات ولم ينسوا ان هذه الفلتة أتت على يد العلويين وبالاخص على يد جلالة محمد الخامس واسرته .

فـاذا ما عرفنـا « العطـف » الـذي يكنـه لنا بعض المعلقين ، فان هؤلاء «ذاقوا» الاستعمار في تعليقاتهم « ان المغرب يريـد تغطية مشاكله بهـذه الوثبة التي يريد قفزها » .

الحمد لله ، وكمـا قلت ، ليسـت لدينـا مشاكل ، وما كنا قررناه انجزناه ، وانجزنا فوق ما قررنا ، وظهرنا مرفوعي الراس في الداخل والخارج وكنا قبل الآخرين في دخول المعركة لما حان وقـت التحرير وآخر من خرج لموقع فك الارتباط ، وظهر الجندي المغربي والمرض المغربي والطبيب المغربي والمهندس المغربي ، والاحصائي المغربي ظهروا بمظهر رائع ، والشعب المغربي تبرع اكثر من اي شعب آخر .

حقيقة من الناحية الخارجيـة ومن ناحيـة سياستنا في الخارج وحرمتنا في الخارج لا مشاكل لنا تضطرنا الى تغطيتها ، ففي الداخل والحمـد للـه سياستنا تسير في خطاها الطيبة ، حيث ان الخزينة مليئة وباكثر من المطلوب ، ولدينا اكثر مما نحتاج من العملة الصعبة ، وفوسفاطنا في نمو ، المحصول الزراعي كان كما كنا نتمنى ، التخطيط صرفنا عليه خلال الاربعة الاشهر الاولى فـوق الاربعيـن مليـارا وهذا رقم قياسي لم تشهده التخطيطات السابقـة وبالطبع لنا بعض المشاكل العامـة كسائـر الـدول الاخرى مثل تعميم التعليم ، قلة الاساتذة ، انخفاض المستوى ، عدم كفاية الاطر ، مراجعـة الادارة والسلم الاداري والمسطرة الادارية ، ولكـن هـذه المشاكل ليست مشاكل يضطر الانسان الى تغطيتها وخلق مشكل آخر .

اقول للجميع لا ، اياكم ثم اياكم تحقيق وجودكم مع المغاربة في هذا الميدان ، المغاربة قد لا يمكن ان يتفقوا على منهج تعليمي وقد لا يتفقون على اصلاح قضائي ، قد لا يتفقون على السياسـة في الميـدان الاقتصادي فيما يتعلق بوجوب حرية الاقتصاد او تدخل الدولة بتوجيه صارم منها .

هذا اختيار ، وشغل يهمنا فيما بيننا ، وهذه مشاكلنا تخصنا ، وكل فينا حر في ان يشرق او يغرب ولكن حينما نصل الى قضية التراب الوطني والوحدة الترابية وبالاخص واؤكد ضمان مستقبل المغرب، اقول للجميع : اياكم ثم اياكم فان المغاربـة ـ وانتم تعرفون هذا ـ يقفون وقفة واحدة كيفمـا كانت مشاربهم السياسيـة وكيفما كان مستـواهم الاجتماعي .

ولذا اتوجه الى رعايانا في الصحراء واقول : اياكم ثم اياكم ان يصيبكم الغرور وتركبون خطـة تندمون عليها في المستقبل ، نحن نعـرف جيـل الاستعمار وحاربناه من قبل ، ويوما ما جميع السادة الذين يكونون الجماعة ـ جماعة الصحراء ـ وينتمون الى أسرة محترمة نحترمها ونحترمهم ، سينتبهـون ويجدون اسماءهم اسماء معروفة بالعروبة والاسلام وبالغيرة لانها ستكون تحت وثائـق لا في مستـوى وطنية الصحراويين ولا مستوى اسلامهم وعروبتهم .

اذن فلنجعل من هذه السنة سنة تجنيد فى الداخل والخارج لنسترجع اراضينا ولا نيأس من الحوار من جهة اخرى اعتقادا منا بأن التغيرات والتطورات وما يحدث بالامس ليس ما يحدث اليوم فان الحوار اذا لم ينفع بالامس قد ينفع بالغد ، ولكن الحوار وحده لا يكفي لابد من المخاطب والمخاطب الاسباني يعلم أن امامه ارادة واحدة وارادة موحدة ، ويجب ان يدرك ايضا ان اصدقاء المغرب من عرب ومسلمين وافارقة وغيرهم سيقفون بجانب المغرب ، كما على المستعمر والمغاربة كذلك ان يعرفوا أن هذه هي الفرصة التى سنعرف بها صديقنا من عدونا .

شعبي العزيز :

مرة اخرى اشكرك جزيل الشكر على ما تظهره فى عيد ميلادي فانا أشعر فى احتفالاتك بانها تلقائية من قلبك ، وانك شعب لا يرغم على الخروج الى الشوارع ليغني ويزغرد ويحتفل مرغما وانك ان لم تكن تحس هذه الاحساسات كما عبرت عنها هذا التعبير الذى حقيقة يثقل كاهلي ككل سنة يجعلني فى خدمتك ورهن اشارتك وتحت تصرفك اكثر من السنة التى تمضي ، وانتهز هذه الفرصة لاشكر جميع الذين عبروا لي بالهاتف عن تهانيهم بمناسبة عيد ميلادي ، وانا بدوري اتمنى لهم وللجميع الصحة واتمنى العافية والسعادة راجيا من الله سبحانه وتعالي ان ينصرنا كما ننصره ويعلي شاننا كما نعلي شان دينه وسنة رسوله وان يعطينا ما وعدنا به سبحانه وتعالي.

ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا يوتيكم خيرا ، انه سميع مجيب .

صاحب الجلالة ينعم

على الشاعر الكبير محمد مهدى الجواهري بطوق الكفاية الفكرية

اقام الاديب الكبير الاستاذ الحاج امحمد ابا حنيني حفل عشاء كبرى بمنزله يوم الاثنين 27 جمادى الاولى 1394 – 17 يونيو 1974 ، دعا لها نخبة من رجال الفكر والثقافة والادب احتفاء بالشاعر الفحل الاستاذ الكبير محمد مهدي الجواهري الذي يزور المغرب خلال هذه الايام .

وقد حضر هذا الحفل البهيج بعض السادة الوزراء ، وعدد من سفراء الدول العربية الشقيقة .

وباسم جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأيده وشح الاستاذ الحاج امحمد ابا حنيني وزير الدولة المكلف بالثقافة عنق شاعر العراق الكبير الاستاذ محمد مهدي الجواهري بطوق الكفاية الفكرية ، ثم القى كلمة رائعة عبر فيها لشاعر البيان والابداع عن عميق الاثر البالغ الذي خلفته زيارة الشاعر لبلاد المغرب ... وكانت كلمة الاستاذ ابا حنيني تقاطع بالاعجاب والتصفيق لرقة الفاظها ومعانيها وبليغ كلمهـــــا .

وبعد ذلك وقف الشاعر المبدع الاستاذ محمد مهدي الجواهري والقى فى البداية كلمة نثرية عبر فيها عن شكره العميق لجلالة الملك على هذه الالتفاتة الكريمة ، ثم القى بعد ذلك قصيدة رائعة كان الحاضرون يطلبون اعادة أبياتها معجبين مصفقين .

وتلقى الاستاذ الجواهري تهاني الحاضرين ، وكان بادي التأثر لهذا التكريم ، معربا بعبارات مؤثرة عن بالغ سعادته وعميق تأثره .

وبعد العشاء القى الشاعر الكبير ابياتا من قصيدة جديدة شرع فى نظمها عن المغرب ، وقال انها بداية ديوان عن هذا البلد العربي الجميل الرائع .

وامتدت الجلسة بالحاضرين الى ما بعد منتصف الليل فى جو عاطر بالود والصفاء والذكريات التي حفلت بها حياة شاعرنا الفذ .

وهذه نص الكلمة الرقيقة التي القاها سيادة الوزير أمام الحاضرين :

الحمد لله وصلى الله على نبيه محمد وآله وصحبه

حضرة الاخ الاعز الاكرم شاعر المجد وشاعـــر اللفظ ورب المعاني الدقاق محمد مهدي الجواهري ،

كلفني صاحب الجلالة الحسن الثاني اطال اللـه عمره وابقى فى الخافقين ذكره ان انيط بعنقك طـوق الكفاية الفكرية تقديرا منه لآثارك وكفايتك وهو العاهل الاديب العالم بأسرار الابداع أية ما كانت مرابعه ومغانيه وازياؤه ومبارجه ، وتنوبها بما يستشري بين جوانحك من شعور مرهف فياض ويواظب عليه عقلك من تفكير مبدع خلاق ويمتد لك من نفس مديد وبند عن صدرك ولسانك من قول مبين وتعبير رائع أمين .

فما اعظم سعادتي بهذا التكليف وهذا التشريف وما اكثر ما يجيش اليوم فى نفسي من مشاعر المسرة والازدهاء والاعتزاز بأن تنال انت هذا المنال وتتبواهذا المقام وبأن يقدر الله لي أن أكون انا سببا من أسباب تمجيدك وتكريمك بعد الملازمة الواغلـــة فى دنيـــا احاسيســـك والمصاحبة النـافـذة الى افيـــح وارحب رحــــاب شاعريتـــك وبعـد الاعجـاب الذي أسلـــس القيـــاد وارتـــاح الى الاذعـــان



جلالة الملك يمنح لشاعر الرافدين طوق الكفاية الفكرية



جانب من المدعوين الذين حضروا الحفل البهيج الذى اقامه السيد وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية الاستاذ الحاج احمد ابا حنيني بمنزله

والتسليم ، وبعد الاكبار الذي مده التأمل والتمحيص والنظر الممعن الفاحص كل لحظة من لحظات التلاقي والاتصال برافد غزير وأذى جديد .

واذا كانت الاطباق هبة وحلية لاعناق الشاديات من ورق الحمائم فما كل مطوق صداح على فنن بحامل لبشرى ومشرع لمصراع الرجاء وواعد بالسكينة والاطمئنان ومساعد على الهموم والاشجان ، اما الطوق الذي استحثه الشوق الى وصالك وخف مبتهجا الى عناقك فهو طوق شكر وحمد وتقدير واعجاب وتجلة واخاء والقفين لالاف والصحاب لم يسمك غفلا ولا حلاك عطلا بل صبا اليك وتعشق لقياك وصيتك ذائع ونجمك متألق ساطع وشدوك يتداول جرسه الاسماع والاصقاع وهديلك يوغل فى اعماق الفكر والوجدان ولغة القرءان فى نشيدك وقصيدك برهان فوق برهان على ما يسر الله لها من خصب وثراء واتساع لادق المعاني وأحفل الخواطر والافكار واستحقاق للبقاء والخلود .

واذا انست وانت تجوب ارجاء هذه الديار دفء الوداد الصحيح الذى يلازم الاكبار ويسري الى نفسك وقلبك من قلوب الهائمين بسجعك ونفوسهم وهج الحب الذي يلهب الافئدة مندلعا من اخلص وأغزر ينابيع الانطلاق والاندلاع فما ذلك الا لانك اغنيت لغة آبائك وعشيرتك واعليت مكانها بين اللغات ورفعت مقامها الى ذروة الاعتزاز وقمة الابتهاء وانت تجلو وترسم المشاعر وتبث الحقائق والخواطر وتنثر الافكار والالحان وتنظم اللئالىء والجواهر .

وها هو التاريخ يا ابن الفراتين يشهد كرة أخرى بالتقاء العراق والمغرب فى شخصك الباسط جناحيه على بلاد العروبة من اقصاها الى اقصاها ، وفى اشخاص محبيك واخوتك من هذا الوطن الذي ظل عبر القرون وسيظل بعون الله على مر العصور معقلا حصينا من معاقل العروبة ومركزا مرموقا من مراكز اشعاع الفكر والثقافة .

وما خلت حقبة من الزمن تم فيها لقاء بين العراق والمغرب الا كانت هذه الحقبة فصلا من فصول التاريخ المحجلة الغراء التى صاحبها الاخصاب والامراع وواكبها يسار الفكر وثراء الثقافة .

ولامراء فى ان زيارتك لهذا البلد ومقامك بين اهله مقام العشير والنسيب بين العشيرة والاقرباء سيكون لهما من الاثار ما ستكشف الايام عن بعيد شأوه ومتطاول مداه .

وعلى ما حاولنا ان نتلقاك به من جميل الترحاب ونشيعه من حرارة الاخاء ونفضي به اليك من جزيل الاعجاب حزالك ووفير الاجلال فان فى نفوسنا شعورا مستحكما بالتقصير لا سبيل الى التخفيف منه الا أن يتجاوز فضلك وكرمك عن النقص ويغضي عن التفريط ما اثر عنك من اريحية وسجاحة .

وليس سهلا ولا يسيرا أيها الاخ الكبير أن تنال كل ما تستحقه من تبجيل ويوفي لك كل ما انت أهله من صنيع وجميل وانت سليل بيت اشتهر بالزعامة الروحية وفرع دوحة باسقة عريقة الاصول فى العلم والعرفان والكفاح والنضال وانت الشاعر المجدد الاصيل الذي يدوى شعره فى الآفاق ويثري القلوب والعقول ويمتع النفوس التي تتعشق أفانين الاحساس الصادق و لقول البليغ الرائق مثلما تتعشق الجمال فى مختلف الصور والاشكال ، وان ادنى مما ابداتم فيه واعدتم اسلافا واخلافا لتكل العزيمة الوطيدة والارادة المكينة عن مكافاته ومجازاته ومقابلته بما يجب من الوان الاحتفاء والاحتفال .

سيطول ذكرك بيننا ايها الاخ الاعز الاكرم وسيمتد بامتداد الاجيال والازمان وما أجدر هذه البلاد التي اصفت لك المودة واخلصت لك الاعجاب ان تذكرها فيما تذكر من اقطار ويحدوك الحنين الى العودة والمئاب وبعد هذا كله ارجو اخوتك أن تغفر لي ذنب هذه الكلمة التي حرصت على القائها مكتوبة غير مرتجلة فما كان لي ان اتذرع فى مخاطبتك بما أكنه لك من تقدير عظيم وحب متين لاتساهل فى اسماعك جملا ربما تلعثم بها اللسان وتعثر معها التبليغ والاداء وأنت صناع القلب والفكر واللسان وزعيم الاحصاد والاحكام والقول الفصيح والبيان

عذرا لأكؤسكم كاسي بها وشل
خجلان من مترع الحافات مزدخر

اطال الله عمرك ايها الاخ الفذ الكريم ووالى لك نعماء المجد الاثيل وخلد ذكرك مدى القرون الخالدات وهنيئا لك طوق التقدير وهنيئا لاعجابنا واكبارنا هذا التقييم وهذا التعبير .

وقد اجاب الشاعر العراقي على كلمة الاستاذ الحاج احمد اباحنيني بكلمة رقيقة استهلها بقوله :

سيدي ممثل جلالة الملك المعظم

الحاج امحمد باحنيني

يا معالي الاستاذ الجليل الوزير الاديب العالم ، ان لساني لقاصر عاجز عن التعبير عما تجيش نفسي به من احاسيس ، ومشاعر وعواطف ، يزدحم بعضها البعض ، ويطغى الواحد منها على الاخر ، وان فى مثل هذا الموقف الكريم النبيل ، الذي تقفونه مني ممثلين به تكرم صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني العظيم على فيما يشرفني به من هذا الوسام الرفيع « وسام الكفاءة الفكرية » وسام من ملك جليل ، هو بحد ذاته شرف عميم ، فكيف به وهو يحمل معه شرفا ما اعظمه واجله ، شرف ان حامله المتشرف به ذو كفاءة فكرية ، وان الذي يشهد عليها هو اعلى مقام فى هذا الوطن المغربي العظيم الزاخر بكل الكفاءات الخيرة النيرة ، وفى كل مجالات الفكر ، فكيف تريدون مني ان لا يتلجلج لساني ، وان لا يطغى عليه ما يجيش فى صدري من انفعالات قد يكون من سوء حظها ، ومن سوء حظي ايقافي مثل هذا المقام الجليل ان لا يقدر اللسان ان يكون عليها دليلا بخاصة وانا اتلقى نبأ هذه المآثر الملكية السمحاء قبل فترة وجيزة من لقائنا هذا .

اسمحوا — اذن — ان اكتفي من ذلك كله وعن ذلك كله اقبل هذا الوسام الرفيع وانا أتسلمه من يدكم ممثلة بذلك يد جلالة الملك العظيم حاضن التراث العربي الاصيل ومعيد مجده القديم ومشيد شروق النهضة الفكرية مشعة بانوارها على الوطن العربي الاكبر كله .

شكرا لكم يا سيادة الاخ الكريم والاستاذ الجليل على حفاوتكم بي فى هذه المناسبة الكريمة والتي حسبها كرما وحسبي تكريما ان تكون على يدكم وفى داركم العامرة وملتمسا منكم ان ترفعوا الى مقام صاحب الجلالة ما لمستموه بانفسكم من انفعالات معبرة بما لا يعبر عنه اللسان ولا القلم .

وشكرا وامتنانا لهذه الصفوة المختارة من اساطين الفكر والعلم والدين والادب الذين اكرموني بان يشاركوني فرحة هذا اللقاء المهيب .

اعز الله جلالة الملك وصانه وحماه وصان المغرب العظيم معه من كل مكروه ، وشكرا ، شكرا .

يا سيدي .. صاحب التاج الذي اعتمرت
به الخلائق من فهر ومن مضر

ويا وديعة اقبال محمدة
بها تنزل « آيا » محكم السور

ويا حفيظ حضارات مورقة
ما زلت تطلع منها اطيب الثمر

تبقى .. وتبقى مدى الآماد نافحة
بما نفحت بها من ذكرك العطر

قلدتني من نجوم الفكر اروعها
فليجزينك عنه اروع الفكر

وليجزينك عنه انني حصر
عي .. وما بي من عي ولا حصر

وقد يضيق بفضل المفضلين فم
حتى يفرج عنه عذر معتذر

وما عسى ان يقول الشعر فى ملك
غنى به شعراء البدو والحضر

— ◆ —

يا أيها الحسن الثاني ... يثلثها
ولاة عهدك من اخلافك الغرر

عهدتني قبل أن القاك مبتكرا
أما لديك فاني غير مبتكر

لم الف صورة حسن استجاش بها
الا وعندك منها أحسن الصور

ما عاقني غير لطف منك قيدني
اني لفرط ابتهاج منه لم اطر

سلمت ذخر تراث انت رونقه
يا خير مدخر .. عن خير مدخر

هنا .. هنا .. يا رسول الشعر فى خطل
من الجنائن مدح ملهم .. نضر

فى ظل ملك يعيد الشعر مزدهرا
وظل شعب لهدي منه مزدهر

ارح ركابك من أين .. ومن عثر
كفاك جيلان محمولا على خطر

محمد المهدي الجواهري

خطاب وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية السيد الداي ولد سيدي بابا رئيس وفد المملكة المغربية في مؤتمر وزراء الخارجية الاسلامي الخامس

انعقد فى كوالا لامبور المؤتمر الخامس لوزراء الدول الاسلامية ومعلوم ان اول مؤتمر من هذا النوع كان قد انعقد فى الرباط سنة 1969 على اثر احراق المسجد الاقصى بيد الصهاينة . وقد قرر المؤتمرون ان يكون يوم 25 شتنبر من كل عام يوما للميثاق الاسلامي يحتفل به فى جميع البلاد الاسلامية .

وفيما يلي نص الكلمة التى القاها رئيس الوفد المغربي الاستاذ السيد الداي ولد سيدي بابا وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية :

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي الرئيس :

يطيب لي اولا ان اعبر لكم باسم الوفد المغربي عن تهانئنا الخاصة بمناسبة انتخابكم رئيسا للدورة الخامسة للمؤتمر الاسلامي لوزراء الخارجية التى تبدا اعمالها فى هذه الجلسة ، كما اتمنى لكم التوفيق والنجاح فى مباشرة هذه المسؤولية التى اصبحتم الآن تتحملونها ، وانا اليقين بانكم سوف تكونون ان شاء الله فى مستوى هذه المسؤولية نظرا لخبرتكم وكفاءتكم وكذلك لما تتصف به سياسة هذا البلد العزيز من جدية وايمان وايجابية وبعد النظر فى جميع ما يهم الاسلام والمسلمين ، ويطيب لي كذلك ان اهنيء الاخ العزيز رئيس الوفد الموريطاني على انتخابه مقررا عاما للمؤتمر .

تقدير واعتزاز ونظرة تفاؤل الى المستقبل

سيدي الرئيس :

اننا فى المغرب ننظر الى ماليزيا نظرة تقدير واعتزاز وهذا ليس راجعا فقط الى ما يربطنا بها من اواصر الصداقة والاخوة الاسلامية ، ولكن ايضا لما لمسناه فى سياستها الدولية والوطنية من نبل واستقامة وتبصر .

وما هذا الاستقبال الرائع والضيافة الكريمة والتنظيم الممتاز الا مظهرا من مظاهر هذه التقاليد الاسلامية العريقة وهذه السياسة الحكيمة التى وضعها قادة البلد الشقيق الناهض المتقدم ، الذى اعطانا منذ ان وطئت اقدامنا ارضه الطيبة فكرة مشجعة عن ما هو قادر على القيام به من اعمال

ومنجزات الشيء الذي يطمئننا ولله الحمد على مستقبل هذا الشعب العظيم .

ويشرفني هنا ان اوجه باسم صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني وحكومته وشعبه اسمى عواطف الاخوة والمحبة والتقدير الى صاحب الجلالة ملك ماليزيا المعظم والى حكومته وشعبه الشقيق .

اعجاب الوفود بخطاب رئيس الوزراء

واغتنمها فرصة كذلك لاعبر عن اعجاب وفد المغرب بالخطاب الرائع الشامل الذى القاه يوم الجمعة الماضي دولة تون عبد الرزاق رئيس وزراء ماليزيا فى جلسة افتتاح مؤتمرنا هذا .

لقد وجدنا فى هذا الخطاب آراء جديدة ومعان سامية وافكارا نيرة مما يبرهن على عظمة هذا الرجل وصحة ادراكه لوضع عالمنا الاسلامي واطلاعه الواسع على مشاكله وسبل معالجتهما فى عصرنا الحديث .

ولنا اليقين ان هذا الخطاب سيكون لنا جميعا فى هذا المؤتمر اداة للتامل ولا شك انه سوف يفيدنا كثيرا على مواجهة القضايا التى نحن مقبلون على دراستها والعمل على التغلب عليها .

قوة جديدة لمواجهة التحديات

سيدي الرئيس :

ان هذا المؤتمر الخامس لوزراء خارجية الدول الاسلامية يصل بنا الى مرحلة جديدة من مراحل مسيرتنا المباركة منذ ان وضعت اللبنة الاولى لهذا الكيان الاسلامي حينما انعقد للمرة الاولى فى التاريخ مؤتمر القمة بالرباط فى شهر سبتمبر من سنة 1969 .

واذا القينا نظرة الى ما حققناه من منجزات خلال هذه الفترة الوجيزة من حياة منظمتنا ندرك ما كان لهذا اللقاء الاسلامي الاول فى تاريخنا المعاصر من اهمية قصوى وتأثير عميق فى مجرى الاحداث فى المجالين الاسلامي والدولي .

لقد برزت منذ ذلك الحين قوة عالمية جديدة اكتشفت طاقاتها الذاتية وقدراتها الخلاقة على مجابهة التحديات فى الوقت الذى قررت فيه عن وعي وايمان ان تنظم نفسها بنفسها حتى يكون كل عضو منها يشد العضو الآخر عملا بالحديث الشريف « المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا » .

واذا تذكرنا ان انتفاضة العالم الاسلامي فى الرباط غداة احراق المسجد الاقصى المبارك على يد الاجرام الصهيوني كانت الانطلاقة الكبرى نحو اهداف معينة وغايات معدة ، فان العمل المشترك الذى نحن مطالبون بالقيام به لبلوغ تلك الاهداف والغايات لا يزال شاقا .

نتائج انتفاضة العالم الاسلامي فى الرباط

نعم لقد تحققت انتصارات كبرى ما كانت تخطر على البال كما سبق ، فهناك حرب رمضان المبارك التى بفضلها تحطمت اسطورة التفوق الاسرائيلي على العرب ، وهناك عملية حظر البترول التى اظهرت فاعليتها وقوتها كسلاح فى يد العرب . وهناك حركة التضامن مع العرب التي قامت بها شعوب افريقيا قاطبة ، وهناك ذلك الوئام الذى ساد علاقات الشعوب الاسلامية وجعلها تتعاون وتتآزر من اقصاها الى اقصاها .

ان هذه المنجزات الكبرى ما كانت فى نظرنا لتتحقق لولا هذه الانتفاضة الكبرى التي جعلت هذه الامة الاسلامية تقف وقفة واحدة وتبني كيانها الجديد على اسس صحيحة وسليمة .

ولكن وبالرغم من هذه المنجزات التي ذكرت ، فان القدس الشريف لا يزال يئن تحت وطأة الصهاينة ، وشعب فلسطين لا يزال مشردا ومعرضا كل يوم للتقتيل والابادة ، فلسطين والاراضي العربية لا زالت محتلة .

فعلى مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية ان يتحمل مسؤولية كاملة فى هذا الموضوع الخطير وان يسهر على تطبيق قراراته باقصى ما يمكن من الحزم والقوة والاصرار .

بقاء الاستعمار فى أجزاء افريقيا يعد اهانة لشعوبها

سيدي الرئيس :

اريد ان اوضح هنا امام هذا المؤتمر راي حكومة صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني فيما يتعلق بقضايا الاستعمار فى افريقيا وقضايا الاستعمار كماتعلمون توجد فى مقدمة مشاكل الشعوب الافريقية كما برز ذلك فى مؤتمر القمة الافريقي الذى انعقد منذ ايام بمقديشيو عاصمة الصومال

وان بقاء الاستعمار فى اجزاء من افريقيا ليعد اهانة لشعوب هذه القارة وما هو مهين لهذه الشعوب مهين كذلك للعالم الاسلامي فعلى هذا المؤتمر اذا مسؤولية خاصة تعرض عليه ان يعمل من اجل القضاء على الاستعمار بجميع انواعه ، وان يناصر بقوة وحزم هذه الشعوب التى ما زالت تحارب الاستعمار لتحرير اراضيها او لتحرير ما تبقى من تلك الاراضي .

وبهذه المناسبة اريد ان الفت انظار حضرات السادة الوزراء المحترمين الى المشكل الاستعماري الذى لا زال قائما بين المغرب واسبانيا فيما يتعلق بالاراضي التى تحتلها هذه الاخيرة .

استنكار المغرب لمماطلة اسبانيا

ان المناورات والمماطلة دابت حكومة اسبانيا على استعمالها فى مسالة اراضينا المغتصبة وبعد صدور قرارات هيئة الامم المتحدة المتعددة ، اصبحت امرا لا صبر لبلادي عليه بعد اليوم .

وبالرغم من الادلة القاطعة التاريخية والجغرافية والدينية والوطنية وبالرغم من كل مظاهر التعلق بالوطن التى ما فتىء يعبر عنها سكان هذه المنطقة المغربية المحتلة فى مختلف المناسبات فان اسبانيا تتمادى فى تعنتها وتواصل استعمارها لهذه الاراضي المغربية .

والمغرب الذى ضحى بالكثير ولم يدخر قط جهدا لازالة الاستعمار فى افريقيا من خلال كفاحه الطويل من اجل ان تتحرر شعوب كثيرة ، يرى اليوم ان مساعيه لتحرير اراضيه يجب ان تجد من التأييد والتضامن ما تفرضه مبادىء واهداف المؤتمر الاسلامي من تعزيز لكفاح جميع المسلمين من اجل حماية سيادتهم واستقلالهم وحقوقهم الوطنية وازالة الاستعمار .

وامل المغرب كبير فى ان يعبر مؤتمرنا الاسلامي هذا عن تنديده واستنكاره لمماطلة اسبانيا التى اعطت الدليل اكثر من مرة على عدم استعدادها لتنفيذ القرارات الدولية وقرارات منظمة الوحدة الافريقية المتكررة .

ضرورة خلق نوع من التكامل بين شعوب القارة

سيدي الرئيس :

ان المغرب كاحد مؤسسي هذا المؤتمر ليؤمن ايمانا جازما بأن اقوى وسيلة لتحقيق تضامن اسلامي صحيح هو انشاء تعاون اقتصادي يشمل جميع الميادين المتصلة بوسائل النمو والازدهار .

كما يعتقد ان افضل الطريق للقضاء على التخلف المخيم على الشعوب الاسلامية رغم ضخامة موارده الطبيعية والبشرية هي خلق نوع من التكامل بين هذه الشعوب حتى يتقوى كل بلد اسلامي وينهض بالوسائل المتوفرة لدى البلد الآخر وحتى تعطى الاسبقيات لتوظيف رؤوس الاموال والتبادل التجاري والتعاون الفني بين الدول الاعضاء .

فالامر بطبيعة الحال يتطلب دراسات من طرف الخبراء وتنظيمات مالية واقتصادية ، وتقنية يجب ان نعمل فى اقرب وقت على انشائها .

فالمغرب يجدد اذن تأييده المطلق لجميع المقررات التى اتخذت فى مؤتمر لاهور فى هذا الباب، كما يتمنى ايضا ان يتم انشاء البنك الاسلامي للتنمية الذى قطعت الدراسات المتعلقة به مراحل ايجابية .

واشير الى الاهمية التى يعلقها وفدي على دراسة المواضيع الاخرى المدرجة فى جدول الاعمال خصوصا فيما يتعلق باعداد اعلان خاص بالتضامن المتبادل مع منظمة الوحدة الافريقية ، وتعزيز وكالة الانباء الاسلامية العالمية وبحث مشروع صندوق

التضامن الاسلامي ، ووضع الاقليات الاسلامية في العالم ولاسيما تلك التى تتعرض للاضطهاد والاهانة.

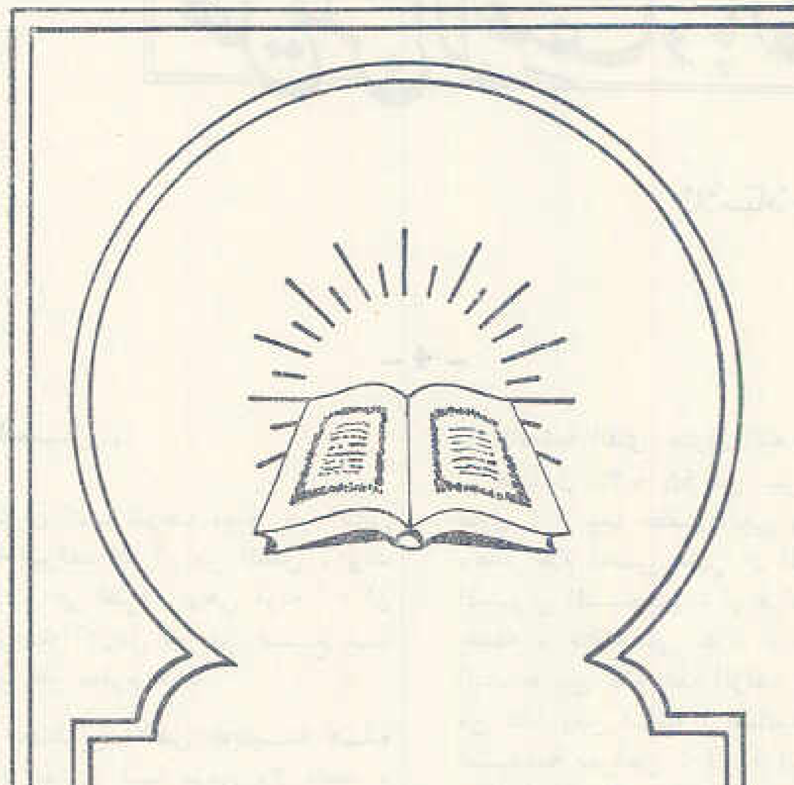
اما فيما يتعلق باعلان يوم الميثاق والاحتفال به فان الوفد المغربي يرى ان الاقتراح الذى تقدم به معالي وزير خارجية السينغال في الخطاب القيم الذى القاه نهار امس ليناسب ما ينبغي ان يعطي لمؤتمرنا الاول من اهمية تاريخية ومغزى سياسي وما يستحقه من تخليد لدى الراي العام الاسلامي ، خصوصا عند الاجيال القادمة .

ان وفدي يعتقد ان الموافقة على اقتراح السنغال هو الذى يعطي المفهوم الصحيح والمنطقي لهذه النقطة من جدول اعمالنا التى ادرجت بطلب من ماليزيا والتى قد اعربنا عن تأييد اقتراحها بالاجماع .

وفي الختام ، سيدي الرئيس ، اريد ان اهنىء سيادة الامين العام حسن التهامي على التقرير المستفيض القيم الذى تقدم بعرضه في جلسة مساء امس فلنا اليقين بأن هذه العناصر التى يتضمنها هذا التقرير سوف تساعد على دراسة المشاكل المطروحة وايجاد الحلول المناسبة لها تطبيقا لقراراتنا السابقة .

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

دراسات إسلامية



- ❊ الرد القرآني على كتيب : هل يمكن الاعتقاد بالقرآن؟
- ❊ حديث تأبير النخل وما يرشد اليه
- ❊ التشريع الاسلامي حول تعلم الفروسية والرماية والتدريب العسكري واعداد القوة لحماية دعوة الاسلام
- ❊ محمد اقبال : الشاعر الحكيم
- ❊ من مظاهر عبقرية الرسول : اجتهاده في عدة قضايا
- ❊ قصة اهل الكهف
- ❊ قضية الملكية ، موقف الاسلام منها قديما وحديثا
- ❊ بحث في القراءات القرآنية التي تحدث عنها الزمخشري في كتابه الكشاف
- ❊ القراءات القرآنية واللهجات العربية
- ❊ علاج فريد
- ❊ ان لم يكن بك غضب علي فلا ابالي



الرد القرآني على كتيب هل يمكن الاعتقاد بالقرآن ؟

للأستاذ عبد الله كنون

– 4 –

القــرآن والعمــل :

تحت هذا العنوان كتب المؤلف فصلا هو الثاني من كتيبه ، خصصه لموقف القرآن من العمل . وقد استهله بالبديهية الآتية فى نظره ، وهي قوله : « ان كل ما يوجد على وجـه الارض هو من صنـع يـد الانسان وعقله ، كما هو معلوم » .

ونجد انفسنا مضطرين لنقض بديهيتـه هـذه ببديهية حقيقية ، لا يماري فيها مومن ولا ملحد ، وهي ان من جملة الاشياء الموجودة على ظهر الارض الانسان نفسـه ، فهل هو الذى صنع نفســه بيـده وعقله ؟ ومتى كان ذلك ؟ واين ؟ وكيف ؟

اسئلة نوجهها الى الفيلسوف (رحماتوف) ، منتظرين جوابه الذي يحل جميع المشاكل على الطريقة الشيوعية السـوفياتية ..!

واذا كان اول الدن دردبا كما يقول المثل ، فلا نتوقع ان نرى فى هذا الفصل احسن من هذه البداية السيئة . وهكذا بعد ان يتساءل المؤلف عن موقـف القرآن من العمل يقول : « القرآن يؤكد ان العمل هو العقاب الذى جازى الله به الانسان على خطاياه» ثم يستدل بالآية 56 من سورة الداريـات (1) التى تقول : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبـدون » وهذا كلام غامض يظهر ان المؤلف سمعــه من احد المبشرين المسيحيين ، او قراه فى كتاب من كتبهم ولم يفهمه ، فنقله على علاته ، وقد اشرنا سابقـا الى التشابه بين كلام هذا المؤلف وكلام المبشرين ، ويبدو من هذا ومن اسمه (رحماتوف) انه مر فى اعتناقـه للشيوعية بمراحل : الردة ثم التمسح ، ثم الالحاد. وكيفما كان الامر فقد طبق عقيـدة المسيحييـن فى الخطيئة الاولى او الكبرى ، على الاسلام ، وفيمـا يعتقد المسيحيون ان صلب المسيح كان هو الكفارة عن هذه الخطيئة ، ظن هو ان الاسلام جعل العبـادة (وهي العمل فى نظر المؤلف) عقابا للانسان علـى خطاياه !؟

فأي خبط مثل هـذا ؟ وما هي العلاقـة بيـن العمل والعبادة حتى تجعل العبادة هي كل العمل ؟ ومن قـال لـه ان العبـادة فى الاسـلام هي عقـاب للانسان على ما ارتكبه من الخطايا ؟ وما قوله فى الانسان الذى لم يرتكب خطيئة كالصبي الذى يطلب

---

(1) وقد غلط فى رقمها فجعله 52 وهو 51 .

منه ان يصلي وهو ابن سبع سنين ، اي خطيئة يعاقب عليها بعبادته ؟ . .

هنايتبين ان المؤلف يهرف بما لا يعرف ، فقد حمل العقيدة المسيحية على الاسلام ، وهو براء منها ، بل هي من الاخطاء التى جاء الاسلام لتصحيحها بقول الله عز وجل فى القرآن الكريم (ولا تزر وازرة وزر اخرى) فضلا عن ان هذه الخطيئة الاولى قد غفرها الله لعبده منذ ادرك خطأه واستغفر ربه ، كما قال تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ، انه هو التواب الرحيم) .

ثم ان العبادة ليست هي كل العمل ، بل هي جزء قليل منه، ومع ذلك فهي ليست عقابا، وانما هي قربة وزلفى من العبد لله عز وجل ، وشكر له على نعمه التى لا تحصى ، واختصاص له بالعبودية التى يجب فى شرع الاسلام ان لا تكون الا لله .

على ان العبادة فى الآية الكريمة التى استشهد بها هذا المؤلف ، انما هي توحيده عز وجل ومعرفته بصفاته العلية ، فالمحققون من المفسرين يقولون : (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) اي الا ليوحدوني ويعرفوني .

فسقط كل ما هول به من كلام مدخول ملفق ، يكاد يكون لا معنى له ، لولا ان اخرجنا خبأه وبينا زيفه .

بعد هذا يقول : « ان من يأخذ بتعاليم القرآن، عليه ان لا يشتغل الا بعبادة الله . لكن كيف يمكن ان يعيش ؟ كيف يدبر المومن امر معيشته ؟ الجواب حسب تعاليم الاسلام سهل جدا ، وهو : « ان الله هو الرزاق » ان الاسلام وضع المومن امام احد امرين ، اما ان يشتغل بطلب الرزق ويكون حظه الحرمان فى الآخرة ، واما ان يقبل الحرمان فى الدنيا ويكون جزاؤه الجنة فى مملكة الله » ويستشهد على قوله هذا بالآية الكريمة (من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نوته منها ، وما له فى الآخرة من نصيب) (1) .

وبما بيناه آنفا من ان المراد بالعبادة فى قوله تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) هو معرفة الله تعالى وتوحيده، يبطل قوله هذا وما شيده عليه من ترهات لا حقيقة لها . فان من يأخذ بتعاليم القرآن عليه ان يسهم بما فى استطاعته ، فى بناء مجتمع فاضل يقوم على العدالة الاجتماعية والاحسان فى العمل ، ويمتنع هو كما يمنع غيره من المنكر والبغي وجميع الشرور ، على حسب ما جاء فى القرآن ، فى آيات كثيرة ، من اكثرها دلالة على ذلك قوله تعالى: (ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ، يعظكم لعلكم تذكرون) وليس عليه ان لا يشتغل الا بالعبادة كما زعم هذا المؤلف ، كيف والقرآن يقول : (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله) فأمر المؤمنين بمجرد انصرافهم من الصلاة ان ينتشروا فى الارض طلبا للرزق ، وذلك يكون بجميع انواع العمل من صناعة وتجارة وفلاحة وبالسفر والتنقل فى البلاد جلبا وتصديرا لخيراتها ومنتجاتها على سبيل تبادل المنافع وتنمية الموارد الى غير ذلك مما يدخل تحت هذه العبارة الفذة الجامعة (فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله) ولكن من اين للمؤلف ان يفهم سر البلاغة العربية والاعجاز فى الاسلوب البياني للقرآن ؟

والمهم هو ان القرآن يحض على طلب الرزق ، ويأمر المؤمنين به ان ينصرفوا من الصلاة الى السعي فى الارض لتدبير معيشتهم ، عكس ما ادعاه المؤلف من انه انما يلزمهم بالعبادة ولا يدع لهم فرصة لطلب الرزق اعتمادا على ان الله عز وجل هو الرزاق ، فها هو القرآن يكذبه ويعكس ما ادعاه ، فيجعل اقل الوقت للعبادة واكثره للعمل والسعي وتدبير المعيشة ، وذلك فى يوم الجمعة الذى هو اليوم المفضل من ايام الاسبوع فى الاسلام ، لان هذه الآية من سورة الجمعة وفى صلاتها المفروضة ، بل ان مما ابر به الاسلام على غيره من الاديان ، وهو مما تدل عليه هذه الآية ، انه لم يستثن حتى هذا اليوم الفاضل ، اعني يوم الجمعة ، من طلب العمل فيه والسعي لتدبير المعيشة ، كما يستثني اليهود يوم السبت والنصارى يوم الاحد ، وانما امر باقامة صلاته فى الجماعة ، وهي لا تستغرق اكثر من نصف ساعة بما في ذلك من سماع الخطبة ، او عظة الجمعة بعبارة اخرى ، والصلاة . ثم قال : (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله) فما اعظم الاسلام واكثر تجاوبه مع مطالب الحياة . .!

(1) الآية 20 من السورة 42 والمؤلف قال انها السورة 19 .

ومما يدخل فى نطاق الحض على السعي فى طلب الرزق قول الرسول (ص) « من بات وانيا فى طلب معيشة اهله ، بات مغفورا له » وبما سبق للمؤلف من ان الحديث ياتي فى المرتبة الثانية بعد القرآن وانه المبين له ، يعلم ان قول المومنين ان الله هو الرزاق اعتمادا على تعاليم الاسلام ، ليس معناه ترك طلب الرزق ، ولكن الاعتقاد بان ما يكسبه الانسان بعمله وكده هو من عطاء الله وفضله ، لانه رب العالمين وخالق الكون وما فيه ، وواهب القدرة على العمل، فمرجع ذلك الى عقيدة الايمان والتوحيد التى هي جوهر الاسلام .

وقال عمر بن الخطاب وهو الذى انشأ امبراطورية الاسلام العظمى ، وليس هناك من يدعي انه يفهم امر الاسلام فى هذا الصدد اكثر منه : « لا يقعد احدكم عن طلب الرزق ، وهو يقول: اللهم ارزقني ، وقد علم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة » فطلب الرزق لا ينافي قول المومن : اللهم ارزقني ، وانما هو جمع بين الايمان والعمل .. وهذا معنى لا يرقى اليه فهم الماديين المفتونين من امثال المؤلف .

اما آية (من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نوته منها ، وما له فى الآخرة من نصيب) فهي لم تنه عن حرث الدنيا وانما تلفت النظر الى ان العمل للدنيا يجب ان يكون مقرونا بالعمل للآخرة ، فمن عمل لآخرته مع عمله لدنياه ، تطبيقا لتعاليم القرآن التى تحض على العمل لهما معا ، كما فى الآية الاخرى (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا) بارك الله عمله واعطاه من خير الدارين ، ومن قصر نظره على الدنيا ولم يعمل شيئا لآخرته ، واول عمل الآخرة الايمان ، آتاه الله نتيجة عمله الدنيوي ، ولم يكن له فى الآخرة حظ ولا نصيب ، فهي من باب الحض على الجمع بين الايمان والعمل ، بالنصوص التى ذكرناها من قبل . وتعلق المؤلف بها كالتعلق بخيط العنكبوت .

ومع ذلك فهو يتورك عليها ، ويقول : « ان مثل هذه الاحكام ليست بجديدة ، (يعني فى الاسلام) انها الاخلاقية الدينية التى يتسم بها البغاة الماكرون، والكساتي المتبطاون ، وجميع طوائف المتفقرة الذين لا يعملون ولكن ياكلون !.»

فهو يخرج من اتهام الاسلام الى اتهام جميع الاديان، شنشنة اعرفها من اخزم، اي من الشيوعيين وجميع الملاحدة ، وقوله هذا هو من باب ما جاء فى الامثال : رمتني بدائها وانسلت ، فالاخلاقية الشيوعية هي المهتمة بالاكل ، وهي التي يكاد جميع نشاطها يدور على الاكل ، ولعلها لما رات الاخلاقية الدينية توصي بالقناعة والتقلل من الطعام وهي انما قامت لمناهضة الاديان ، جعلت وكدها هو السعي لتوفير المواد الغذائية ومضاعفة انتاجها ، ولكن الواقع هو ان القدرة الالهية عكست مرادها ، فضنت عليها بما جادت به على غيرها ، فلا ترى بلدا شيوعيا الا وهو يعاني من ضنك العيش وقلة المؤونة بقدر ما يبذل من الجهد ويتحمل من المشقة ، وقد بلغت اثمان بعض المواد الضرورية كالطماطم والبطاطا والروز ونحوها فى بعض عاصمة بلاد شيوعية بامريكا ارقاما خيالية ، وحدثني بعض رجال الديبلوماسية انهم يخرجون الى القرى البعيدة من العاصمة بعشرات الكيلومترات فى طلب حبتين او ثلاث من البصل ونصف رطل من الفاصوليا . واما الفاكهة فلا كلام عليها . ولقد كنا فى بعض البلاد الشيوعية نازلين فى فندق من افخم الفنادق ، فكان طبق الفاكهة الذى يقدم الينا من الطماطم والخيار . وفى بلد شيوعي آخر باوربا ، احتاج احد كبار الناس الى ليتر واحد من اللبن لغذاء مريض عزيز عليه ، فلم يجده ، وكان له صلة برئيس ذلك البلد فذهب اليه وشكا له الحال فأعطاه ليتر اللبن المطلوب من بيته . افيكون هذا الحرمان هو الذى يجعل اصحابنا الشيوعيين يكثرون الكلام على الاكل ويجدون فى نفوسهم على الذين ياكلون ؟

لكن الذى لا ريب فيه هو ان هذه الحالة هي مصداق لقوله تعالى (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله ، فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) ، وقوله عز من قائل (ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ، ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون)

ويعود المؤلف الى الاسلام ، يخص رجاله بعد تعميم ، فيصفهم بالخداع وتخدير عقول الناس ، واختراع الاناشيد الدينية والدعوات ، لالهاء الشعب، وايهامه انه لا فائدة من العمل، لان الله هو مدبر الامور ، وكل شيء مكتوب عنده فى اللوح المحفوظ، قائلا : « ونحن نتساءل كيف يمكن لله ان يكتب فى اللوح مسيرة الملايير من البشر منذ بدء الخلق ؟ وما هو مقياس هذا اللوح السري ؟ » ثم يعقب على ذلك بقوله : « ان جواب الوعاظ المسلمين هو ان الله وحده هو الذى يعرف سر هذه الامور . »

ونحن لا نجيبه على ما يكيله لرجال الدين الاسلامي من تهم ، وما يصفهم به من اوصاف نابية ، لا تصدر من رجل مهذب ، لا ندري كيف انخرط في رجال الديبلوماسية ، وهو بهذه الرعونة والسلوك المعوج ، ولكنا نرد عليه قوله ان رجال الدين الاسلامي يوهمون الشعب انه لا فائدة من العمل ، فقد اثبتنا بالحجة القطعية ان ذلك خلاف الحقيقة ، وان رجال هذا الدين ما زالوا يحثون اتباعه على العمل والسعي اعتبارا بما جاء في كتابه العزيز وسنة النبي (ص) ، وتقدم بعض ذلك ، ومنه ايضا قوله تعالى (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون) وقوله (ص) « لان ياخذ احدكم حبله فيحتطب فيبيع فياكل ، خير له من ان يسال الناس اعطوه او منعوه» وقول عمر بن الخطاب : « اني لارى الرجل فيعجبني ، فاقول هل له حرفة ، فاذا قيل : لا ، سقط من عيني » والكلام في هذا الباب لا حصر له .

وكون الله عز وجل هو مدبر جميع الامور ، هو مما لا نزاع فيه عند جميع المومنين من اتباع الاديان وغيرهم من الحكماء والعلماء والمفكرين ، الا الملاحدة الذين لا يومنون بشيء ، وهؤلاء لا يهموننا ما دامت الاكثرية الكاثرة من سكان المعمور على الايمان الراسخ والاعتقاد الجازم بان الله خالق الكون ومدبره ومصرف اموره كما يشاء ويريد . ومنذ كانت الدنيا وهي لا تخلو من طائفة من الجاحدين والمنكرين لوجود الله ، وهم بمثابة الشذوذ الذي يثبت القاعدة ، والخارجين على النظم والآداب العامة الذين ينبذهم المجتمع ويتقيهم كما يتقي احدى الآفات .

ولما كان المؤلف لا يومن بالله ولا يعرفه ، فمن الطبيعي ان ينكر تصريفه للامور واثباته للمقادير في اللوح المحفوظ .. وغاية ما في ذلك علم الله الشامل المحيط بما يقع في الكون من اعمال الخلق وتسجيله فيما يسمى باللغة التي يمكن ان نفهمها : (لوحا) تقريبا لهذا الامر الغيبي من الاذهان ، والا فجلال الله وعظمته وما يتصل بعلمه وقدرته ، مما لا تدركه العقول ولا تتصوره الافهام ، وكيف يدرك العقل وهو محدود ادراك ، ما لا حد له و نهاية؟ وبحق ما اطلق عليه الفلاسفة اسم المطلق ، وقال فيه آخرون : العقل الاول !

اننا نقول للمؤلف : ان كانت العقول الالكترونية، وهي من صنع البشر ، تعد الملايير والملايير من الاشياء وتضبطها ، فماذا يكون احصاء مسيرة الملايير من البشر بالنسبة الى العقل الاول او الى المطلق ، وبالقدرة التي هي اعظم من كل ذلك ، بالنسبة الى الله ..؟ اما مقياس هذا اللوح ، فانظر الى سعة الكون ، من الارض والسماء ، والكواكب والمجموعات الشمسية والمجرات ، وعظمتها التي يصفها العلماء، واستحضر عظمة خالقها وسعة قدرته ، وعندئذ تعرف مقياس اللوح او السجل الذي يناسب هذا الخالق .

ولقد اصاب وعاظ المسلمين الذين تندرت بهم، فيما قلت انهم يجيبون به، من ان علم ذلك خاص بالله سبحانه ، وهو جواب مقتبس من الآية الكريمة (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ، ويعلم ما في البر والبحر ، وما تسقط من ورقة الا يعلمها ، ولا حبة في ظلمات الارض ، ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين) .

ويكرر المؤلف كلامه السابق ، في بلادة لا تحتمل، عن القدر والرزق والقسمة غير العادلة ، ويقول : ان القرآن يامر المستضعفين ان لا يشكو حالهم ولا يحسدوا الاغنياء ، فقد جاء في السورة 20 الآية 131 قوله : (ولا تمدن عينك الى ما متعنا به ازواجا منهم) ولو كان لهذا المؤلف ضمير حي لتقبل هذا النصح باحسن التقبل ، فان هذه الحالة قائمة في كل المجتمعات ومنها الشيوعية ، وان خير ما تواجه به عدم التشوف الى الغير ، واطمئنان الانسان الى ما عنده ، والا فان ما يسببه لنفسه من انفعالات وما ينشأ عنده من الحسد لذلك الغير ، هو من الادواء التي يصعب علاجها ، وما زال الحكماء من قديم يوصون الانسان بان ينظر الى من فوقه في العلم والفضل والى من تحته في المال والجاه ، تفاديا لمثل هذه الحالة ، فالقرآن وهو كتاب ديني اخلاقي تربوي لا يمكن ان يشذ عن هذه القاعدة ليكسب المومنين به طمانينة النفس وراحة البال .

وقلت ان هذه الحالة لا يخلو منها حتى المجتمع الشيوعي ، وانا اعني ما اقول ، فهل يستطيع ان يثبت لي سعادة السفير (رحماتوف) ، ان لباس زوجه وحليها هو ما تلبسه اي امراة من عامة الشعب السوفياتي وتتحلى به ان كان لها حلي ؟! ودع عنك امراة رئيسه وزير الخارجية ، وغيرها من نساء (الطبقة العالية) في الاتحاد السوفياتي !..

ويجمجم المؤلف بما يوجد في بيت المشائخ والبكوات من المؤون والطرف ، بحيث انها على حد تعبيره لا ينقصها الا حليب الطيور ، في الوقت الذي يطلب من الفقراء والمستضعفين الصبر على ما

هم فيه من الحاجة والضيق ، كان بيوت قادة الحزب ومسيري تشكيلاته تخلو مما يوجد في بيوت من بلد بهم من المشائخ والبكوات او كان بيوت العمال والطبقة الدنيا من المجتمع الشيوعي تحتوي على ما يوجد في بيوت من ذكرنا من رجال الحزب ! ولذلك فنحن لا ننكر التفاوت الموجود بين الفقراء والاغنياء من المسلمين ، وانما نحدثه عن حفلة استقبال اقامها زعيم نقابي كبير في (احدى) فيلاته ، قال الذين حضروها ان الكافيار كان يقدم فيها (بالكيلوات) في صحون (الصيني) مع العلم بأن ذلك كان في بلد لا ينتج الكافيار بل يستورده باغلى الاثمان ، وحسبنا هذا الفتح بصر المؤلف الغيور !..

ويأتي المؤلف بعد ذلك بغريبة لا ندري من اين استقاها وهي قوله : « ان القرآن يحرم على المسلم العمل ويحل له التجارة » واذا كنا نتحداه ان يأتينا بنص قرآني او اسلامي على العموم يصدق قوله هذا ، فان في النصوص المتقدمة التي تحض على العمل وتطالب المسلم ان يسعى لكسب رزقه ، ما يكفي للرد عليه . ثم نسأله : كيف انشا المسلمون حضارتهم التي استمدت منها الانسانية جمعاء ، واسسوا المدن، وفتحوا اقطار العالم ، وحكموا الدنيا بالعدل والمساواة ، طوال عشرة قرون بل تزيد ؟ هل كان ذلك بالتجارة فقط ؟ ام بالعمل الذي تقول ان القرآن يحرمه عليهم ؟!..

وهو يبني على ذلك فذلكة طويلة في الاشادة بالشيوعية وعمل الشعب السوفياتي الذي يومن بان الشيوعية هي المستقبل الزاهر للانسانية ، ويقول : « ان واجبنا هو الكفاح ضد هذه التركة الخاملة بجميع الوسائل ، لتسود الشيوعية في بلادنا اولا ، وبعد ذلك في البلاد التابعة لها ، ثم في جميع بلدان العالم ، كما اوصى بذلك المؤتمر الثاني والعشرون للحزب الشيوعي السوفياتي ..»

واذا كان لهذا الكلام من خلفية نستطلع منها ما يخفيه المؤلف ، فانها المجابهة التي تلقاها الشيوعية من الاسلام في بلاد الاتحاد السوفياتي اولا ، واستقصاء تطويع الشعوب الاخرى المبتلاة بسيطرة الحزب الشيوعي ثانيا ، واما سيادة الشيوعية في العالم ، فان بوارق اخفاقها في عقر دارها ، وخفض جناحها للامبريالية الغربية، مما يدل على انها حلم من الاحلام!

ويتمادى المؤلف في غروره فيقول : « النصر على جميع عناصر الطبيعة يحطم صرح الديانة ، والشعب السوفياتي الذي ليس له امل في الله يصنع الطبيعة بوسائله العلمية ، ان الفلاحين السوفيات قد اخرجوا 20 ضربا من القمح من الانواع 53 المعروفة ، ومربي الماشية قد استنتجوا 400 صنف من جنس ابقر و 250 من الغنم و 150 من الخيل . ان هذه الانجازات تؤكد القوى الخلاقة للانسان ، وتنقض عناصر الكتب السماوية التي تحصر قدرة تغيير اجناس الحيوان والنبات في الله »

لا يخامرنا شك في ان المؤلف انما ولي سفارة بلاده بايمانه الاعمى بالشيوعية ، لا بمؤهلاته العلمية، والا فكيف يعتقد ان تحسين نوع من انواع النبات او جنس من اجناس الحيوان بالتلقيح والتوليد هو تغيير للنوع والجنس ؟ وكيف يجهل ان ما فعله فلاحو السوفيات ومربو الماشية في الروسيا ، هو مما يفعله غيرهم في بلاد اخرى ؟ فاستخراج انواع جيده من القمح هو مما يقع عندنا في المغرب ، ولا نحتاج ان نذهب الى بلد من بلاد اوربا وامريكا . ولكن احدا عندنا حتى من الفلاحين البسطاء لم يفهم ان ذلك تغيير لجنس القمح . وتحسين نوع الماشية هو ايضا من هذا القبيل ، وكم يعرض منه في معارضنا الفلاحية الموسمية ! هل حول البلاشفة الخيول الى اناسي ؟ الى رجال يفكرون ويعملون ؟ هل حولوا جنس البقر او الغنم الى نساء يحملن باطفال بشرية، ويقدمن عرضا للباليه في احد المسارح ؟ هذا هو تغيير الجنس يا سيد (رحمانوف) فاين انت منه ؟

عندنا كلمة حكيمة تقول : (في تلقيح الاجناس تحسين للنوع) وهي قديمة، وقد جربها الفلاحون المسلمون منذ قرون وخرجوا منها بنتائج مضمنة في كتبهم التي وضعوها في علم الفلاحة ، التي نقلت الى اللغات الاوربية واعتمدها العلماء في ابحاثهم وما تزال مرجع المؤلفين منهم في هذا العلم ، ومنها فلاحة ابن العوام وفلاحة ابي الخير وفلاحة ابن بصال وغيرها ، ومع ما كان لاصحابها من علم ومقدرة في ميدان التجارب الفلاحية ، فان واحدا منهم لم يأخذ منه الغرور المأخذ الذي جعلك تقول ما تقدم من الكلام في جانب الالوهية وتتباهى تباهي الاطفال بلعبهم الملونة !

واليك هذه الحكاية من تاريخنا المغربي : كتب احد علماء مدينة فاس منذ ثلاثة قرون الى احد علماء اقليم تافيلالت يسأله عن انواع التمر التي تنبت في بلده ، فأرسل اليه حمل بعير من التمر كل حبة منه من نوع لا يشبه النوع الآخر ، وكتب اليه بهذه الآية القرآنية : (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) .

طنجة — عبد الله كنون

حديث تأبير النخل وما يرشد إليه

للاستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي

اخرج مسلم فى صحيحه عن رافع بن خديج رضي الله عنه قال : « قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يابرون النخل (أي واهلها يابرون النخل ، والزرع يابره بضم الباء وكسرها ابرا وابارا لقحه واصلحه ، وابره بالتشديد مبالغة وتكثير ، اي يلقحون اعذاق اناث النخل بطلع ذكورها) . فقال عليه السلام ، ما تصنعون ؟ فقالوا شيئا كنا نصنعه فى الجاهلية ، فقال لعلكم لو لم تصنعوه لكان خيرا ، فتركوه ، فنفضت النخل (يقال نفضت الشجرة حملها اذا القته من آفة بها . — والمعنى نفضت زهرها بدون ان يستحيل بلحا ، فلم تثمر) فذكر له ذلك (أي فبلغه هذا الخبر) . فقال : انما انا بشر ، اذا اخبرتكم بشيء من أمر دينكم فخذوا به ، واذا اخبرتكم بشيء من رايي فانما انا بشر » . وفى رواية عن عائشة رضي الله عنها : « اذا اخبرتكم بشيء من امر دينكم فانما هو بوحي ، واذا اخبرتكم بشيء من امر دنياكم فانما انا بشر ، وانتم اعلم بامور دنياكم » ورواه موسى بن طلحة عن أبيه مرفوعا بهذا النص : « ان كان ذلك ينفعهم فليصنعوه ، فانما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن ، ولكن اذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به ، فاني لا أكذب على الله » .

وتفسير ذلك ، بحسب ما يظهر فى باديء الراي (واقول بحسب ما يظهر فى باديء الراي ، لان لهذا الحديث تفسيرا آخر محتملا سنذكره فى آخر هذا المقال) ، ان الرسول عليه الصلاة والسلام لما هاجر من مكة ، وهي بواد غير ذي زرع ولا نخيل ، الى المدينة ، وهي بلد ذات زرع ونخيل وشجر وبساتين ، وجد اهلها يلقحون اناث النخل بطلع ذكورها ، ولعله لنشاته بمكة لم يكن قد راى ذلك من قبل ولم يكن يعرف علته ، فسألهم عما يحملهم على هذا العمل وعن اغراضه . فلم يشرحوا له الحقيقة العلمية او التجريبية التي يقوم عليها ، وهي ان زهر انثى النخل لا يثمر الا اذا لقح بطلع ذكر النخل (وشجرة ذكر النخل مستقلة عن شجرة انثاه ، فلابد للتلقيح من تدخل العمل الانساني) ، واكتفوا بان قالوا ما معناه ان هذا العمل قد وجدنا عليه آباءنا فسرنا عليه ، ولعلهم قد اختاروا هذا النهج فى الاجابة ليتركوا للرسول عليه السلام الحرية فى تقرير ما يريده ، وحتى لا يظهروا بمظهر المتمسك براي ولا المتعصب لعمل . فظن الرسول عليه السلام ان عملهم هذا ليس مبنيا على اساس علمي ولا تجريبي ، ولا يستهدف غاية علمية ، وان عملا هذا شانه ضرب من العبث ، وينطوي على اسراف فى الوقت والمجهود وبذل لهما فيما لا يجدي . فقال لعلكم لو لم تصنعوه لكان خيرا ، فظنوا ان هذا توجيه لهم الى الطريق الامثل ، وهم كانوا من أشد الناس امتثالا لاوامر الرسول وتوجيهاته ، او لعلهم ظنوا انه ستحدث معجزة للرسول فتثمر نخيلهم بدون تلقيح ، فتركوا التابير ، فالقت نخيلهم التى لم تؤبر براعمها قبل ان تتفتح وتستحيل بلحا . وكان لا بد ان يحدث هذا لعدم تلقيحها بطلع ذكور النخل، فاخبر الرسول عليه

السلام بما حدث، فقال لمن اخبروه بذلك ان ما اتحدث عنه من امور الدنيا فانما اتحدث فيه برايي ومبلغ علمي وخبرتي وتجاربي ، وقد تكونون اعلم مني ببعض امور دنياكم ، وقد يكون لكم فى امر ما من هذه الامور خبرات وتجارب لم يتح مثلها لمثلي . ومن هذا القبيل ما حدثتكم عنه فى صدد تابير النخل . ولكنني اذا اخبرتكم بشيء من امور دينكم فانني لا انطق فيه عن هوى ولا عن راي ، وانما هو وحي يوحى الي ، فلا يسعكم الا الايمان به ، واستثمار اوامره واجتناب نواهيه.

ويستفاد من ذلك ان ليس كل ما يتحدث عنه الرسول عليه الصلاة والسلام يكون بوحي من السماء ويكون من صميم رسالته ، وانه لا يكون كذلك الا اذا اتصل بامر من الامور التى سماها امور الدين . اما اذا اتصل بامر من الامور التى سماها امور الدنيا فانه يكون تعبيرا عن رايه الخاص وخبرته ومعلوماته، ويكون شانه شان ما يصدر عن البشر .

ولكن ما المقصود بامور الدين وما المقصود بامور الدنيا ؟ وما هي خصائص كليهما حتى يستطاع تمييزه وحتى نستطيع التفرقة فيما تحدث عنه الرسول بين الامور الواجبة التصديق والاتباع لانها بوحي من السماء والامور التى يباح لنا ان نعرضها على ميزان النقد لان الرسول تحدث فيها برايه ؟

لا شك ان فى مقدمة امور الدين جميع ما يتعلق بشؤون العقائد والسمعيات والعبادات ، كذات الله وصفاته والرسل والانبياء والملائكة والجن والبعث والنشور والحساب والجنة والنار والصلاة والزكاة والصوم والحج .. وهلم جرا ، فجميع ما تحدث به الرسول عليه الصلاة والسلام فيما يتعلق بهذه الشؤون انما تحدث عنه بوحي من السماء ، لانه من صميم الدين من جهة ، ولانه لا مجال فيه للراي من جهة اخرى .

ولا شك كذلك ان من اهم امور الدين جميع ما يتصل بتنظيم العلاقات التى تربط الافراد بعضهم ببعض وتربط الجماعات بعضها ببعض وجميع ما يتصل بتنظيم سلوك الفرد ونزعاته واتجاهاته بوصفه فردا ، او بوصفه عضوا فى اسرة ، او عضوا فى جماعة ، فان الاسلام لم يجيء لتصحيح عقائد الناس وتوثيق العلاقات التى تربطهم بربهم فحسب ، وانما جاء كذلك لتنظيم العلاقات التى تربطهم بعضهم ببعض وتنظيم سلوكهم الفردي ونزعاتهم واتجاهاتهم . بل ان هذه الامور التى يطلق عليها اسم الشريعة — فى مقابل ما يطلق عليه اسم العقيدة — هي من لب الدين ومن اهم الاغراض التى يرسل من اجلها الرسل ، فمع انها امور انسانية تتصل بشؤون الجماعات والافراد فى الحياة الدنيا فان الدين يشرف على تنظيمها ويضع ما ينبغي ان تسير عليه من مناهج ، وذلك كالاحكام الخاصة بالمعاملات وشؤون الاسرة والقضاء والحدود والعقوبات والتعزير والاخلاق ... وهلم جرا ، فجميع ما تحدث به الرسول عليه الصلاة والسلام فيما يتعلق بهذه الشؤون انما تحدث عنه بوحي من السماء ولتبليغ رسالة الله الى الناس ، واحكامه فى هذه الشؤون احكام قطعية دائمة جعلها الشارع جل وعلا صالحة لكل زمان ومكان ، فلا يجوز للبشر النظر فى تعديلها ولا فى استبدال احكام اخرى بها ، وان كان يجوز لهم القياس عليها والاجتهاد فى نطاقها فيما لم يرد بشانه نص صريح من الشارع . اما نغمة التجديد الديني التى يرددها بعضهم فى هذه الايام ، ويذهب الى جواز تطبيقها فى مثل هذه الاحكام زاعما ان العبارة التى وردت فى الحديث الذى نحن بصدده وهي قوله « انتم اعلم بامور دنياكم » تبرر ما يذهب اليه ، فهي نغمة آثمة هدامة ، مبدلة لكلمات الله ، قد سار اصحابها فى اتجاهات المبشرين ومن اليهم ممن يكيدون للاسلام ويودون لو يصدون اهله عن تعاليمه .

فاذا استبعدنا المجموعتين السابقتين : مجموعة العقائد ، ومجموعة الشرائع ، الفينا انه لا يبقى وراءهما الا طائفة واحدة وهي مسائل العلوم والفنون والصناعات كمسائل الفلك والطبيعة والكيمياء والحيوان والنبات والبيولوجيا والجيولوجيا والجغرافيا والميتيورولوجيا والطب والفنون والصناعات .. وما الى ذلك ، فهذه الامور هي التي اطلق عليها الرسول عليه الصلاة والسلام فى الحديث الذى نحن بصدده اسم « امور الدنيا » ، والتي اخبرنا انه اذا تحدث فيها فانما يتحدث فيها برايه ومبلغ علمه وتجاربه ، وانه قد يخطيء في صددها وقد يصيب ، وانها ليست من امور الدين فى شيء ، وان الدين يتركها للناس وما تهديهم اليه بشانها عقولهم وتجاربهم ، ومن ذلك مسالة تابير النخل التى ورد فيها هذا الحديث لانها تتعلق بحقيقة من حقائق علم النبات او بتجارب الناس فى هذه الشؤون .

ومن ذلك ايضا ما يتعلق بالارض والشمس والكواكب والفلك. فان الدين لا شان له بهده المسائل، ولم يحاول ان يفرض فيها على العقول نظرية معينة، بل ترك امرها لافكار البشر وما تهديهم اليه بحوثهم وتجاربهم ، ولذلك نرى ان الرسول عليه الصلاة والسلام حينما يتحدث عن امر من هذه الامور لا يقطع فيه براي ، وانما يشير الى ان ما يقوله بشانه هو مبلغ علمه ، او انه منهج تقريبي يسير عليه لعدم وقوفه على الوضع الدقيق للظاهرة التى يتحدث عنها ، فمن ذلك ما اخرجه البخاري عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم بشان ايام الشهر القمري انه قال : « انا امة امية ، لا تكتب ولا تحسب ، الشهر هكذا وهكذا » (واشار فى الاولى الى مجموع اصابع يديه ثلاث مرات ، واشار فى الثانية الى مجموع اصابع يديه مرتين وخنس الابهام فى الثالثة ، يعني ان الشهر القمري يجيء مرة ثلاثين يوما ومرة تسعة وعشرين يوما ، فقد افتتح الرسول عليه الصلاة والسلام حديثه بقوله : « انا امة امية لا تكتب ولا تحسب » ، يقصد بذلك انهم لا يعرفون قوانين علم الفلك ، وبالتالي لا يعرفون مدة الشهر القمري فى صورة دقيقة ، وانهم لذلك يسيرون فى عدة ايام الشهر على طريقة تقريبية ، فيجعلونه مرة ثلاثين يوما ومرة تسعة وعشرين يوما . وهذا كما لا يخفى ليس تحديدا دقيقا لمدة الشهر القمري التى تنبيء عنها قوانين علم الفلك ، فمدة الشهر القمري بحسب هذه القوانين هي تسعة وعشرون يوما واثنتا عشرة ساعة واربع واربعون دقيقة وثانيتان وتسعة او ثمانية من عشرة من الثانية . وهذا هو الوقت الذى يقضيه القمر فى دورته دورة كاملة حول الارض ، والذى يعود بعده القمر والارض والشمس الى الوضع الاول الذى بدات منه الدورة .

ومن ذلك ايضا ما يتعلق بوظائف الاعضاء وشؤون الطب ، فجميع ما يتحدث به الرسول عليه الصلاة والسلام فى هذه الشؤون يكون تعبيرا عن رأيه الخاص ومبلغ علمه وتجاربه . وقد اجاد العلامة ابن خلدون كل الاجادة اذ يقول فى مقدمته عند كلامه على طب البادية : « وللبادية من اهل العمران طب .. يبنونه فى غالب الامر على تجربة قاصرة على بعض الاشخاص متوارثا عن مشايخ الحي وعجائزه ، وربما يصح منه البعض ، الا انه ليس على قانون طبيعي ولا على موافقة المزاج ، وكان عند العرب من هذا الطب كثير ، وكان فيهم اطباء معروفون كالحارث بن كلدة وغيره . والطب المنقول فى الشرعيات من هذا القبيل وليس من الوحي فى شيء ، وانما هو امر كان عاديا للعرب ووقع فى ذكر احوال النبي صلى الله عليه وسلم من نوع ذكر احواله التى هي عادة وجبلة ، لا من جهة ان ذلك مشروع على ذلك النحو من العمل . فانه صلى الله عليه وسلم انما بعث ليعلمنا الشرائع ، ولم يبعث ان يحمل شيء من الطب الذى وقع له فى الاحاديث الصحيحة المنقولة على انه مشروع ، فليس هناك ما يدل عليه ، اللهم الا اذا استعمل على جهة التبرك وصدق العقد الايماني ، فيكون له اثر عظيم فى النفع . وليس ذلك من الطب المزاجي ، وانما هو من آثار الكلمة الايمانية ، كما وقع فى مداواة المبطون بالعسل » (1) .

ويدخل فى نظري في هذا الباب كذلك ما ورد عن الرسول عليه الصلاة والسلام بشان الذباب اذا وقع فى الطعام واستحسان غمسه فيه ، لانه — على حد قوله عليه السلام — « يحمل فى أحد جناحيه داء وفى الآخر شفاء .. » فالذي اراه ان هذا من موضوعات الطب الوقائي وعلوم الامراض والحشرات والحيوان ، وان الرسول عليه السلام قد تحدث فيه برايه ومبلغ علمه وتجاربه وعلم العرب وتجاربهم وعاداتهم بشان الذباب ، ولم يرد ان يقرر فيه حقيقة علمية ولا تشريعا ، وبعبارة اخرى هو من الامور التى سماها الرسول عليه السلام امور الدنيا ولم يلزمنا باتباع ما يقوله بشانها ، وقال اذا تحدثت عنها « فانما انا بشر اخطيء واصيب وانتم اعلم بأمور دنياكم » .

---

(1) انظر صفحتي 1243 ، 1144 من الجزء الثالث من مقدمة ابن خلدون ، الطبعة الثانية ، تحقيق الدكتور علي عبد الواحد وافي وانظر تعليقاتي على هذا الموضوع فى هاتين الصفحتين . وحادث مداواة المبطون بالعسل الذى يشير اليه ابن خلدون رواه البخاري عن ابي سعيد قال اتى رجل النبي عليه السلام فقال : اخي يشتكي بطنه ، فقال عليه السلام : اسقه عسلا ، ثم اتاه الثانية فقال: اسقه عسلا ، ثم اتاه الثالثة فقال فعلت ، فقال عليه السلام : صدق الله وكذب بطن اخيك ، اسقه عسلا ، فسقاه فبرأ .

ولا عبرة بما يذهب اليه بعضهم اذ يحاول ان يجعل ما جاء فى هذا الحديث متفقا مع ما اهتدى اليه بعض الباحثين فى علوم الحشرات والامراض ، لان هذا الراي لا تسلم بصحته الاغلبية الساحقة من الباحثين فى هذه العلوم .

— ✻ —

بقي ان نتساءل ، فيما يتعلق بموضوع تأبير النخل ، عما اذا كان الرسول عليه السلام — كما يتبادر الى الذهن فى بادىء الراي عند النظر فى هذا الحديث — كان يجهل ان انثى النخل لا تثمر الا اذا لقحت بطلع الذكر أو وصل الى نورها هذا الطلع عن طريق ما ؟

قد يصعب ان نتصور ان الرسول العربي — صلوات الله وسلامه عليه — الذي نشأ بين قوم يتألف غذاؤهم الرئيسي ومعظم شرابهم من التمر ونقيعه ونبيذه، ويعتمدون فى معظم صناعاتهم وأثاثهم وامتعتهم ومواعينهم وبناء منازلهم وخيامهم وحاجات انعامهم على النخيل ومنتجاتها من جريد وخوص وليف وقنوات وسوق .. وغير ذلك ، ويعرفون عن طريق التجارب جميع ما يتصل بشؤون النخيل معرفة دقيقة ، اقول قد يصعب ان نتصور ان الرسول عليه السلام ، وقد نشأ بين قوم هذا شأنهم، كان يجهل هذه الحقيقة التى كانت بدهية من بدهيات المعرفة فى بيئته ، بل لقد عرفها الناس منذ عصور سحيقة فى القدم ، وشاع علمها حتى بين الجماعات التى لا تنبت النخيل ولا تعتمد فى غذائها ولا فى مرافقها على اشجاره وثماره .

صحيح ان مكة التى نشأ فيها الرسول عليه السلام بلد غير ذي زرع ولا نخيل ، ولكن اهلها كانت لهم صناعات وثيقة بمناطق قريبة من مكة ذات زرع ونخيل كالطائف هذا الى ان عددا كبيرا من القرشيين كانوا يشتغلون بالتجارة ويرتحلون فى سبيلها الى بلاد زراعية وصناعية كاليمن والشام ويعرفون طبيعة منتجاتها ومصادرها . وقد اشتغل الرسول عليه الصلاة والسلام نفسه بالتجارة قبل بعثته وجاب طائفة من هذه البلاد .

فمن المحتمل اذن ان يكون الرسول عليه السلام قد تظاهر بعدم علمه بموضوع تأبير النخل ليؤكد بشريته وليبين للناس بطريق عملي انه انسان يخطىء ويصيب فى جميع الامور التى لا صلة لها بعقائد الدين ولا بشرائعه ، وانهم اذا سمعوا منه حديثا عن هذه الامور فانما يسمعون رايه الخاص ومبلغ علمه وتجاربه لا حقيقة ثابتة ولا وحيا موحى به من عند الله .

وغني عن البيان ان تقرر الحقائق بطريق عملي كهذا وربطه بحادث ما ابلغ كثيرا من تقريرها بطريق القول فحسب ، وان المسلمين حينئذ لشدة تعظيمهم للرسول عليه السلام كانوا فى اشد الحاجة ، وكان صفاء عقيدتهم نفسها فى اشد الحاجة ، الى طريق عملي كهذا لتأكيد بشريته ، حتى لا يذهبوا فى شأنه الى ما ذهب اليه النصارى فى نبيهم . وقد بلغ من تعظيم الصحابة للرسول عليه السلام ان عمر بن الخطاب نفسه لما اخبر بوفاة الرسول عليه السلام لم يصدق انه يموت وتهدد بالقتل كل من يقول بذلك، الى ان رده ابوبكر رضي الله عنه الى صوابه حينما تلا أمامه قوله تعالى : « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، افان مات او قتل انقلبتم على أعقابكم » ؛ فقال عمر : فكانني ما سمعت هذه الآية الا حينئذ .

ولان تقرير الحقائق بطريق عملي وربطها بحادث ما ابلغ من الاقتصار على تقريرها بطريق القول اراد الله عز وجل ان يتزوج الرسول عليه السلام بمطلقة زيد بن حارثة ، وهو الذي كان الرسول عليه السلام قد تبناه قبل رسالته ، ليقضي بذلك بطريق عملي على نظام التبني وعلى حكم هام من الاحكام التى كانت تترتب عليه فى عرف الجاهلية وتقاليدها ، وهو تحريم مطلقة المتبنى على من تبناه كما كانت تحرم مطلقة الابن من الصلب على ابيه . وفى هذا يقول الله تعالى : « فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المومنين حرج فى ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا»

الرباط — د. عبد الواحد وافي

التشريع الاسلامي حول :

تعلم الفروسية والرماية والتدريب العسكري

واعداد القوة لحماية دعوة الاسلام ونشرها بين البشر وماكان للمغرب من دولة وصولة في هذه الميادين

للأستاذ محمد الطنجي

ان دين الاسلام بما اسس من دول ، وبمن استجاب له فامن به من اتباع وبما شاده من حضارات ومدنية فى قارات العالم القديم على اساس الاخلاق الكريمة والعدالة الاجتماعية ، كل هذه شواهد صدق على ان هذا الدين الاسلامي يساير الحياة العظيمة فى ابهى صورها واشكالها .

ومن ذلك اعداد القوة اللازمة لمجابهة الحوادث الطارئة ، ولاعلام كل من تحدثه نفسه بخرق سياج اي بلد اسلامي بأنه سيلقى ما يردع غروره ، ويقهر جموعه ، ولذلك كانت الامة الاسلامية كلها جنودا يجب على جميع افرادها الدفاع عن حوزة الاسلام اذا هجم اي عدو عليها ، ولكن الاعداد يكون فى حالة السلام ، وقد قال الله تعالى : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم » . وقد قال عز وجل فى شان الاعداد توبيخا لمن لم يتاهبوا : ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة » ، وذلك لما عسى ان يفاجيء الامة فى حالة عدم الاستعداد وعلى هذا الاساس تقررت الخدمة العسكرية الاجبارية فى الامم التى تريد ان تحيى سعيدة عزيزة الجانب ، وهذا ما تقرر به المغرب بعد تحريره من الاستعمار ، فهذه الخدمة العسكرية الوطنية هي خطة مثلى تنم عن حياة ، وترمي الى احياء شعور كريم فى ابناء الجيل لحماية الوطن والدفاع عن القبيل ، وتنهج بالامة السبيل القويم ، لتعزيز وحفظ الكيان ، ولرد العدوان وقطع دابر الفتن والطغيان ، بل التجنيد الاجباري المنظم يعد حدثا عظيما فى تاريخ المغرب الحديث ، لما له من اثر حميد ، وعز وطيد ، فهو من جهة تدريب لكل الشباب على أعمال الفروسية يقوي فيهم العزم ، ويهييء نفوسهم لملاقاة اي عدو وخصم ، ويجعلهم يقدرون المسؤولية الملقاة على عاتقهم فى الميدان العسكري بكل حزم .

وهو فى الامة النامية او المتخلفة بعبارة أصرح انقاذ وعلاج للميوعة التى اخذت تستحوذ على الشبان ، فتضعف عزمهم وقوتهم فى معترك الحياة .

زيادة على ان علماء السياسة الحربية يفضلون الجيوش الوطنية التى يكون مبدأ خدمة الوطن عقيدة لها على الجيوش المأجورة التى يهمها قبل كل شيء كسب المال الذى استاجرت نفوسها من أجله ، فهذا ميكافيلي في كتابه « الامير » الذى هو فى الواقع كانجيل لسياسة قادة اوربا الاستعمارية يذكر القيمة الكبرى للجيوش الوطنية التى تجعل التربية العسكرية معنوياتها فى اعلى درجة .

كما يذكر المؤرخ الاجتماعي ابن خلدون من جهة اخرى الآفات التى تعتري اهل المدن من قلة الشجاعة او فقدانها اذا استكانوا الى الدعة والراحة ، وصاروا عالة على الحامية وحراس الامن بحكم سكناهم داخل المدن والاسوار ، وعدم مباشرتهم لاعمال الفروسية

والبطولة حتى شبههم بالنساء والولدان ، حيث عقد فصلا في مقدمته قرر فيه ان اهل البادية اقرب الى الشجاعة من اهل المدن ، ثم قال : والسبب في ذلك ان اهل الحضر القوا جنوبهم على مهاد الراحة والدعة ، وانغمسوا في النعيم والترف ، ووكلوا امرهم في المدافعة عن اموالهم وانفسهم الى واليهم والحاكم الذي يسوسهم ، والحامية التي تولت حراستهم ، واستناموا الى الاسوار التي تحوطهم ، والحرز الذي يحول دونهم ، فلا تهيجهم هيجة ، ولا ينفر لهم صيد ، فهم غارون آمنون ، قد القوا السلاح ، وتوالت على ذلك منهم الاجيال ، وتنزلوا منزلة النساء والولدان ، الذين هم عيال على ابي مثواهم ، حتى صار ذلك خلقا يتنزل منزلة الطبيعة»

ولا يجمل بالمغرب المتحرر ان يبقى بمعزل عن الاخذ بوسائل الامم الحية الناهضة من جديد في تنظيم الجند الوطني على اساليب الخدمة العسكرية الاجبارية الشريفة التي تفرضها على شبابها كل الامم المتمدنة الحديثة حتى يتربى ابناء المغرب على طرق البطولة والمجد ، واحياء النخوة المغربية ، والصولة التاريخية التي كانت للمغرب في الميدان الحربي وحماية حوزته وكيانه الخاص، وذلك يقتضي من جديد التدريب على اعمال الفروسية والرماية وتدبير الخطط الحربية والتمرين على استعمال احدث آلاتها بكل اتقان ودراية ، حتى تحفظ امتنا هيبتها بين الامم ، وتصون امنها الداخلي والخارجي بسواعد ابنائها في عزة وشمم .

وللمغرب من تاريخه العظيم وشجاعة ابنائه في التعبئة العامة وانتصاراته في معارك البطولة ما يرفع راسه عاليا ، واسطع دليل على ذلك ما وقع في عهد المرابطين الذين انقذوا الاندلس عدة قرون ، وما تلا ذلك في عهد دولة المرابطين من ظهور الاعداء حتى استطاعوا توحيد الاندلس الاسلامية مع جميع الشمال الافريقي ، وحرروا مهدية من روح صقلية، وما ثبت في عهد السعديين اصحاب وقعة وادي المخازن مع البرتغال ومنصورهم الذهبي الذى وحد المغرب مع اقطار من السودان ، كما ظهر المولى اسماعيل فخر الدولة العلوية الذي اعاد للمغرب وحدته ، وطهر سواحله من احتلال الاجانب ، واستمرت هذه الدولة في حفظ كيان المغرب وشخصيته زهاء ثلاثة قرون ، حتى اذا وقعت محنة احتلال الاجانب التي غمرت كثيرا من اقطار الاسلام هيأت الاقدار الالهية لانقاذ المغرب بطله الرائد الخالد محمد الخامس طيب الله ثراه حيث وقف في وجه المغتصبين وقفة ذوي العزم، وقاد معركة التحرير بكل حزم حتى حصل على استقلاله وحريته .

النصوص الدينية تامر بتعلم الفروسية والرماية والتدريب العسكري

وما كان المغرب في تاريخه العسكري واتخاذ الجند من ابنائه البررة الا متبعا لتوجيهات دينه الاسلامي ، وروحه المتوثبة ، والا عاملا في ماضيه وحاضره بارشادات نبيه الكريم عليه السلام ، فقد ذكر الحافظ ابن عبد البر في ترجمة سمرة بن جندب ان رسول الله (ص) كان يستعرض غلمان الانصار ، في كل عام فمر به غلام فاجازه في البعث (اي بعث سرايا الجهاد) وعرض عليه سمرة من بعده فرده ، فقال سمرة : يا رسول الله ، لقد اجزت غلاما ورددتني ، ولو صارعته لصرعته ، (اي غلبته في المصارعة) فقال رسول الله (ص) فصارعه قال سمرة فصارعته فصرعته ، فاجازني رسول الله في البعث »

وهذا يدل على اهتمام رسول الله بالجيوش واستعراض الشبان لاختيار من فيه اهلية للجهاد كما يدل من جهة اخرى على تسابق الشبان للالتحاق بالجيش والرغبة في الجهاد وعدم رضاهم بالتخلف عن ساحة الشرف والاستشهاد .

وكان النبي (ص) يحض على تعلم الرماية فروى البخاري ان النبي (ص) مر على نفر من اسلم (اسم قبيلة) ينتضلون اي يترامون (والتناضل الترامي للسبق) والسبق بفتح الباء هو الجعل الذى ياخذه الفائز فقال النبي (ص) : ارموا بني اسماعيل فان اباكم كان راميا ، ارموا وانا مع بني فلان قال (اي راوي الحديث) فامسك احد الفريقين بايديهم ، فقال رسول الله (ص) ما لكم لا ترمون ؟ قالوا كيف نرمي وانت معهم ؟ فقال النبي ارموا وانا معكم كلكم » .

قال الحافظ ابن حجر والمراد بالمعية معية القصد الى الخير .

وكتب عمر بن الخطاب الى اهل حمص (البلدة الشهيرة بالشام) رسالة يقول فيها : علموا اولادكم

الرماية والفروسية والسباحة والاختفاء بين الاغراض، وقال اختفوا وتحددوا واخشوشنوا واستقبلوا حر الشمس بوجوهكم وانزوا على الخير نزوا ، وكان هو رضي الله عنه يمسك باذن فرسه ويمسك باذن نفسه وينزو عليه (اي يثب ويقفز عليه) .

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم كل لهو يلهو به المومن باطلا الا فى ثلاث : تأديبه فرسه ، ورميه عن كبد قوسه ، وملاعبته امراته فانه حق » وقال : « من ترك الرمي بعد ان تعلمه فقد عصاني »

وهذا الحديث يدل على طلب الاستقرار فى التدريب حتى لا ينسى الرامي فن الرماية .

وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لهوان تحضرهما الملائكة : الرمي واستباق الخيل » وقد اهتم السلف الصالح بقضية تعلم الفروسية والرماية للشبان حتى جاروا شهادة بعضهم على ما يقع بينهم من قتل او جرح اذا وقع ذلك منهم دون حضور الكبار معهم فقد نقل ابن القيم فى كتابه « الطرق الحكمية » قول ابن ابي ملكية قد ندب الشرع الى تعليم الصبيان الرمي والنقاز والصراع وسائر ما يدربهم على حمل السلاح والضرب والكر والفر وتصلبة اعضائهم وتقوية اقدامهم وتعليمهم البطش والحمية والانفة من العار والفرار

ومعلوم انهم فى غالب احوالهم يخلون بانفسهم فى ذلك وقد يجني بعضهم على بعض فلو لم تقبل قول بعضهم على بعض لاهدرت دماؤهم ، وقد احتاط الشارع بحق الدماء حتى قبل فيها اللون واليمين ولم يقبل ذلك فى درهم واحد ، وعلى قبول شهادتهم تواطات مذاهب السلف الصالح فقال به علي بن ابي طالب ومعاوية ابن ابي سفيان وعبد الله بن الزبير ومن التابعين سعيد بن المسيب وعروة ابن الزبير وعمر بن عبد العزيز والشعبي والنخعي وشريح وابن ابي ليلى وابن شهاب وابن ابي ملكية رضي الله عنهم، انتهى . .

نقل الحافظ ابن القيم كما ذكر عدم صحة شهادة الصبيان عن ابن عباس والقاسم وسالم وهو مذهب الشافعي واحمد بن حنبل وابي حنيفة والمشهور فى مذهب مالك جوازها بالشروط التى اعتبرها رسمية السلف ، وقد نظم ابن عاصم ذلك فى فقه المعاملات فى التحفة حيث قال :

وشهادة من الصبيان فى
قتل وجرح بينهم قد اكتفى

ونتيجة هذه الشهاده اداء الدية اما على العاقله و فى اموال اليتامى حسب الخطأ والعمد كما هو مفصل فى كتب الفروع الفقهية .

المسابقة بين الخيل

ومن جهة تتميم هذه التعاريف تنظيم المسابقة بين الخيل التى كان فرسان العرب يقيمونها فى المحافل المشهودة

وقد ثبت ان النبي (ص) كان يعقد المسابقة بين الخيل فقد عقد الامام البخاري فى صحيحه باب غاية السباق للخيل المضمرة (اي التى اعدت للسباق بطريقة فنية لتقليل لحمها مع احتفاظها بالقوة) تكلم البخاري فى هذا الباب على كيفية هذه المسابقة وتحديد الغاية والمبدأ لها ، وفى صحيح الامام مسلم ان رسول الله (ص) سابق بين الخيل التي اضمرت من الحيفاء وكان امدها ثنية الوداع وسابق بين الخيل التى لم تضمر من الثنية الى مسجد بني زويق وكان ابن عمر فيمن سابق بها وتحديد مسافة السباق من اين يبتديء والى اي محل ينتهي هو ما يجري الآن فى ميادين السباق بالخيل وبغيرها.

وهكذا ندرك ان السيرة العملية للرسول واحاديثه الكريمة ورسالة خليفته العظيم عمر بن الخطاب كل ذلك يحضنا على العناية بالفروسية والرماية والسباحة والتدريب والتمرين على كل ما يعود على حياة الجنود بالتربية العسكرية والحربية بالاعداد الكامل للنجاح والفوز فى ميدان المعارك التى على اساسها تهيات الفتوحات الاسلامية وانبنت عظمة الامة المحمدية حتى نترك هذه الحياة المهلهلة التى يحياها الكثير من شبابنا ، وناخذ فى طريق البطولة والعزة التى ترفع من شان الامم، وتحفظ عليهم مقومات الحياة الكريمة من دين ولغة واخلاق كريمة وتقاليد صالحة عملت على تكوينها قرون واجيال حتى تصل المجد الحاضر بالمجد الغابر .

وننشد بيت الفخار مع الشاعر الحماسي :

نبني كما كانت اوائلنا
تبني ونفعل مثل ما فعلوا

الرباط ــ محمد الطنجي

محمد اقبال
الشاعر الحكيم

1938 - 1873 = 1357-1290

للدكتور عبد الله العمراني

فى ربيع سنة 1952 كانت تطوان تستقبل وفدا باكستانيا مؤلفا من عضوين هما السيد اكرام الله خان والاستاذ سعيد رمضان . وكانت دولة باكستان حديثة عهد بالوجود يومئذ ، اذ لم يكن عمرها يزيد على اربع سنوات وبضعة اشهر ، وكان ان اشتركت فى حفل تكريم الوفد بالقاء قصيدة لا باس بترديد بعض أبياتها الآن :

هي ذي دولة الباكستان هبت
فرنت نحوها الدنا بذعور :

اين كان العملاق ؟ فى قمقم الجـ
ـن حبيسا؟ ام فى خفي الجحور؟

فى السما يرقب النزول ويحنو
لحياة ..؟ ام من وراء الستور ؟

بهت العالم الفرير بهذا
ورأى ان سينتهي من غرور

فليدع جانبا تجاهله قو
ما ارادوا الحياة لا كالاسير

الى ان قلت :

ايها الشرق حان وقتك فانهض
وتسلم زمام كون غرير

ايها المسلمون فى المشارق والغر
ب ، تعالوا الى كلام القدير :

« كنتم خير امة اخرجت النا
س » كنتمو ــ مهابة ــ كالهصور

مجدكم لن يفنى وعزكم الخا
لد باق ، كما بقاء الدهور

فاستعيدوا المجد التليد وخطوا
صفحة العز فوق هام العصور

اجل ، لقد اعتز جانب الاسلام بميلاد دولة باكستان ، بنت افكار الشاعر الحكيم محمد اقبال الذى تحتفل تطوان اليوم ــ مع مدن اخرى مغربية ــ بذكرى ميلاده المئوية . لقد نادى اقبال بوجوب انفصال المسلمين عن الهندوس ، وبتكوين دولة اسلامية مستقلة منذ سنة 1930 .

وفي يناير 1933 اقترح طلبة الهند المسلمون الدارسون بانكلترا اسما للدولة الجديدة هو تركيب مزجي لطيف مؤلف من احرف المقاطعات الهندية التى كانت تقطنها اغلبية مسلمة : فالباء لمقاطعة بنجاب (1) ، والالف ترمز لمقاطعة باتان الواقعة على الحدود الشمالية الغربية للهند ، والكاف رمز لكشمير ، اما السين فرمز للسند ، فى حين ان « ستان » رمزت لمقاطعة بلوخستان .

(1) الاسم فارسي مركب من (بنج) بمعنى خمسة ومن (آب) وتعني مياها أي انهار ويقصد بها روافد نهر السند الذي يتجه جنوبا فيصب فى البحرالعربي جنوب شرقي مدينة كراتشي العاصمة السابقة للدولة .

وجدير بالملاحظة ان اسم (باكستان) اقترح للمولود الجديد قبل ميلاده بنحو خمس عشرة سنة، وان مجموع الاسم يعني بلاد الطهر لان « باك » تعني الطهر ، و « ستان » بمعنى مكان او بلاد .

يعتبر شاعرنا الحكيم من تلاميذ السيد احمد خان (1817 ـ 1899) الذى يعتبر الرائد والاب الروحي لزعماء مسلمي الهند ومفكريها المصلحين ، ومنهم :

1 ـ الطاف حسين حالي المتوفى سنة 1333 هـ/ 1914 م والذى اكتسبت اشعاره شعبية كبيرة ، لانها كانت تبكي وتتعاطف مع مظاهر البؤس ، وترثى لحال البائسين ، كما كانت تذكر الاجيال الحاضرة بأمجاد الماضي .

2 ـ نظير احمد الذى كانت رواياته المكتوبة بلغة الاردو (2) تقرا على نطاق واسع ، وكانت فى الوقت ذاته تدافع عن افكار تقليدية (كلاسيكية) اكثر مما كان يفعله استاذه السيد احمد خان .

3 ـ محمد شبلي نعماني المتوفى سنة 1333 هـ / 1914 م : كان مؤرخا وشاعرا ، وكان يرى ان تمحص قيم الحضارة الغربية ، وان تفحص فحصا جيدا بمعيار اسلامي صميم ، كما كان يسعى فى سبيل الاصلاح الديني بالهند عن طريق قوات الاسلام الداخلية الخاصة به .

4 ـ سيد امير علي المتوفى سنة 1347 هـ / 1928 م : كان مؤرخا له كتاب « مختصر تاريخ العرب » ، كما كان مصلحا دينيا واجتماعيا ، له كتاب « روح الاسلام » . كلا الكتابين كتب بالانكليزية وترجم الى العربية .

5 ـ محمد اقبال : شاعر الاسلام المجدد ، وحكيمه النابه ، وصاحب فكرة تأسيس دولة اسلامية بالهند الحديثة ، والمتفطن ـ منذ وقت مبكر ـ الى استحالة معايشة الهندوس الوثنيين ، فقد كتب سنة 1909 يقول :

« كنت ارى واعتقد ان الخلافات الدينية ينبغي ان تمحى فى هذه البلاد . ولا ازال اعمل لذلك فى حياتي الخاصة ، ولكني اجد اليوم ان محافظة كل من الامتين على كيانها مطلوبة بين المسلمين والهندستانيين ، وان الوطن الموحد فى الهند لمن الاحلام الجميلة التى تروق الامزجة الشعرية ، ولكنه عند النظر الى الاحوال الحاضرة ، والنزعات الباطنة يبدو غير قابل للتحقيق » .

يعد « سير » محمد اقبال ثالث ثلاثة شعراء كبار ، احدهم الشاعر (حالي) الآنف الذكر ، والآخر هو الشاعر غالب الذى قام فى شعر لغة الاردو بدور يشبه ما قام به محمود سامي البارودي فى الشعر العربي الحديث : كلاهما عمل على تحسين الشعر ، واقالته من عثرته ، واكساب الشعر القديم طابعا عصريا جديدا .

كان اقبال فى شبابه مثال الطالب المجد النشيط . زاول تعليمه العالي فى الكلية الاسكتلندية بمدينة لاهور فى باكستان ، واحرز على شهادتها بدرجة ممتاز ، ثم حصل على درجتين علميتين من كلية الحكومة فى لاهور ، حيث تتلمذ على المستشرق المعروف سير توماس ارنولد . وفى سنة 1905 انتقل الى انكلترا فدرس بجامعة كمبردج ثم الى المانيا فدرس بجامعة هيدلبرك وجامعة ميونيخ، وتوج دراساته تلك باحرازه على درجة الدكتوراه فى الفلسفة ، وكان موضوع اطروحته « الفكرة العقلية بايران » . ولكن هذا كله لم يمنعه من متابعة نشاطه العلمي ، واشباع نهمه فى مجال الفلسفة والتصوف.

وقد اتقن اقبال عدة لغات منها العربية، غير ان انتاجه المعروف لدينا هو ـ فى ميدان الشعر ـ باحدى اللغتين : لغة الاردو الوطنية او اللغة الفارسية التى كانت سائدة بالهند ، وخاصة قبل الاحتلال . اما انتاجه العقلي الفلسفي فكان باللغة الانكليزية التى فرضها الاحتلال الانجليزي لغة رسمية البلاد .

---

(2) الاردو Urdu لغة آرية (هند ـ اوروبية) غير سامية ، وان كانت ـ مثل الفارسية ـ تكتب بحروف سامية ، اي بحروف عربية . الاردو لا تكاد تختلف عن لغة الهند الاخرى (هندو) الا من حيث الكتابة . فى احصاء اجرى للغات الثلاث والعشرين التى يزيد عدد متكلميها عن 30 مليونا ؛ وجد ان الاردو تحتل المكانة 14 ، والهندو المرتبة 5 ، بينما اعطيت اللغتان العربية والفرنسية الدرجتين التاسعة والحادية عشرة على التوالي. يرجع تاريخ الاحصاء الى سنة 1960 .

يعتقد الباحثون ان اكبر شاعر هندي كتب شعره باللغة الفارسية هو الدكتور محمد اقبال الذي يعتبر احد الشعراء المحدثين القلائل الذين تسود اشعارهم روح المبادىء الاسلامية فى مجالات الاخلاق والسياسة وشؤون الكون . وقد يلاحظ المطلع على اشعار اقبال انها تثير فى قارئها الاعجاب بروح الشاعر ، اكثر مما تثيره فيه بالشكل او الاسلوب، ذلك ان اللغة الفارسية التى كتب بها كثيرا من اشعاره ، والتى درسها وتمكن منها تمام التمكن ، تعتبر فى الواقع شيئا مكتسبا بالنسبة اليه .

ومن اعماله الادبية وقصائده الشعرية ما يلي :

1 ـ اسرار خودي

اي اسرار « الانا » او اسرار الذات . وقد كتبها بالفارسية سنة 1334 هـ الموافقة لسنة 1915 م .

2 ـ بيام مشرق

اي رسالة المشرق . كتبها بالفارسية سنة 1342 ـ 1923 . وكانت بمثابة جواب على شاعر المانيا العظيم (غوته) الذى كتب بالالمانية كتابه الموسوم : West Ostlicher Diwan

3 ـ بانك درا

وقد الف هذا الكتاب بلغة الاردو سنة 1343 ـ 1924 ، ويحتوي على :

اي انشودة التى كانت الى جانب : باندي ماتارام المؤلفة بالبنغالية ، من الاناشيد الوطنية التى كانت تردد اثناء عهود الاضطراب التى سبقت استقلال الهند وتقسيمها الى دولتين : اسلامية وهندوسية. وتبدأ « انشودة الهند » هكذا :

هندنا زينة الدنيا

نحن البلابل وهي حديقتنا

4 ـ زبور عجم

اي زبور العجم او مزمور العجم ، وقد الفه بالفارسية سنة 1351 ـ 1932 . وبعد قليل سنقتبس منه بعض دوره .

5 ـ جافيد نامه

بمعنى «الكتاب الخالد» ، يقول المستشرق الايطالي (اليساندرو باوساني) انه ترجم الى الايطالية بعنوان القصيدة السماوية Poema Celeste ويقول كما قال المستشرق الانكليزي الاستاذ بجامعة لندن (الفريد غيوم) : ان الكتاب الخالد يعتبر صدى للكوميديا الالهية التى الفها الشاعر الايطالي دانتي اليكيري (1265 ـ 1321 م) .

ولكنا نقول لهذين الباحثين وغيرهما : لم لا يكون « الكتاب الخالد » وتكون « الكوميديا الالهية » نفسها صدى لـ « رسالة الغفران » للمعري ، او لقصة المعراج المعروفة جيدا فى الادب الاسلامي ؟ فمن الثابت علميا ان دانتي استفاد من رسالة الغفران ، فقد ترجمها الى اللاتينية والفرنسية مواطن لدانتي اسمه Bonaventura da siena سنة 1264 م اي قبل ميلاد دانتي بسنة واحدة . وهذا المترجم الايطالي نقل عن ترجمة اسبانية ، كان نقلها عن العربية مباشرة يهودي اندلوسي يدعى ابراهام وذلك فى بلاط الفونسو العاشر المعروف بالحكيم El Sabio .

جعل اقبال موضوع كتابه الخالد رحلة روحية شبيهة برحلة رسالة الغفران او الكوميديا الالهية ، الا انه جعل مرشده فى الرحلة المتصوف العلامة جلال الدين الرومي بدلا من فرجيل او ابن قارح . ولقد استقبل فى الرحلة شخصيات تاريخية مختلفة منها شخصية موقظ الشرق الاسلامي فى القرن التاسع عشر السيد جمال الدين الافغاني الذى قال له :

لنا عالم ضائع فى اعماق قلوبنا

عالم ينتظر انبعاثه

عالم يتغاضى عن الجنس واللون

عالم هو فى غسقه اشد اشراقا من فجر اوربا

عالم خال من الملوك والعبيد

عالم شبيه بقلب المسلم ، لا حدود له

— * —

عالم زرعت بذوره

لمحة واحدة فى قلب عمر

— * —

عالم خالد بلهب متجددة
باوراق وثمار ومباديء مستجدة
بباطن ثابت لا يريم
وظاهر متغير الثورات مستمرها

— * —

ذلك هو عالمك الذى فى قلبك

انظر اليه ، اني انبئك عن جوهره

6 ـ ومن تآليفه ايضا :
The secrets of selflessness
7 — The garden of mystery
8 — The caravan bell
9 — The traveler
10 — The Gift of hijaz

11 ـ واخيرا كتابه الفلسفي :
Six lectures on the reconstruction of religious throught in islam

وقد ترجمه الاستاذ عباس محمود بعنوان : « تجديد التفكير الديني فى الاسلام » ، وصدرت الترجمة فى طبعتها الثانية عن (لجنة التأليف والترجمة والنشر) بالقاهرة سنة 1968 م .

يقول المؤلف فى مقدمة كتابه انه اعد هذه المحاضرات بناء على طلب الجمعية الاسلامية بمدينة مدراس ، والقاها بهذه المدينة ، وفى حيدر اباد وفى كلية عليكرة . حاول شاعرنا الحكيم فى هذه المحاضرات ان يبني الفلسفة الدينية الاسلامية بناء جديدا آخذا بعين الاعتبار ، المأثور من فلسفة الاسلام الى جانب ما جرى على المعرفة الانسانية من تطور فى نواحيها المختلفة . واللحظة مناسبة كل المناسبة لعمل كهذا » . (الترجمة : ص 2) .

ويعلق البروفسور غيوم على هذا قائلا : « على الرغم من ان اقبال كان له نفوذ كبير فى تفكير مسلمي الهند ، الا ان من المشكوك فيه ان يكون ما سماه هو « اعادة بناء Reconstruction يعتبر فى الواقع كذلك » . (Islam الناشر « بنكوين بوكس » ، الطبعة الرابعة سنة 1962 ص 160) .

— * —

ان مسألة اقفال باب الاجتهاد فى عصور الانحطاط ، شغلت اذهان كثير من المفكرين المسلمين فى العصر الحديث . وان اصحاب المذاهب الفقهية المعروفة لم يزعم واحد منهم لنفسه ان استنتاجاته وتفسيراته ، انها ـ دون غيرها ـ الكلمة النهائية والاخيرة . من هنا ينطلق الدكتور اقبال ليقول : ان مطالبة الجيل الحاضر من المسلمين الليبراليين باعادة تفسير المباديء القانونية الاساسية على ضوء خبراتهم الخاصة ، والاحوال المتقلبة للحياة الحديثة ، هي فى نظري لها ما يبررها تماما .

ذات مرة نشر الشاعر العالم الاجتماعي التركي ضياء كوك الب قصيدة تساءل فيها كيف ان الشريعة الاسلامية استطاعت ان تحقر من شأن النساء ؟ فيجب ان يكون هناك مساواة فى الطلاق ، فى الانفصال ، وفى الميراث . فكتب اقبال يقول : « بالنظر الى المحافظة الشديدة لمسلمي الهند ، فان القضاة الهنود لا يستطيعون الا ان يتشبثوا بما يسمى بالكتب المعيارية » .

يبدو ان هذا موقف ضعيف ـ كما قال البروفسور غيوم ـ بعد كلمات اقبال الشجاعة التى سبقت الاشارة اليها اعلاه ، وان من المساواة الضعيفة لامراة استلمت نصف نصيب اخيها فى ميراث والدها ان يقال لها ان القانون « لا يفرض تفوق الرجال على النساء ، ففرض كهذا ينبغي ان يكون منافيا لروح الاسلام » . ولكن اقبال ظل متمسكا بموقف القرآن الثابت ، الذى ينص (فى الآية 228 من سورة البقرة) على ان للرجال على النساء درجة. Islam ص. 163) .

ويظل اقبال ـ امام ظلم المراة ـ حيران لا يجد للمشكلة حلا . قال فى قصيدة قصيرة :

انا ايضا اكثر حسرة على اعتساف النساء

ولكن المشكلة معقدة ؛ فلا حل اجده ممكنا

ولكن هل المراة مهضومة الحقوق فى الاسلام حقا ؟ لا اعتقد ان الاسلام الصحيح حرم المراة العربية حقوقها . بل لقد منحها حقوقا لم تكن تتمتع بها اختها فى الدول او الشعوب المعاصرة لظهور الاسلام، ولا نالتها اختها فى بعض الشرائع الغربية الحديثة . وعندما نمعن النظر فى القضايا الثلاث المثارة هنا ، وهي : الميراث ـ الطلاق ـ الدرجة ، نجد الشريعة الاسلامية فيما يتعلق بالميراث جعلت المراة ترث نصيب اخيها لان واجباته اثقل من واجباتها فهو :

أ ــ ملزم عند الزواج بتقديم المهر لمن يريدهــا شريكة حياته .

ب ــ ملزم باسكان زوجته وكسوتها والانفــاق عليها وعلى اولاده منها وعلى خادمتها وعلى والديــه واقربائه احيانا .

ج ــ ملزم بالكد والتعب والبحــث عن توفيــر وسائل العيش والراحة له ولجميع افراد اسرته .

بينما المرأة ملزمة فقط بما توجبه عليها طبيعتها فهي تدبر شؤون المنزل الداخلية ، وتتفرغ لشؤون الولادة والسهر على تربية الاولاد تربية حسنة ... فهي عند التدقيق فى النظر والبحث تجدها وافــرة الحقوق ، وربما كانت اسعد حظا من الرجل .

وفيما يتعلق بالطلاق ، نجد الشرع ينظر اليه على انه علاج لفشل فى الحياة الزوجيــة لم يمكــن تفاديه بطرق اخرى .. واوقعه ــ وهو ابغض الحلال عند الله ــ فى احوال :

أ ــ اذا اساء الزوج من معاشرتهــا وســوء معاملتها له ، امكنه تطليقها بلا مقابــل تدفــعه ، وبلا مقاضاة .

ب ــ اذا ملك الزوج زوجته امر نفسها ، وجعل عصمتها بيدها ، فلها ان تطلق نفسها منه ان ارادت.

ج ــ اذا اساءت الزوجة من معاملة زوجها ، واقتنع القاضي بسوء معاملته ، طلقها عليه .

د ــ اذا ساءت العشــرة وابى الزوج تطليــق زوجته ، فلها ان تدفع ما يعرف بـ « الخلع » . اما اذا ثبت ان الزوج تحايل على اخذ الخلع ، واكــره الزوجة على دفعه ، فان القاضي يوقع الطلاق ويرد للزوجة ما دفعته .

اما فيما يتعلق بزيادة الدرجة ، فان القــرآن الكريم قرر المساواة بين الزوجيــــن فى الحقــوق والواجبات، ولكنه عاد فزاد الزوج مسؤولية الاشراف والقوامة لكي يتسنى له ان يحمي الزوجة ويقيها كل مكروه ويأخذ بيدهــا الى المكارم . قال تعــالى : « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة » . على ان الدرجة ــ كما يقول الامام الاكبر الشيخ محمود شلتوت فى كتابه : الاسلام عقيــدة وشريعة ص 163 ــ هي ليست درجة سلطــان او قهر ، وانما درجة رياسة وتدبير لشؤون المنزل ناشئة عن عقد الزوجية » .

لندع جانبا مشــاكــل الاجتهــاد والمســاواة فى الطلاق والميراث وغيرهما ، ولنفتح صفحة من كتاب اقبال « زبور العجم » فنقرا فيها بعض الحكم البالغة:

اين يكون فى قلوبنا
ذلك الهوى المتقد ؟
عندنــا جــرة
ولكن ، اين هي الخمر فيها ؟
حق اننا خلقنا من تراب
والعالم ايضا صنع من تراب
ولكن بالترب هباءات ثائرة تبحث عن النــور

— ❋ —

من اين يأتينا ذلك الحافز ؟
ننظر الى السماء الملأى بالنجوم
وعواصف الحب ملء قلوبنا
من اين تأتي تلك العاصفة ؟
رحلة الحب جد طويلــة
ولكنك احيانا بآهة تستطيع ان تعبر تلــــك الصحراء الشاسعة
ابحث وابحث ايضا دون ان تفقد املا
فيمكنك ان تجد يوما ما كنزا فى طريقك

— ❋ —

قلبي وعيناي كلها مكرسة للرؤية
هذا الذى نحت من اجله
الاصنام من الصخر
تخفي وجهك وراء براقع خفية
فاذا لم استطع الشكوى
فاي شيء آخر يجب ان افعله ؟

ان اكثر ما كان يعجب الاجيال الصاعدة من الشباب الهندي المسلم ، هذه الفردية القوية في شعر اقبال ، وتلك الروح الثورية الشبيهة بما كان عند الفيلسوف الالماني المعاصر فريدريك ويلهلم نيتشه F.W. Nietzsche (1844 – 1900) . لنستمع الى اقبال يقول :

في هذا العجاج القديم ارى حلية للحياة ثمينة

ارى عين كل ذرة ساهرة كالنجوم

والبذرة المستترة بعد في رحم الارض

ارى النمو في عدة اغصان شابة ملأى بالثمار..

ارى ، ولا ادري كيف ارى ذلك، ثورة لا يستطيع ان يسعها فضاء السماء ..

في هذه الليالي الليلاء اعطوني بشارة الفجر

اطفاوا الشعلة واعطوا اشارة الشمس المفرحة.

كان الشاعر الحكيم اقبال يؤمن بحرية الارادة ، فلم يفهم من عقيدة القضاء والقدر معنى الاستنامة والتواكل ، بقدر ما فهم منها روح العمل والاقدام والابتكار .. ها هو ذا في « رسالة المشرق » ، نجده يقول تحت عنوان « افكار نجوم » :

سمعت نجمة تقول لاختها :

اننا في بحر كبير لا يرى له ساحل قط

نحن مصنوعات من طبيعة رحالة

ولكن قافلتنا لا محطة لها بتاتا

ما اسعد الانسان ذا النفس العاطفية والمتقلبة !

فارس جواد العصر

فهو مبتكر دائما ومجدد بلا انقطاع

يضبط حسب قامته ثوب الحياة

— * —

ولعل من المناسب في هذا المقام ونحن نكرم ميلاد شاعر باكستاني حكيم ، ومفكر اسلامي عظيم، ان نلتفت الى الوراء ثلاثة عشر قرنا كاملة ، لنكرم ذكرى وفاة فاتح السند العظيم : القائد الشاب ، البطل الشهيد ، محمد بن القاسم الثقفي (73 – 96 هـ) الذى غزا الهند بقوتين برية وبحرية وعمره لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره :

ان المروءة والسماحة والندى
لمحمد بن القاسم بن محمد

ساس الجيوش لسبع عشرة حجة
يا قرب ذلك سؤددا من مولد !

هذا الفاتح الذى ادخل الاسلام الى شبه القارة الهندية ، فاضاف جوهرة ثمينة الى تاج الخلافة الاموية ، جازاه الخليفة سليمان بن عبد الملك جزاء سنمار ، ونكبه شر نكبة ، كما نكب فاتحي الغرب العظيمين موسى بن نصير وطارق بن زياد . لكأني بسليمان لم يتول الملك بعد اخيه الوليد الا ليصفي حساب الابطال ، وينكب الفاتحين العظام .

فنرجو ان نعترف لهؤلاء الفاتحين بشيء من الجميل ، فنترحم عليهم الى جانب شاعرنا الحكيم محمد اقبال، ونقرأ على ارواحهم الطاهرة جميعا فاتحة كتاب الله العزيز . ونعم الفاتحة خاتمة !

تطوان : الدكتور عبد الله العمراني



اردت بالحديث التالي ان أثير الانتباه والفت النظر الى مواقف اجتهادية اتخذها الرسول عليه السلام ، وعلى ضوء هذه المواقف ينبغي ان اشير الى ان استعمال الفكر وفسح المجال للمواهب المتفتحة من اسس ديننا الاسلامي الحنيف ، فلو أغلقت الابواب ، وفرض على المسلمين ان يعتمدوا في شؤونهم الدينية على ما فهمه فلان دون فلان لتوقفت المسيرة الاسلامية منذ عدة قرون ولا اتجا الشباب المسلم الى طرق ابواب اخرى تنقذه من حيرته وتأخذ بيده ، واذا كان الامر هكذا فهل رخص للرسول الذي هو موضوع حديثنا أن يجتهد في الامور الشرعية وغير الشرعية مع العلم انه لا اجتهاد مع وجود النص ؟

ففي صحيح مسلم ان النبي عليه السلام مر بقوم يؤبرون النخل فسال ما يصنع هؤلاء فقيل له انهم يلقحون النخل فقال عليه السلام لو لم يفعلوا لصلح، فاخبروا بقوله ، فتركوا التلقيح فلم ينضج التمر ، فلما علم النبي بذلك قال انما انا بشر اذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به ، واذا أمرتكم بشيء من رأيي فانما انا بشر ، انتم اعلم بأمر دنياكم .

والصحابة رضوان الله عليهم كانوا لا يعارضون الرسول الا بعد العلم انه قال ما قال عن رأي لا عن وحي كما فعلوا يوم بدر اذ جاء النبي الى اقرب ماء من بدر واقام به فقال الحباب ابن المنذر يا رسول الله أهذا منزل انزلكه الله ليس لنا ان نتقدمه ولا نتاخر عنه ام هو الراي والحرب والمكيدة فقال الرسول هو الراي قال الحباب يا رسول الله ليس هذا بمنزل فانهض بالناس حتى نأتي الى اقرب ماء فننزله ثم نقرر ما وراءه قال عليه السلام ما كان من امر دينكم فالي وما كان من امر دنياكم فانتم اعلم به .

لعل هذه القصة وما جرى فيها من حوار بين قائد عظيم شانه ان يخطىء ويصيب وليس ضابط تلقى من مربيه الاول واستاذه المبلغ عليه السلام انه لا ضير على تلميذ اذا لاحظ على استاذه وبين وجهة نظره مؤيدة بالحجة والبرهان .

اقول لعل هذه القصة هي مستند العلماء حين اتفقوا على انه يجوز للرسول ان يجتهد في أمور الحرب وسائر أمور الدنيا .

وهذه امراة من جهينة جاءت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان امي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت هل احج عنها ؟ قال صلى الله عليه وسلم نعم حجي عنها ارايت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته ؟ اقضوا الله فالله احق بالوفاء .

المراة السائلة تعلم مسبقا ان العبادة ان كانت بدنية او مشتركة بين البدنية والمالية لا تجوز النيابة فيها لكن لما كانت والدتها نذرت أن تحج وحال الموت بينها وبين الوفاء للنذر جاءت عند الرسول تطلب الجواب عن تساؤلها ، فاستعمل سيدنا عليه السلام القياس والحق عمارة الذمة بنذر بعمارة الذمة بدين

وقاس دين الله على دين العباد ، وكان جوابه للسائلة نكاة لاولئك الذين لم يجدوا نصا تشريعيا لقضية من القضايا ، هؤلاء من حقهم بمقتضى ما حدث أن يلحقوا الفروع بالاصول والجزئيات بالكليات وما لا حكم فيه بما جاء حكمه واضحا مبينا .

وثم امراة اخرى قتل صلى الله عليه وسلم اخاها فانشدت :

امحمد والنجل نجل كريمـــــة
في قدمها والفحل فحل معـــرق

ما كان ضـــرك ولو مننـــت وربمـــا
من الفتى وهو المغيظ المحنـــق

فقال عليه السلام لو سمعت شعرها قبل قتلـه ما قتلته ، لان منصب القضاء يفرض عليه ان يسهر على تنفيذ الحكم ، والتراجع عن الحكم لو تم لكان فيمـــا اجتهد فيه ، وصاحبة البيتين كشفـــت عن اصالـــة القتيل وانحداره من بيت مجد وسؤدد ، فهو من الذين قال في شأنهم عليه الســلام اكرموا عزيز قوم ذل، وفي حاشية الامير على مغني ابن هشام ج. ل. ص 194 ان القتيل يدعى النضر بن الحارث كان يقرا على العرب اخبار العجم ويقول محمد ياتيكم باخبار عــاد وثمـود وانا آتيكم باخبار الاكاسـرة والقياصرة قتله النبي بعد انصرافه من بدر صبرا بالصفراء وقال لا تقتل قريشا احدا بعد هذا صبرا .

واذا تجاوزنا هذا ودخلنا الى قاعة الحكم واصغينا الى السيد القاضي عليه السلام نجده يتوجس خيفة من اولئك الذين حكم لصالحهم ، لان المتقاضين يتفاوتون في الاعراب والابانة ، فهناك اصحاب الحيــل الذيـن يسرون حسوا في ارتغاء ، يتظالمون وهم في الواقـع ظالمون يدسون ، لكن قل من يتفطن لدسائسهم او لا يوجد ابدا ، يحولون الباطل الى حق والحق الى باطل ، وهناك اصحاب حق لكن الاداة المعبرة ليست بايديهـم فهم عاجزون عن الادلاء بالحجة المبينة ، لهـذا وذلك قال الرسول عليه السلام لمن تحاكموا اليـه : انما انـــا بشر وانكم لتختصمون الى ، ولعل بعضكم ان يكـــون الحن بحجته من بعض ، فاقضي له على نحو ما اسمع منه ، فمن قضيت له من حق اخيه بشيء فلا ياخذ منه شيئا فانما اقطع له قطعة من النار .

قال الشوكاني امام علماء اليمن في القرن الثالث عشر المتوفى سنة 1250 في نيل الاوطار ، ج 8 ، ص 279 : في الحديث دليل على اثم من خاصم في باطـل حتى استحق به في الظاهر شيئا هو في الباطن حرام عليه ، وان من احتال لأمر باطل بوجه من وجوه الحيل حتى يصير حقا في الظاهر ويحكم له به ، لا يحل لـــه تناوله في الباطن ، ولا يرتفع عنه الاثم بالحكم ، وفيه ان المجتهد اذا اخطأ لا يلحقه اثم بل يوجز كمـــا في الحديث الصحيح ، وان اجتهد فاخطأ فله أجر ، وفيه انه صلى الله عليه وسلم كان يقضي بالاجتهاد فيما لـم ينزل عليه فيه شيء .

هذا الحديث صريح في الرد على أولئـــك الذين يقولون بان النبي لا يحكم بالاجتهاد وفيه ايضا ان النبي ربما اداه اجتهاده الى امر فيحكم به ويكون في الباطن بخلاف ذلك ، قال الحافظ ابن حجر في الفتح لكن مثل ذلك لو وقع لم يقر عليه صلى الله عليه وسلم لثبوت عصمته ، وجاء في كتاب الاجتهاد لمؤلفه الدكتـــور السيد محمد موسى الافغانستاني ص 239 وقدر بعضهم مدة الانتظار بثلاثة أيام بمعنى ان النبـــي اذا اجتهـــد يتربص مرور ثلاثة أيام فان مضت ولم ينـــزل وحـــي مخالف يكون ما اجتهد فيه عليه السلام صوابا ، وقالوا انه صلى الله عليه وسلم لو اخطا في اجتهاده لما اقره الله عليه بل لنبهه وارشده الى الصواب ، وان سكت الشارع اعتبر سكوته اقرارا لاجتهاده ، وقد عـــدوا اجتهاده صلى الله عليه وسلم من قبيل الوحي الباطن ، فلم يجيزوا مخالفته بحال ، ولا كذلك اجتهاد غيره، فانه لا يلزم الناس العمل به .

اعتمد صاحب هذا النص كما ورد في مؤلفه على الكتب التالية :

كشف الاسرار ، شرح اصول البزدري 3 ، ص 925 ، وشرح مصنف المنار للنسفي ، وغاية التحقيق والتوضيـــح .

ومن بين القضايا التي ظهر فيها اجتهاده عليــــه السلام ما يقع مرارا وتكرارا اثناء صيد الصائد بمساعدة الكلب ، ففي تفسير القرطبي ج 6 ص 66 : ان الامـــة اجمعت على ان الكلب اذا علمه مسلم ، يجيب اذا دعى وينزجر بعد ظفره بالصيد اذا زجر ، وان يكون لا ياكل من صيده الذي صاده وأثر فيه بجرح او تنييب ، وصاد به مسلم وذكر اسم الله عليه عند ارساله ان صيـــده صحيـــح .

قال عليه السلام فان اكل فلا تاكل فاني اخاف ان يكون انما امسك على نفسه ، التعبير بأخاف يشيء ان

الرسول قال ما قال على سبيل الاحتياط الذي يقتضي عــدم الاكـــل .

ويتضح اجتهاده في ايثار حالة على حالة كقوله : "ولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك عند كل صلاة" لانه من مصلحة امته أن تمارس شؤون دينهـــا بدون تكلف ، واستعمال السواك كلما ارادت القيام للصـــلاة يوقعها في حرج والدين يسر ولن يشاد احدكم هذا الدين الا غلبـــــــه .

بما ان استيعاب البحث يتطلب زمنا غير محدد فاني اختمه بما قاله مؤلف التراتيب الادارية المتوفى بمدينة نيس بفرنسا عام 1382 ، قال رحمه الله في ج. ل. ص 251 : افرد النوازل التي نزلت في حياته عليه السلام وحكم فيها جماعة من الائمة بالتاليـــف اشهرها شيخ الفقهاء ابن الطلاع الاندلسي المتوفى سنة 497 ويعرف كتاب ابن الطلاع بكتاب اقضيه رسول الله وفي اوله هذا كتاب اذكر فيه ما انتهى الي من اقضية رسول الله صلى الله عليه وسلم التي قضى فيها او امر بالقضاء فيها اذ لا يحل لمن تقلد الحكم بين الناس أن يحكم الا كما الله عز وجل في كتابه او بما ثبـــت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه حكم او بما أجمع العلماء عليه أو بدليل من هذه الوجوه الثلاثـــة قال ، قال مؤلف التراتيب ورأيي في هذا الكتاب ان مطالعته متعينة على كل مسلم وبالاسف فان أكثر من يمكنه ان يطالعه اذا طالعه اليوم لا ليحكم بما فيه ، ولكن يعتبر به كما يعتبر بسائر الماجريات القديمة .

ومن الذين جمعوا القضايا التي حكم فيها الرسول ظهير الدين علي بن عبد العزيز المتوفى سنة 506 .

ومنهم الامام ابو جعفر الاشبيلي المتوفـــى 549 ببلة شهيدا .

ومنهم ابو علي حسين بن المبارك المتوفى سنـــة 742 له الفتاوي النبوية في المسائل الدينية والدنوية.

ومنهم ابن القيم الحنبلي المتوفى سنة 751 هـ استوعب فتاوي الرسول وأجوبته واحكامه في ختام كتابه أعلام الموقعين عن رب العالمين .

فـــاس : محمد بنسالم الفاسي

قصة أهل الكهف

للأستاذ الحسن السائح

قال تعالى :

« ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ، اذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من امرنا رشدا ، فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين احصى لما لبثوا امدا ، نحن نقص عليك نبأهم بالحق ، انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ، وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا ، اهؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين ، فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ، وان اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيىء لكم من امركم مرفقا » . صدق الله العظيم .

ويذكر المفسرون عن اسباب نزول قصة الكهف ان قريشا بعثت النضر بن الحارث وعقبة بن معيط الى احبار اليهود فى يثرب ليسالوهم عن النبي ودعوته الجديدة ، لانهم اهل كتاب يعلمون ما يتصل بخبر السماء، فعسى ان يخبروهم عن حقيقة دعوة النبي محمد وعندما وصلا الى يثرب واتصلا باخبار اليهود ، واخبراهم باقوال النبي عليه السلام قالا لاحبار اليهود انكم اهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا ، فقال لهم الاحبار، سلوه عن ثلاث فان اخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وان لم يخبركم بهن فهو رجل متقول ، سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الاول ، وما كان من امرهم ، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الارض ومغاربها ، وسلوه عن الروح ، فان اخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه وان لم يخبركم فانه رجل متقول فاصنعوا به ما بدا لكم ...

وهناك رواية اخرى تتفق مع هذه ، ولكنها ترى ان اليهود هم الذين اثاروا هذه الاسئلة واوعزوا الى قريش بالقائها على النبي (ص) .. وملخص هذا كله ان اليهود اغروا بسؤال الرسول عن الروح ، وعن قصة اهل الكهف ، وقصة ذي القرنين .. فجاء الجواب واضحا فى بيان القرآن وصدقه ، مفحما المجادلين على لسان النبي الامي .. كان اليهود وكفار قريش ينتظرون العجز عن الجواب الحق ، ولهذا الحوا فى السؤال فجاءت قصة اهل الكهف فى القرآن تاريخا صادقا ، وهداية ورشدا ، بعد ان حرفت الروايات حقيقتها لتصبح من جديد خلقا حقيقيا لتاريخ واقع حتى تعود القصة الى حقيقتها دون تزوير او تحريف لقد قص الله نبأهم (بالحق) لا بالتحريف والفرض كما هي فى الكتب المسيحية ، وفى غير الكتب المسيحية الاخرى .. واذا فقصة اصحاب الكهف هي عرض لحادث تاريخي فى اسلوب قصصي رائع ..

ويناقش المفسرون طبيعة الاطار القصصي الذى عرضت فيه اخبار اهل الكهف اذ للقرآن الكريم اساليب مختلفة فى عرض الموضوعات ومنها الاطار القصصي الذى اثار خلافا بين المفسرين ، يرى

بعضهم انه يجب فيه الوقوف على العبارات القرآنية والاحتفاظ بالدلالة اللفظية ، وعليه فتكون القصة وقعت فعلا ، ويبالغ المعبرون في تحكيم الروايات الواردة حول هذه القصة واعتبار ما يرد في الكتب الاسرائيلية معبرا لها ومفصلا لما اجمل فيها مما جر هؤلاء الى المبالغة ، ويرى بعض المفسرين ان القصص القرآني انما يساق لبيان الاحكام الشرعية لا لبيان الاحداث ، وليس معنى ذلك انكار الحدث التاريخي وانما يعتبر ثانويا بالنسبة لما تبنى عليه من الاحكام..
كما يرى بعض المفسرين من اصحاب المذهب الباطني ان الكلام التعبيري يصرف عن مدلوله اللغوي الى الغاز عريقة في عالم الاسرار والروحانيات ..
اما بعض المغرضين من الكتاب المعاصرين ، فيرددون في الموضوع مزاعم المذاهب الضالة ، ويرون ان مثل هذه القصص لا يلزم صدقها وحكايتها للواقع ، وانما يجوز ان يكون القرآن الكريم جارى فيها المعلومات العامة المشتهرة على تعاقب العصور دون ان يكون لها اصل كوني .. وهذا اتجاه عقيم لا يؤيده منطق من التاريخ والواقع ما اكدت الاحداث التاريخية والكشوف الاثرية عكسه تماما .

والمذهب المعتمد هو الذى عليه جمهور المسلمين والمفسرين المشهورين الذي بدأنا به اولا واعني به الوقوف عندما ورد في القرآن الكريم ، مع الاحتفاظ بدلالة الالفاظ على معانيها ، والاعتماد على الروايات الحديثية الصحيحة الاسانيد ..

واذا فان قصة اهل الكهف هي من السور المكية التي نزلت فيما نزل من اوائل السور القرآنية ، وكلها حوار وجدال واقناع بدعوة الانسان الى التأمل في معرفة خليقته ووجوده ومصيره . وكان اختلاف اسلوب هذه السور بين الوعظ والارشاد ، والتذكير والتهويل ، وبذر المعرفة العلمية ، والاقناع بالحجة المنطقية والتاريخية والواقعية والطبيعية بالقول الحق ، والكلام الفصل ، والتدليل الفلسفي بالاسلوب القصصي حينا والاسلوب الموجز المؤثر النافذ الى القلب حينا آخر ...

وتبدأ السورة بتبشير المؤمنين وانذار المعاندين ، وتأتي بقصة اهل الكهف واصحاب الرقيم كدليل تاريخي واقعي عن البعث وحقيقته علميا ، ووجوده تاريخيا ، وتنزع الموعظة من عمل اولئك الفتية المؤمنين الذين آووا الى الكهف ، خوفا من بطش من يرغمهم عن التخلي عن دينهم ليكونوا حجة على البعث سواء بالنسبة لهم او بالنسبة لمن آتى بعدهم من الشاكين في البعث . فلم يكن هؤلاء الفتية انبياء ليقاوموا الانحراف ولا مصلحين وانما كانوا فتية مؤمنين ..

ويروي القرآن ان اصحاب الكهف (اي الفجوة في الصخر) او اصحاب الرقيم (الذين كتبت اسماؤهم ورقمت في صفحة عند بني جلدتهم فهم فتية مؤمنون مخلصون ، لم يكونوا انبياء فيتحملون كل ضروب العناء ، ولم يكونوا مصلحين مستعدين للتضحية وانما هم فتية خافوا على سلامة دينهم فجزاهم الله وزادهم هدى ، وآووا الى الكهف فارين بدينهم خوفا من اعدائهم على دينهم لا على ابدانهم ، رفضوا حياة الكفر والشرك لان راحة الانسان في عقيدته ، ومن لا عقيدة له فلا قيمة له ، والعقيدة تستوجب الصلابة وعدم الهوادة والمداراة ، ولذلك لجأوا الى الكهف فارين بايمانهم ليموتوا تحت انقاضه ، وفي الكهف الضيق تحققت المعجزة ، وعاش اهل الكهف مدة ثم ناموا ، وقضوا زمانا في سباتهم ، بعد ان بقي الزمان يدور خارج الكهف في حركة الشمس الدائبة التي اذا طلعت تزاور عنهم وتميل جهة يمين الكهف ، واذا غربت تقرضهم اي تقطعهم ولا تقربهم جهة شمال الكهف وهم في فجوة منه ، فالحساب الشمسي مصروف عنهم ، وهم لا يعيشون في اطار الزمان ، المحدد بحركة الشمس ، فلا يشعرون بالزمان ، وذلك من آيات الله ، فهو الذي هدى الانسان الى استعمال حركة النجوم والكواكب لتحديد الزمان ، وهداهم الى الكهف وجعلهم بعيدين عن حركة الشمس ، فلا زمان لهم ولا ما يتبع ذلك من اثر الزمان في بلى الاجسام وتحليل المواد ، اما هم فظلوا في نومهم بين الحياة والموت يظنهم الرائي ايقاظا وهم رقود ، وكلبهم على باب الكهف يحرسهم في نومتهم الطويلة ايضا ، يثيرون الرعب في قلب من ينظر اليهم ، عندما يطلع احد على منظرهم ، هم اموات ولكنهم احياء ينتظرون الصحو من النوم ، ثم يستيقظون ويتساءلون فيما بينهم : كم لبثوا ، ويظنون انهم لبثوا يوما او بعض يوم ، وهم في الواقع لبثوا عشرات السنين ، لان عقلهم لم يحدد الزمان فلم يعرفوا كم لبثوا في الكهف من سنين واعوام ..

وما يهمهم كم لبثوا ، وقد عادوا الى الحياة ، وشعروا بما يشعر به الانسان من حاجة الى الطعام والشراب لذلك بعثوا الى المدينة احدهم ليشتري

انهم طعاما بحذر ، حتى لا ينكشف امرهم فيتعقبهم اعداء دينهم .. ولكن المدينة تغيرت احوالها بعد قرون واصبحت مؤمنة بعد ان كانت كافرة ، فاستقبلوا بحفاوة ، لان معجزة البعث تحققت فيهم ، ولكنهم اصبحوا غرباء فى عهدهم الجديد ، فقد مضى جيلهم ، وتغيرت مفاهيم الحياة وقيم الاشياء ، غير انهم ازدادوا ايمانا بربهم ، وكانوا حجة على البعث ، وحلت عناية الله بهم فتوفاهم ، كما يتوفى الناس كافة ، وكانوا حجة على البعث ، فالساعة آتية لا ريب فيها ، والله يبعث من فى القبور ، فعلى من طالب بالحجة على وجود البعث ان يقتنع بهذا الواقع التاريخي والدليل التاريخي الواقعي ، حقا ان قصة اهل الكهف مصدقة لما جاءت به الاديان كلها من وجوب الايمان بالبعث لان الايمان به جزء لا يتجزا من الدين ..

وقد جاءت قصة اهل الكهف فى القرآن واضحة ولم تكن المعجزة فى عرضها من جديد بصياغتها الحقيقية كما هي ، بل فى انتزاع الموعظة منها اذ هي دليل قاطع على البعث ، وهي دليل تاريخي وفلسفي وعلمي وبيولوجي وفلكي .. وقد كان العرب آنذاك كغيرهم من الامم اصحاب نظرة مادية الى الحياة .. لهذا فقد جادلوا قضية البعث جدالا عنيفا ، لان النظرة المادية الى طبيعة الامور لم تستسغ البعث ، والبعث هو اساس كل عقيدة دينية كيفما كانت .. لان الدين ينبني على ازدواجية الحياة ، اي على الايمان بالحياة فى الدنيا وفى اليوم الآخر ، او يوم الدين ، وعلى هذا الاساس ترتكز التعاليم الدينية سواء منها الاخلاقية او القانونية او الاجتماعية .. فكانت قصة اهل الكهف الدليل التاريخي المادي على وجوب البعث .

لقد جرت احداث هذه القصة فى بداية الدعوة المسيحية حين كانت تعاني الضغط الوثني .

وفي تاريخ المسيحية تفصيل لقصة المسيحيين الذين فروا من بطش الرومان المتعصبين للوثنية وظلم الامبراطور Poules الذى كان يحكم روما فآوى فتية مخلصون الى الكهف الذى عثرت عليه الحفريات الحديثة وناموا فى الكهف سنين عديدة ، ثم بعثوا الى الحياة فى عصر الامبراطور المسيحي الصالح théodos الثاني الذي كان على عرش الامبراطورية الشرقية وكان بعثهم استجابة من الله تعالى لدعاء هذا الامبراطور الصالح التقي ، الذى طلب من ربه الحجة والبرهان على وجود البعث من القبور ، فبعث الله اولئك الفتية من قبورهم بالكهف فازدادوا اطمئنانا ..

فقصة اهل الكهف حجة تاريخية على امكانية البعث ، وهي فى نفس الوقت تحليل فلسفي عميق لفكرة الزمان ، والانسان ، ومحاولة الانسان لمعرفة الزمان وقياسه .. ذلك لان الزمان الذى يفزع قريشا ، وتتخذه سلاحا لانكار البعث ليس الا تحديدات مصطنعة لتوقيت الاحداث .

واذن فان قصة اهل الكهف شرح ميتافيزيقي فلسفي للدليل على امكان البعث ، فما دام الانسان يصارع الزمان اي ما دام الصراع مستمرا بين الكائن البشري وبين الزمان .. لان هذا الكائن يرفض انتصار الزمان الموت النهائي الذى لا حياة بعده ، ولا بعث ، فالايمان الانساني بالبعث انتصار على الزمان .. وقضية البعث معادلة بين عقل الانسان وقلبه لئلا يختل فى اطار مشكلة النهاية ، وكما يرى بعض المفكرين هي معادلة العقل والنفس والزمان بمعادلة الواحد الصحيح يساوي صفرا ، وان الحياة الايجابية لا تبدا الا من عدد اثنين ، اذ كل حركة يجب ان تقابلها وتعادلها حركة اخرى ، وكل قوة يجب ان تقابلها قوة حسب قانون التضاد .. فيجب اذن التعادل بين قوة الايمان ، ونشاط العقل ، ونشاط الايمان ، وازمة الانسان تنشا عن اختلال التوازن بين العقل والقلب .

واذا كان الانسان يصارع الزمان ، وهو بدوره يصارع الانسان من جهته ، ثم اذا كان الزمان ناتجا عن احساس العقل الانساني ، فلا يمكن قهر الزمان الا عن طريق الايمان بالبعث .

فاذا حاول الانسان ان يعي القضايا والاحداث بعقله دون تدخل الايمان ، فانه سيسقط فريسة انتصار الزمان العقلي ليقتنع بالفناء وان الزمان حقيقة صلبة والاحداث سلسلة مخيلاته وما التاريخ الا استمرار لها .. اما الايمان فيقرر حركة الزمان التي اذا تعطلت توقف الزمان والبعث وحده وهو الذي يظهر مقياس الزمان .

وهكذا استطاعت قصة (اهل الكهف) التى اظهرت انتصار الايمان على العقل ان تفسر حقيقة الزمان وتؤكد البعث بالمشاهدة ، وبذلك استسلم الدهريون لهذه الحجة المقنعة ..

فقصة اهل الكهف دليل على وجود البعث وهذا هو مفهومها العميق فى الدراسات الاسلامية .

هذه حقيقة القصة ، وهذه ابعادها الدينية اما اليهود الذين أثاروا الاسئلة ، واما المسيحيون الذين اختلفوا فى رواية القصة فليختلفوا ما شاءوا وليعولوا رابعهم كلبهم ، او خمسة سادسهم كلبهم . فكل ذلك افتراضات وحوار شكلي ، فالله أعلم بعدتهم ، وعلى الانسان ان يهتم بعمق القضية لا بشكلها ، فلا اليهود استفادوا منها فتحولوا عن التعصب الى الايمان ولا المسيحيون استفادوا منها كذلك فاتعظوا ، وانما آثروا الخلافات الشكلية فقط .

اما عمق القصة فهو الذى يوجه الاسلام اليه فهو ان البعث واجب ، وان الزمان نسبي مع تنمية الافكار الميتافيزيقية فى حوار اهل الكهف مع اهل المدينة الجديدة ، ثم المظهر العميق لتغير الاجيال ، والبرهنة على البعث بالاستشهاد التاريخي على حقيقة وقوعه ، فلا كفر بعد ان اظهر الاسلام حقيقة الدين ، ولا مجال للعناد والتشبث بالاقوال الشكلية والفرار من الواقع والحجة الدامغة والتذرع بالاسباب الواهية ليستمر الانسان على الكفر قصد تحقيق انانيته وشهوته ومصالحه على حساب غيره فيستحق عقاب ربه جزاء كفره بالخلود ..

وقضية البعث التى يثيرها المكذبون بالدين يعتمدون فيها على اعتراضين (اولهما) ان الجسم يتلاشى فى مدة محدودة ، ولهذا فلا يمكن الاحتفاظ به او بمقوماته ، و (ثانيهما) ان الزمان فى دورته يبيد الاجسام فى مدة معلومة رياضية مضبوطة .. فجاءت قصة اهل الكهف لترد على المكذبين فى الناحيتين معا ، من (طبيعة الجسم) الذى يتلاشى لاسباب فسيولوجية والله قادر على اعادة خلقه كما كان اول مرة .. وفى تحليل حقيقة الزمان ومفهومه من الناحية الطبيعية والاحيائية ، ومن الناحية الرياضية الفلسفية ومن الناحية الصوفية ؛ مع ملاحظة تلازم تفسير الزمان بعلاقته مع الانسان العلمية والفيزية ، ولهذا تؤكد الآية عن العلاقة بين الاحياء والزمان ، وعلماء الفيسولوجية يتكلمون عن الزمان (البيولوجي) أي الزمان المختص بعلم الاحياء فيلاحظون ان الزمان يسير ببطء بالنسبة للاطفال ، ويسير بسرعة بالنسبة للكبار، وهذه الظاهرة تقوم على اساس دورة الحياة فى الخلايا التى تتحرك زمان اوليتها فتشعر الطفل بطول الزمان ، وقلة حوادثها فى الكهولة فتشعر بالعكس ، وانعدامها فى الموت موقف لحركة الزمان ، كما فى قصة الكهف ، لان رلرد الخلايا هو قياس الزمان بالحوادث وبحركة الافلاك ، لان الخلايا تحيا بالاحداث وتتجدد فيها . وعلى هذا ، فالزمان يقاس بالاحداث ، وتدخل العقل الانساني هو الذى يربطه بالفلك وحركته ليضبط التاريخ .. ففي عالم الحيوان حيث لا يوجد عقل نشاهد قياسها للزمان بالاحداث فقط ، فمن ضيق التفكير والتعصب انكار البعث بحجة طول الزمان ، وفى علم الاحياء عجائب دالة على راي علماء البيولوجيا اذ ان زمان نضج حقول القمح محدد بتوقيت عجيب ، زمان نضج الفواكه محدد كذلك ، وبعض الطيور تتجه نحو الجنوب فى وقت مضبوط معين من كل سنة ، والجراد يغادر شعوبه تحت الارض المظلمة فى وقت محدد ، والاسماك البحرية تبيض فى وقت مضبوط ، فهذه الكائنات الحية تعيش فى نظام زمني ولكنها لا تعيه ، فاذا كانت الفصول دافعة لذلك فى بعضها ، فان حالات بعض الحيوانات الاخرى لا علاقة له مطلقا بالفصول ، وعليه محجة حساب الزمان فى مناقشة قضية البعث ، وقياس الزمان باختلاف الليل والنهار انما هو بالنسبة للبشر على سطح الكرة الارضية ، وليست له علاقة بالكون كله فى مجموعه لان توقيت الزمان هداية من الله والاعتماد فيه على اختلاف الليل والنهار هو هداية من الله كذلك ، وكما قال تعالى : « فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته » . وقد انطلق الانسان من ذلك فسجل حركة الزمان بالاهرام والخامات الشمسية ، واهتدى للساعات التقنية ، اما من الناحية النظرية فالانسان يعيش ، فى نسبية الزمان ، ويقترب من الادراك الكامل للزمان ، وكلما اقترب منه ادرك بعض قوانين الكون الابدية والايمان بمعرفة خالقه تعالى ، واذا فالزمان هو حجة على المكذبين بالدين ، وعلى ذلك فالايمان بالبعث حتمية علمية وشعور الانسان بانتصاره على الموت التى تعتبر اول معضلة واجهها الانسان ، وفشل فى كل تحدياته لها الا عن طريق الايمان بالبعث ، وقد تحدى الانسان الموت بفراره من العدم وتحنيط المومياء حيث تآزرت الكهانة والنباتية لتجعل من جسم الانسان مومياء تنتظر عودة الروح، وحاول العلماء الطبيعيون والاطباء تحقيق استمرار

عضوي ، واعتبار الموت مرضا يمكن علاجه ، وقد عكف علماء كريوجنزاسيون Cryogénisation على تجميد الاعضاء ، ثم محاولة احيائها اعتمادا على حيوية خلايا الدماغ (لانزيم) مما يؤكد علميا حقيقة البعث ، لان خلايا الجسم عند الانجماد تحتفظ بحيويتها .

اما الناحية الرياضية فان المعادلات فى علم الكسمولوجي تؤكد نسبية الزمان فى حركة الكواكب والنجوم ، والرحلات الفضائية التى تجري فى عدة شهور ما يعادل السنوات ، ولان الزمان الرياضي يخضع لقانون النسبية ويؤيد العلم الحقائق الدينية. ففي علم الفلك كان التقدم العظيم للفكر فى فهمه لنطاقه المحدود امام السديميات السحيقة فى البعد، وامام ملايين السنين الضوئية حيث تمتد الى اللا نهاية التى يستحيل ادراكها بله الوصول اليها ، وحيث لا يجد الفكر وسيلة للمعرفة بالكم والعلاقة والحالة والمقولات ، هنا يقف العلم امام الحقائق الدينية معترفا بها مقرا لها .

وتؤكد نسبية الزمان النظرية حول الطواف بالكرة الارضية ابتداء من الشرق الى الغرب لتكون النتيجة ظهور تغيير الوقت بين حركة الساعات التى رغم ضبطها بساعة ذرية ، وتقدير الكثافة ، فان وجود الفرق ولو كان ضئيلا دليل على نسبية الزمان ، وقد قدر الفرق بمقدار واحد على مائة الف مليون من الثانية ، ويستنتج من ذلك ان الزمان يتغير حسب البعد المكاني مما يجعل ان تكون الرحلة التى تستغرق اثنين وثلاثين سنة ارضية بسرعة قريبة من سرعة الضوء تجعل القائمين بها يكبرون فى العمر اربع سنوات وثلثي السنة بالنسبة لقرنائهم الذين يكونون فى السنة الثانية والثلاثين .

واذا تركنا النظرية الرياضية التدليل على نسبة الزمان كما تؤكده ذلك قصة اهل الكهف (لبثوا يوما او بعض يوم) .. وهم لبثوا ثلاثمائة سنة وازدادوا تسعا .. فان الفلاسفة ناقشوا موضوع البعث عن طريق المادة والهيولي وهم يرون ان الزمان له اتجاهان مختلفان (احدهما) : ميتافيزيقي ، والآخر مادي ، فالاتجاه الميتافيزيقي يرتكز على الفلسفة الاغريقية والاسلامية فى شرح معنى الزمان حسب التقسيم اللغوي الى الازمنة الثلاث وقد تعودالنحويون ان يقسموا الزمان الى الزمان الماضي الذى انقضى ولم يعد له وجود و(الحاضر) الذى يتحقق فى هذه اللحظات ثم ينقضي ليصبح ماضيا ، و (مستقبل) الذى لم يتحقق بعد ، فالحاضر نقطة هندسية لا وجود لها لانها نقطة فى امتداد ماض آخر سياتي .. وقد انكر بعض الفلاسفة « الزمان » كحقيقة واقعية لان الحاضر ليست كثافة وجودية ، اما الماضي او المستقبل فلا وجود لهما ، ويرى بعضهم ان الزمان كله في (الحاضر) كما قال اوغسطيس لان الزمان حاضر الماضي ، لانه يتذكر دائما ، وحاضر الحاضر هو المعاش المنتبه اليه ، وحاضر المستقبل الذى يعتمد على الامل والتخيل ، ويرى هذا الفيلسوف أن الاحساس بالزمان وظيفة نفسية بحتة ، تتعلق بالماضي بما تحبه النفس وبالمستقبل بما تحبه النفس كذلك .

ويرى بعض الفلاسفة المسلمين ايضا ان الزمان صورة اولية فهو حاضر مستمر يعتمد الاستمرار والديمومة .. وآخرون يرون الحاضر استمرارا للماضي ، ويقولون انالانسان هو الموجود الزماني لان الحيوان لا يحيا الا بالحاضر دون معرفة بالماضي او المستقبل اما الانسان فهو الذي يدرك الزمان بابعاده الماضية والحاضرة والآتية ، بل ان الانسان انما يعيش للمستقبل حتى ليقول بعضهم ان الانسان فى جوهره مستقبل ، اما الفلسفة المادية الفاشلة فقد جاء فى المعجم الفلسفي : « ان الزمان والمكان لا ينفصلان عن المادة ، وهما لا معنى لهما اطلاقا خارجيين عنها ، وليس الزمان تابعا عن الوعي الانساني وعقله ، وقد حددت الفلسفة المثالية الالمانية على يد (كانت) الذى رأى ان المكان والزمان صورتين عقليتين ، اي انهما من المباديء العقلية الاولى التى تساعد الانسان على ادراك العالم الخارجي ، ومن طريق نقد العقل ومعرفة المبادين التى تقوم عليها المعرفة فنحن فى الاخير لا نصل الى الحقيقة المطلقة بل الى الحقيقة النسبية ، ويرى ان المعرفة تتالف من عنصرين ما ينقله الحس الينا (اي المادة) وما هو موجود فى عقولنا من مباديء اولية اي (الصورة) فالمادة تمثل وجودا خارجيا اما (الصورة) فتمثل مبدأ اوليا .. والصورة التى فى عقولنا تعتمد على اساسين نعتبرهما اطارا للعمل ، وهما الزمان والمكان (فالمكان) صورة أولية واطار للمعرفة عن طريق الحواس و(الزمان) صورة اولية واطار للمعرفة تتوصل اليها بالشعور ، وبعبارة اوضح (المكان) اطار لمواضيع الاشياء و (الزمان) اطار لتاريخها .

ويرى «كانت» ان الزمان والمكان ليس لهما واقع موضوعين وهما لا يوجدان الا بالنسبة للذات .. فنحن لا نستطيع ادراكهما عن طريق التجربة لعدم قدرتنا على الفالهما دون ان نلقي من عقولنا الفكرة التي يكونها عن الزمان . ونحن انما ندرك المكان عن طريق التجربة الحسية ثم لا ندركه الا عن طريق العقل لان فكرة المكان راسخة في العقل ولا ادل على ذلك من اننا ندرك المكان عن طريق العقل، ان ادراكنا له غير متناه ولو كنا ندركه بالتجربة الحسية لكان شيئا متناهيا وكذلك الزمان الذى هو صورة عقلية، والصورة العقلية التى لنا عن الزمان تختلف عن اقسام الزمان الذى تجرى عليه مقاييس مختلفة كاليوم والشهر والسنة مثلا ، وهذه المقاييس مرتبطة بموضوعات المكان وهو كذلك تصوره عقلي غير متناه .. وعلى هذا فالزمان والمكان صورتان تقوم عليهما المعرفة ، ولذلك فالهندسة هي حرز للمكان والحساب هو حرز للزمان .. فعن طريق الزمان المعرفة بادراك عقلي بعد ادراكها حسيا وهذه الفلسفة الكاشفة تعتمد (المقولات) التى كانت عشرا فى الفلسفة الاعتزالية لتقيم عليها المعرفة وتتشكل بها احكامنا وتستفيد اخيرا من فلسفة كانت (نسبية الزمان) والمكان ، اذا كانت النزعة المادية احتوت المكان ورات الحياة فى الصور المكانية التى يجسمها فان (برجسون) يرى أن جوهر الحياة وروحها ينحصران فى الزمان اكثر من المكان .. لان الزمان هو تراكم الصور الكونية بعضها فوق بعض ، او صورة واحدة امتدت ونمت فالماضي من بدئه الازلي لم يتغير وهو عريق وما زال فى تضخم مستمر .. ولذلك يستحيل ان يكون المستقبل شبيها بالماضي نظرا للتغيير المتوالي الذى هو سنة الحياة .. وذاكرة الانسان وعاء يمتد ويختزن الاشياء عبر الزمان لتكون عونا لامدادنا بالمعلومات فى نطاق الاختيار عندما نريد ان نختار .. وبالذاكرة نستوعب الزمان ، ونستوعب الخلود فى لحظات معدودة .. والعالم الخارجي هو مجموعات من الصور المتوالية لحظة بعد اخرى ، ومن تتابعها تتالف الحقائق الخارجية من الماضي الى المستقبل ، والحياة ومحل هذه الصورة المجزاة ..

ويقسم الزمان فى فلسفة المثالية الى زمان رياضي يعتمد على الساعات والدقائق ، وزمان نفسي يعتمد فى حقيقته على الديمومة الباطنية المحضة . والاول زمان خارجي ، والثاني زمان باطني (الاول) يعد بالساعات والدقائق ، والثاني يعد بالقوة الداخلية فى صميم الوجدان ، ولهذا فان فترات الانتظار تطول وكان الزمان يتمدد .. كما عبر عن ذلك الشاعر امرىء القيس حين قال :

وليل كموج البحر ارخى سدوله
على انواع الهموم ليبتلي

كان الثريا علقت فى مصامها
بامراس كتان الى صم جندل

وهناك شعراء آخرون عبروا عن طول الزمان النفسي رغم قصره الرياضي ..

ولقد وصف برجسون فى (التعاقب فى العالم المادي) ظاهرة تدخل عامل الشعور فى الزمان . فقال فى كتابه (التطور الخلاق) . عندما اهيىء كوب ماء بسكر ، فاني انتظر وقتا ما الى ان يذوب السكر فى الماء ، ولا بد لي من انتظار ذوبان السكر (اردت ذلك ام لم ارد) وهذه المسالة البسيطة ذات دلالات عظيمة ، ذلك لاني عندما انتظر احيانا لحظات وزمان ليس مجرد زمان رياضي ، بل هو زمان نفساني يتطابق مع حالة الحقيقة النفسية ، وهكذا اعطى الفيلسوف الفرنسي نفس المعنى لحقيقة الزمان الذى يعطيه الشعراء والفنانون وربما كان فى نزعة الفيلسوف برجسون الصوفية ما يبرر له هذا الوعي لمفهوم الزمان وتقسيمه .

وقضية البعث والخلود وتجاوز الزمان والمكان فى معاناة الصوفية وتجربتهم فهم يرون ان (الانسان) له امتدادان . امتداد داخلي فى اعماقه ، حيث التاملات الداخلية الوصول الى المعرفة عن طريق التاملات الداخلية . اي ادراك العالم الخارجي عن طريق العالم الداخلي . اما الامتداد الثاني فهو الامتداد الخارجي الذى يستعمل الحواس الخمس والحدس والبصيرة للوصول الى المعرفة ، ولا يعسر على الصوفي وهو رجل التامل والمعارف الروحانية المنكر للحواجز المادية . اي يشعر بوجوده الذاتي وامتداد الزمان وتقارب المكان .. مما يجعل العقلانيين يتهمونه بالهوس فى احسن عبارات التقديم ، ولهذا فالزمان عند المتصوفة لا يعتبر حائلا مطلقا بين الانسان الحاضر والماضي السحيق !

وفى رسالة السهروردي تفسيرات غريبة لفكرة الزمان عند اهل التصوف تبين طريقتهم فى تطبيقهم

(التاريخي) فالموافق التي حيبها في (العهود الماضية) اشخاص مختارون تعين مراحل تمت في (العهد الحاضر) وتسللها بما فيه من ضرورة ومفاجأة يكون تطورا راميا حتى الخروج من المقابر والكهوف وعند سفح اعلى الجبال العالية .. وكل النصوص القرآنية ، والاشارات الى موسى وسليمان ونوح ولوط وعزرا ، كلها نقلت الى ضمير المتكلم الى الحاضر مما افضى الى قلب (الزمان) .

فعلاقة الزمان بالتاريخ هي ان حالة التتابع التاريخي تكون حالة خاصة اي حالة تتابع يستمر ناميا في اتجاه خطي مفروض ويمكن تحقيقه في كل حالة من حيث (تعيينه الزمني) كما هو .

ويلاحظ ان الفلسفة الاسلامية ترى الفكر يمتاز خصوصا بانه يجعل حالة التتابع هذه تدخل كحالة من بين غيرها من الحالات في وضع المقدم والتالي وهي حالات تتوقف حقيقتها في كل حالة على الارادات الالهية التي تهبها الوجود .

ويقول بعض انصار الحلاج كما يروي البيروني ان موت الحلاج بمثابة عصر في ذرة الشعائر الدينية وقيمته طاسي (309) وهو مقدار المدة التي نام فيها اهل الكهف .

ولقصة اهل الكهف بعد اجتماعي آخر ذلك لان الانسان انما يحقق وجوده متلاحما مع بيئته ، وهذا التلاحم يستلزم وحدة الفكر والمعرفة واداة ذلك من المصطلحات اللغوية وما يتبع ذلك من معارف فلسفية وعلمية واخلاقية ، كل ذلك على قدر خاص ونسبة معينة ، حتى اذا طرا اي خلل في تحقيق هذه النسب شعر الانسان بالغربة ، لانه لم يعد يفهم الناس او يفهمه الناس ، ولم يعد يعبر عن مصلحته او يلائم بينها وبين مصالح الناس ، وهذه الغربة التي يعانيها الفلاسفة او الشعراء الذين تتغير المفاهيم عندهم فتجعل الناس ينفضون من حولهم لتغير البيئة الفكرية ، وهذه الغربة يعبر عنها اصحاب اهل الكهف حين اكتشفوا حقيقتهم و بعدهم الزماني عن معاصريهم فآثروا الموت على الحياة ، ولم يتحدوا مع المجتمع وقد اختلفت بينهم وبينه كل القيم ، وكان تقدير المجتمع الجديد لهم عظيما حيث اصبحوا قديسين فبنيت على قبورهم الهياكل .

هذا مجمل لقصة اهل الكهف في الدين وفلسفة القصة كما يراها الاسلام وخصها كثير من رجال الدين بالدراسات ، وما يزال المسيحيون يحتفلون بعيدين لذكرى اصحاب الكهف وكان اثرها عظيما في الآداب الاسلامية ، واعتاد بعض المسلمين ان يتلوها في كل صلاة جمعة ، كما اعتاد بعض المتصوفة ان يقراها يوميا .. وشرحها الامام الغزالي في كتاب الاحياء حيث اعطاها تفسيرا صوفيا ، ويقول ان اهل الكهف بمثابة الابدال اي الصالحين الذين لا تخلو منهم الدنيا .

اما ابن سينا فيفسرها على اسس فلسفية حتة فيها شيء من الرمزية الفلسفية والتحليل العميق لمشكلة الزمان .

وشغلت الكتاب المسلمين المعاصرين ، فاقتبس منها توفيق الحكيم مسرحيته (اهل الكهف) معتمدا على الروايات الضعيفة في سرد احداثها .

اما عن مكان الكهف الذى كان به الفتية ، فاختلف المؤرخون فيه فقيل بلبنان على اصح الروايات ، وما يزال الى الآن يعرف جبل بهذا الاسم ، ويذكر محمد بن عثمان في رحلته (الاكسير في فكاك الاسير) انه راى قرب مدينة الحمراء بالاندلس جبلا تسلقه وفيه كهف يذكر اهل التاريخ المسيحي ان هذا الكهف هو كهف (اصحاب الكهف) وقال له النصارى ان هذا الكهف معروف عندهم كان به اناس اموات من اول الزمان ولا يعرفون من هم وذكر لهم احد النصارى انه دخل الى الكهف منذ ثمان عشرة سنة فوجد به عظام اولئك القوم لا زالوا على حالهم ، وهذا الجبل في قبلي غرناطة مشرف على وادي (هدر) الداخل لمدينة غرناطة ، وذكر بعض المفسرين ان المدينة التي بقرب اصحاب اهل الكهف يقال لها (طرسوس) . واظن ان هذا الكهف به عظام لموتى قدماء وليس هو الكهف المقصود بقصة اصحاب الرقيم المعروفة في القرآن ، ولكن كلمة الكهف هي التي دفعت ابن عثمان الى هذا الفهم .

الرباط ـ الحسن السائح



موقفُ الإسلام منها قديماً وحديثاً

للأستاذ أحمد بن سيدي

1 ـ تمهيد :

الملكية هي حق التصرف وحق الاستهلاك لمتاع ما بصورة خاصة ، وهي حدث اجتماعي خضع ويخضع للتطورات التاريخية والملابسات الاجتماعية .

وقديما نجد الارض على وجه العموم هي التي تشكل ملكا مشتركا بين الجماعة . اما حق الافراد في ملكية الأموال الاخرى فانه تغير حسب العصور وحسب تطور الشعوب والتقاليد .

ولقد ظهرت فكرة الملكية الاجتماعية لاول مرة في التاريخ في المجتمع اليوناني ، فلقد نادى بها افلاطون رافضا فكرة الملكية الخاصة التي تجعل الفرد ـ حسب وجهة نظر افلاطون ـ في وضع مناف للمصلحة العامة. فطالب على هذا الاساس بشيوعية المال والنساء ، وان تتولى المدنية اي المجتمع نفقة ابنائه .

وانطلاقا من هذا المبدا عد الباحثون افلاطون رائد الشيوعية الارستقراطية ، فقد اعتبر النخبة من المفكرين والجنود المحاربين هي وحدها التي يوضع لها حساب ، وتصور بغية تأكيد حرية هذه النخبة شيوعية الحياة والمال ، اما طبقة العمال اليدويين فقد حكم عليهم بالعجز عن الارتفاع الى مستوى التفكير المجرد الا انه ترك لهم ـ في شيء من الازدراء ـ حق التملك .

وعندما سادت الحضارة الرومانية تغير وضع الملكية تدريجيا وتطورت ، فبعد أن كانت مشاعة عند الاغريق ، وبعد أن كانت عند الرومان محاطة باجراءات غريبة حيث ان الانسان لا يسمح له ببيع املاكه ، وحيث كان حق الارث مجهولا قضت الألواح الرومانية في العدد XII بأن يتصرف الفرد في ماله وان يرث وليكن ذلك امام مجلس الشعب في جلسة علنية .

فظهرت الملكية الفردية المطلقة التي تقضي باكتساب المال والتمتع به في الحياة وبعد الممات . فنلاحظ على هذا الاساس ان الملكية بدأت مشاعة عند الاغريق ثم تطورت عند اللاتين حتى اصبحت في شكل فردي مطلق .

فما هو امرها اذن في الدين الاسلامي ؟

2 ـ قضية الملكية في الاسلام

اهتم الاسلام اهتماما واضحا بالمعاملات ، واهتم خاصة بالعدالة والتكافل الاجتماعيين : واهتم من جهة ثالثة بالدعوة الى البر والتقوى والتضامن .. كل ذلك لا يكون بامتلاك طبقة للثروة تنعم بها ، وترك طبقة اخرى تعيش في الفقر والفاقة .

وقد جاء القرآن حاثا على التعاون والبر ـ (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) . فالاسلام اذن اهتم بالنظام الاقتصادي ودعامة النظام الاقتصادي هي الملكية .

فما هي قضية الملكية اذن فى الاسلام ؟

— قلنا ان الملكية هي حق التصرف وحق الاستهلاك والتمتع لشيء ما بصورة خاصة — ونضيف هنا ان هذا التصرف والتمتع يجب ان لا يكون لشيء يحرمه العرف ، او الشرع ، او تمجه الاخلاق .

فمفهوم الملكية هو التصرف فى المال الحلال اي المكتسب والمحصل بالطرق المشروعة عند الجماعة. والطرق المشروعة المتفق عليها تقريبا هي : العمل — الارث — الهبة . فالعمل والارث والهبة مصادر مشروعة للحصول على المال ، كانت كذلك قبل الاسلام وبعده.

فالناظر فى القرآن — المرجع الاول والاخير للاسلام — يجده يحث على العمل ويشجع صاحبه بالتمتع بما اكتسب من ثمرة العمل (من عمل صالحا منكم من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة) (فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر أو انثى) — (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) .

— فالذي يعمل له أن ينال ثمرة عمله . واكثر من ذلك فاذا مات فلابنائه الصغار أو الكبار أن يتمتعوا بتلك الاموال ، فلهم ان يرثوا آباءهم واقاربهم وقد جاءت فى القرآن نصوص صريحة تضبط ضبطا مفصلا صيغ الارث المتشعبة كما ورد فى الآيتين (يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك ...) (يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة ان امروء هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد ...) فالعمل والارث مصدران مشروعان للتملك فى الاسلام

— الملكية اذن قانون اسلامي ، ولكن الى اي حد يوجد هذا القانون فى التشريع الاسلامي ؟

ان المستشف لتاريخ الملكية فى مختلف العصور والحضارات يلاحظ ان الانسان فى بداية — عصوره يكاد لا يعرف شيئا اسمه الملكية او الملك او هذا لي، وتلك ظاهرة معروفة فيما يسميه الباحثون «المجتمعات المشاعة » أي المراحل الاولى للبشرية فقد كان القوم لاسباب طبيعية واجتماعية مشتركون فى كل شيء ، حيث كانوا يعيشون على الصيد ... وشيئا فشيئا تطور الناس واكتشفت الزراعة وبدأ الانسان يتحضر نسبيا فظهرت الملكية فى شكل خاص يلائم الملابسات الاجتماعية اذ ذاك .

ولقد لاحظنا عند اليونان ملكية مشاعة لكنها تكاد تكون مقصورة على طبقة المحاربين والمفكرين . ثم فى المجتمع الروماني ظهرت الملكية الفردية المطلقة ... هذا فى المجتمعات المتطورة نسبيا . اما عند العرب وفى الجزيرة العربية بالذات فقد كان الناس لا يرون فى النهب والسلب عيبا .

جاء الاسلام وكان عليه أنيجابه — بالضرورة — اولا عادات العرب وتقاليدهم ، اى حياة مجتمع فى درجة محدودة من الرقي ، ثم ليجابه بعد ذلك عادات وتشريعات اخرى لمجتمعات تختلف كثيرا عن المجتمع العربي فى الجزيرة .

والمتتبع لتطور الوحي يجد ان حرمة الانسان فى القرآن تحتل مكانا هاما ، وهي حرمة فى النفس والعرض والمال . وليست العقوبة الصارمة للقتل والقذف والسرقة الا دليلا واضحا على تجسيم حرمة الانسان ، فالذي يأخذ مال غيره تقطع يده (والسارق — والسارقة فاقطعوا ايديهما) .

يد بخمس مئين عسجد وديت
ما بالها قطعت فى ربع دينار

عز الامانة اغلاها وارخصها
ذل الخيانة فافهم حكمة الباري

ففي الاسلام حرمة صارمة لملك الغير (وآتوا اليتامى أموالهم) (ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل) فالملكية الفردية لها حرمتها فى الاسلام فلا يجوز لأحد شرعا غير صاحب المال أن يتصرف فيه الا بسبب شرعي .

وهنا أرى مناسبا ان افتح قوسا لذكر مواد من المجلة العثمانية اذ هي تعبر صريحا عن روح الاسلام جاء فى هذه المجلة من المادة 95 = الامر بالتصرف فى ملك الغير باطل ، وفى المادة 97 = لا يجوز لأحد ان يتصرف فى ملك الغير الا باذنه . وفى المادة 97 = لا يجوز لأحد ان ياخذ مال احد الا بسبب شرعي .

ولقد تصور البعض عن حسن نية او عن سوء فهم ، أن هذه الحرمة للملكية فى الاسلام تجعل التمتع بها تمتعا على سبيل الاطلاق فجعلوا للانسان حرية لا حد لها فى التملك .

ولكن المتصفح لواقع الاسلاموتاريخه الاقتصادي يرى ان الامر على خلاف من ذلك شديد : فالاسلام

ـ المؤول تاويلا سليما ـ يستدرك هذه الحرمة ولا يحتفظ بها على سبيل الاطلاق . فهناك شروط متعددة للتملك من اهمها أن لا تتعارض الملكية مع المصلحة العامة للبشر . فليست الملكية مطلقة بلا حدود ولا شروط .

ـ وان المتتبع لهذه الشروط ليلحظ انها تكاد تجعل من حق الملكية حقا نظريا وبالتالي تجعل صاحبها بعد ان يستوفي حاجته الماسة ، يصبح مجردا منها ، حيث يكون مسيرا لا مخيرا فى تصرفاته ، فى تنميته ، فى انفاقه ومعاملاته . وذلك فى حدود الاهداف الخلقية للاسلام . لأن مصلحة الجماعة كامنة من وراء هذا كله .

ففي الأصل المال للجماعة والملكية الفردية وظيفة ذات شروط وقيود ، وبعض المال شائع لا حق لاحد فى امتلاكه ـ (الناس شركاء فى ثلاث المال والنار والكلاء) والمتمعن لهذا الحديث تحت الاطار التاريخي له ، بوسعه من الوجهة المنطقية والتشريعية أن يقيس كل ما هو ضروري لحياة البشر ، كالهواء والشمس والشوارع ، والطرق والمستشفيات والمدارس ... كلها اذن مرافق عمومية بين البشر .

وهناك قولة تدعم ما بسطناه قربيا ، قولة لعمر الخليفة الثاني الذي يعتبر دون جدل الممثل الحقيقي لروح الاسلام واخلاقه . قال عمر (انى انزلت مال الله مني بمنزلة مال اليتيم فان استغنيت عففت عنه وان افتقرت اكلت بالمعروف) فالمال حسب عمر ليس لشخص ولا لفرد أو جماعة او مؤسسة وانما لمجتمع باكمله ولا يمكن لأحد أن يقول هذا لى ولا لجماعة دون مجتمع أن تقول هذا لنا .

فالملك الفردي الذي يلحق المجتمع منه ضرر تزول حرمته اي انه ليس للمالك ان يتصرف فى ملكه الا فى حدود معينة ، فلا يجوز لمن له ملك عقاري ان يقيم فيه جدارا يمنع الضوء او يجلب الضرر على جاره. وليست ملكية الارفاق الا مثالا حيا ودليلا شرعيا وسندا قويا لما نقول . فالارفاق ـ واللفظة مشتقة من الرفق ـ يقضي بتمكين الجار من الانتفاع بما فضل عن جاره المالك ، ليسقي حديقته مثلا ، واكثر من ذلك يمنع على المالك ان يقطع الماء المار به والواصل الى جاره ، وعليه كذلك أن يمكن جيرانه من المرور فى الطرق العابرة لاملاكه هو .

وعلى هذا الاساس فان الملكية مقيدة فى الاسلام بقيود سماها البعض بمقاصد الشريعة . ولقد قال الشاطبي فى موافقاته (ان الاحكام الشرعية انما شرعت لجلب المصالح ودرء المفاسد) فاذا كنا نعلم ان الاسباب انما شرعت لأجل المسببات لزم من القصد الى الاسباب القصد الى المسببات .

فالحكم وسيلة ومقصده هدف فان لم تقصد الوسيلة الى هدف بطلت . فالمالك مطالب شرعا بتقديم قسط من ماله فى سبيل الخير والبر لأن ذلك يؤدي الى التآخي والتضامن فلا يجوز لأحد من وجهة نظرة اسلامية بحتة ، كنز المال بل عليه أن يسخره حتى ينتفع به الجميع (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) .

وعلى هذا الاساس فان التقييد للملكية نابع من مصدر اسلامي محدد وواضح .. فالملكية ليست سوى ملكية الانتفاع بالملك ، أما ملكية الملك فهي لله (ولله ما فى السموات وما فى الارض وما فيهن) .

كما ان الاسلام فرض على الاموال وعلى المالكين الموسرين فروضا يؤدونها للمعوزين كالزكاة التي تعتبر ركنا اسلاميا وحقا تتقاضاه الدولة رغم كل ارادة . والى جانبها الصدقة وهي وان كانت موكولة الى ضمير الفرد فانها من الأهمية بمكان بدليل النصوص القرآنية (ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين) ـ (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) ـ (وفى أموالهم حق للسائل والمحروم) .

ولقد ذهب الاعتقاد بالبعض الى أن الزكاة هي الضريبة الوحيدة المسلطة على أصحاب الاموال مستدلين فى ذلك بالآية (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) ومستدلين بالحديث (كل مال اديت زكاته فليس بكنز) .

على أن الحقيقة التاريخية للاسلام وواقعه الاجتماعي وفلسفته فى الحياة لا تؤيد ذلك فان تجاوزنا ظواهر الاشياء واعراضها ، الى جواهر الامور ودخائلها لوجدنا ان الزكاة ليست هي الحق الوحيد المطلوب فى المال ، بل ان هناك حقوقا اخرى فى المال غير ـ انصبة ـ الزكاة ويؤيد هذا الراي ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم (ان الله فرض على اغنياء المسلمين فى اموالهم بقدر الذي يسع فقراءهم ، ولن يجهد الفقراء اذا جاعوا وعروا الا بما يصنع اغنياؤهم الا وان الله يحاسبهم حسابا شديدا ، ويعذبهم عذابا اليما) .

وهذا الحديث انما يمشي في ضوء الآية الكريمة (ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيئين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب) ففي المال اذن حقوق اخرى غير الزكاة وقد جاءت هنا في الآية متقدمة على الزكاة نفسها .

واكثر من ذلك كله ففي أمور الضيافة فان الاسلام يبيح للضيف ان يأخذ حقه في القرى قسرا اذا لم يقدم له كرم فقد ورد في الحديث (أيما ضيف نزل بقوم فاصبح الضيف محروما فله أن يأخذ بقدر قراه ولا حرج عليه) .

فلم يعد اذن شك أن الذين يقولون ان الزكاة هي الحق الوحيد المطلوب شرعا في المال انما يصورون ذلك او يتصورونه عن جهل ، جهل قد يؤدي بهم الى حد الجريمة وحتى بدون أن يتوافر العمد والقصد .

هذه النصوص المسلم بها توضح الخلط الذي قد يرتكبه البعض عندمايتحدث عن الاسلام ويعتبر الزكاة هي الحق الأقصى المفروض في الأموال فهي تصرح بأنها هي الحد الادنى المفروض في المال ذلك ان الاسلام منح سلطات واسعة لولي الامر للتوظيف في رؤوس الاموال اي الأخذ منها بقدر معلوم .

واضيف هنا واضغط على ما أقوله لألفت الانظار الى انه لم يعد هناك شك في ان دائرة المصالح المرسلة وسد الذرائع دوائر واسعة تشمل تحقيق كافة المصالح للجماعة وتضمن بالتالي دفع الاضرار (درء المفاسد اولى من جلب المصالح) حسب تعبير موفق للسيوطي في (الاشباه والنظائر) .

ولقد بني المذهب الحنفي على هذه القاعدة نظرية سوء استعمال الحقوق وقال بمنع الانسان من استعمال حقوقه اذا انتج عن ذلك ضرر للغير ، فجوز المشرعون الفقهاء تدخل الدولة وولى الامر في حياة الافراد كلما كان الامر يعود الى المصلحة العامة كمنع الطبيب الجاهل من مزاولة حرفته وجواز هدم بيت احد الناس لمنع تسرب الحريق وتسعير الحاجيات بحال الاحتكار ، واجبار المحتكرين على بيع الاقوات عند الحاجة (موافقات الشاطبي — ج 2 ص350 — الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية لابن القيم ص 223) .

وفي المجلة العثمانية نقرأ « المادة 58 » التصرف على الرعية منوط بالمصلحة .

ومن هذا البسط السريع نستخلص نتيجة منطقية ذلك أن موقف الاسلام من الملكية كان موقفا شبه جديد وشبه مستقل بدليل انه لم يتبن النظرية الافلاطونية القديمة التي تقضي باشاعة المال والنساء وهي نظرية شبه بدائية توجد في « المجتمعات المشاعة الاولى » من تطور البشر ، كما انه رفض الملكية الرومانية القاضية بأن يتصرف الفرد في ماله تصرفا مطلقا . كما انه ايضا لم يحاك العرب في مبدأ الملك بالقوة . من هنا يكون موقفه شبه جديد وشبه مستقل نجمله فيما يلي :

— انه موقف وسط بين المواقف ، موقف بين اطراف متناقضة ، موقف قوام بين تلك المواقف . وان شئنا قلنا بتعبير فلسفي لارسطو انه موقف بين رذيلتين شأنه في ذلك شأن الشجاعة بين الجبن والتهور ، والكرم بين التقتير والتبذير ، والملكية المقيدة بمصالح البشر بين الملكية المشاعة والملكية الفردية المطلقة.

فتشريع الملكية في الاسلام أو تقنينها مشروط بالمنافع الاجتماعية العامة ، فالمنافع عقارية كانت او غير عقارية وجدت اصلا لمنفعة النوع البشري كله ولم توجد لمنفعة فرد دون آخر . فهي تنظيم اجتماعي واحترام الكرامة الانسانية وليست حقا طبيعيا كما نص عليه القانون الروماني ، فيمكن اذن تغييرها من هذه الزاوية تغييرا مشروعا كلما كانت المصالح العامة مهددة كلما كانت على حساب الغير .

— هذه باختصار قضية الملكية وموقف الاسلام منها في زمن معين — قدمناها مبسوطة لنتمكن من مناقشتها في شيء من الجدل — أريده أن يكون مثمرا.

ان الهدف من كل تشريع سماوي كان أو وضعي يكون انما هو الانسان تقدمه ورفاهيته وتفوقه على الطبيعة . وانا لنرى لهذا الانسان قيمة كبرى في الاسلام حيث يجعله خليفة الله في الارض (انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق) (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان) .

وتقدم الانسان ورفاهيته وتفوقه منوط بالعمل والانتاج وبالتالي بالثروات التي بها توجد الفوارق والتناقضات .

وقد يلوح هنا في الافق البعيد اعتراض قد يكون وضعه مناسبا ومنطقيا ، هذا الاعتراض هو : اننا عندما نفتح ابوابا للتملك غير باب العمل كالارث

فان النتيجة قد لا تخلو من وخامة تتمثل فى اننا نجعل البعض يحصل على ثروات تجعلهم فى وضع ممتاز دون أن يقوموا مسبقا ببذل مجهود أو عمل ما ، وعليه فاننا نفتح الباب على مصراعيه للفوارق حيث لا يخوض الجميع معركة الانتاج ومعركة الحياة بنفس السلاح عند البداية وعند نقطة الانطلاق ، فلا تتوفر للجميع فرص متكافئة .

ان مناقشة هذا الافتراض الخطير والرد عليه يتطلب مستوى من التفكير واسع الافق ، وفوق ذلك فانه يتطلب موازنة دقيقة للجوانب المختلفة للمشكل.

وارى هنا من الانسب لمحاولة مناقشة هـــذا الافتراض أنه لا مفر من طرح اسئلة قد تثير بعـض المسائل التي تمس من قريب موضوعه ، وتحـــدد بالتالي معالم حدوده .

— اننا نعمل ولماذا ؟

— اننا نزيد فى العمل والانتاج ولماذا ؟

اننا نعمل لنسد حاجياتنا الضرورية — نزيد فى العمل والانتاج لنبسط فى الرزق فنلبي حاجياتنـــا الكمالية ثم لنترك لابنائنا بعد مماتنا ما تبقى عـــن حاجياتنا .

ولو عملنا عكس ذلك لكانت النتيجة عكسية . اذن هناك الخطير والاخطر .

فالمســالـــة يجـب ان لا تـــدرس وحيدة الجانب . فقانون الارث وقانون الوصية وقانون التملك قوانين مهمة يجب أن توضع فى الحسبان اذ هي تشكل حوافز اساسية لا غنى عنها للعمل . فالفرد اي فرد اذا فكر فى ان ثمرة عمله ستعود اليه ليتمتع بها فى حياته ، والى ابنائه بعد مماته سينشأ فى وجدانه حافز « قوي » على العمل ولو سلبناه تلك الحقوق لكانت النتيجة هي التقاعس والتوكل والتواكل .

فينبغي على هذا الاساس ان نلم فى دراستنـــا للمشكل بالجوانب المختلفة له لنوازن بينهـا . اي ان نسلك فى دراستنا الاسلوب الشامل فلا ننظر فى الوارث دون الموروث ولا الموصى له دون الموصي... (وبالتالي لا نعتبر المفعول دون الفاعل والعكس ايضا سليم) .

اننا بفتح باب الوصية وتوريث الابناء والاقارب نكون قد قوينا فى الانسان ارادة العمل . والمسألة فى صميمها هي الحيلولة دون الضرر والفروق والتناقضات الاجتماعية ، **بتوزيع عدالة اجتماعية .**

فالاسلام عندما يفتح بابا للعمل بوسائل مختلفة اهمها انه يترك للانسان حرية التصرف فى ثمرة عمله يضع ايضا شروطا ويسلط لوازم ، فضريبة الزكـاة والمصلحة العامة تفتح أبوابا واسعة أمام تدخـلات الدولة وولي الامر باعتبار ان الملكية يجب ان لا تكون أنانية والمالك ليس ذا حق فقط وانما عليه واجبـات ايضا .

وليس مبدأ الزكاة المفروضة فرضا فى الاموال بحسب فئاتها المعروفة فى الذهب والفضة والـزرع والثمار والماشية وفى عروض التجارة وفى الركاز ليس كل ذلك الا دليلا قويا لتحديد الملكية وتوزيعها على أكبر قدر ممكن .

وهكذا فاننا بتقدير حرمة الملكية الخاصـــة وبوضع ضريبة مشروعة على هذه الملكية الخاصة سوف نصل الى نتيجة مزدوجة .

فاحترام الملكية يفتح للافراد مصدر حفز للعمل.

— اعطاء المال لقوم لا يرثون وتوريث اكبر عدد من الاقارب الى جانب الضريبة المسلطة باستمـرار كل ذلك من شأنه ان يمنع من تضخم هذه الملكيـــة وتركيزها فى أيدي فئة وبالتالي يضمن تكافؤا فى الفرص حتى نعهد للكل ولوج معركة الحياة ان لم يكن بنفس السلاح فانه يكون بوسـائل واسلحة قرب متشابهة .

— ان احكام الاسلام ومقاصد تشريعه تتبع فيما تتبع من مصالح الناس فى حياتهم الاجتماعية ومراعات اقرب الاشياء الى الخير المطلق وما يوجبه العـــدل والانصاف . وهذا ما جعلنا نلمس ان موقف الاســلام من الملكية موقفا تنظيميا هدفه الفرد والجماعة ولايمكن الفصل بينهما لأن الجماعة ليست فى النهاية ســوى افراد . ولقد قال الغزالي ان العدل الحقيقي والانصاف هما اساس التشريع الاسلامي لأنه تشريع الهـــي يضم بين احكامه قواعد الدين والاخلاق وقواعـــد المعاملات الاقتصادية ... ولهذا جمع العدل والاحسان فى آية واحدة (ان الله يأمر بالعدل والاحسان) وسار الاثنان معا حتى أصبحا بمنزلة المترادفين . الاحياء ج 2 ص 66 .

— ولقد اتفق المجتهدون على ان قسم المعاملات من الشريعة معقول المعنى مبني على مصالح الناس ومنافعهم . ولقد قال ابن القيم (ان الشريعـــة الاسلامية مبناها واساسها على الحكم مصالح العباد

من المعاش والمعاد وهي عدل كلها ورحمة كلهـــا وحكمة كلها) . (أعلام الموقعين ج 3 ص 1)

— هذه هي الاصول التي انحدرت منها الملكية في الاسلام ، وتلك هي الينابيع التي تجري فيها ، فاذا اضفنا الى الاصول والينابيع ظروفا من اجلها كانت الملكية مقيدة ، لخرجنا الى الافق الواسع الانساني الذي يحيط بتشريع الملكية في الاسلام .

3 — موقف الاسلام من الملكية الحديثة

ان ما قدمناه حتى الان كان منصبا اساسا علـى الملكية ذات الدور البسيط أو الموجودة في عصـــر تاريخي معين ، عصر يمتاز اقتصاده بالبساطة نوعا ما أيا كان موجودا في الاسلام في عصوره الاولى كالملكية الفردية ذات الطابع البسيط، وفي العصور الوسطى: كالملكية الاقطاعية أو التجارية، ولم نتطرق الى العصر الحديث حيث تعقدت الامور بسبب التحولات الهائلة التي أحدثتها الثورة الصناعية في القرن التاسع عشر .

وبالتالي فاننا لغاية الان لم نتبين بوضوح موقف الاسلام من هذا التطور الجديد للملكيات ، وفي العصر الصناعي الذي أحدث تحولا جذريا خطيرا .

يترتب على ذلك ان نتطرق الى الملكية في عصر الصناعة والآلة .

وهنا لا مناص من التعرض الى الايديولوجيـات التي رافقت هذا التطور وواكبت ظهوره .
لنعرف موقف الاسلام اقتصاديا من هذه المذاهب .

وليكن السؤال المنطقي : ما هو موقف الاسلام تجاه الملكية في عصر الصناعة ؟

— هل هو موقف اشتراكي ؟

— ام هو موقف راسمالي ؟

وقبل الدخول في تفاصيل الاجابة أريد ان اضع تحفظا يبدو لي ضروريا ، ومفتولا وهو اني لا اريد هنا مجابهة بين الاسلام بوصفه التتمة المباشرة والملخص المفيد للديانات العظمى التي ظهرت قبله في القـارة الآسيوية ، وبين الاشتراكية بوصفها مذهبا يحاول الشمول وان يعطي للحياة مفهوما ماديا جدليا .

لا اريد تلك المجابهة لا على الصعيد الفلسفي ولا على الصعيد التاريخي ، لأن ذلك يتطلب شروطا لم تتوفر بعد .

ثم هو قد يؤدي الى الدخول في بحار من الظلام ووديان من التيه يصعب فيها الاطمئنان الى شـيء اسمه الحقيقة والحق ، وفوق ذلك كله فانه لا يدخل من قريب في موضوعنا .

وعلى هذا الاساس فاني سوف اقتصر علـى بعض الملاحظات التي وان بدت عامـة الا انهـا في الواقع وحقيقة الامر تمد تاثيرها الى صلب الموضوع .

— قد يبدو من الابحاث التي ظهرت حتى الآن ان الخلاف الجذري بين الاسلام والاشتراكية يقوم اساسا على الملكية الخاصة، فالاسلام يحتفظ بها والاشتراكية تلغيها .

— ولاشك ان اعتقادا كهذا ، هو اعتقاد سطحي من جهة ، ويحتوي خلطا خطيرا ينبغي توضيحه من جهة اخرى . واذا كان الخلاف الحقيقي — بالنسبة للبعض — بين الاشتراكية والاسلام يكمن في هذا ، فاننا لا نتردد على الاطلاق بالاصداع والتصريح علانية بأنه لا يوجد خلاف بينهما البتة . ذلك انه في الحقيقة لا الاسلام يعترف بالملكية الخاصة المطلقـــة ، ولا الاشتراكية تنكرها مطلق الانكار .

وقد يزعم البعض عن خطا أو لمجرد حسابـات سياسية ان الملكية الخاصة تشكل مبدءا عقائديـا في الدين الاسلامي ، في حين ان العقيدة الاسلامية لـم تنص على ذلك ، ولم يقل الاسلام يوما ما بأنه لكي يكون الانسان مسلما عليه ان يعتقد في ضرورة حرمة الملكية الخاصة وقداستها .

ولاشك اننا اذا لم نضع حدا لهذه المفاهيم فانه قد لا يستغرب في مستقبل لاحق ان ينتهي الامر الـى تصريح اخطر من ذلك وهو ان تصبح الملكية مبـدءا عقائديا مقدسا لا يتم الايمان الا به . وان يصبح المسلم في آخر الامر هو من يؤمن بالله ، وبرسوله ، وبالملكية الخاصة .

واكثر من ذلك فمن الملاحظ ان هؤلاء الذيـــن يقولون بشرعية الملكية يحاولون — متاجرة منهم — تحت مفهوم الملكية حصر أنواعها المختلفة على النوع الراسمالي ولا يحاولون التمييز بين الملكية ومظاهرها، ولاشك انهم هنا يخلطون خلطا متداخلا وغريبا لـم تؤيده الاحداث في يوم من الايام .

فالملكية ذات الطابع الراسمالي اي الملـــك الخاص لوسائل الانتاج في المجتمع الصناعي لا علاقة

لها بتاتا بالملكية ذات الطابع الخاص والتي هي في الغالب ملكية « تتسم بطابع ذاتي وبسيط بعيد كل البعد عن الطابع الاستغلالي .

فاذا كان الاسلام يحترم هذا النوع من الملكية ذات الطابع البسيط والشخصي — وهو أمر معقول — فانه يجب ان لا ننسى ان الاشتراكية ايضا تحترمه . لان الاشتراكية تتحدد اساسا لا كنظام يلغي جميع انواع الملكية وانما كنظام يقضي على الملكية الخاصة لوسائل الانتاج معوضا اياها بملكية اجتماعية .

— اذن الاسلام يحترم الملكية الفردية وهي ملكية بعيدة كل البعد عن الملكية الراسمالية اذا ما نظرنا اليها من زاوية تاريخية . وهو يربط حريتها بالمصلحة. والاشتراكية ايضا لا تلغي هذه الملكية الفردية ذات الطابع الشخصي التي تشبه الى حد كبير الملكية التي ظهرت في الاسلام في عصوره الاولى .

وفي الاتحاد السوفياتي وغيره من البلدان الاشتراكية نجد دليلا حيا للذين لا يزال الشك يخامرهم من ان الملكية الصغيرة لم تضمحل مع الاشتراكية . وان البعض ليندهش ويعارض اذا قيل له ان النظام الاشتراكي هو وحده الذي يحترم الملكية الصغيرة ويتيح لها الفرص لتزدهر ، دون ان تطبع بالصبغة الراسمالية .

— ان الذين يريدون من الاسلام ومن الدول التي تعتنقه ، السير في طريق راسمالي باسم الملكية الخاصة ، انما يحاولون ذلك ضد كل الحقائق ، لانهم يسيرون في اتجاه معاكس على طول الخط للواقع التاريخي والاجتماعي لماضي الاسلام البعيد والقريب. وهم يعرفون جيدا ان الزام الدول الاسلامية هذا الطريق الراسمالي يعني بالنسبة اليهم توزيع الملكية على اكبر عدد ممكن . ولكنه يعني تركيزها وحصرها بالتالي في ايدي اقل عدد ممكن .

لا يعني أبدا — بالنسبة اليهم — الزيادة في عدد المالكين وانما يعني الزيادة في الملك بانتزاع حقوق الآخرين . فتصبح النتيجة هي : كثرة في الملك على حساب عدد المالكين ، وهي نتيجة رياضية قلما يحسب لها حساب .

— بعد هذه النظرة التحليلية يظهر سؤال قد يكون طرحه ضروريا ومنطقيا هذا السؤال هو :

— هل ان الاسلام احترم في يوم ما الملكية الراسمالية ؟

— انه اذا قلنا نعم نحو هذا السؤال فان ذلك معناه بالتأكيد اننا لا ندرك الحقائق التاريخية والملابسات الاجتماعية للمشكل أو اننا نتجاهله .

— فالملكية ذات الطابع الراسمالي ظاهرة تاريخية برزت في وقت معين من تطور المجتمع البشري — واستطاعت ان تضمحل في يومنا هذا في البلاد الاشتراكية .

وايا كان الامر فان الاسلام لم يعترف بها وعلى الاقل في عصور الراشدين ، واذا ما أردنا ادماج الملكية الراسمالية — مهما كلفنا ذلك من جهد ومن تأويل — في الملكية التي وجدت في الاقتصاد البسيط للمجتمع الاسلامي ، فاننا نكون قد اخطأنا لان نقاوة الاسلام تأبى ذلك . والحق يقال ان الاسلام في مستهل هذا القرن عندما عرف الملكية الراسمالية لم يتنباها وانما سايرها كما ساير من ذي قبل انواعا أخرى من الملكيات وعلى الاخص الملكية الاقطاعية والملكية التجارية .

فلماذا يصر البعض على أمر هو في صميمه مسايرة للعصر وتصالح معه ، يصر على تقديمه وكأنه منزل تنزيلا من عند الله لا يأتيه التغيير ولا الباطل .

ومن هنا نستطيع ان نقول ان الملكية الراسمالية في يومنا هذا ليست اسلامية اكثر مما كانت عليه فيما مضى الملكية التجارية او الملكية الاقطاعية . ويكفينا هنا دليلا المجهود الذي بذله فقهاء الاسلام في أن يستوعب التشريع الاسلامي مؤسسة راسمالية وغير اسلامية الا وهي البنك .

وعلينا ان نتذكر في هذا الصدد الفتوى المشهورة للاستاذ المرحوم الشيخ محمد عبده الصادرة بتاريخ 9 صفر 1319 هـ 1901 م والمنشورة في مجلة المحاماة السنة الخامسة رقم 460 ص 563 .

ومن جهة أخرى فمن الضروري ان لا نبالغ في توريط الراسمالية مع الاسلام لان الراسمالية لم تستطع ان تتطور كثيرا ولن تستطيع في بلاد تدين بالاسلام لاسباب تاريخية معروفة .

وعلى سبيل المثال فانه يمكننا ان ندرك انمفهوم المصلحة العامة وهي على سبيل التذكير المقصد النهائي والغاية القصوى للشريعة الاسلامية يمكننا ان ندرك ان هذا المفهوم يبرر شرعيا أو قانونيا تعويض الملكية — الاجتماعية لوسائل الانتاج للملكية الخاصة الراسمالية .

كما انه يمكننا أيضا انلاحظ ان المفهوم الشرعي للمال الحرام — فى الاسلام — (السحت) اي ما اكتسب بطرق غير شرعية ينطبق الى حد ما على القيمة الزائدة تلك التي تعتبر جوهر الاستغلال — الراسمالي .

وفوق ذلك ففي الميدان الاخلاقي نجد الاسلام بروحه فى المساوات وبروحه الجماعية والانسانية التي يمثلها الراشدون وكبار الصحابة امثال عمر وأبي ذر ، كان سباقا فيما نادت به الاشتراكية من مبادىء انسانية فى ميدان الاقتصاد والاجتماع .

وهنا يمكن ان نؤكد — بغض النظر عن تقول الاقاويل — بأن الاسلام قد جسم أحسن تجسيم ومنذ اربعة عشر قرنا ذلك المجتمع الاخوي الذي تنادي به الاشتراكية اليوم وفى عصر متأخر جدا عندما قضى على الفوارق الجنسية والطبقية واسس الروابط الاخوية بين بني البشر .

وهو لاشك قادر اليوم على تحقيق العدالة الاجتماعية لمعتنقيه وقادر على الوقوف امام كل التحديات المادية والفكرولوجية اذا وجد رجالا واعين لرسالتهم ولمصيرهم شجعانا لا ليبراليين — بالمعنى السياسي — لا مبدأ لهم .

— ان الدين الاسلامي ظهر لمصلحة البشر وهو فى بدايته دين المنبوذين والمحرومين .

4 — هذه باختصار قضية الملكية فى الاسلام ، اردت من عرضها الرد على بعض الاسئلة التي قد تراود البعض منا . وبما أن الموضوع شائك لما له من وشائج متشبعة ، وشائج تاريخية ، وشائج اجتماعية واقتصادية وقانونية فانه لا مناص من اني اكون قد تركت ثغرات واثرت اسئلة ، واجبت اخرى تغري بالتساؤل ...

والله اسأل ان يسدد خطانا ويحفظ سيرنا ويرعى عملنا لما فيه الخير والسعادة للجميع .

الرباط : أحمد بن سيدي

بحث في القرآت القرآنية
التي تحدث عنها الزمخشري في تفسيره "الكشاف"

للأستاذ عبد العزيز الدباع

— 5 —

20 — مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون (17) .

فى هذه الآية تصوير لحال المنافقين وتمثيل لحقيقتهم ، فهم كالذين استوقدوا نارا ليستضيئوا بها فلما اضاءت ما حولهم اطفأها الله وتركهم فى ظلمات حالكة لا يبصرون .

والسبب فى ذلك مرجعه لعواقب هؤلاء المنافقين ولانطماس بصيرتهم ولانحرافهم عن الجادة واصرارهم على النفاق والمخاتلة فهم حينما اعلنوا اسلامهم كانوا كمن استوقد النار ليستضيء ولكنهم حينما اضمروا الشر للمسلمين حبطت اعمالهم وضاعت الفرصة التي مكنت لهم للنجاة ، فكان ذلك بمثابة اطفاء النار وضياع النور وبمثابة فوات الفرصة يوم الجزاء ، فهم وان كانوا يقدرون على اخفاء أمرهم فى الدنيا فليس لهم سبيل الى اخفائه يوم القيامة امام الحاكم المطلق الذي يعلم دقيق الاشياء وجليلها .

وفى هذه الآية سنشير كالعادة لبعض الجزئيات المتصلة بالقراءات وعددها ثلاث .

الجزئية الاولى تتعلق بقوله تعالى : فلما أضاءت ما حولـه .

الاضاءة فرط الانارة ، والفعل هنا متعد فاعلـه ضمير يعود على النار والمفعول به هو — ما — الموصولة ومن المفسرين من قدر الفعل لازما وجعل ما بعده فاعلا واعتمد فى ذلك على القراءة التي وردت عن ابن أبي عبلة بدون همزة ، فقد قراها ، فلما ضاءت ما حوله .

وهذا الاعتبار يحتاج الى تقدير يكاد يكون بعيدا عن السلاسة اللغوية التي تفهم من التقدير الاول بحيث لا يتاتى المعنى الا اذا اعتبرنا التأنيث فى الفعل تأنيثا معنويا راجعا الى تأويل ما الموصولة بالامكنة ، ويكون التقدير حينئذ — فلما اضاءت الامكنة التي حوله — .

وهذا اسلوب ينبغي الا نضطر اليه ما دامت القراءة الاولى صالحة لجعل الفعل متعديا وما دامت هي القراءة المنتشرة المشهورة .

الجزئية الثانية تتعلق بقوله تعالى : ذهب الله بنورهم ، فقد قراها اليماني : — أذهب الله نورهم — .

وفى هذه القراءة نلاحظ تعويض صيغة فعل به بصيغة أفعله ، وهي ظاهرة لغوية معهودة لان البـاء

(1) جرت عادة المفسرين انهم لا يتحدثون عن القراءات العشرية فقط بل يضيفون اليها القراءات الشاذة ايضا ، وعلى نسقهم قدمنا هذا البحث .

تعاقب الهمزة فى التعدية ويغلب ذلك فى الفعل اللازم فيقال مثلا : ـ أخرجه واخرج به ـ واذهبه وذهب به.

ويقتضي هذا التعاقب تساوي القراءتين وعدم ترجيح احداهما عن الاخرى بناء على أن الصيغتين تؤديان معنى واحدا ، لكن الزمخشري لم يقل بالتساوي نظرا لملاحظة المصاحبة فى الباء وعدم ملاحظتها فى الهمزة ، ولهذا قال : « والفرق بين اذهبه وذهب به ان معنى اذهبه ازاله وجعله ذاهبا ، ويقال ذهب به اذا استصحبه ومضى به معه وذهب السلطان بماله اخذه فلما ذهبوا به اذن لذهب كل اله بما خلق ومنه ذهبت به الخيلا ، والمعنى اخذ الله نورهم وامسكه وما يمسك الله فلا مرسل له فهو ابلغ من الاذهاب » (2) .

وتحليل الزمخشري يدل على ان القراءة المشهورة ذات ابعاد معنوية لا تحققها القراءة بالهمزة وهو فى ذلك يسير على مذهب بعض اللغويين الذين يقرون هذه التفرقة بين الصيغتين كالمبرد مثلا .

وينكر ابن هشام فى كتابه المغني كون الباء تدل على المصاحبة ويجعلها معاقبة للهمزة ، ليس غير لانه يرى ان المصاحبة لو كانت معتبرة لكان الذهاب بالنور يقتضي ذهاب فاعله ، وهذا مستحيل فى حق الله تعالى ويرد على المبرد وعلى السهيلي القائلين بالفرق بينهما .

وانا ارى ان تضييق ابن هشام لا مبرر له ، لان المصاحبة اللغوية حكم متصل بالكلمة فى أصل أدائها وانعدام ذلك لمبرر خارجي متصل بالشرع أو العادة لا يمنع من الايحاء الاصلي الدال على التوكيد .

فالمبرر الشرعي واضح فى الآية وهو لا يمنع من قصد التوكيد الذي تدل عليه الصيغة حسب قول الفراء والسهيلي والزمخشري ، وأما المبرر العادي فيظهر فى قول امرىء القيس يصف فرسه :

كميت يزل اللبد عن حال متنه
كما زلت الصفواء بالمتنزل

فالصفواء فى العادة لا تنزلق مع من ينزلق عليها ولكن الصيغة رغم ذلك تقتضي التوكيد وابراز الصورة الحسية فى اجلى مظاهرها .

اذا تقرر ما قلناه بقي تاويل الزمخشري واضحا مقنعا مفيدا للمبالغة رغم ما أبداه ابن هشام من الانكار والمعارضة .

الجزئية الثالثة تتعلق بقوله تعالى : ـ وتركهم فى ظلمات ـ فقد قراها الحسن فى ظلمات بسكون اللام وقرأها اليماني فى ظلمة بالتوحيد .

ومن الجلي الواضح ان القراءة التى تجعلها جمعا اقوى من قراءتها مفردة لانها تدل حينئذ على ان هناك انواعا من الظلمات كظلمة النفاق وظلمة العقاب وظلمة غضب الله عليهم وغير ذلك مما يدل عليه الجمع ، وزادت صورة الكلمة هولا حينما جاءت منكرة ، ثم لما اتبعت بقوله تعالى : ـ لا يبصرون ـ ليظهر هول هذه الظلمات التى لم يبق فيها اي بصيص او أي أمل للاستفادة من هذا الضوء نظرا لفوات الاوان ولمواجهة العقاب الالهي يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم .

21 ـ او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق، يجعلون اصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت ، والله محيط بالكافرين (19) ، يكاد البرق يخطف ابصارهم ، كلما اضاء لهم مشوا فيه ، واذا اظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم ، ان الله على كل شيء قدير (20) .

الصيب المطر الشديد الذي يكون له وقع وتأثير وقد يطلق على السحاب ذي الصوب اي السحاب الممطر ، وفسرت الآية حسب المعنين معا .

وهاتان الآيتان داخلتان فى اطار تصوير حال المنافقين الذين ضلوا عن الطريق السوي والذين فقدوا التامل العميق لاحوالهم ولمعاني الدين السليمة الواضحة وضوحا جليا لا ينحرف عنه الا جاهل أو جاحد .

وقد ابرز الله تبارك وتعالى شدة فزع هؤلاء فى التمثيل السابق حينما شبههم بمن أوقدوا نارا ليستضيئوا بها ، فلما اضاءت ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون ، ثم اراد أن يصورهم تصويرا آخر محسوسا يثبت سوء تصرفهم وخيال امرهم فشبههم بمن احاطت بهم ظلمة الليل وفيها سحاب قاتم ومطر شديد ورعد وبرق فاضطرب أمرهم وكثر فزعهم ، ولم يجدوا سبيلا الى الاهتداء الا تلك اللحظات القصيرة التي يلمع فيها البرق ، ولكنهم لا

(2) تفسير الكشاف ، الجزء الاول ، صفحة : 33 .

يهتدون ، فتعود الظلمة من جديد ويستمرون فى فزعهم وتحسرهم دون ان يستفيدوا من الضياء .

وهذا التمثيل المركب استحسنه الزمخشري فى تفسيره وراى انه اقوى تأثيرا من اعتبار التجزئة فى التشبيه .

وكاني بالقارىء يسأل عن المراد بهذه التجزئة التي لم يستحسنها الزمخشري رحمه الله ، فاقول :
– ان بعض المفسرين اهتموا بالجانب الفردي فى المقابلة بين طرفي التشبيه اذا تعددت الاطراف وربطوا كل جزء بما يقابله ! فذكروا ان الصيب يقابل به الدين او القرءان لانه اساس الحياة ومصدر الانبعاث ، وان الظلمات تقابل بالكفر الذى عليه هؤلاء المنافقون وان الرعد يقابل الوعيد المهدد لهم بالخزي والفضيحة والعقاب ، واما البرق فهو تلك الحجج الدامغة التي تلمع كلمعانه والتي تكاد تستميلهم وتقنعهم ، ولكنهم ينصرفون عنها جحودا وعنادا .

وهكذا نجد ان هذه التجزئة تحاول ربط حالتهم بهذه الصورة الطبيعية التي تتجلى فيها كل المظاهر المتعلقة بهم وبأحوالهم ومع ذلك فان الزمخشري آثر ان يعتبر التشبيه مركبا لما فى ذلك من اظهار الفزع فى قالب عام شامل لا يرتبط بالاجزاء ، ولكنه يرتبط بالصورة وايحاءاتها القوية المنتزعة من الطبيعة فى مظهر من مظاهرها المهولة .

ولقد حاول بعض المفسرين الربط بين الرمز الطبيعي وبين تذبذبهم واستغلالهم لمواقفهم ، فهم كانوا يريدون التظاهر بالاسلام اذا استفادوا منه فى حياتهم المادية كاخذهم النصيب من الغنائم وكالمطالبة لحمايتهم وحماية اموالهم ، اما اذا كان الامر يتعلق بواجبات يؤدونها وبتكاليف يلتزمون بها فانهم كانوا يصدون عنها ولا يرغبون فى تطبيقها ، ويصدق عليهم فى ذلك قوله تعالى : « واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون، وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين » .

وعلى هذا النهج سار السيوطي فى تفسيره فقال عند ذكر هاته الآية المتعلقة بالمنافقين : انها تمثيل لازعاج ما فى القرءان من الحجج ، قلوبهم وتصديقهم لما سمعوا مما يحبون ووقوفهم عما يكرهون (3) .

ولا بأس بعد تقديم هذا العرض الضروري أن نعود الى موضوع القراءات وان نشير الى الجزئيات التالية :

اولا قوله تعالى : اوكصيب ... هذه القراءة قراءة سليمة وعليها مدار القراءات المتداولة وقد اشار الزمخشري الى قراءة اخرى ، ولكنه ذكر أنها غير بليغة فقال : « وقرىء كصائب ، والصيب ابلغ » (4) .

ثانيا : قوله تعالى : –يجعلون اصابعهم فى آذانهم من الصواعق– .

الواو ضمير متصل يعود على المشبه المحذوف المتجلي فى سياق الكلام لانه رغم حذفه لفظا فان معناه قائمة .

وهذا الاسلوب معروف فى اللغة العربية منذ اول وقد جاء الزمخشري بنظير له من كلام العرب فقال الا ترى الى حسان كيف عول على بقاء معناه فى قوله :

يسقون من ورد البريض عليهم
بردى يصفق بالرحيق السلسل

حيث ذكر يصفق لان المعنى ماء بردى .

والصواعق فى اللغة جمع صاعقة وهي قصفة رعد تسقط معها شقة من نار لا تمر بشيء الا اتت عليه مأخوذه من الصعق وهو شدة الصوت ، ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته فصعق اي مات اما بشدة الصوت او بالاحراق ، والمعنى الاول هو المراد هنا .

وقد قرا الحسن من الصواقع جمع صاعقة (5) .

واشار الزمخشري هنا الىملاحظة دقيقة تتعلق بتعاقب معاني بعض الكلمات رغم التغيير الواقع فى وضعها الترتيبي من غير اعتبار القلب الطارىء عليها ، وانما باعتبار كون كل كلمة بناء مستقلا يتصرف تصرفا

---

(3) حاشية الصاوي على ذي الجلالين ، الجزء الاول ، صفحة : 12 ، 13 .
(4) الكشاف للزمخشري ، الجزء الاول ، صفحة : 33

قائما بذاته فقال : « وقرا الحسن من الصواقـــع (5) وليس بقلب للصواعق لان كلا البناءيـــن ســـواء فى التصرف ، واذا استويا كان كل واحـــد بنـــاء علي حياله (6) الاتراك تقول صقعه على راسه وصقع الديك وخطيب مصقع مجهر بخطبته ونظيره جبذ فى جذب ليس بقلب لاستوائهما فى التصرف » .

والواقع أن هذا الموضوع المتصل بهذه الكلمات المتشابهة فى الاصول المختلفة فى الترتيب قد اخذ من الباحثين دراسات متعددة ســـواء بالنسبـــة الى الدراسات اللغوية القديمة او بالنسبة الى اهتمـــام المحدثيـــن .

ولا باس ان نقدم عرضا مجملا لهذه النقطة بالذات نظرا للعناية التي اولاها فقهاء اللغة لذلك ، وسنجري الحديث الى العناصر الآتية :

اولا ـ موقف علماء الكوفة :

ان الكوفيين يلاحظون أن السبب الداعـــي الى تغيير الترتيب انما هو قلب مكاني داخـــل فى اطـــار الكلمات التي يقع فيها التأخير والتقديم فى المواقـــع دون أن يؤدي ذلك الى تغيير المعنى تغييرا جذريا .

ثانيا ـ موقف البصريين :

اما البصريون فيفرقون بين الكلمات التي يظهـــر عليها اثر التبديل الناشىء عن تغيير المواقع ، واثـــر التبديل الناتج عن اختلاف اللغات من الاصل ، ويمثلون للنوع الاول بقولهم مثلا هو شاكي السلاح وهو شائك السلاح ، ويمثلون للنوع الثاني بما يشبه الصواعـــق والصواقع كجذب وجبذ مثلا .

ثالثـا ـ مواقف ابن جني :

وهو موقف يؤيد جانب القلب ويجعله فى اكبر احتمالاته بحيث يجعل الربط فى المعاني قائما بيـــن مختلف الكلمات التي تتحد أصولها وتختلف مواقـــع حروفها ، ولا يلاحظ فى مثل هذه الكلمات الا تعبيرا فى التفاصيل لا تغييرا فى الملامح الدلالية المتعلقـــة بالمعاني العامـــة .

وطبق هذه النظرية فى كتابه الخصائـــص على المادة المكونة من ق ـ و ل ـ حينما قال انها تدل على الخفوف والحركة كيف ما كان وضعها الترتيبي ، وعلى المادة المكونة من ك ـ ل ـ م ـ حين قال انما تدل على الشدة والقوة كيف ما كان وضعها الترتيبي (7) .

ونحن لو حاولنا الربط بين هـــذه النظريـــات السابقة وبين راي الزمخشري لوجدناه يسيـــر على نسق البصريين الذين لا يعترفون بهذا القلب المكاني .

والواقع ان هذا الخلاف ناتج عن عدم تحديـــد دوافعه سواء من حيث المفهوم اللغوي للكلمة فى اطارها المستعمل او من حيث ربط هذا الاستعمال بأصل من اصوله الوضعية فى لهجة معينة . فنحن لو قرانا مثلا كتاب لسان العرب لابن منظور واخذنا مادة جـــذب لوجدناها تؤدي نفس المعنى المحدد لجبذ ، ولكنـــه يذكر فى بعض منتقياته أن الصيغـــة الاولـــى لغـــة للحجازيين ، وان الصيغة الثانية لغة للتميميين .

وهذا الاختلاف فى الاستعمال ـ بناء على مذهب البصريين والزمخشري ـ مرتبط بالوضع الاصلي ، ولكنه بالنسبة لمذهب الكوفيين يعتبر قلبا مكانيا ادى الى تغيير المواقع دون ان يؤدي الى تغيير المعنى .

والغالب ان سبب هذا الاختلاف ناتج عن عـــدم تحديد مفهوم الاشتقـــاق فى اللغـــة العربيـــة وفى المصطلحات المستعملة بحيث لو وقع تحديد ذلـــك لوضحت الغايات وبانت الحيثيات وزال الخلاف .

وتتميما للفائدة لا باس ان نتعرض لراي المحدثين فى هذا الموضوع فنقول :

رابعا ـ راي المحدثين من علماء اللغة :

ولعلماء اللغة المحدثين اتجاه خاص فيما يتعلق بهذه الكلمات .

---

(5) الكشاف للزمخشري ، الجزء الاول ، صفحة : 4 3 من الطبعة الاولى بالمطبعة البهية المصرية سنـــة 1343 هـ ، وقد وقع فى تنضيد الحروف خطأ مطبعي حيث قدمت العين على القاف مع أن المـــراد العكس كما هو واضح من سياق الكلام .

(6) كان كل واحد بناء على حياله ، هكذا كتبت هذ ه الجملة فى الكشاف ، وأظن أن فيها خطأ مطبعي أو المراد على حاله او على حياده .

(7) انظر تفصيل الحديث عن ذلك مع الشروح العا مة للكلمات المأخوذة عن طريق القلب بكتاب الخصائص لابن جني ، طبعة دار الكتب المصرية من صفحة 5 من الجزء الاول الى صفحة 17 .

واغلب الآراء تحاول الربط بين هذه الكلمات وظاهرة القلب الناتج عن الانعزال أو عن الاخطاء التي تشاع فتصبح متداولة مستعملة .

وقد قال الدكتور ابراهيم أنيس في هذا الباب(8) ان مثل هذه الكلمات متى كانت تنتمي للغة واحدة يجب ان ينظر اليها على أن بعضها اصل والبعض الآخر مقلوب عنه ولا معنى للتفرقة بينهما .

وراي الدكتور ابراهيم انيس واضح في مخالفته لاتجاه الزمخشري فيما يتعلق بهذه الكلمات .

وسبب الخلاف كما قلت ، ناتج عن اختلاف الحيثيات المتبعة في تعليل الاحكام ، فالزمخشري راعى الاتجاه الصرفي والاتجاه الاشتقاقي العادي في حين أن الدكتور ابراهيم انيس راعي الاتجاه البشري في تكوين الاصوات وفي تلوينها .

وكل من الاتجاهين له مبررات مرتكزة على الاعتبار المختار من طرف القائل به ، ولهذا نجد بعض علماء المعاصرين لا يستطيعون الاخذ براي من الآراء الى ابعد حدوده نظرا لعدم ثبوته ثبوتا نهائيا امام التطبيقات المختلفة .

يقول الدكتور محمد المبارك حينما تعرض لنظرية ابن جني (9) .

ورأيي أن اللغويين تعسفوا في هذا الباب تعسفا كبيرا وتكلفوا شططا ، هذا مع انهم لم يوردوا الا امثلة قليلة نادرة وخانهم التوفيق حتى في هذه الامثلة القليلة ، وليس ما اتفق في اللغة من هذا القبيل في رايي الا من باب القلب، اي تبديل مواقع الحروف ، وذلك مثل حمد ، ومدح ، وجدب ، وجبذ ، ويئس وأيس .

ثم تعرض بعد ذلك لراي البصريين ، وهو الراي الذي ارتآه الزمخشري حسب ما شرحناه من قبل ، ثم حاول تعليل الدوافع التي ادت بهم الى اختياره دون غيره (10) فقال : « وفي رأينا أن اعتبار البصريين لتعدد اللغات ناشىء عن حادثة القلب الصوتية قد ترجع في بعض الالفاظ الى عهد بعيد جدا في تاريخ اللغة بحيث تأصلت كل واحدة من اللفظتين كمدح وحمد وجذب وجبذ في قبيلة من القبائل أو في معنى مختلف بعض الاختلاف عن بعض اللفظة الاخرى حتى بدت للباحثين انها لغات متعددة وتنوسيت الحادثة الصوتية التي هي قلب مواقع الحروف ولذلك فان اللغويين كما نقل السيوطي يرون ان ذلك كله مقلوب ، ولا يفرقون كما يفرق نحاة البصريين القلب واختلاف اللغات » . .

ولعل ما ذهب اليه الاستاذ الدكتور المبارك يعد حلا واقعيا لهذه المشكلة اللغوية التي اخذت من جهود الباحثين وقتا طويلا (11) .

وبعد تحليل هاته الظاهرة الصوتية نرجع الى متابعة الحديث عن الجزئيات المتعلقة بالقراءات حسب الترتيب السالف ، فنذكر ما ياتي :

ثالثا : يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت .

نصبت كلمة حذر على انها مفعول لاجله ، وقد قراها ابن ابي ليلى حذار الموت ، والحذار معناه المحاذرة ، ولا يؤدي هذا الاختلاف الى تغيير في المعنى ولذلك كانت القراءة الشهيرة المتداولة اصوب .

رابعا : يكاد البرق يخطف ابصارهم .

فقد وردت قراءة كثيرة تتعلق بفعل الخطف ندون منها ما ياتي :

1 ـ القراءة المشهورة التي تجعل يخطف مفتوح العين من خطيف من باب فهم ، قال الجوهري في صحاحه وهي اللغة الجيدة .

2 ـ يخطف بكسر الطاء وهي قراءة مجاهد ، وهذه اللغة لم يستسغها الزمخشري ، وقال ان الفتح افصح واعلى وهو في ذلك مطابق لآراء اللغويين فقد ورد في كتاب الصحاح أن خطف من باب ضرب قليلة رديئة لا تكاد تعرف .

---

(8) في اللهجات العربية ، صفحة : 167 .
(9) فقه اللغة وخصائص العربية ، الطبعة الثالثة ، صفحة : 106 .
(10) نفس المصدر ، صفحة : 707 .
(11) اقرا اتجاها آخر يتعلق بتعليل التبدلات الصوتية عند علماء اللغة المحدثين وعجزهم عن تعميمه بين مختلف الكلمات بكتاب الوجيز في فقه اللغة للاستاذ محمد الانطاكي ، صفحة : 405 .

3 ـ يختطف وهي قراءة ابن مسعود .

4 ـ يتخطف وهي قراءة ابي ، وفى اللغة لا فرق بين يختطف ويتخطف .

5 ـ يخطف بفتح الياء والخاء واصله يختطف ، وهي قراءة الحسن .

6 ـ يخطف بكسرهما على اتباع الياء والخاء ، وهي واردة عن الحسن ايضا .

7 ـ يخطف من التخطيف .

ورغم تعدد هذه القراءات مع بقاء المعنى سليما فان القراءة الاولى هي المتداولة المشهورة المنجمة مع الاستعمال العادي .

خامسا : كلما اضاء لهم مشوا فيه .

قراها ابن ابي عبلة كلما ضاء لهم بغير همزة التعدية ، والفعل حسب تأويل قراءة لازم معناه لمع واما حسب القراءة المتداولة فمتعد مفعوله محذوف يدل عليه سياق الكلام والقدير والله اعلم كلما اضاء لهم ممشى او مسلكا اخذوه واذا اظلم عليهم قاموا .

سادسا : واذا اظلم عليهم قاموا .

قراها يزيد بن قطيب اظلم على ما لم يسم فاعله .

سابعا : ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم .

هذه تتمة الآية المتعلقة بتصوير حال المنافقين الذين اضطربت احوالهم وكثر فزعهم والذين صور الله اضطرابهم ونفاقهم باسلوب بياني قوي يجعل الهول متجسدا لهم فى مظاهر الطبيعة التي لا تنفك عنهم ولا ينفكون عنها

والباء هنا للتعدية وقراها ابن ابي عبلة بالهمزة مع ابقاء الباء ، فقال ولو شاء الله لاذهب بأسماعهم وحينئذ تكون الباء زائدة للتوكيد كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة .

ومفعول شاء محذوف لدلالة الجواب عليه ، وقد جرت العادة فى اللغة العربية ان يحذف مفعول شاء واراد اذا كانا فعلي شرط ، ولا يظهر المفعول الا اذا كان غريبا كقول الشاعر :

و لوشئت ان ابكي دما لبكيته
عليه ولكن ساحة الصبر اوسع

وكقوله تعالى :

لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا .

وبهذه الفائدة اللغوية نختم الكلام عما يتعلق بهاتين الآيتين ، ونتمنى التوفيق من الله فى اتمام ما ننوي القيام به انه سميع الدعاء .

فاس : محمد بن عبد العزيز الدباغ

القرآت القرآنية واللهجات العربية

للدكتور
الراجي التهامي الهاشمي

— 7 —

33 — خطـــوة :

وهي ما بين قدمي المشي من الارض . ذلك ما توحي به الضمة فى وزن فعلة (1) . ولهذا الوزن المجدد (2) ، كما يعلم ذلك المهتمون بفقه اللغة العربي ، ثلاث معان ، معنى خاصا لكل حركة من الحركات الثلاثة . وانه ليحق لنا ان نباهي الامم جميعا بهذه الدقة ، وهذا الضبط ، ما دامت كل حركة من الحركات الثلاثة المشهورة الاستعمال (3) عند العرب ، تعطي معنى موجزا دقيقا لا يستطيع التعبير عنه غيرنا من الذين يتحدثون بلغات لاتينية او جرمانية او سكسونية او غيرها الا بجملة .

---

(1) بضم فاء الفعل واسكان عينه .

(2) اقصد بقولي « المجرد » حروف الوزن ، الفاء والعين واللام مجردة عن الحركات ، وهو اصطلاح استعمله مع طلبتي الذين تعودوا العمل به ، سواء فى كلية الآداب بالرباط او فى كلية الدراسات العربية بمراكش او فى المدرسة الحسنية للاشغال العمومية بالدار البيضاء و مع طلبة فصول ما قبل الجامعة فى المعهد الاسباني بالدار البيضاء .

(3) كان من الضروري ان اخصص هذه الحركات الثلاثة بلفظة « المشهورة » الاستعمال ، لاننا نستعمل فى لغتنا ، وفى كل لحظة اكثر بكثير من الحركات الثلاثة ، اننا لنستعمل — ويجب ان نستعمل — مثلا حركة ما بين الكسر والضم ، سماها القدماء اشماما وتبعناهم في هذه التسمية ، وما هو باشمام . لان الاشمام لفظ وجب ان يكون عاما يطلق على كل حركة ركنت قليلا عن مخرجها سواء شمت صوت ما يليها من اليمين اواشربت صوت ما يليها من اليسار ، سواء تولد عن هذا الميل نحو اليمين او نحو اليسار جديد مغاير للاصل او لم يتولد منه شيء جديد كل الجدة وانما انبعث منه فقط بين بين . هكذا وجب ان ننظر الآن ، وقد تطورت علوم فقه اللغة ، الى الاشمام . كما وجب ان نسمي الفتح الذى يحال الى الكسرة اشماما لا تعريضا كما هو معلوم متداول والفتح الذى يحال الى الضم اشماما لا تغليظا او تفخيما كما عرفها القدماء وتبعناهم فى ذلك . اما الاشمام والتعويض والروم والتفخيم والتغليظ والترقيق ، ان سألتني عما سنفعل بها ان صححنا معناها ، قلت لك وبايجاز نخصصها للحروف لا للاصوات . لقد سمى غيرنا من الناطقين باللغات السامية اصواتهم باسماء دقيقة . فالفتحة مثلا (نوع فقط من الفتحة) يسمى « قماص » فى العبرية ان نطقوا به فتحة ، ولكنهم يسمونه « قماص حتوف » عندما ينطقون به ممالالا الى الضمة كما هو الشأن عنده فى فتحة لام الصلاة. والسكون الذى يسمونه « الشعا » ليس سكونا حقيقة ، فهو تارة ، وحسب قواعد مضبوطة لها مثيل فى اللغة العربية ينطقون به ككسرة شمت صوت الفتح كما هو الشأن عندنا فى القراءات القرآنية فى الفاظ معينة . هذا ما وجب التنبيه اليه ، بايجاز مفرط ، ولي عودة لهذا الموضوع فى بحث قادم ان شاء الله .

ذلك ان الفتح على وقـاء هذا الوزن ، هــو عندنا ، فى حقيقة امره للمرة الواحدة وهو يقابـل ـ واعني الفتح وحده ـ بما لابـد من ترجمتـه فى الفرنسية مثلا بـ une seule fois

ـ وفى الاسبانية una sola vez

ـ وفى الانجليزية To do something

ـ وفي الالمانية machen einmal

ـ وفى الاغريقية

ποιεῖν τό πρᾶγμα

بمعنـى μόνον ἕν

يضاف الى كل هذا ترجمة المادة الموجـودة فى الوزن العربي .

فاذا قلنا مثلا فى اللغة العربيـة « ضربـة » قلنـــا :

ـ بالفرنسيـة frapper une seule fois

ـ وبالاسبانيـة golpear una sola vez

ـ وبالانجليـزية To rit once

ـ وبالالمانيـة schlagen einmal

ـ وبالاغريقيـة

παίω μόνον ἕν

والكسرة تحت فاء الفعل هي للهيئة . وحين يراد تحويل كلمة عربية من هذا القبيل الى اللغات المشار اليها اعلاه لا بد من الاتيان بجملـة تعبر عن الهيئة لفظا او الفاظا او جملة فى بعض الاحيان ، لا حركة خفيفة ، لطيفة ، توضع على حرف كما هو الشان فى لغتنا المضبوطة ، المتقنة ، المهملة ، المهجورة فى نفس الوقت من طرف اهاها .

فلا بد ، عند ترجمة هذا الوزن الى الفرنسية، من اضافـة d'une certaine manière

ـ والى الاسبانية من اضافة de una cierta manera

ـ والى الانجليزية To do manner (way)

او in a special way

ـ **والى الاغريقية**

τῳ πονῳ δεδομενῳ

وان الضمة على فاء هذا الـوزن تعطينـا فى العربية معنى « القدر » او « القدر » او «المقـدار» فغرفة هي قدر ما تغرفه يدان وقبضـة هو القـدر المقبوض من شيء ما باصابع او بايد او حتى بآلة او بغيرها . وهو امر وجب ان نجعله فى عصرنا هـذا مطردا ، عاما ، شاملا يبنى من كل فعل ثلاثي او غير ثلاثي لتحيا لغتنا حياة مسايرة للعصـر ، آخـذة فى نفس الوقت من جذور أصالتها بأسباب قوية .

والكلمة التى تهمنا هي من هذا الصنف الاخير . وهي موجودة فى قوله تعالي : « يا ايها الناس كلوا مما فى الارض حلالا طيبا ، ولا تتبعـوا خطـوات الشيطان ، انه لكم عدو مبين » (4) . كررها الحق سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز خمس مرات (5)، كلها على صيغة الجمع « خطوات » وكلهـا مكيـة الا واحدة (6) .

ولم ترد هذه المفردة على صيغة الافراد فى القرآن الكريم ، كما سبق ان قلت ، ولو وردت لتعـددت قراءاتها بتعدد نطق القبائل المتباين لهذه الكلمـة . ولقد قراها بنو تميم وناس من قيس (7) بضم الخاء واسكان الطاء كحالتها فى المفرد .

كما انني احصيت ـ باعتبار نطق قبائل اخرى، لا قبيلة بني تميم وحدها خمس قـراءات اذكرهـا منسوبة الى قارئيها .

---

(4) الآية 168 من السـورة الثانية ، البقرة

(5) مرة اخرى فى البقرة ، الآية 208 ، وثالثة فى السـورة السـادسـة الانعام ، الآية 142 ورابعة وخامسـة فى السـورة الرابعة والعشـرين ، النور ، الآية 21 (وردت مكررة فى نفس الآية .

(6) تلك التى فى السـورة السـادسـة ، الانعام ، الآية 142 .

(7) ذكر ذلك ابو حيان الغرناطي فى تفسيره البحر المحيط ، الجزء الاول ، صفحة 377 السطر السـابع عشـــر .

1 ـ خطوات بضم الخاء والطاء . قرا بهذا ابن عامر والكسائي وقنبل وحفص (8) ، وعباس عن ابي عمرو والبرجمي عن ابي بكر (9) .

2 ـ خطوات بضم الخاء واسكان الطاء ، قرا بذلك السبعة .

3 ـ خطوات (10) بضم الخاء وفتح الطاء يليها واو ممدود بالفتح ، قرا بذلك ابو السمال (11) قعنب بن ابي قعنب (12) .

(8) نص على ذلك ابو عمرو الداني في التيسير ، صفحة 78 واضاف : « .. بضم الطاء حيث وقع ، والباقون باسكانها » .

(9) البحر المحيط ، الجزء الاول ، صفحة 479 ، السطر الخامس عشر .

(10) هذه القراءة شاذة لم يقرا بها الا ابو السمال الذي انفرد بقراءات شاذة أعرف منها قراءاته لـ « قم الليل » بضم الميم في الآية 2 من سورة المزمل . و « اشتروا الضلالة » بكسر الواو في البقرة الآية 16 . ولقد شاركه في هذه القراءة يحيى بن يعمر وابن ابي اسحاق ، ومعلوم ان ابن السمال بكسر واو الجماعة تشبيها لها بـ « لو اطلعت » و « وتركهم في ظلمات » باسكان اللام في البقرة ايضا الآية 17 ، وشاركه في هذه القراءة الحسن . و « الذين هادوا » في البقرة ايضا الآية 62 . روى هذه القاعدة عنه ابو زيد ، وعلى كل بهذا يخبرنا ابن مجاهد . وقراءته « أو كلما عهدوا » الآية 100 في البقرة باسكان واو او وقراءته « لمثوبة » باسكان الثاء وفتح الواو في البقرة الآية 103 ، وشاركه في هذه القراءة قتادة وابن بريدة . وقراءته « فان زللتم » بكسر اللام في الآية 209 من سورة البقرة ، وهي قراءة انفرد بها دون سائر القراء . وقراءته « ما بقي من الربو » في الآية 278 مضمومة الباء ، ساكنة الواو ، وهي قراءة انفرد بها ايضا ، رواها مجاهد عن ابي زيد عن صاحبنا . وقراءته « حتى يلج الجمل » بفتح الجيم واسكان الميم ، الآية 40 من سورة البقرة ، وقد انفرد بهذه القراءة دون غيره . وقراءته « بلسان قومه » بكسر اللام في الآية 4 من سورة الثانية عشرة ابراهيم . وقراءته «فحاسوا» بالحاء في الآية 5 من سورة الاسراء ، انفرد بهذه القراءة دون غيره . وقراءته « اف مضمومة غير منونة ، الآية 29 من سورة الاسراء ، انفرد بها دون غيره . وقراءته « فجعلهم جذاذا » بالفتح شاركه في هذه القراءة ابن عباس وابو نهيك . وقراءته « السجل بفتح السين وتسكين الجيم في الآية 104 من سورة النساء . لم يقرا بهذه القراءة الشاذة الا هو . وقراءته الشاذة جدا التي تشبه اللحن « غير معجزي الله » بنصب اسم الجلالة في الآية 3 من سورة التوبة . وقراءته « ياسين » بكسر النون ، الآية الاولى من سورة ياسين . وقراءته « ابشر منا واحدا نتبعه » بضم راء ابشر وفتح دال احدا بالتنوين في الآية 24 من سورة القمر . وقراءته « انا كل شيء خلقناه » بضم لام كل في الآية 49 من سورة القمر .

ويرى المهتمون بالقراءات انها اقوى من قراءة الجماعة . وقراءته « والسماء رفعناها » بضم همزة السماء في الآية 7 من سورة الرحمان . وقد انفرد بهذه القراءة ، وذهب بعضهم الى انها اقوى من قراءة الجماعة التي تقراها بالنصب .

ولا يستبعد ان يتساءل متسائل عن فائدة هذه الحاشية الطويلة ، ابادر فاقول له : ان جمع القراءات الشاذة لابي السمال في مكان واحد يعد مكسبا عظيما في ميدان دراسة اللهجات العربية القديمة . ولا يخامرني ادنى شك في ان دراستها دراسة فقهية دقيقة ستطلعنا على كثير من اسرار اللهجات العربية التي ما زالت ، بكل اسف تحمل في طياتها اسرارا .

(11) هو قعنب بن ابي قعنب العدوي البصري ، ابو السمال ، بفتح السين وتشديد الميم وباللام . قاريء شذ عن الجماعة وان كان قد صادق الصواب في كثير من شذوذه . اقصد بهذا الصواب موافقة ما ذهب اليه مع قواعد اللغة العربية لا مع السنة المروية عن رسول الله بالتواتر . انظر ترجمته في غاية النهاية لابن الجزري ، الجزء الثاني ، صفحة 27 .

(12) ظنه الامام محمد بن علي بن محمد الشوكاني ابا السماك بالكاف والصواب ما اثبته في الحاشية اعلاه (انظر فتح القدير ، الجزء الاول ، صفحة 197) .

4 ـ خطوات بفتح الخاء والطاء عزاها ابن عطية فى تفسيره الى السمال ، ولادري من اي مصدر اخذ ذلك .

5 ـ خطوات بضم الخاء والطاء والهمزة ، قرا بهذا علي وقتادة والاعمش وسلام (13) وزاد ابن جني على هؤلاء القراء (14) « الاعرج وعمرو بن عبيد » (15) .

وتعرض كثير من المؤلفين الى تخريج هذه القراءات فقال ابو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (16) عن القراءة الاولى : « يقرا بضم الطاء على اتباع الضم الضم » (17) .

وقال الحسين بن احمد بن خالويه (18) محتجا للقراءة الاولى ايضا : « فالحجة لمن ضم انه اتى بلفظ انجمع على حقيقته ما وجب له لانه جمع خطوة ودليله قولهم: «وهم فى الغرفات آمنون» (19).

وخرج هذه القراءة ابن جني فقال : « ومن قرا خطوات بلا همز (20) فامره واضح ، وهو جمع خطوة ، وهي ذرع ما بين القدمين ، وهذا واضح » (21) .

ولم يهملوا القراءة الثانية التى قال عنها ابن خالوية : « والحجة لمن اسكن انه حقق الكلمة لاجتماع ضمتين متواليتين وواو ، فلما كانوا يسكنون مثل ذلك مع غير الواو كان السكون مع الواو لثقلها اولى » (22) .

وخرجوا ايضا القراءة التى انفرد ابو السمال ، وهي القراءة جعلتها ثالثة فى ترتيبي السابق . فقال ابن جني عنها : « واما خطوات فجمع خطوة ، وهي الفعلة الواحدة من خطوات وكغزوت غزوة ودعوت دعوة ، والمعنى لا تتبعوا خطوات الشيطان ، اي اثاره ، لا تقتدوا به وتقديره على هذا حذف المضاف . أي لا تتبعوا مواضع خطوات الشيطان » (23) .

كما يمكن ان نستنتج من قول العكبري انه لم يسمع بهذه القراءة ، او على اقرب احتمال يجعلها اكثر من شاذة حيث يقول . « ويجوز فى غير القرآن فتحها » (24) .

وتصدى ابن جني وحده لتخريج القراءة الرابعة ، فقال مقارنا معناها بمعنى القراءة الاولى : « واما خطوات (بفتح الخاء والطاء) (25) فجمع خطوة ، وهي الفعلة ، والخطوة (بضم الخاء) (25) ما بين القدمين والخطوات (بضم الخاء والطاء) (25) كقولك طرائق الشيطان ، والخطوات (بفتح الخاء والطاء) (25) كقولك افعال الشيطان » (26) .

اما القراءة الاخيرة المهموزة فقد نالت حظها من التخريج اكثر من غيرها . خرجها ابو الفتح عثمان بن جني بما عوهد فيه من الدقة والتحري ، فقال : « اما الهمز فى هذا الموضوع فمردود ، لانه خطوات لا من اخطات . والذى يصرف هذا اليه ان يكون كما تهمزه العرب ولا حظ له فى الهمز ، نحو

---

(13) البحر المحيط الجزء الاول ، صفحة 479 .
(14) انظر المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها .
(15) انظر ترجمته فى طبقات القراء لابن الجزري، الجزء الاول ، صفحة 602 .
(16) توفى سنة 616 هجرية .
(17) املاء ما من به الرحمن من وجوه الاعراب والقراءات فى جميع القرآن ، الجزء الاول ، صفحة 75 .
(18) توفى سنة 370 هجرية .
(19) الحجة فى القراءات السبع ، دار الشروق بيروت 1971 ، صفحة 68 .
(20) يقصد بلا همز فوق الواو وبضم الخاء والطاء، وهي قراءة الجماعة .
(21) المحتسب ، الجزء الاول ، صفحة 234 ، اول الصفحة .
(22) الحجة فى القراءات السبع ، صفحة 68 .
(23) المحتسب الجزء الاول ، صفحة 232 .
(24) املاء ما من به الرحمن من وجوه الاعراب والقراءات ، الجزء الاول ، صفحة 75 .
(25) الزيادة للايضاح من كاتب هذه السطور .
(26) المحتسب ، الجزء الاول ، صفحة 117 .

حلأت السويق وربات روحي بابيات ، والذئب يستنشيء ريح الغنم . والحمل على هذا فيه ضعف، الا ان الذي فيه من طريق العذر انه لما كان من فعل الشيطان غلب عليه معنى الخطا ، فلما تصور ذلك المعنى اطلعت الهمزة راسها » (27) .

وقال ابو حيان فى توجيهها : « فقيل الهمزة اصل وهو من الخطا جمع خطاة ان كان سمع والا فتقديرا وممن قال انه من الخطا ابو الحسن الاخفش. وفسره مجاهد خطاياه وتفسيره يحتمل ان يكون فسر بالمرادف او فسر بالمعنى . وقيل هو جمع خطوة ، لكنه توهم ضمة الطاء انها على الواو فهمز لان مثل ذلك قد يهمز » (28) .

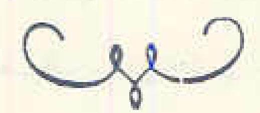
ولم يكن اختلافهم فى معناها باقل من اختلافهم فى قراءاتها . لقد احصيت لها تسع معان ، الخصها هنا ناسبا اكثرها الى شارحيها .

1 ـ خطوات بمعنى اعمال ، قاله ابن عباس .
2 ـ خطوات بمعنى خطايا قاله مجاهد .
3 خطوات بمعنى طاعات قاله السدي .
4 ـ خطوات بمعنى النذور فى المعاصي قاله ابو مجلز (29) .
5 ـ خطوات بمعنى ما ينقلهم اليه من معصية الى معصية استوعبها جميع المعاصي .
6 ـ خطوات بمعنى طرفه قاله الزجاج وابن قتيبة .
7 ـ خطوات بمعنى آثاره قاله المؤرج (30) .
8 ـ خطوات بمعنى محقرات الذنوب قاله ابو عبيدة .
9 ـ خطوات بمعنى زلاته قاله عطاء .

الدار البيضاء ـ د. التهامي الراجي الهاشمي

---

(27) نفس المصدر ، الجزء الاول ، نفس الصفحة.
(28) البحر المحيط ، الجزء الاول ، صفحة 479 السطر 19 .
(29) فتح القدير ، الجزء الاول ، صفحة 167 .
(30) فتح القدير فى نفس المكان ، وكذا تفسير الكشاف ، الجزء الاول ، صفحة 160 من اولها .





علاج فريد

للأستاذ محمد بخات

هذا الاسلام حرص على تحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن صيانة للمجتمع الذي يعيش في ظلاله من الابتذال ، ووقاية له من التردي في مهاوي الرذائل وحماية له من كل الموبقات الاخلاقية على اختلاف أنواعها التي كانت وما زالت هي السبب الاساسي الذي يقوض صرح الحضارة الانسانية ، فاهداف الاسلام الاولى تطهير المجتمع البشري من كل النقائص ، ومقاصده الاساسية نشر الفضائل بتشريعاته الحكيمة التي تحفظ النوع الانساني من كل تحون يناقض انسانيته وتقيه من كل تعفن لا يليق به .

وهو لكي يوجد هذا المجتمع الفاضل في عالم الواقع ، هذا المجتمع الاخلاقي الذي ينعم بالانسانية المتحققة التي تنأى عن كل تصرف حيواني وتبتعد عن كل سلوك بهيمي ، قدم هذا الاسلام شتى العلاجات الناجعة المستاصلة لكل الانحرافات التي تصيب الناس واوجد جميع الحلول لكل المشاكل التي يتعرض لها المجتمع البشري متى انحرف عن سبيل الله او اعرض عن وجهة الاسلام . ولعمري ان الفرق الوحيد بين انسان الجاهلية وانسان الاسلام يتمثل في أساسين جوهريين ما فتىء الصراع الدائم من اجلها بين المادية والايمان وهما : عبادة النفس التي ترمز الى انسان الجاهلية وعبادة الله التي تدل على انسان الاسلام ، فانسان المادية انما يعبد هواه ويتمتع بوحي من شيطانه ، لا يؤمن بمعنى للحلال والحرام في دنياه ولا يؤمن بوجود لهما في قاموس حياته ، لان الانسان حقيقة جده الاعلى القرد كما تقول نظرية (1) (داروين) ! فهو والحيوان شيآن ، لسان واقعه يردد بايمان قول الشاعر الضال في الانسان :

هو القرد وابن القرد والقرد جده
فلا خير في قرد تناسل من قرد

واذا كانت هذه عقيدة انسان الجاهلية الاخيرة ، وذلك ايمانه بحقيقة الانسان فلا خير فيه ولا حياة له، وهو خليق دون ريب بأن ينطبق عليه وعلى امثاله من الجاهليين قول الله : (ارايت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا . ام تحسب ان أكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا) .

اما عن انسان الايمان فيعبد ربه ويعيش بوحي من قرآنه ويصور نفسه بمبدا : (واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى) ، (قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها) .

---

(1) هذه النظرية قال عنها أحد المعاجم العلمية بأ نها « **نظرية قائمة على تفسير بلا برهان** » عن كتاب (الاسلام يتحدى) لوحيد الدين خان ، صفحة : 67 .
وقالت عنها (بروتوكولات حكماء صهيون) ترجمة محمد خليفة التونسي ، ط 1951 ، صفحة : 70 (لا تتصوروا ان تصريحاتنا كلمات جوفاء . ولا حظوا هنا ان نجاح داروين وماركس ونيتشه قد رتبناه من قبل . وان الاثر غير الاخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الاممي (غير اليهودي) سيكون واضحا لنا على التاكيد) .

وانسان الايمان هذا يؤمن عن عقيدة صحيحة بحقيقة الانسان من القرآن الذي جعل له كل التكريم وانعم عليه بكل التفضيل :

(لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ...) .
(ولقد كرمنا بني آدم ...) .

وبهذا المفهوم الصحيح وبهذا المبدأ الاصيل يؤمن المسلم باصالة الانسان ويهتدي لحقيقة الفرق بينه وبين الحيوان على ضوء :

اقبل على النفس واستكمل فضائلها
فانت بالنفس لا بالجسم انسان

وهكذا فانسان الاسلام يعيش بنجوة مما لا يليق بفطرة الانسان ولا تقره مبادىء هذا الدين ، لانه يؤمن بان نظام الاسلام الصالح للعمل به في كل مجال من مجالات الحياة هو الحل الوحيد والدواء الفريد الذي تتجلى فيه كل حقائق الخير الشاملة .

ففي نظام الاسلام يكمن السر الالهي الذي يمكن به تحقيق البشرية العاقلة ، البشرية الراشدة التي تعرف أدوارها المخططة في هذه الحياة ، وبحقق السيادة لها كما اراد رب العزة في حدود المعقول من اجل اسعاد الكل وفي سبيل مصلحة الكل . وهذا الاسعاد الكلي للجنس البشري انما تحقق وبتحقق بطريقة الاسلام التي يجب ان تطبق في معترك الحياة لصالح مصير الانسان ولديمومة سعادته ، فهي الطريقة التي حافظت على حقيقته وصانت فطرته وحققت بشرية هذا الانسان الذي يدرك ماله وما عليه ، والذي يحيا بمبدا لا افراط ولا تفريط ، ولا ضرر ولا ضرار ، ولا فساد ولا افساد في ظلال هذا الاسلام .

هذا الاسلام الذي دعا الى مكارم الاخلاق ، وحض على احسن الآداب ، وحبب كل الفضائل ، ونفر من كل الرذائل تحقيقا للكمال والامتياز الانسانيين .

وهذه شهادة حق ، ودليل انصاف لمفكر غربي وهو (سديو) يشيد بقيمة الاسلام وينوه بفضائله المتميزة النابعة من تعاليم القرآن ، يقول ، « ما فرط القرآن في شيء من تلك الآداب التي قوامها الحكمة ، واساسها العدل والاحسان ، وغايتها قصد سبيل الحق والصد عن محجة الضلالة والخروج من ظلمات الرذائل الى انوار الفضائل والتطهر من شوائب النقص والتحلي برتبة الكمال (2) » .

تلك شهادة من بلاد الغرب تعبر أصدق تعبير عن آداب الاسلام وتدل على اخلاق القرآن التي ترمي لخير الانسان في كل زمان ومكان ، فليتمعنها المحسوبون على الاسلام وليستغربها دعاة التغريب وحماة التقليد وعبيد الغرب الذين يجهلون دينهم قصدا ويتجاهلون عمدا كل ما يمت اليه بصلة او يدل عليه .

ان هذا الدين اهاب بكل مسلم الى اجتناب الفواحش بل رباه على الابتعاد عن المحرمات ، لان فعلهما يصمان خصيصة الانسان الادراكية التي تميزه عن سائر المخلوقات ، فالتورع عن ارتكاب او اقتراف النواهي يجعل الانسان صاحب الجدارة لتحقيق وجوديته الفاضلة .

ولكي تتحقق هذه الوجودية المقبولة التي تعيش بالتقوى لا الفوضى في عالم المسلم ، لا بد من اتباع هدي النبوة المبين لنهج القرآن الذي ضمن له حياة سعيدة وعيشة راضية لا تعرف التلوث من اي صنف .

فلحظر الفواحش التي كانت منتشرة ومتأصلة في المجتمع الجاهلي لبلاد العرب او في اي مجتمع تسوده جاهلية او يعيش في جاهلية ، اتخذ الاسلام طريقة سد الذرائع التي تؤدي اليها او تقرب من الوقوع في شراكها ، لان الاسلام الذي يرى ضرورة تشبث الناس بالفضائل ليحيوا حياة طيبة ، رسم لهم الطريق لتلك الحياة بواسطة امتثال الاوامر واجتناب النواهي لكون صلاح العباد لا يتحقق في عالم الاسلام الا بامتثال تلك الاوامر ، واصلاحهم يكمن في طريقة الاسلام لمعالجة اي انحراف من الانحرافات البشرية بالتي هي أحسن ، لان الله الحكيم الخالق الرحيم خالق الانسان يعلم ما فيه خيره وشره ، لذلك دعاه وهداه لفعل ما فيه فضائل ورباه على نبذ ما فيه رذائل .

وبما ان الفواحش رذائل فقد حرمتها شريعة الاسلام فكانت منها فاحشة الزنا التي لا تليق بانسان له عقل يستعمله في دروب الحياة ويسير على ضوئه في عالمه الدنيوي فيفعل ما يرضي الرب ويجتنب ما يغضبه .

ولكن بما ان هذا الانسان لا يتصف بالكمال رغم خصيصة العقل التي له لانه يخطىء ، وهذا الخطأ الذي يصدر عنه يدل دلالة قاطعة على عجزه وضعفه ، ولهذا فهو لن يستطيع صمودا في الحياة ولن يحظى بتوفيق لخير بدون تأييد وتوجيه له من خالقه .

---

(2) عن (الجواهر الروحية) جزء 1 ، ص : 68 .

بسبب هذا الضعف الانساني : (وخلق الانسان ضعيفا) تداركت الرحمة الالهية والعناية الربانية هذا المخلوق بكتاب يهديه سواء السبيل :

(ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) .

قرآن انزل ليكون دستور الانسان فى حياتــه الدنيوية لا يحيد عنه ولا يميل الى غيره ، بعث به محمد ابن عبد الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله الى الناس طبيب البشرية الاول بتعليماته الحكيمة التي تشمــل علاجات فريدة لا دواء النفوس وامراض العقول .

فهذا الرسول عليه الصلاة والسلام من يتدبــر توجيهاته العلاجية يراها تتميز بالحكمة التى تقضـي على تشكك المتشكك وتردد المتردد وتحير المتحير وتنكر المتنكر لانها حجة دامغة تمتاز بالمعرفة الشاملة لاغوار النفس البشرية ، فهي فى رفق وبتوفيق اتت لها بالحلول الجذرية لمشاكلها المستعصية .

وموقف القرآن ورسول الاسلام من فاحشة الزنا هو التحريم والتنفير منها والبعد عنها والتخلي عن كل وسيلة تقرب منها او تشجع عليهــا ، قال تعالـــى : (ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا) . فهو موقف صريح لانها فاحشة تذهب بكرامة مرتكبهـا وتقضي على سمعة ضحيتها وتسبــب من الامراض الخطيرة وتجعل الانسان فى شهوانية بهيمية تفســد وتصيب غريزته التي يتحتم عليه ان تكون مهذبة .

وحرص رسول الله على خير امته ، وحبه لهــذه الامة ، واهتمامه بها حيلولة للعنت ، واخلاصــه فى النصح لها ، وتفانيه فى التوجيه من اجلها ، وتماديــه فى التنبيه على السر هو الذي جعله ينظر من الزنــا كفاحشة ، وهو لمحاربتها وتطهير المجتمع منها يدلي بالكيفية القاضية عليها ، وحرصه الفريد هذا يدل بحق على رحمته بامته وصدق الله :

(لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم . . .)

فهو صلى الله عليه وسلم يؤلمه ما فيه مشقة أو عذاب المؤمنين به ويعز عليه اصابتهم بمحنة أو شــر ولذلك فهو كما وصفه رب العالمين :

(. . . بالمؤمنين رؤوف رحيم) .

وامته صلى الله عليه وسلم فاقت كل رأفة عرف بها نبي بشر ، ورحمته بذت كل رحمة اشتهر بهارسول انســان .

وصفة الرحمة التي تأصلت فيه تدعو الى التأمل باعجاب ، وصورهاالفريدة ومظاهرها المتنوعة تحفز الى الاقتداء بصاحبها عن حب فى الله وطاعة لله .

ما فائدة لذة عاجلة تعقبها ندامة؟ وما الفائدة من هذه الجريمة التي تجعل الانسان والحيوان فى درجة واحــــدة ؟ !

لم هذا التصرف الاخرق من انسان يفعل الحرام ويترك الحلال ؟ لم هذا التردي الى مستوى اللامبالاة بكل فضيلة والكفر بالقيم الاخلاقية ؟

او فكر الانسان المرتكب لفاحشة الزنا فى شرف العائلة وكرم السيرة وصيانة العرض وحسن الاحدوثة، أليس يدسها ويحرص على الاتصاف بما فيه الشرف؟ فالاولى له ان يريده لكل فرد من اسرته المسلمة ، وما اسر الامة الاسلامية الا أفراد وما المؤمنون الا اخوة . تمين به ان يحب لاخيه فى الدين ما يحب لنفسه ليكون كامل الايمان ، جدير به ان يريد لغيره ما يريد لنفسه من الاخلاق ، الكريمة والصفات الحميدة ، فهو كمـــا يحرص على شرف اسرته الصغيرة يجــب عليــه ان يحرص على اسرته الكبيرة ، فلا يريد لها الشر كما لا يريده لنفسه ، وكما لا يريد الاعتداء على كرامته لا يريده لغيره من المسلمين .

وبهذه الطريقة : طريقة التقبيح والتشنيع ، طريقة التشخيص للداء والتدليل على الدواء يجــد الرسول الاعظم الحل الناجع لفاحشة الزنا ، فهو حل عجيــب وعلاج فريد وجه به النبي الحكيم شابا وأرشده اليــه فكان مقتنعا له منفرا منها فعاش لا يفكر فيها ولا يدنو منها لانها لا تليق بانسان الاسلام المهذب الفطــرة ، المقوم الغريزة ، المستقيم الوجهة . فهو خلق لغايــة سامية ليبقى فى عالم البشرية المكرمـــة المصـــون بالتعاليم الاسلامية ، فكيف ينسى خصائصه ويضيع مقـوماتــــــه ؟

يقول رسول الله ــ وهو يخاطب الشاب المحتاج للعلاج الراغب فى الصلاح ــ فى الحديث الذي رواه ابن جرير عن امامة ان غلاما شابا أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو جالس بين أصحابه وقال : يا نبي الله اتأذن لي فى الزنا ؟ فصاح فيه النــاس ، وارادوا أن يتناولوه بالاذى ، فقال صلى الله عليه وسلم : قربــوه مني ، وصار يقول له : ادن مني ، حتى جلس بيــن يديه ، فقال له صلى الله عليه وسلم : هل تحب ذلك لامك ؟ فقال : لا ، جعلني الله فداك . قال صلى الله

عليه وسلم : كذلك الناس لا يحبونه لامهاتهم . ثم قال : اتحبه لابنتك اذا كانت لك ابنة ؟ قال : لا ، جعلني الله فداك . قال : كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم .

ثم قال : هل تحبه لاختك ؟ قال لا ، جعلني الله فداك . قال : كذلك الناس لا يحبونه لاخواتهم . ثم قال : اتحبه لعمتك ؟ ، قال : لا ، جعلني الله فداك .

قال : كذلك الناس لا يحبونه لعماتهم . ثم وضع صلى الله عليه وسلم يده على صدر الشاب وقال : اللهم طهر قلبه ، واغفر ذنبه ، واحصن فرجه .

قال القلام : فلم يكن شيء بعد ذلك ابغض الي من الزنا (3) .

الرباط ـ محمد ابراهيم بخات

(3) حديث رواه الامام احمد فى مسنده باسناد جيد ورجاله رجال الصحيح .

تصحيح تاريخ

جاء فى المقال النفيس المنشور بالعدد السابق من دعوة الحق عن الثقافة العربية المعاصرة فى الشمال للدكتورة آمنة اللوه ، بخصوص جريدة «اظهار الحق»، انها صدرت فى طنجة سنة 1904 وهذا التاريخ غير صحيح ، فان الجريدة المذكورة انما صدرت فى ظل النظام الدولي سنة 1925 وكان مديرها هو اندري بيير مدير رصيفتها الفرنسية «لاديبيش ماروكان» ، أما محررها فهو السيد ابو بكر ابن عبد الوهاب الى ان توفى سنة 1930 فتولى تحريرها السيد محمد الحداد لمدة قليلة ثم احتجبت .

قاريء مطلع

فذلك ان لم يكن بك غضب علي

للاستاذ
محمد بن محمد التطواني

عاد رسول الرحمة صلوات الله وسلامه عليه من غار حراء يحمل الى الخلق فيضا من الهداية والنور ، بعد ان غرق العالم فى بحر من الظلام والضلال ، عاد حاملا معه الى الانسانية كلها مفتاح العلم والاصلاح ، ذلك المفتاح الذى اقتحم به اقفال القلوب والعقول فابصرت طريق الله واضحة المعالم لا امت فيهاولا عوج ، بعد ان مر على الانسانية دهر طويل وهي تتخبط فى ظلمات الجهل حائرة تائهة .

رجع رسول الله الى بيته وفؤاده يرتجف من شدة وقع ما سمعه ورآه فاخذ ينادي من فى البيت قائلا : دثروني ، دثروني . دثروني ، دثروني . ولكن الرسالة العظيمة التى جاء بها هذا النبي الكريم لاصلاح ما فسد من امر الناس ما كانت لتظل تحت الغطاء كامنة مستترة ، انها رسالة الله ، ولابد لهذه الرسالة ان تبلغ قصدها واهدافها كما أراد لها الله ذلك ان تكون خالدة باقية ما دام فى الوجود معنى الخلود والبقاء .

فى غمرة تلك التجليات التى لا تدرك كنهها عقولنا الضيقة مهما رحبت آفاقنا واتسعت مداركنا، وفى خضم ذلك التجاوب بين الحقيقة الالهية المتجلية فى معنى الربوبية وبين الحقيقة المحمدية الخاضعة فى معنى العبودية كان رسول الله يتلقى الامر بتبليغ الرسالة والنهوض بالدعوة .

يا أيها المدثر قم فانذر

احس رسول الرحمة بعبء ما هو مقبل عليه وبجسامة الامانة التى اختاره الله سبحانه لحملها وتقلدها فرفع الغطاء ، فاذا النور الذى جاء به الى العالمين ينكشف ، انه الحقيقة المحمدية جاءت الى الانسانية لترفع مستواها وتنتشلها من الاوحال التى انحدرت فيها وتردها الى المكانة اللائقة التى اختارها الله سبحانه وتعالى لهذا الانسان والتى من اجلها اسجد ملائكته لهذا المخلوق .

نهض رسول الله من فراشه وقد حفظ قلبه ووعى عقله امر الله اليه فاخذ يردد قوله تعالى : « يا ايها المدثر قم فانذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجس فاهجر » . واستعرض الرسول امام عينيه احوال هذا العالم فاذا هو مسربل بالخطيئة الى اخمص قدميه وماجت فى نفسه الشريفة خواطر ادرك بعدها ما هو مقبل عليه من اهوال وما سيتجشمه من مشاق ومحن فى سبيل تبليغ اوامر ربه ، وتهيب الموقف حتى اخذ جبينه يرفض عرقا ، واشفقت ام المؤمنين خديجة رضي الله عنها على زوجها ورقت احاله ورجته فى كلمات تفيض عطفا وحنوا أن يعود الى فراشه ليلتمس تحت دفء الدثار هناء البال وراحة الجسد ، وكيف السبيل الى ذلك وصدى الوجود ما يزال يردد فى مسمع الرسول الاكرم : « يا ايها المدثر قم فانذر » فاية راحة

يلتمسها بعد امر الله واي نوم يحلو له بعد الذى سمع ورأى . لقد اختاره الله سبحانه ليكون مخلص الانسانية من ربق الشرك وعبادة الاوثان ، وادرك نبي الله هذا الاختيار وشرف هذه المهمة رغم اعبائها واثقالها وما سيعترضه فى سبيل الصدوع بها من شرور ومكائد ، فاجاب زوجه قائلا : « انقضى يا خديجة عهد النوم والراحة ، فقد امرني جبريل ان انذر الناس وادعوهم الى الله والى عبادته . فمن ادعو ؟ ومن ذا يستجيب ؟ » .

وداعا يا عالم الهدوء والراحة الى غير رجعة ، فلن تغمض لرسول الله عين حتى يبلغ امر الله مبلغه مهما كلفه ذلك . فلقد مر على هذا الكون دهر طويل وهو مرهف السمع عبر الحقب المترامية ينتظر بزوغ الحقيقة المحمدية من عالم البطون ، الى عالم الظهور وها هي اليوم اجرام السماء تردد فى رحاب الفضاء الشاسع جاء الحق وزهق الباطل ، ان الباطل كان زهوقا .

نظر رسول الله من حوله فاذا العالم غارق حقا فى بحر الخطيئة ، خطيئة الشرك ، فهاهم قومه قد استعبدهم الشيطان وسول لهم واملى حتى جعلوا من هذه الحجارة اصناما يعبدونها ويتقربون بها الى الله زلفى يتمسحون بها تارة ويتزلفون اخرى ، وهي على ما هي عليه من جمود وعجز لا تملك لهم ضرا ولا نفعا ، وكأني بها في وقفتها تنظر الى من حولها فى اسى ورثاء وتجار الى الله متبرئة من هذه المخلوقات التى ارغمت نفسها على ان تهبط حتى على مستوى الحيوان ، هذا الحيوان الذى لن يتردد فى ان يبعر امامها اذا ما حس بالحاجة الى ذلك ، ذلك لانه لا يفرق بين هذه التماثيل وبين اية ربوة مرتفعة .

وكأني برسول الله يردد مع نفسه فمن ذا أدعو؟ ومن ذا يستجيب ؟ ولكأني بك تفهم قصده ، وتسبر غور مرماه والعالم الذى يحيط به قد اعماه الشيطان من فوقه الى تحته .

وصدع رسول الله بامر ربه لان العالم بهذا الامر سيستقيم ، وكان سلاحه الذى تزود به هو اتكاله على ربه فهو له خير معين ونصير ، فلن تخيفه بعد اليوم تهديدات قومه واصرارهم على قتله اذا هو لم يقلع عن اذاية تلك الاحجار التى عبدوها وانزلوها منزلة الاله وجعلوها مصدر شقائهم وسعادتهم .

وعرض رسول الله على الناس عبادة الخالق جل شانه فآمن من كانت نفوسهم مهياة لهذا الايمان ودخل فى دين الله من كان يرى فى شخص الرسول النبراس الذي ينبغي ان يقتدي بسناه ويستضاء بنوره ذلك لانه صلى الله عليه وسلم جمع من صفات الجمال والكمال ما لا يدع الشك يتطرق لدى عقل حصيف فى صدق قوله وفعله ، وكيف لا ؟ وهو المعرف عند الجميع بالامين ، وناهيك بهذا الوصف الذى تلتقي عنده صفات الشرف والكرامة وتنضوي تحت مفهومه كل معاني النبل والشهامة .

لقد كان فى الازل امين الامم كلها على اختلاف اجناسها والوانها والسنتها ، وبذلك سبقت صفة الامانة بعثته الى الناس كافة وكان بحق جديرا بهذا الوصف الذى نالمن بركته الكون كله ، كيف لا ؟ وما سكن عرش الرحمن من هيبة الجلال الالهي الا بذكر اسمه صلى الله عليه وسلم .

سارعت زوج الرسول الاكرم بالدخول فى الاسلام دين السلام والمحبة والوئام ، فلقد عرفت فى زوجها وهي انوط الناس بقلبه واعلم من غيرها باسراره وبواطن نفسه وصدق قوله ، فما جربت عليه ما يدعوها للتشكك من صدق دعوته فآمنت دون تردد او تلكؤ وسجلت بذلك اروع صفحة من تاريخ المراة المسلمة ، وتلاها فى الاسلام الامام علي كرم الله وجهه فكانت هي اول من آمن من الصبيان وانطلقت الدعوة الاسلامية من هذا البيت الطاهر بعد ان آمن كل افراده بدين الله الخالد .

عقبات فى سبيل الدعوة :

لم يكن الطريق مفروشا بالورود امام الدعوة المحمدية منذ الوهلة الاولى فبمجرد ما اخذ الرسول الاكرم ينادي فى الناس ان آمنوا بربكم وبرسوله حتى تجمهر الناس من حوله وفيهم سادات قريش واشرافهم من سدنة الاصنام وعبدة الاوثان وقد هالهم ما سمعوه فاخذوا يتهددون بصاحب القول ويتوعدون هذا الداعي الكريم يتوعدونه ويستنكرون عليه قول كل ذلك ورسول الله لا يبالي بوعيدهم ، وكما طرقوا الباب على عمه ابو طالب يطلبون منه ان يكف عنهم ابن اخيه هذا الذى عاب آلهتهم وسفه احلامهم ، وفرق جماعتهم ، وسب دينهم ، وضلل آباءهم ، فهذا جمع من كفار قريش برئاسة ابي جهل يتوجه الى دار ابي طالب وفيهم عتبة وشيبة وابو

سفيان وابو البختري العاص بن هشام ، والاسود بن المطلب والوليد بن المغيرة وآخرون ، حتى اذا اجتمعوا بابي طالب قالوا : (1) « ان ابن اخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا ، وسفه احلامنا وضلل آباءنا ، فاما ان تكفه عنا ، واما ان تخلي بيننا وبينه فانك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيه ! » . فردهم ابو طالب ردا جميلا .

ولكن الرسول الكريم لم تكن لتثنيه هذه الضغوط عن مواصلة الطريق ، وما زاده اذى قومه له ، الا عزما وحزما ، فكان لا يجد الفرصة الا ويغتنمها لبث دعوة ربه غير هياب اذى قومه وتربصهم به الدوائر .

وزاد غيظ قريش وغلى في صدور كفارها حنقهم على هذا الرسول الذي لا تردعه الروادع ولا تحول دون دعوته الحوائل ، فكرروا المسيرة الى عم الرسول ، وكانوا فى هذه المرة اغلظ قولا واشد عبارة فماذا قالوا : « قالوا يا ابا طالب ان لك سنا وشرفا ومنزلة فينا وانا قد استنهيناك من ابن اخيك، فلم تنهه عنا ، وانا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه احلامنا، وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا او ننازله واياك ذلك حتى يهلك احد الفريقين — او كما قالوا — ثم انصرفوا عنه فعظم على ابي طالب فراق قومه وعداوتهم فلم يطب نفسا باسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خذلانه » .

فلما رجع رسول الله الى البيت اخبره عمه بما عزم عليه كفار قريش وقال له : « ابق علي وعلى نفسك ولا تحملني من الامر ما لا اطيق » . فأجابه رسول الانام: «يا عم والله لو وضعوا الشمس فى يميني والقمر فى يساري على ان اترك هذا الامر حتى يظهره الله او اهلك دونه ما تركته » . وذرفت عينا رسول الله دمعا ، وما اطهره من دمع جرت به مقلتا الرسول الكريم فى مناسبات كثيرة تثير الكوامن والدموع جميعا .

واثر مظهر الرسول الاعظم فى نفس عمه فما تركه يخرج حتى ناداه بقوله « يا ابن اخي اذهب فقل ما احببت فوالله لا اسلمتك لشيء ابدا » .

وكان عزم عبد المطلب على نصرة ابن اخيه مثار حرب على هذا البيت واصحابه واتباع النبي الكريم واشياعه وانصاره ، ولاقى المسلمون رضوان الله عليهم صنوفا من التعذيب والتنكيل والتشريد والتقتيل فما وهنوا لما اصابهم فى دين الله ، وما ضعفوا وما استكانوا، فطوبى لمن ملأ حب الله قلبه وجوارحه فلم يعد يرى فى الوجود سوى الله.

هذا بلال مكبل بالسلاسل تلفح اشعة الشمس جسمه النحيل والصخر على صدره جاثم ، وليس بينه وبين الخلاص مما هو فيه الا كلمة يقولها فى محمد ودينه ، ولكن وقع الايمان فى نفسه كان اعمق مدى من هذه الجروح واكثر نفاذا فى جوارحه وكيانه من اشعة هذه الشمس المحرقة واضح فى قلبه من آثار هذه السياط على جسمه وآخرون من المسلمين واخريات باعوا النفس من الله فما رجعوا فى بيعهم الذي باعوه ، وكانوا بما اشتروهم بهذه الانفس خيرا لهم وابقى .

ان الله مانع اباك :

وجد اعداء الاسلام ودعاة الضلال فى وفاة ابي طالب عم الرسول الفرصة السانحة للنيل من حبيب الله صلوات الله وسلامه عليه ، ولم يعد يمنعهم عن مجابهة الرسول مانع ، فبينما رسول الله فى طريقه الى البيت اذا بأحد سفهاء قريش يعترضه ويضع التراب على راسه ووجهه كل ذلك ورسول الله لا يحرك ساكنا ، فلما دخل بيته وابصرت ابنته فاطمة رضي الله عنها من حاله ما ابصرت اقبلت عليه تمسح وجهه الشريف وراسه ، وتحركت فى نفسها عواطف عميقة فاستعبرت .

دموع اثارتها فى نفسها حالة ابيها الذى فقد بالامس نصيرين كان يأوي اليهما كلما اشتد عليه الوعيد وكثر التهديد ، زوجه ام المؤمنين خديجة رضي الله عنها ، وعمه ابو طالب ، وها هو اليوم امام الاعداء المتربصين به وجها لوجه ، تراهم ما عساهم صانعون به ؟ انهم لن يتورعوا فى الحاق الاذى به ما وسعهم الجهد ، او يتركهم وما يعبدون.

الا ما اشد وطاة العمى على القلوب التى استوت امامها الانوار والظلم وفقدت حاسة التمييز بين صوت الحق والباطل حتى حسبت الباطل حقا ينتصر زيفه والنور ليلا يطول ظلامه . وادرك الرسول

(1) البداية والنهاية لابن كثير ج 3 .

الكريم ما يجيش فى صدر ابنته فجعل يقول لها : « اي بنيه لا تبكين فان الله مانع اباك . » ويردد بين ذلك « ما نالت قريش شيئا اكرهه حتى مات ابو طالب ثم شرعوا » .

كلمات كانت كافية لتهدئة روع ابنته التى اصبح فؤادها يهتز خوفا على ابيها بعد ان فقد المدافع والنصير .

ان الله مانع اباك ، قالها الرسول الاعظم لابنته ليدفع عن نفسها كابوس الخوف والوجل ، وان كان هو عليه الصلاة والسلام يعلم علم اليقين ان عناية الله به لم تغب عنه طرفة عين وان حرص الله لم يفارقه فى الحل والترحال ، وما كانت كلماته عن عمه الا حفظا لجميل حركته الاحداث فى نفسه الشريفة واملتها عليه مواقف عسيرة كان عمه ينتصر فيها اليه ويذود عنه وكيف ينسى فضل عمه ، وهو ما يزال يتذكر منذ الامس القريب كيف منعه عمه من سفهاء قريش الذين جاءوا يحملون اليه فى افئدتهم كل انواع الشر والاجرام ؟؟!!.

وهاهم اليوم سفهاء قريش يتحينون الفرص وهم يحسبون ان الجو خلا لهم وان الفرصة مهيئة للنيل من خير البشرية بكل ما يملكون من وسائل، وكم صبر رسول الله على اذاهم فما وهن لما اصابه فى دين الله وما زاده اذاهم الا مضيا فى الطريق الحق التى رسمها للانسانية بوحي من الله ورضوان .

فى تلك لساعات التى كان فيها الرسول الاعظم يعرض دعوته على كل من يلقاه كان سفير الشيطان وراس الكفر ابو جهل يقتفي خطاه فى كل مكان يكذبه ويكبته ، وكم حرض عليه السفهاء واغوى به الانذال يسبونه ويشتمونه ، وكم جاؤوه وهو مستغرق فى صلاته ووضعوا على راسه الشريف سل الجزور فما استطاع من قيام من ثقل ما وضعوه حتى تاتي ابنته فاطمة فتطرح ذلك عنه ، وكم بلغت سفاهة ابي جهل ذروة الانحطاط والخزي فيقبل على رسول الله وهو ساجد لربه فيرفع رجله ليطأ بها عنق رسول الله فتحول قدرة الله بينه وبين ما يريد فيحجم عن فعلته وقد ملك قلبه الوجل ويولي خائفا مذعورا ، ترى ماذا حدث ؟ وما الذى رآه ؟ ومن حال بينه وبين تنفيذ ما كان يبغيه من شر مستطير .

وكم تطاول السفهاء على رسول الله حتى مسكوا بخناقه عليه الصلاة والسلام وكادوا ان يقتلوه فيقوم ابو بكر رضوان الله عليه يدفعهم عنه وهو يقول : « اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم »

رسول الله فى الطائف :

ضيقت قريش الخناق على رسول الله وتمادوا فى اذائهم لنبي الله فخرج الى الطائف يلتمس فى اهل ثقيف النصرة والمنعة حتى اذا لتقى بنفر منهم وفيهم عبد ياليل ومسعود وحبيب بن عمرو بن عمير وهم اخوة ثلاثة عرفوا فى قومهم بالسيادة والشرف فعرض عليهم رسول الله دعوته ودعاهم لنصرة دين الله وشد ازره ، فأجابه اولهم : « هو يمرط ثياب الكعبة ان كان الله ارسلك ، وقال الثاني : اما وجد الله احدا ارسله غيرك ؟ ونطق الثالث فقال : ولله لا اكلمك ابدا لئن كنت رسولا من الله كما تقول لانت اعظم من ان ارد عليك الكلام ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك . فتركهم رسول الله وهو يقول : « ان فعلتم ما فعلتم فاكتموا علي ، وخشي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعلم قومه ما لقي فى ثقيف فيشمتون به ويزيدون فى التضييق عليه .

ولم يبرح رسول الله مكانه حتى اجمع هؤلاء الثلاثة عبيدهم وسفهاءهم يسبون حبيب الله ويشتمونه ويصيحون به وينهرونه ، واجتمع رهط من ثقيف فكانوا صفين ورسول الله بينهم قد احاطوا به واخذوا يقذفونه بالحجارة ، وكلما خر من الجهد اقاموا حتى ادمت قدماه الشريفتان فلم يعد يقوى على الوقوف ، كل ذلك وهو صابر متجلد ، صبر المؤمن الواثق بربه وما انصرفوا عنه حتى الجاوه لحائط عتبه ابن ربيعة وهناك تركوه ورجعوا ، تراهم بما رجعوا ، لقد عادوا يحملون فى احضانهم لعنة الوجود ، وبقي سيد الوجود مع ربه تنطق دماؤه بما فعل به سفهاء اهل ثقيف .

نفسي فداك يا رسول الله وفداك الوجود كله، ولهفي على ما اصابك فى سبيل ربك من اهوال وما تجشمته فى سبيل امتك من مشاق واتعاب وانت بما بذلته لا تبغي الا سعادة الخلق ، تلك السعادة التى تتراءى للانسان وقد اخذ النور يسري فى كيانه، انه نور الايمان الذى عرفنا به طريق الصواب واهتدينا به الى عبادة الله دون سواه ، فبم قابلك

قومك وقد جئتم بسعادة الدارين وحملت لهم فيما حملت النجاة التى لن يجدوها الا فى اقتفاء تعاليمك ونهج سبيلك ؟؟!

اطمان رسول الرحمة على نفسه فرفع راسه الى السماء وقد حز فى نفسه ان يلقى فى ثقيف ما لقيه من قومه من اعراض عن الله واصرار على الضلال وجاشت فى كيانه الشريف كوامن التعلق بالله ففاضت عينه وانطلق لسانه بهذه الكلمات :

اللهم اليك اشكو ضعف قوتي وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين انت رب المستضعفين وانت ربي الى من تكلني ؟ الى بعيد يتجهمني ام الى عدو ملكته امري ، أعوذ بنور وجهك الذى اشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والآخرة من ان ينزل بي غضبك او تحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى لا حول ولا قوة الا بك » .

فى ذلك الموقف العصيب الذى تمتحن فيه النفوس وتتمحص الارادات ، كان الرسول الاكرم قد تجاوز بايمانه حدود الالم الحسي فاذا لسانه ينطق بعميق ايمانه بربه وثقته بخالقه الرحيم واذا جوارحه الشريفة كلها تناجي من يعلم السر والنجوى فلم تخف عليه خافيه تشكو افتقارها اليه وتستمطر رحمة من عمت رحمته الموجودات وشملت الكائنات، ذلك لانه ربها ومالكها والآخذ بناصيتها فهو القادر على ان يلبسها حلة الامان والاطمئنان وتتضاءل من فكر الرسول الاعظم كل هذه الاهوال التى لاقاها فاذا هي فى نفسه هباء ، واذا هي فى صحيفته عنوان من عناوين الطاعة والامتثال وشاهد على اضطلاعه بمسؤولية الامانة التى قلده الله وسامها منذ اختاره الله لشرف هذه المسؤولية العظيمة التى ما كان لاحد سواه ان ينوء بها .

ان كل آلام الدنيا تضيق وتتضاءل فى عين الرسول الاكرم حتى اذا هي لا شيء ثم اذا هو لا يرى فى هذا الوجود الا رضى ربه عنه ، فجميع الاحزان لا قيمة لها بالنسبة اليه ، وكل الاذى الذى يلقاه فى جميع خطواته من قومه لا معنى له فى نفسه ولا مدلول اذا كان ربه غير غضبان عليه .

ما أشرق هذا القلب العظيم الذى ملأت رحابه عظمة الله فلم يعد فيه حيز لمعنى التردد والخوف ، وما اكبر هذا النفس التى امتلأت بحب الله وجلاله حتى جرى بها هذا الحب معاني تنطق بتعلق هذه النفس بالباريء جل شأنه ، وما ارحب هذا الفكر الذى طمح الى الاعالي فلم تعد عوارض الدنيا تثنيه او توقفه امتداده ولا عوامل الشر ان تحد من مضائه وصموده .

وتتجه نفس الرسول الى الله كلية وهو فى غمرات التجليات القدسية وفيض الانعطافات السنية يملي قلبه على لسانه قوله اعوذ بنور وجهك الذى اشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والآخرة فاذا الرسول مسربل ببهاء هذا النور الطامي وقد اصبح لا يرى سوى سبائك هذا الاشعاع تضيء فى كل جنبات الكون فتكسب الوجود والموجودات خلقا ونظاما وابداعا وحسنا وجمالا ما عليها من مزيد .

وتطيب نفس الرسول الكريم بسمو هذا التجاوب وعميق هذا الخطاب ويتسيه سنا هذا النور ما لاقاه من سفهاء ثقيف من تنكيل واهانة لا يوقظه من عالمه الذى هو فيه سوى صوت عداس النصراني وقد جاءه يحمل له في طبق قطفا من عنب شهي ارسله اليه ابنا ربيعة عتبة وشيبة ، فيضع الرسول الطبق بين يديه ثم ياكل مبتدئا : باسم الله ، وينتهي الرسول الكريم فيسأله عداس قائلا : والله ان هذا الكلام ما يقوله اهل هذه البلاد الى ان انتهى الحديث باسلام عداس .

وتمضي حقبة من الزمن فاذا عائشة رضي الله عنها تسأل الرسول صلى الله عليه وسلم بقولها : « هل اتى عليك يوم كان اشد عليك من يوم احد ؟ » فتموج الذكريات ويستعرض الرسول شريط الماضي فيجيب عائشة رضي الله عنها قائلا : « ما لقيت من قومك كان اشد منه يوم العقبة اذ عرضت نفسي على ابن ياليل بن عبد كلال فلم يجبني الى ما اردت فانطلقت وانا مهموم على وجهي فلم استفق الا وانا بقرن الثعالب ، فرفعت راسي فاذا انا بسحابة قد اظلتني ، فنظرت فاذا فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال : ان الله قد سمع قول قومك لك ، وما ردوه عليك وقد بعث اليك ملك الجبال ، لتامره بما شئت فيهم ، ثم ناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد قد بعثني الله اليك ؛ ان الله قد سمع قول قومك لك وانا ملك الجبال قد بعثني اليك ربك لتامرني بما شئت ، ان شئت تطبق عليهم الاخشبين؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا » .

بهذه النفس التى امتلأت بكل معاني السمو كان رسول الله جديرا بان يكون حامل لواء الحمد يوم القيامة وسيد ولد آدم دون مزاحم ، وبهذا القلب الذى لا يعرف دواعي للانتقام كان خير البرية صلوات الله وسلامه عليه يعالج احوال امته ويطيب ما فسد من امرها ، وبهذه الصفات الجمالية الخالدة كان هذا النبي العظيم خير بشير واعظم نذير ، لان صفاته العظيمة شملت رحاب الوجود فما ضاق فيها شيء منه ولا وجدت هذه النفس الطاهرة الكريمة في رحاب الله ضيقا .

انها حلقة صغيرة من حلقات جهاده صلى الله عليه وسلم وهي على صغرها ترى فيها جوانب واضحة لامعة من عظمة هذا النبي الكريم . فكم في الوجود من ذرات لا تدركها عينك ما عرفنا اسرار عظمتها حتى كشف العلم عن مكنونها ، وما هذا الفصل الذى كتبناه الا ذرة من ذرات الكون الذى ارسى فيه الرسول الكريم قواعد الاصلاح والفضيلة، وهو بغير هذ الصلاح لن يستمر في الوجود .

في يوم ميلادك يا رسول الله يتذكر المؤمن جهادك وصبرك من اجل اعلاء كلمة الله لتبقى باقية وصبرك على ما لاقيت فيستمد من سنى سيرتك السنية اقبسة من النور تضيء له الطريق كلما اظلمت عليه الحياة واطبقت الشرور وتوالت الخطوب والاحزان فاذا هو باقتفاء آثارك والاهتداء بهديك والاقتداء بك يبصر موضع قدميه من الحياة ، واذا هو باتباع سنتك والتمسك باهدافك قد اجتمعت له اسباب الرضى ودانت كل عوالم الارض طائعة منقادة .

في يوم ميلادك يا رسول الله يهتز عرش كل ظالم غاصب لانك جئت الى هذه الارض لتمحو منها آثار الظلم والاغتصاب جئت اليها لتطهرها من دنس الجهل والضلال ولتعود بهذه المخلوقات الى منزلتها من العبودية والانابة للباريء جل شأنه ، وها هي اليوم قارات الدنيا ينطلق فيها صوت المؤذن بالآذان: الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله لا له الا الله ، محمد رسول الله . انها الكلمة الخالدة التى شاءت حكمة الله ان تبقى في هذه الارض حية بين البشر جميعا ، وهذه الكلمة هي ثمرة جهودك وصبرك يا رسول الله .

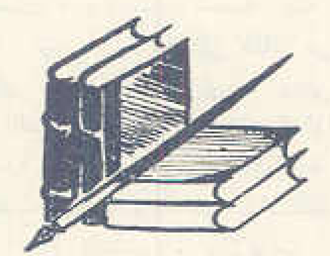
في يوم ميلادك يلبس هذا الكون حلة من الجمال المحمدي ، ذلك لان الله ارسلك اليه رحمة، وامانا للموجودات وها هو العالم اليوم يرفل في حلل هذه الرحمة التى وهبك الله اياها وخصك بها دون خلقه وها هي قلوب المؤمنين قد لامستها هذه الرحمة فنطقت بالصلاة والتسليم عليك لا تبغي من وراء ذلك الا ظلا تحت لوائك وشفاعة يوم لقائك .

سلا ـ محمد بن محمد التطواني

ابحاث ودراسات







حول المجاز في اللغة

للأستاذ عبد العلي الوزاني

الانسان من صنع اللغة ، بقدر ما اللغة من صنع الانسان . وفي الحياة اشياء كثيرة اخترعها الانسان ، ولكنها عادت فاخترعته هي بدورها . ومنها الفنون والآداب ، والاعراف والعادات ، والنظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية . الا ان اللغة تمتاز من اولئك جميعا ، بكونها تقوم منها مقام الاساس والقاعدة من البناء الشامخ الرفيع ، فمن معين اللغة تشتق الآداب وفنون القول ، وبوحي منها تتكون الاعراف والعادات ، وعن هذه الاخيرة تنبثق النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

اما كون اللغة من صنع الانسان ، فأمر مقبول بالبداهة ، الا انه يفرض بعض التحفظات . ذلك ان ظاهرة اللغة عند الانسان هي ظاهرة بيولوجية ، بمعنى انها من مقتضيات تركيبه العضوي والجسماني وما وجود اجهزة النطق لدى الانسان ، الا لتؤدي وظيفة لغوية حتمية ، ولهذا نشأت اللغة مع نشأة الانسان ، وكانت بالنسبة اليه كالتنفس او الشهيق او الزفير ، او ما الى ذلك من وظائف التركيب المادي للجسم البشري . وعلى ذلك يصعب القول بأن اللغة من صنع الانسان ، اذا نحن فهمنا من هذه العبارة ان الانسان وجد اولا ، ثم اخترع لغته التي يتحدث بها ، ويتفاهم بواسطتها مع من يتصلون به من افراد البشر . والاقرب الى الواقع وطبائع الاشياء أن نقول ان اللغة كانت في نشأتها الاولى من لوازم الوجود الانساني ، بحيث لا سبيل الى فهم ماهية الانسان ، دون ان تكون اللغة من صميم هذه الماهية . وهنا يحضرني تعريف الانسان من طرف الفيلسوف اليوناني القديم بانه حيوان ناطق . فهذا التعريف دلالة على اقتران وجود الانسان البيولوجي بوجوده اللغوي ، وعلى كون الوجود اللغوي من الآثار المباشرة للوجود البيولوجي في الواقع وفي التفكير الانساني القديم .

ثم بعد ان وجدت اللغة بوجود الانسان ، صادرة عنه كبعض وظائفه الطبيعية ، اخذت تتطور وتتشقق وتتنوع دلالاتها واصواتها ومقاطعها . فهل كان الانسان على وجه الحقيقة هو الذى دفع بها نحو هذه التنوعات عن وعي وبصيرة ، او ان ذلك قد حدث بنفس الطريقة التي كانت بها اللغة من لوازم وجود الانسان ؟ اغلب الظن ان هذه الاخيرة هي الصحيحة ذلك ان الانسان لم يبدأ في توجيه التطور اللغوي ، الا بعد ان استطاع تنظيم المعرفة . اما قبل ذلك ، فقد كان التطور اللغوي عشوائيا تلقائيا تتراكم اللغة بمقتضاه تراكم المساكن في مدن الانسان القديمة ، بمعنى ان عجلة التطور كانت تدور بالانسان لغة واجتماعا واقتصادا وفنا وما الى ذلك ، فلما نظم الانسان المعرفة ، اي تدخل في تقنينها وتقعيدها ووضع برامجها وطرق ايصالها الى الاجيال الناشئة، بدا يؤثر في تطور لغته ، اذ كان من الطبيعي ان يمسها هذا التنظيم ويؤثر في دلالاتها واساليبها وطرق استخدامها .

هذا ، ولقد كان ميلاد المجاز فى لغة الانسان، مبدأ تحرره نغويا واخذه بناصية الابداع والخلق فى اللغة ، مقرونا ذلك بالشروع فى تنظيم المعرفة ، حتى لنستطيع القول بأن ظهور عنصر المجاز فى اللغة ، من اخطر مراحل تطورها على الاطلاق . ذلك انه – اي المجاز – كشف عن عديد الامكانيات التى تحملها اللغة فى طبيعتها ، ورسم من دلالاتها ومفاهيمها وجعل منها مصدر ايحاء ، وخصوصا بالنسبة لذوي الاستعداد الفني ، واتاح للانسان فرصة التصرف فيها بالتوليد والاشتقاق والاختراع والابتكار ، وجعل منها – اي اللغة – مستودعا لتجارب الشعوب والمجتمعات ، يتضخم بتوالي العصور والاحقاب ، كما نوع من علاقة الانسان بالاشياء التي تحيط به، وهيأ المجال لاحلامه ووساوسه وخواطره ، ان تمرح فى حقل اللغة وتخلق عالما من الرؤى والصور ، ووسع من حرية الانسان فى علاقته بهذا العالم ، حيث كان قبل وجود المجاز مقيدا بالاشياء التى يلمسها ويراها ويحسها ، من حيث انها هي التي تحدد معاني الالفاظ التى يستخدمها فى اغراضه ومعاملاته ، فلما وجد المجاز انطلق من هذه القيود ، وتجاوز هذه الحواجز ، جاعلا من اللغة وسيلة للتعامل والتجاوب مع عوالم اخرى وراء المشهود والمحسوس ، فاتسع افقه الفكري ، ونشطت حياته الروحية ، وتحركت قواه النفسية والوجدانية لتخلق من اللغة كائنا جديدا يتفجر شاعرية ويضطرب بدوافع الحياة .

ولقد كان ظهور المجاز فى اللغة امرا لازما ، لان المجاز من طبيعة اللغة . ولا توجد لغة خالية من عنصر المجاز ، وربما كانت العلة الاساسية فى ذلك ، ان اللغة نشأت نشأة رمزية ، اذ لم يكن هناك ما يفرض ان تختص كلمة معينة بالدلالة على شيء معين فى الطبيعة ، او على معنى قائم فى النفس ، باستثناء الكلمات التى فيها حكاية صوتية لبعض الاشياء ذات الاصوات فى هذا الكون ، فتبع ذلك عدم التلازم المطلق بين الكلمات ومدلولاتها ، وكان ظهور المجاز مستمدا فى الاصل من طبيعة العلاقة المرنة المتطورة بين كيانات الالفاظ ، والمفاهيم والاشياء التي تدل عليها عند استخدامها . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى يلاحظ ان ظهور المجاز فى اللغة ، تأثر تأثرا كبيرا بكون اللغة كانت تتحمل العبء الاكبر فى التعبير عن مجموع المعاني والانفعالات التى يضطرب لها كيان الانسان . اذ هي وسيلة مباشرة ، وسريعة الاستجابة ، وصالحة للاخذ والعطاء التلقائيين ، الامر الذي اهلها لان تسعف الانسان فى قضاء جل حاجياته ، والتعبير الفوري عن انفعالاته ، ومن ثم كان من المحتم ان تنفلق اللغة وتتفجر ، نظرا لعبئها الثقيل ، فظهر المجاز كعرض من اعراض هذا التفجر وذلك الانفلاق . وهكذا اخذت المادة اللغوية تتمدد ، كما تتمدد الاجسام اذ تصهرها النار ، فاستعاض الانسان القديم عن ضآلة حصيلته اللغوية ، بالتنويع فى دلالاتها (1) ومعانيها والخواطر التي يستوحيها منها ، والصور والظلال التى يعبئها بها . وهذا شيء مدهش فى تاريخ التطور اللغوي ، وهو قد لا يبدو لنا مدهشا فى وقتنا الحاضر ، لاننا فتحنا عيوننا وعقولنا على لغة متكاملة فى مجازاتها ودلالاتها وطرق استخدامها . ولكن لو تمكنا من الرجوع بالخيال الى ماض سحيق ، لنتمثل الظرف الذى بدات فيه اللغة تخرج عن مدلولاتها الحقيقية، لتنصرف الى مدلولات اخرى مجازية ، لادركنا بوضوح خطورة المجاز ، والدهشة التى لا شك انها اخذت الانسان الذى عاش تلك المرحلة من حياة اللغة، وهو يجد الكلمات تخرج من شفتيه جديدة الدلالة ، وكانما طاف بها طائف من السحر !! بل ان شيئا من هذه الدهشة يأخذنا اليوم، عندما نصادف شاعرا معاصرا لنا يحدث ثورة فى اللغة ، فيجردها من دلالاتها المتعارف عليها حقيقة ومجازا ، ويديرها على معان اخرى لم يسبق لها ان استخدمت للدلالة عليها، مما يدخل فى باب المجاز الجديد ، الذى بدا يدخل عالم اللغة العربية فيقلبه راسا على عقب. واذا شئت امثلة على ذلك فدونك ادب السرياليين، واقرا شعر ادونيس الذى تفرد باستعمالاته الخاصة للغة ، مما اثار دهشة الكثيرين من قراء الشعر ، ودفع بعض النقاد الى مهاجمته .

وظهور المجاز فى اللغة مع ماتلاه بعد ذلك من تنظيم المعرفة ، قد مكن الانسان من مزاولة عملية خلق لغة داخل اللغة . فاذا فاته ان يخترع اللغة ولو فى صورتها البدائية القديمة، فانه يملك ان يتصرف فيها باستخدامها فى ضروب المجاز وانواع الدلالات . والامر يقع حتى بالنسبة الينا نحن اهل هذا العصر، وسوف يقع حتى للاجيال القادمة . ذلك اننا ناخذ عن المجتمع لغة جاهزة فى كلماتها ومعانيها وتراكيبها

(1) راجع (دلالة الالفاظ لابراهيم انيس)

وطرق استعمالها، ولكنا لا نقف عاجزين عن التصرف الحر فيها ، متى كانت عندنا المواهب والاستعدادات الضرورية لذلك ، اذ نعمد الى مجازها فنحور فيه ونغير ، ونلقي عليه من الاصباغ الخاصة المتنوعة ما يعطيه كثيرا من الطرافة والجدة . وهذا هو السر في ان كل شاعر كبير واديب لامع ، له قاموسه الخاص الذى يختلف عن قواميس غيره من كبار الشعراء والادباء ، اذ المجاز هو الثغرة التى يفي الانسان بنفسه عنها فى جدران سجنه اللغوي الى ان عثر عليها ، فانطلق منها الى اوسع الآفاق ، فانشا فنون القول وترجم لغة الصخر والطير والزهر والصحاري والعواصف والنسمات والامواج الى لغته المجازية، مشتقا منها الجديد تلو الجديد ، على نحو لا يعرف التوقف ، وكان المجاز ولا زال حافلا بشتى الوعود ، يحمل فى تضاعيفه ارهاصات وتنبؤات بالمستقبل ، اذ صارت اللغة بفضله حقلا لتجارب الانسان الروحية والعقلية ، ومجالا خصبا لاستثمار آماله وأشواقه وتطلعاته . فاذا قيل لك ان مخترعات العلماء ، منها ما يرجع الى حلم الانسانية القديم ، فلا تكذب ذلك ، لان الانسان لما عرف المجاز فى اللغة ، واتخذ منه معبرا الى عوالم لا حد لها ، انعكست تطلعاته وتوقعاته على اللغة فكان ذلك مبدأ تحرره من قيود الضرورة ، واطلالته على دنيا غير الدنيا التى يعرفها فدل ذلك على ضيق الانسان بما هو كائن ، وانتظاره لما ينبغي ان يكون ، او قل انه كان دالا على شعوره بالتناقض بين ضعف وسائله وبعد غاياته ، بين ما يستطيعه فعلا ، وما يطمح الى تحقيقه . وعلى ذلك يمكن تفسير المجاز بانه طموح ، وتمرد على الاشياء ، وضرب من الرفض للتقولب داخل قوالب معينة جامدة ، واسلوب فى تحطيم الحواجز الواقفة بينه وبين المجالات التى يحلم بالوصول اليها . أهو رد فعل الانسان ضد اللغة التى فرضها عليه المجتمع ؟ ام هو تفان فى حب هذه اللغة وتعشقها الى حد اعادة خلقها من جديد ، كما يفعل العاشق المدنف ، اذ يحيل محبوبه كائنا آخر ، يسير فوق السحب ، ويسبح فى بحر من ضياء وسناء ..؟ أم هو تداعي المعاني الذى يشرحه علماء النفس ، يعمل عمله فى دلالات اللغة ، فيبدع منها شيئا بعد شيء ، كما يرى الانسان حبل غسيل ، فيذكره بموعد ضربه لصديق واوشك ان ينساه ، او يرى زهرة متفتحة ، فيرد اليه منظرها ذكرى قصيد شعري كان قد انتشى به بضع لحظات ؟ أم هو شيء آخر غير هذا ؟

ومع ظهور المجاز فى اللغة ، لم تنقطع العلاقة بين الدلالة الحقيقية والدلالة المجازية للالفاظ . ذلك ان الثانية تقوم من الاولى مقام الفرع من الاصل ، والنتيجة من المقدمة ، حتى ان فهمها احيانا لا يتم بدقة دون فهم سابقتها ، فانت ـ مثلا ـ غير قادر على تصور المعنى المجازي بكلمة شرف ، او شجرة النسب ، او بيت القصيد ، الا اذا استحضرت الى ذهنك **المعاني الحقيقية لهذه الاستعمالات اللغوية ،** والا كان تصورك ناقصا غير دقيق ، ما دمت لا تدخل فى تقديرك الاسس اللغوية للالفاظ .

وغير خاف ان العلاقة بين الدلالتين الحقيقية والمجازية ، ليست علاقة سببية دائما ، فقد تكون علاقة قائمة على تداعي المعاني ، او علاقة فى الآثار الناجمة عن كل واحدة من الدلالتين ، او علاقة تشابه وتماثل بينهما ، او غير هذا من ضروب العلاقات اللغوية . وعلى أي فان هذه العلاقة قائمة بين احد طرفي المعنى والطرف الآخر ، بحيث قد يسهل تنقل الذهن بينهما اذا اقتضى الحال ذلك . وبناء على هذا لم تسلم اية من الدلالتين من التأثر بالدلالة الاخرى والانفعال بها ، ومن ثم كان اختلاط المعاني الحقيقية بالمعاني المجازية لدى جل الناس ، كما كان تصور احداهما لا يسلم من ظلال الاخرى وايحائها. وان الناس ليختلفون احيانا كثيرة بسبب اختلاط معاني الالفاظ فى اذهانهم . وقد يتوارى المعنى الحقيقي لكلمة ما لحساب معناها المجازي ، بحيث يقف استعمالها فى المعنى الاول ، بينما ينتشر استعمالها فى المعنى الثاني ، ككلمة شرف التى اشرنا اليها منذ قليل ، وكلمة مذهب ، وكلمات سيارة وعقيدة ورواية وما اليها .

وارتكاز كلمات اللغة على المعاني الحقيقية ، فى نفس الوقت الذى تتصرف فيه الى شتى المعاني المجازية ، له مغزاه ومعناه . وبيان ذلك ان من طبيعة اللغة الا تنفصل عن اصولها التى انحدرت منها مهما طرأ عليها من تحولات ، فدائما ينظر فيها الى الاصل ، على انه القاعدة التى لا بد من مراعاتها فى كل استعمال لغوي طارىء . فالكلمة اللغوية تقطع رحلتها الطويلة عبر العصور والاجيال ، ممتصة اثناءها عديد المعاني والانطباعات ، لترتد اخيرا الى اصلها القديم الذى نشأت عنه طائفة من التفرعات ، وهو راسخ فى موضعه لا يريم . ومن هنا كانت الخلفية التاريخية لكلمات اللغة ذات فائدة كبيرة للدارس والباحث فى متن اللغة وفقهها . وكانت

اهمية النصوص الادبية القديمة جوهرية ، اذ تمكن من الرجوع باللغة الى منابعها ومنابتها الاصلية ، قصد وضع اليد على الاساس التاريخي البعيد ، لكل تطور طرا عليها خلال العصور .

والسر في هذه الصلة القوية بين كلمات اللغة ومعانيها الاساسية الاصلية ، هو اتصالهما منذ وقت مبكر ، وبطرق تلقائية لا اثر للتعمل فيها ، مع شيوع ذلك وتقبله من طرف المجتمع ، وقيامه مقام الاشياء الطبيعية ، وانطباعه في وجدان الجماعة ، وامتزاجه بحسها اللغوي ، واستمرار ذلك بالوراثة، متنقلا من جيل الى جيل ، ومن عصر الى عصر ، وفسح المجال له في الاستعمال اللغوي بين الافراد والجماعات ، مع ارتباطه بالاذواق واستقراره كعرف لغوي. وعلى هذا الاساس كانت اللغة لا تقوى على فصم انتمائها الى ظروف نشأتها الاولى ، اذ ان آثارها تبقى عالقة بها باستمرار ، مهما طرا عليها من تطور ، كما كانت دائما ظاهرة تاريخية ، تعيش في الحاضر وتتزيا بازيائه ، ولكنها تفعل ذلك من خلال مزاجها التاريخي ، ومع محافظتها على شخصيتها القديمة . تتبع اللغة العربية — مثلا — وهي زهرة تتألق في روض مؤنق جميل ، او وهي خارجة لتوها من احدث صالونات التجميل الحديثة ، او وهي حلية ترقد فوق صدر احدى بنات هذه الايام ، وتأمل جيدا في قسماتها وتقاطيع وجهها ، تجد انها اعرابية متنكرة في ثوب فتاة عصرية ، اختلطت فيها روائح الشيح والقيصوم ، بأرق العطور والطفها مغازلة للحس . مشى في اديمها نعيم الحضارة ، واحتار في محياها ماء الشباب ، وخشن فيها طبع البداوة ، واستقرت حكمة السنين .

وسوف يكون مصير الكلمات التي نخترعها اليوم ، مثل مصير سابقاتها الراجعة الى ايام خلت . من حيث انها سوف تبقى دائما مرتبطة بمعانيها التي استخدمناها للدلالة عليها ، مهما يطرا على دلالاتها من تحوير او تغيير، عندما تستخدمها الاجيال المقبلة، في اغراض بعيدة عن الاغراض الاساسية لها . هذا مع العلم بأن اختراعنا للغة ضئيل ، اذ هو قيس بما صنعته اجيال من قبلنا ، او بعبارة اكثر دقة اذا هو قيس بنشاط جيل من اجيالنا الماضية ، اذ انه من الظلم ان يقاس عمل جيل واحد ، الى عمل اجيال بكاملها . ولعل ذلك راجع الى الثروة اللغوية الهائلة التي فتحنا عيوننا عليها والمردودة الى عهود مختلفة.

اي اننا وجدنا بعد ان كانت اللغة قد استكملت عناصر شخصيتها ، وتكون لها مزاجها الخاص واعرافها الخاصة. ومن ثم كان عملنا في غالب الاحيان ازاء اللغة ، هو تحوير معاني الالفاظ ، واشتقاق الفاظ جديدة من مادة لغوية قديمة ، او تركيب لفظ من لفظين على نحو ما نقول: برمائي، وانجلوساكسوني او ما الى ذلك ، او استعارة الفاظ من لغة اخرى ، وهذه قضية يتشعب البحث فيها .

واذا كان من اللازم ان تبقى الصلة قائمة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي للكلمات ، على توالي العصور والاحقاب ، فان هناك رايا خاصا في هذه المسالة ، ربما كان متطرفا بعض الشيء . وهو الرأي الذي يذهب الى ان المجاز قسمان: مجاز نسبي ومجاز محض . المجاز النسبي هو الذي تكون فيه العلاقة بين المعنيين الحقيقي والمجازي واضحة او يكتنفها شيء من الغموض ، ولكنها على كل حال يمكن تصورها واستحضارها الى الذهن — وهذا هو المجاز الذي عرفته اللغة العربية في كل عصورها — اما المجاز المحض ، فهو ذلك الذي لا تلمح فيه هذه العلاقة ، ومهما بحثنا عنها فاننا لا نجدها لانها غير قائمة سواء بالقوة او الفعل . ويعتبر بعض الباحثين الرمزية الدينية الواردة في الكتب الدينية من هذا القبيل . ذلك ان اللغة الدينية يستحيل ترجمتها من المفهوم المجازي الى المفهوم الحرفي ، طالما ان العلاقة بين الطرفين غير قائمة على الاطلاق . اذ اللغة الدينية تتحدث عن نظام الهي غير محدود ، وخارج النظام البشري المحدود . ومن ثم كان من المستحيل ردها — اي اللغة الدينية — الى المعاني التي نشتقها نحن من طبيعة نظامنا الارضي لنضعها في الالفاظ . هذا وان كثيرا من الشعر العربي الحر الذي يقال هذه الايام غاص بالمجاز الذي ان لم يكن محضا فهو اقرب الى المجاز المحض منه الى ضرب آخر من ضروب المجاز . ويمكن للقاريء الرجوع الى اعداد مجلتي الآداب ومواقف ، ليجد نماذج كثيرة لذلك . فأنت اذا درست هذا الشعر تعذر عليك رد كلماته الى معانيها الحقيقية وربطها بالمعاني المجازية ، نظرا لكونها خارجة عن كل عرف لغوي ، وعن جميع اساليب البيان العربي والبلاغة العربية . واصحابها يصرون في بعض مقالاتهم وما اجري معهم من استجوابات على افراغ كلمات اللغة من كل مفاهيمها التي استعملت فيها من قبل ، والتعامل معها بأسلوب جديد ، فيه ثورة على كل عرف لغوي . واقرا اذا

شئت كتاب ادونيس (زمن الشعر) كوثيقة ادبية تقوم شاهدا على هذا المذهب الثوري في التعامل مع كلمات اللغة . على حين انك اذا قرات قصيدا لاي شاعر عربي قديم او اي شاعر عربي معاصر من الذين يستخدمون كلمات اللغة ، بناء على اعرافها المتوارثة وقواعدها القارة الثابتة ، امكنك بسهولة تبين العلاقة بين الحقيقة والمجاز في لغتهم ، كما امكنك رد اساليبهم البيانية الى اصول البيان العربي المعروفة .

والمجاز في اللغة تطور في الدلالة، وهذه تتبدل بتبدل احوال الامة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية ، وبانتقالها من حالة البداوة الى حالة الحضارة ، ومن حالة التخلف الى حالة التقدم ، ومن حالة التمزق الى حالة الوحدة. وكل تغير يطرا على اذواقها وافكارها ونظرتها الى الاشياء ومقاييسها في تقييم الامور ، يترك آثارا على الدلالة اللغوية ، والمجاز ظاهرة حضارية في اللغة ، تدل على مرحلة هامة من مراحل التطور ، وينعكس عليها مدى قدرة عقلية الامة على التخيل والتمثل والاستجابة لظواهر هذا الكون واحداثه . ومن ثم كان المجاز ظاهرة حضارية ، من حيث انه يمثل انتقال عقلية الامة التى يبرز في لغتها من طور الجمود والحرفية والتعامل مع الماديات الى التعامل مع المعنويات ، ومن حالة ادارة اللغة على اشياء الطبيعة، الى ادارتها حتى على شؤون النفس والوجدان ، اذ اتيح للانسان بفضل توسعه في مفاهيم لغته ان يتامل ذاته وخواطره وانطباعاته الخاصة عن هذا العالم ، فبرزت ذاتيته في لغته ، واتصلت منه بجوهر رفيع ، ووشت باحلامه واشواقه ورغبته في السمو عن واقعه الى آفاق رحبة واسعة ، يحلق فيها عن طريق التخيل والتامل ، جاعلا من اللغة مطيته الى ذلك . ومن ثم نشأت عنده الآداب ، لانها كانت من هبات ظفره بعنصر المجاز في اللغة .

وكأنما استمرأ الانسان هذا العنصر المجازي واستلذه وآثره ، فاخذ يتفنن فيه ما وسعت ذلك طاقته الروحية والوجدانية ، حتى تضخم هذا العنصر وطغى على العنصر الحقيقي وجار على حدوده ، واستلبه مناطق نفوذه. ودونك قواميسنا اللغوية ، اقراها بامعان ، تجد ان الاكثرية المطلقة لكلماتها تدور على معان مجازية . وهذه ظاهرة اظنها توجد في جميع اللغات . ان تضخم عنصر المجاز في اللغة اذا كان نعمة على فنون القول واصناف البيان ، فانه كان من العقبات المنيعة التى واجهت العلماء والفلاسفة (2) . ذلك ان هؤلاء يريدون ان تكون اللغة التى يشرحون بها قضاياهم وافكارهم في منتهى الدقة والتركيز ، والحال ان المادة اللغوية التى يعتمدونها اداة لهم ، طافحة بالمجاز ، غنية بالصور والظلال ، مشحونة بالعواطف والانفعالات ، قابلة للايحاء . فكان ان جاهدوا لتجريدها بما علق بها خلال العصور من كل هذه الامور ، حتى تبقى لها دلالتها العلمية او الفلسفية الخالصة . فهل نجحوا في هذا المطلب ؟ لقد كان نجاحهم جزئيا ، واستمر شيطان اللغة يراوغهم ، ويخرج لسانه الخبيث من بين سطورهم ، في سخرية لا تخلو من طرافة وظرف ..

ونحن لا نذهب بعيدا اذا قلنا – معتذرين للعلماء والفلاسفة – ان المجاز المتضخم ، هو الذى جعل القماش اللغوي من السعة بحيث تدخل فيه مجتمعات وشعوب ، تفصله على قاماتها وهياكلها ، فلا يضيق بها ذرعا وانما يسعها جميعا . فهل كان للفارسي والرومي والهندي والصيني وغيرهم ان يمرحوا في رحاب العربية ويتقلبوا في اعطافها ويوسعوها من ابداع وافتنان لولا الرصيد الضخم للغة العربية من المجاز ، الذى اتاح لهم جميعا ان يجعلوا العربية لغتهم ، يصوغون بواسطتها خواطرهم ويتفننون عواطفهم ويبلورون افكارهم ، وهي اللغة القادمة من البادية ، تضم جسمها ملاءة الصحراء ، ويلف راسها خمار العشيرة ؟ اني هنا لاشبه اللغة الفنية بالمجاز بانسان بشوش ودود ، على جانب كبير من المرونة ، يتسع صدره لجميع الناس ، فيكثر من حوله الاصدقاء ، على تباين امزجتهم وطباعهم . كما اشبهها بمتجر توجد به بضائع مختلفة ، بحيث يجد فيه كل واحد طلبته فيكثر زبناؤه . ولقد كان من حسن حظ العربية، وحسن حظ الطارئين عليها، انها وصلت اليهم في الوقت الذى كانت فيه لغة ثرية الدلالة ، تمثل امة فيها ذكاء ولها خبرة ووجدان حي ، وطموح الى بعيد ، الامر الذى تهيا معه لهذه اللغة ان تستجيب لهم ، وتتسع لكل اغراضهم الفكرية والذوقية والعاطفية .

---

(2) راجع كتاب (فنون الادب) لتشارلتن ، ترجمة زكي نجيب محمود .

ونظر الآن الى المجاز من زاوية اخرى ، فنلاحظ انه يقوم احيانا مقام الحقيقة . بل قد يكون هو الحقيقة نفسها . وبيان ذلك ان الكلمة اذا استخدمت للدلالة على حقيقة في نفس الشخص او فكره ، بعد ان تكون — اي الكلمة — قد نقلت من معناها الاصلي ، يصبح هذا الامر القائم في النفس او الفكر ، هو حقيقتها . وهنا ينتفي عنصر المجاز او يتوارى، لان الكلمة لا تدل حينئذ على حقائق النفس او الفكر مجازا، وانما تدل عليها حقيقة. ولو استحضرنا معناها الاصلي فلربما كان هو المجاز ، بالنسبة الى المعنى الذى جاءت للدلالة عليه عند شخص ما . وعلى ذلك يمكن القول بأن من المجاز ما يتحول الى حقيقة، اذا كان الاصرار على اعتباره مجازا ، يسيء الى الغرض الذي جيء به للدلالة عليه ، فاذا امثلا شاعر — مثلا — بأن حبيبه يمتاز من غيره من النـــاس ، فخلع عليه لقب ملاك ، او سلكه مسلك بعض الاشياء الخارقة للمادة ، فليس لنا ان نناقشه مستكثرين عليه ذلك ، بالرجوع بالالفاظ الى معانيها الحقيقية ، والا ضاعت الحقيقة النفسية التى يريد التعبير عنها. ولكن مع ذلك يمكن رد الفاظه الى معانيها الاصلية خارج نطاق النص الادبي . اي اننا ينبغي ان نفرق بين الالفاظ وهي مفردة ، وبينها هي نفسها داخلة فى نسيج الادب والشعر .

وما دام من حق الشاعر او الاديب ، ان يبدع في اللغة ، ويضمنها ما شاء من المعاني ، حتى ولو خرج فى ذلك عن التقاليد اللغوية والادبية المتوارثة ، فليس لنا ان نطالبه بالخضوع لهذه التقاليد ، ونحاكمه الى المأثور من الآداب القديمة ، وعلوم بلاغتنا العتيقة ، والا نكون قد اخللنا بما ينبغي للاديب من حرية فى مزاولة عمله الابداعي . وبناء على هذا فالمجاز لا يصح ان يطلق الا حيث تكون الحقيقة هي الطرف الآخر المقابل له . اما اذا استخدم ليدل على حقيقة فى النفس ، فهاهنا يكون هو الحقيقة نفسها ، وحينئذ ينبغي الامتناع عن اعتباره مجازا حسب العرف اللغوي المعهود . ومن ثم كان على ناقد الاعمال الادبية الا يحكم مقاييس اللغة فى تقديره للنصوص والحكم عليها ، ذلك ان اللغة فى الاستعمال الادبي قدتخرج عن اعرافهاوتقاليدهاالتى يحددهاالمعجم الادبي القديم ، وكتب البلاغة الموروثة ، ولو ان ناقدا خالف هذا المبدأ ، لقلب الاشياء راسا على عقب ، واساء الى اعمال بعض الادباء المبدعيـــن من حيث يدري او لا يدري .

وأود فى الاخير ان انبه على ان هذا الحديث لم يقصد به ان يكون بحثا فى فقه اللغة ، ولست ازعم له شيئا من ذلك . وانما هو خواطر فى اللغة تساق الى الادباء ، قبل ان تســاق الى المعنيين بالدراسات اللغوية المتخصصة ، فمعذرة .

فاس — عبد العلي الوزاني

مصطفى صادق الرافعي
اديب العربية الكبير الخالد

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

حمل الرافعي – رحمه الله ، وطيب ثراه – راية الاسلام ، ودافع عنها طيلة حياته ، ثم ترك لنا بعد وفاته ادبا اسلاميا باقيا ثرا لا ينضب معينه على الايام .

كان عصر الرافعي عصر ثورات سياسية وفكرية وادبية متصلة ، وقد عاش حياته متمثلا لكل ما في عصره من مقومات وتيارات وثورات .

ففي اعقاب الثورة العرابية ، التى تآمر عليها الاستعمار والخديوي ، لم تفقد مصر ايمانها بحقها ، ولا صلابتها في الدفاع عن هذا الحق . وعاد الامام محمد عبده من المنفى ، ليحمل بكلتا يديه الفكرة الاسلامية ، والثورة السياسية معا . وكان في جلاله ونضاله رمز مصر الخالدة في كفاحها وتطلعها الى الحرية ، والتف حوله الصفوة من تلاميذه ومريديه ، ينشرون الامل ، ويدفعون الشعب الى العمل ، العمل الجاد من اجل مصر ، وحقها في العزة والاستقلال وطرد المحتلين من ارضها .

وتطلع الرافعي الشاب الى الامام محمد عبده ، ياخذ عنه ، ويستمد منه فتتلمذ عليه روحيا وفكريا ، وتاثر به وبادبه تاثرا عميقا ، ووثق صلته بكل اعلام مدرسته ، وبالكاظمي وحافظ ، وهما من اشهر شعرائها ... كما تطلع الى البارودي وقد عاد من المنفى بعد تسعة عشر عاما قضاها بعيدا عن وطنه . ومن هذه المدرسة الثورية الاولى اخذ الرافعي افكاره وآراءه في الحياة ، فنراه ينظم قصائده تارة متفجعا لمجد المشرق القديم الذى عصفت به الاحداث ، وتارة متحدثا عن اعلام الاسلام الاوائل من مثل عمر بن الخطاب خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صاحبه ابي بكر ومن مثل المامون بن الرشيد اعظم الخلفاء العباسيين ، وتارة يدافع عن اللغة العربية التى كان المحتل آنذاك يريد أن يقضي عليها .. كما مدح الامام والبارودي والكاظمي وسواهم ، وطارت شهرة الرافعي شاعرا وطنيا مخلصا لفكرته الاسلامية العميقة في نفسه ، وقال فيه الامام محمد عبده : « اسأل الله ان يقيمك في الاواخر مقام حسان في الاوائل » ، وكذلك تنبأ له اليازجي بمستقبل كبير .

وحين ظهر الجزء الاول من ديوانه عام 1903 ، قرظهما البارودي ، والكاظمي ، والمنفلوطي ، وحافظ وسواهم .

ومات البارودي عام 1904 ، ثم محمد عبده عام 1905 ، فرثاهما الرافعي بمراث بليغة منشورة في الجزء الثالث من ديوانه الذى ظهر عام 1906 وقرظه حافظ وقيصر المعلوف الشاعر المهجري صاحب ديوان تذكار المهاجر ، وفي صدر هذا الجزء قصيدة رائعة في وصف حالة مصر الاجتماعية في سنة 1905 ، واخرى في دنشواي .

وقد ظل الرافعي وفيا لاستاذه الامام اشد ما يكون الوفاء واعمقه يلقبه بحكيم العصر وامام الافتاء في مصر ، ويقول فيه : « رايت الشيخ محمد عبده وعرفته فرحم الله هذا الرجل ، ما كان اعجب شانه ، والله لكأنه سحابة مطوية على صاعقة ، كان يزورني احيانا فأراني مرغما على ان اقدم له مجلسين ، احدهما قلبي ، رجل نبت على اعراق فيها ابداع المبدع العظيم الذي هيأه لرسالته » (1).

---

(1) 2 : 303 وحي القلم .

ولقد كان محمد عبده رحمه الله من الشخصيات الفذة التى استطاعت ان تعبر عن اصفى ما فى الروح الاسلامية والعربية والمصرية من حقائق ومضامين ، ويصفه الرافعي وصفا دقيقا ، فيقول : رجل كان فى تركيب العالم الاسلامي اشبه بالجبهة من جسم المؤمن ، هو مجلى نور الايمان ، ولقد كان فى تفسير كتاب الله رجلا وحده على بعد عصره من فجر الاسلام (2) . وتلمس آثار ايمانه العميق به فى قوله كذلك : « كان الامام رحمه الله من كل نواحيه رجلا فذا ، وكأنه نبي تأخر عن زمنه ، فأعطى الشريعة ولكن فى عزيمته ، ووهب الوحي ولكن فى عقله ، واتصل بالسر القدسي ولكن من قلبه (3) .

ويقص علينا الرافعي – لشدة تعلقه بالامام وباستاذه الثائر جمال الدين الافغاني ، ثم لم يلبث ان جاء محمد عبده فجلس امامهما ، واخذ جمال الدين يملي عليه والشيخ يكتب ، والثلاثة جالسون على مائدة واحدة .

وقد يكون فى هذه الرؤيا تفسير باطني لحب الرافعي للتنويه بنفسه وقد سبق فجعل نفسه مع البارودي وحافظ والكاظمي فى طبقة واحدة هي الطبقة الاولى من طبقات الشعراء المحدثين (4) .

ووطدت الايام صلة الرافعي بحافظ ، وحافظ هو ابن الامام ، وعلى يديه تخرج ، وفى شعره ، وبخاصة فى السياسة والاجتماع ، افكار الامام محمد عبده وتلميذيه : قاسم امين وسعد زغلول ، ويقول فيه الرافعي : انه احدى حسنات الامام على العالم العربي وهو خطة من خططه فى عمله للاصلاح الشرقي الاسلامي ، وللنهضة المصرية الوطنية ، واحياء العربية وآدابها (5) .

ثم قامت ثورة مصطفى كامل السياسية واتجه اليها الرافعي بكل قوته ، وكتب شعره وادبه مؤيدا لها ، وكان مصطفى كامل ينوه به وبشعره ، ويقول فيه : سيأتي يوم اذا ذكر فيه الرافعي قال الناس : هو الحكمة العالية مصوغة فى اجمل قالب من البيان » .

ثم قامت ثورة 1919 بزعامة سعد ، وهو من تلامذة الامام النابهين ، فتجاوب الرافعي معها ، وكتب عنها وصورها فى ادبه ، وفى مقالاته المنشورة فى الجزء الثاني من كتابه « وحي القلم » بعنوان : « احاديث الباشا » (6) صورا نابضة بالحياة ، وكانت صلة الرافعي بسعد قوية ، واثنى سعد على بلاغته ، فقال فى ادبه : « بيان كأنه تنزيل من التنزيل ، او قبس من نور الذكر الحكيم » .

وحول كل هذه الثورات الوطنية التى عاصرها الرافعي واشترك فيها كانت تدور مختلف التيارات الفكرية والادبية فى عصره .

فقد عاش فى عصر البارودي وشوقي وحافظ وصبري والمنفلوطي ولطفي السيد والعقاد وطه حسين والزيات واحمد امين والبشري ، فذكر معهم ، ولم يضع ادبه فى تيارهم .

وكان الناس يتخاصمون فى مذاهب الفكر ، بين مشايعين لفلسفات الغرب وحضارته ومناهضين لها ، وبين دعاة للعربية او الاسلامية او الفرعونية أو جامعة شعوب البحر الابيض المتوسط ، وسوى ذلك ، فوقف الرافعي مع الفكرة الاسلامية العربية وحدها .

وظهر فى حقبة من الزمن ، كان الادب فيها حائرا بين مذاهب المحافظين ومذاهب المجددين ، متأثرا بمدرستين : مدرسة الادب العربي القديم ومدرسة الادب الجديد ، التى تتابع خطا الآداب الاوربية فى افراط حينا ، وفى اعتدال حينا آخر ، فآثر الرافعي ان يظل ادبه تيارا وحده يسير مع تيار المجددين ، ولا يخاصم مذهب المحافظين ، يبعث الحياة فى التراث القديم ويأخذ منه ، ويتمثله فى اسلوبه ، يجدد من صوره وينشر كنوزه ، على نمط لا تجد له نظيرا فى آثار المعاصرين .

---

(2) 3 : 146 – 148 قصة الادب فى مصر .
(3) 3 : 323 وحي القلم .
(4) مقالة الرافعي فى مجلة «الثريا» عدد يناير 1905 بدون توقيع .
(5) 3 : 323 وحي القلم .
(6) 2 : 293 – 350 المرجع نفسه .

ويختلف النقاد فى عصره فى منزلة الادباء وطبقات الشعراء وفى ادب المجددين والمحافظين اختلافا كثيرا ، والرافعي يشارك فى كل ذلك ، ويكتب حوله ، ويدخل فى معارك نقدية شديدة ويخرج منها ظافرا فى اكثر الاحايين .

ومن هذه الثورات الفكرية والادبية صيغت شخصية الرافعي وبلاغته وادبه .

– 2 –

وقد ترك الامام محمد عبده اثره الشوري والاسلامي فى تفكير اديبنا الخالد الرافعي طيب الله ثراه . وكان هذا التأثير اقوى الاسباب فى منزلة الرافعي الكبيرة بين ادباء عصره .. فلم يلبث ان صار مفكرا اسلاميا رفيع المقام فى زمنه ، وان صار امة وحده تتلمذت اجيال من الشباب المسلم فى كل مكان من العالم الاسلامي على بيانه يعدونه اماما للفكر الادبي الاسلامي فى العصر الحديث .

ولقد كان الرافعي بحق ، وكما قيل ، كلمة اسلامية جامعة تتلخص فى الدعوة الصادقة الى الاسلام وفضائله ، وما زال ادبه صفحة ناصعة من صفحات الاسلام ، وحجة باهرة من حجج الشرق والعروبة فى عصر فقير من الاقلام المجاهدة ، وليس فى الادب الحديث مثيل لادبه الاسلامي الرفيع الذى حمل فيه لواء الدفاع عن الاسلام والشرق بعامة ، وعن وطنه مصر بخاصة ، وكان اعظم ما يكون قوة وانطلاقة حجة وتاثيرا حين كان يكتب عن الاسلام شارحا او مدافعا .

كان الرافعي يرى انه لن يعم السلام فى العالم الا اذا عم هذا الدين العظيم الاسلام باخلاقه فيشمل العالم (7) ، وكان يكرر دائما ان الرجوع الى الاسلام واخلاقه وقيمه من ضرورات الاخذ بأسباب النهضة (8) ، ويقول : « ان المسلمين هم العقل الجديد الذي سيضع فى العالم تمييزه بين الحق والباطل وان نبيهم اطهر من السحابة فى سمائها (9) » ويقول : « لم يكن الاسلام فى حقيقته الا ابداعا للصبغة العملية التى تنتظم الانسانية فيها (10) .

وطالما دعا فى حماس قوى كل مسلم الى اتخاذ الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم قدوة ومثلا اعلى ، ويقول في ذلك : « ايها المسلم لا تنقطع من نبيك العظيم ، وعش فيه ابدا ، واجعله مثلك الاعلى، وحين تذكره فى كل وقت فكن كانك بين يديه ، كن دائما كالمسلم الاول ، كن دائما ابن المعجزة (11) » .

ويقول الرافعي متعجبا من حاضر المسلمين : « كيف يستوطيء المسلمون العجز وفى اول دينهم تسخير الطبيعة ، وكيف يستمهدون الراحة وفى صدر تاريخهم عمل المعجزة الكبرى ، وكيف يركنون الى الجهل واول امرهم آخر غايات العلم (12) » .

وكان يرى المسجد فى حقيقته موضع الفكرة الواحدة المصححة لكل ما يزيغ به الاجتماع (13) .

ويقف متعجبا من كلمة الاسلام الكبرى « الله اكبر » ومن عظمة مضمونها فيقول يخاطب المسلمين فى روح ثائر : لن يكبر عليكم شيء ما دامت كلمتكم « الله اكبر » (14) ، ويقول : اي زمام سياسي للجماهير وروحانيتها اشد واوثق من زمام هذه الكلمة « الله اكبر » التى هي اكبر ما في الكلام الاسلامي (15) ويقول : ان المسلمين يدخلون بهـا صلاتهم ، كانما يخاطبون الزمن انهم الساعة فى وقت ليس منه ، ولا من دنياهم ، وكأنهم يعلنون انهم بين يدي من هو اكبر من الوجود (16) .

(7) 2 : 7 وحي القلم .
(8) 3 : 21 المرجع .
(9) 1 : 11 المرجع .
(10) 2 : 14 المرجع .
(11) 2 : 10 المرجع .
(12) 2 : 30 المرجع .
(13) 1 : 348 وحي القلم .
(14) 1 : 350 المرجع
(15) 1 : 348 المرجع .
(16) 1 : 16 المرجع .

ويرى الرافعي ان الاسلام فى نفسه عدو شديد للتعصب ، فهو يقول لاهله فى كتابه العزيز : « كونوا قوامين بالقسط ، شهداء لله ، ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين (17) » . ويقول الرافعي : ان الدين الصحيح من الدين الصحيح كالاخ من اخيه ، غير ان نسب الاخوة الدم ، ونسب الدين العقل (18) .

وكانت فلسفة الرافعي الاسلامية وفلسفة اقبال كذلك ذات صدى عميق فى نفوس الملايين من المسلمين فى العصر الحديث .

وقد غلبت هذه الصبغة الاسلامية على ادب الرافعي فى الروح والمضمون وفى الاسلوب والشكل.

من تأثيرها فى ادبه هذه الفصول الرائعة التى تحدث فيها عن الحب العذري ، وهي من اروع الفصول فى ادبنا الحديث ، ومن اجمل ما كتب عن الحب العذري فى ادبنا فى شتى العصور ، وقد احتوتها كتبه حديث القمر ، اوراق الورد ، السحاب الاحمر ، رسائل الاحزان .

ومن تأثيرها كذلك فى اسلوبه اقتباساته العديدة من الاسلام وكتابه الحكيم ومن الحديث النبوي الشريف ، ومن اساليب الكتاب والخطباء والشعراء الاسلاميين واقرا له هذ التشبيه الرائع الذى كتبه فى زجاجة العطر يهديها المحب الى حبيبته : « ايها العطر لقد خرجت من ازهار جميلة ، وستعلم حين تسكبك هي على جسمها الفاتن انك رجعت الى اجمل ازهارك ، وانك كالمؤمنين تركوا الدنيا ، ولكن نالوا الجنة ونعيمها .

— 3 —

بقيت نقطة اخرى فى موضوعنا ، هي افكار الرافعي السياسية ، التى مثلت جانبا من ثورته ، وفى الحق انها تنبع من افكاره وثورته الاسلامية ، ومن ثم وجدناه ثائرا حتى فى حبه لوطنه ، يبالغ فى تمجيده ، فى شعره ونثره فيقول فى بعض مقالاته : « الا ما اعظمك يا مصر » (19) وهو القائل فى الجزء الاول من ديوانه :

بلادي هواها فى لساني وفى دمي
يمجدها قلبي ويدعو لها فمي

ونشيده الوطني معروف وذائع .

ومما كتبه الرافعي عن ثورة 1919 يمتاز بأسلوب الاديب والمفكر الحكيم وتمتزج فيه جزالة الفكر السياسية بجزالة التعبير الادبي ، ومن ثم اصبح متعة للتأمل والقراءة ، ويقول عن الشعب فى هذه الثورة : « تعلم من دفن شهدائه كيف يستنبت الدم فينبت الحرية 20) » .

والمقاومة اليوم ، اكبر شعار لامتنا بما تنطوي عليه من بذل وتضحية وقد عبر الرافعي عن هذا الشعار ابلغ تعبير ، فقال : « يا شباب العرب ان كلمة « حقي » لا تحيا في السياسة الا اذا وضع قائله حياته فيها (21) : « يا شباب العرب اجعلوا رسالتكم اما ان يحيا الشرق عزيزا واما ان تموتوا» (22) .

وشعارنا الآخر اليوم هو اننا بصمود ارادتنا قد حولنا نصر اعدائنا الى هزيمة ، وهزيمتنا الى نصر، وقد سبق الرافعي فعبر عن هذا الشعار أوجز تعبير وادقه فقال : « يا شباب العرب من غيركم يجعل النفوس قوانين صارمة تكون المادة الاولى فيها «قدرنا لاننا اردنا » (23) .

ووضع الرافعي محنة فلسطين موضعها الصحيح فقال : « ايها المسلمون ليست هذه محنة فلسطين ، ولكنها محنة الاسلام يريد المستعمرون الا يثبت شخصياته العزيزة الحرة (24) .

---

(17) 2 : 418 المرجع .
(18) 2 : 30 المرجع .
(19) 1 : 270 وحي القلم .
(20) 2 : 306 وحي القلم .
(21) 2 : 261 المرجع .
(22) 2 : 259 المرجع .
(23) 2 : 258 المرجع .
(24) 2 : 269 المرجع .

وقد سبق الرافعي فندد بالالقاب التي الغتها ثورتنا المباركة ، وقال فيها : انها الفاظ فارغة من الامر والنهي والوسيلة والشفاعة (25) .

كما ثار على الامتيازات الاجنبية في قوة وصلابة (26) .

وقد وقف الرافعي من القصر موقف الند للند ، فثار في مطلع شبابه على شوقي وجعله وهو شاعر القصر من شعراء الطبقة الثانية ، ونقد اخيرا شاعر الملك عبد الله عفيفي في مدائحه الملكية ، وثار في وجهه زكي الابراشي ناظر الخاصة الملكية في الثلاثينيات من هذا القرن ، وكان لذلك اثرا في حياته .

وحمل الرافعي على الاقطاع في عصره حملات شعواء ، فكتب عن طفلين اخوين مشردين ينامان على عتبة بنك يقول : يا عجبا ، بطنان جائعان في اطمار بالية ، يبيتان على الطوى والهم ، ثم لا يكون وسادهما الا عتبة البنك ، ترى من الذي لعن البنك بهذه اللعنة الحية (27) » ، ثم يستطرد فيقول متهكما متعجبا : « يا ولدي المسكين ، بأي ذنب من ذنوبكما دقتكما الايام دقا ، وطحنتكما طحنا ، وبأي فضيلة من الفضائل يكون ابن فلان باشا وبنت فلان باشا في هذا العيش الذي يختاران منه ويتأنقان فيه » (28) .

ويقول الرافعي كذلك على لسان فقير يوجه الحديث الى ابن امير : لن تكون اميرا لشهادة عشر آلاف دينار تضعها عند مومس ، ولكن لشهادة هذا المال عند عشرة آلاف فقير (29) .

ويكتب في افاضة وحمد عن التابعي الجليل عالم المدينة سعيد بن المسيب الذي ابى ان يزوج ابنته للوليد ولي العهد عبد الملك بن مروان بوزنها ذهبا وزوجها لتلميذه الفقير ابن ابي وداعه بثلاثة دراهم (30) .

ويؤلف الرافعي في احدى مقالاته من ابناء الشعب مظاهرة تهتف امام سعادة الباشا المدير : ان اولادنا يريدون الذهاب الى المدارس ولكننا لا نستطيع ان ندفع لهم المصروفات (31) .

ذلك كله اثر للثورة الفكرية التي ربى الرافعي فيها ، ونشأ عليها ، والتي غرسها في روحه استاذه الامام .

— 4 —

وبعد فماذا نقول عن الرافعي ، هذا الكاتب الكبير ، الذي كان من اقدر كتاب العربية ، واشدهم ذكاء واعظمهم خيالا ، والذي تميز في اسلوبه بقوة الفن وحركة الذهن ، وبالسلامة والايجاز ، وبالعمق والرمز ، وبشدة التأمل والملاحظة والتوليد في فكرته ، وبسلامة المنطق ، وجودة التقسيم ، وببعد الاشارة ، وغرابة الاستعارة ، وكثرة التأنق والصنعة ؟

ماذا نقول عن ادبه الذي حمل ثورته الروحية والفكرية والسياسية، وحمل آراءه في الادب والشعر، ومعاركه العنيفة في النقد ، ودراساته للادب القديم ولادب الحديث واعلامهما المشهورين ؟

ماذا نقول عن الرافعي الذي كانت الجماهير تتابع ادبه متابعة الظل لصاحبه ، وكان صدى عميقا لعصره ، وصورة رائعة لمجتمعه وبيئته .

لقد كان بحق فذا وعظيما وعبقريا ، وان ديونه التي طوق بها اعناق امته والعالم الاسلامي اكبر من قدرتنا على الوفاء ، فله منا الحمد والثناء، ومن الله الرحمة وحسن الجزاء .

القاهرة — د. عبد المنعم خفاجي

---

(25) 2 : 300 المرجع .
(26) 2 : 314 وحي القلم .
(27) 1 : 79 المرجع .
(28) 1 : 84 المرجع .
(29) 1 : 87 المرجع .
(30) 1 : 117 — 128 وحي القلم .
(31) 1 : 70 المرجع .

ظلال من الملتقى الإسلامي الثامن :

صلاة العصر في قلعة بني حمدان

للاستاذ أنور الجندي

عندما وصلنا الى قلعة بني حماد كان وقت العصر قد آذن ، فكان لابد ان نحتفظ بهذه الذكرى التى لا نظن انها ستتكرر مرة اخرى لرجل جاء من المشرق ليشارك في الملتقى الاسلامي الثامن الذى عقد فى ولاية بجاية وكان من اهدافه دراسة مساهمة بجاية الحمداية فى الحضارة والفكر الاسلاميين ، ولذلك فما لبثنا ان اقمنا صلاة العصر على هذه الربى بينما كان زملاؤنا يقتحمون القلعة ويصعدون الى منارتها العالية وكنا قد انطلقنا منذ الصباح الباكر الى هذه الرحلة فوصلناها بعد مشقة شديدة قريبا من الغروب بعد ان مررنا بمدينة سطيف وتناولنا الغذاء عند عائلاتها .

ومن الحق ان يقال اننا في كل خطوة كنا نخطوها كنا نجد معالم التاريخ الحافل ونستمع الى خيوط من تراث عزيز طالما قرانا عنه فى الكتب وها نحن نراه اليوم واقعا حيا .

وفى الطريق الى قلعة بني حماد مررنا بذلك الوادي المخيف الذي يطلقون عليه (وادي الآخرة) وذلك حتى لا ينزعج الناس اذا اطلقوا عليه (وادي الموت)

فقد كانت جباله العالية وخطوط طريقه المتعرجة واغواره العميقة تملأ النفس حقا بالخوف والعجب لهذه المنطقة الحافلة بكل عوامل الخطر وتبارك الله رب العالمين الخالق الذي جمع بين الجبل الاشم والوادي العميق والصخر الاحمر والارض السندسية الخضراء .

ولقد كانت هذه الصور غريبة حقا على امثالنا ممن عاشوا فى الوادي الاخضر لا يقتحمون الجبال الا نادرا ، او اذا مروا بها وجدوها جرداء مقفرة لا نبت فيها ولا ماء ، اما هنا فى الجزائر فالامر جد مختلف ، هذه الجبال العالية خضراء جد مزدهرة ، ومن حولها الاودية كالبساط الزاهر ، ومن حول ذلك كله غابات واشجار ومياه وعيون وصدق الله العظيم: « وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار » .

وفي ظل قلعة بني حماد يكشف التاريخ الاسلامي صفحة من ازهى صفحاته عندما كان حماد بن بولقين حاكما للمغرب الاوسط باسم دولة بني زيري ، منذ عام 398 هجرية تم بنى هذه القلعة واتخذها عاصمة للمملكة وقد تم هذا فى نهاية القرن الرابع وقد ظلت هذه المدينة عاصمة للمملكة الحجازية زمنا كانت خلالها اهم مدينة فى المغرب كله واليوم يجري اصلاح هذا البرج الضخم وترميمه حتى يكون آية من آيات الفن المتجدد الذى يجري بالنسبة لكل تاريخ هذه البلاد وآثارها .

وسواء ذهبنا الى آخر هذا الطرف حتى سطيف او ذهبنا الى وادي الصومام من الطرف الآخر فان

مناظر الازدواج بين الجبال والبحر والوادي الاخضر متفرقة وملتقية متعانقة ومنفصلة هي طابع الرحلة .

اي روعة تلك في هذه المناظر الخلابة في بطن الوادي وقد تدفقت الامطار فوق الجبال واخذت تتسرب من خلال فتحات ومسارب ما تزال تتقاذفها متحدرة الى الوادي حتى تصل الى نهر الصومام فاذا هو بعد قليل يفيض ويمتلىء ، بالمياه الحمراء المتدفقة في طريقها الى كل مكان وهي تحمل الفرين الاسود .

حقا لقد كان يوما حافلا عندما انطلقنا تجاه وادي الصومام بالحافلات الضخمة ، واخذت السماء تمطر في غزارة ، ولكن الجو كان دافئا ، وقد ظلت الحافلات تصعد بنا في طرق ممهدة ولكنها حلزونية حتى وصلنا الى ارتفاع الف متر فوق سطح البحر وما تزال الجبال فوقنا شامخة . ومن الجبل الى السهل فالسهل في قلب الجبل ، والجبال مخضرة مليئة بالغابات ، وقممها شامخة بيضاء كعمائم العرب وقد كستها الثلوج ، مجموعة من السلاسل المتداخلة من الجبال بينها الوادي الاخضر ، ومجاري النهر ، ولقد ترى وانت في اعلى قمة الجبل واديا منخفضا امامك ثم ترى الجبال العالية الاخرى من بعدها محيطة بك من كل جانب .

ولقد فرح بنا الذين زرناهم وهللوا وكبروا لله ، فقد حمل اليهم ضيوف ملتقى الاسلام الرحمة .

ولقد كان نهر الصومام مرافقا لنا طوال الرحلة فهذا هو واديه الواسع ، نراه ثم يختفي ثم يعود ثانية ، كان في الصباح ضحلا تبدو صخوره واحجاره ، فلما عدنا في المساء كان قد امتلىء بالماء وازبد وتدافق في قوة ، لقد تلاقت العيون المتدافقة من اعلى الجبال في مسارب متعددة ثم اختفت تحت الطريق الذي تمر عليه الحافلات فاذا بها تتجمع في رواق اكبر واكبر جياشة بالمياه الحمراء ، حتى بلغت النهر نفسه الذي دبت فيه الحياة وجاشت وعلا موجه وزبده وهديره فذكرنا قدرة الله القادر ، الذي احيا الارض بعد موتها ، وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته ، وما رايت كيف تفسر هذه الآية الا في مثل هذا المنظر الباهر الذي لا نعرفه نحن في المشرق او في مصر على الخصوص: « انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا » لقد جرف السيل امامه كل شيء وجاء رزق السماء واسعا وفيرا وامتلات قلوب اهل وادي الصومام بالفرحة التي جاءت مع وفد الملتقى الاسلامي .

كانت هذه الصورة خارج الحافلة ، اما في داخلها فقد كانت حلقة علم وتاريخ تترامى فيه اسماء الاعلام ووقائع الاحداث كلما مررنا على موقع منها مشخصا اسماء يوسف بن تاشفين وعبد المؤمن بن علي وابن تومرت ، وفي ملاله حين ملتقى عبد المؤمن مع ابن تومرت كان منطلق الدولة الموحدية وفي صدوق مسقط راس الشيخ الحداد الذي قاوم الاستعمار الفرنسي وفي افرى حيث انعقد مؤتمر الصومام عام 1956 كان هناك اعلام في تاريخ الجزائر والمغرب كله في مقدمتهم شيخ المؤرخين ومؤرخ الحضارة الاسلامية على الخصوص : عثمان الكعاك ، ومحمد الفاسي صاحب الابحاث الواسعة عن احداث المغرب القديم والوسيط وكان المهدي بو عبدلي هذا الرجل الذي كان يتحدث عن هذه البلاد وكان عاش تلك الفترات عارفا برجالها وما ورد في الكتب عنها وما نشر في المغرب او المشرق ، والشيخ سليمان داود بن يوسف الذي كان يعرض من الجوانب ما يكشف عن اعماق التاريخ وكان هناك مولود قاسم نفسه هذا الوزير العلامة حقا ، الذي كان يصحح ويدقق ويستكمل الجوانب من كل ما يعرض وما يقدم وكان الاستاذ مصطفى بعيو الوزير المؤرخ الليبي ، وكان الشيخ عبد الله الشماخي القاضي اليمني فكاهة الندوة ومجلاها في الشعر والادب اما مفدي زكريا شاعر الثورة الجزائرية فكان يذكرنا بشعره الرصين دوما بتلك المواقف الحاسمة من جهاد الجزائر . ولقد حدثنا الوزير مولود قاسم عن ثورة الشيخ الحداد : هذه الثورة التي استمرت الى عام 1910 ، وكان الشيخ الحداد في الثمانين من عمره وقد جاء اليه محمد المقراني الذي قاد الثورة المسلحة ووجد في الشيخ سناده الروحي حيث كان الحداد شيخ الطريقة الصوفية الرحمانية مقيما في زاويته قال المقراني : جئناك لنعلن الجهاد على فرنسا . قال الحداد : ان الامر يتطلب اعدادا واستعدادا .. قال المقراني : بل في الحين، فوافق الشيخ على مضض وقال : ادعوتك هذه مشؤومة، ولكن سنقوم بها ، وقد كان المقراني يظن الشيخ الحداد من اولياء النعمة والمطمع على النحو الذي عرف عن بعض رجال الطرق غير انه لما ازاح الشيخ الغطاء عن الطعام الذي قدم له لم يكن فيه غير زيت

وجبن وشقة خبز، وكان هذا كل ما يأكله الحداد ، هناك تبين المقراني ان الحداد ليس رجل دنيا واندلعت الثورة واعلن الجهاد (8 ابريل 1871) ولما قدم للمحاكمة صدر الحكم عليه بالسجن خمس سنوات فقال : انتم حكمتم علي بخمس سنين وانا حكمت على نفسي بخمسة ايام ثم مات بعد الايام الخمسة ودفن فى قسنطينة بجوار الامام عبد الحميد بن باديس .

ولقد اشار الوزير مولود قاسم بعد ان استعرضت ندوته الحافلة تاريخ بجاية وسبب سقوط دولتها : الى مضمون هام هو غاية القول فى سقوط الحضارات : قال لقد ذكر ابن خلدون بكل وضوح الاسباب التى مهدت لانهيار دولة بني حماد وهي نفس الاسباب التى وقعت بالنسبة لدولة المرابطين وبقايا الزيريين فى تونس ونفس اسباب سقوط الموحدين ، وهي نفس الاسباب التى قضت على الدولة الفاطمية والعباسية ، وبابل واشور وقرطاجة واثينا .

هذه الاسباب هي الانحلال الذى يعقبه الاحتلال مستشريا وكيف كان النساء يتصرفن فى شؤون الدولة وكان الرجال قد تخنثوا ، يخرجون للصيد ويستمعون للموسيقى . غناء وحداء بشعره وحده وما شابه ذلك . هذا هو الوضع الذى كانت فيه دولة الحماديين ، وهذا هو الوضع الذى كان عليه الموحدون بعدهم .

هكذا انقلبت الاوضاع وانعكست وهذا يؤدي الى النتيجة المحتومة . لقد تأنث الرجال واسترجلت الاميرات وكان ما كان ، وان كان ليس من الضروري ان يعيد التاريخ نفسه تماما ، فعلينا ان نستفيد من ماضينا وماضي الامم، وان كانت قد بنيت قبل ان تلهو فان خراب بنائها يعقب اللهو مباشرة . وبمثل هذه المناقشات الجادة المثرية مضت ساعات طويلة بين بجاية ووادي الصومام مرة وبين بجاية وقلعة بني حماد مرة اخرى واتصل هذا بالنقطة الثالثة من مواد الملتقى الاسلامي الثامنة التى ركزت على دور (بجاية) الحمادية فى الفكر والحضارة الاسلاميين والعالميين واسباب وآثار انحطاطهما . وتلك سنة طيبة استنها وزير الاسلام فى مختلف المؤتمرات وهو التركيز فى نقطة هامة من النقط على ولاية من ولايات الجزائر : ومن قبل تناولت الابحاث قسنطينة وتيزي اوزو ووهران وفى العام القادم تتركز الابحاث على « تلمسان » ومن خلال هذا يثرى البحث العلمي تاريخ الجزائر كله بهذه الدراسات المكثفة وقد وزع علينا هذا الكتاب التاريخي المصور الانيق عن بجاية الذى اثار الانتباه حتى سالني زميلي الصحفي الاستاذ صبري ابو المجد عما اذا كان لدينا فى القاهرة متخصصون على هذا النحو !

ولقد كانت هذه هي زيارتي الاولى للجزائر بعد ان عشت معها بالعلم والقلم والقلب سنوات الكفاح الطويلة وسنوات الثورة الظافرة .

ولا ريب كانت دعوتي لزيارة الجزائر مصدر فرحة روحية كبرى وكنت عشت هذه الملتقيات الاسلامية من قبل بالروح والفكر فقد اتيح لي ان اطالع ما نشر من مناقشات ومحاضرات وعرفت كيف تقدم الى الفكر الاسلامي اضافات ذا بال ستكون بعيدة الاثر فى دراساته ومفاهيمه . وقد كان قلبي يخفق وانا فى الطائرة الى الجزائر بحب عدد من الاعلام الذين عرفتهم واحببتهم وتعلمت عنهم من امثال الامام عبد الحميد بن باديس والشيخ البشير الابراهيمي ومالك بن نبي والفضيل الورتلاني وكنت قد درست الحياة الثقافية فى المغرب العربي كله (ليبيا وتونس والجزائر والمغرب) حينما الفت كتابي (الفكر والثقافة المعاصرة فى شمال افريقيا) منذ بضعة عشر سنة ودرست جهاد جمعية العلماء وفي مقدمة رجالها ابن باديس والابراهيمي والمدني الميلي والتبسي وغيرهم من الرواد وان حز فى نفسي ان جريدة الشعب تجاهلت موضوعي الذي قدمته الى رئيس تحريرها بمجرد ان وطئت قدماي ارض الجزائر تحية للجزائر والملتقى ، ولست ادري لذلك سببا واضحا .

نعم لقد وصلنا الى الجزائر ومنها قصدنا الى بجاية ومن خلال رحلة الطائرة كان البحر الابيض مصاحبا لنا فى تثونه وشواطئه وجباله على نحو يسعد النفس ويملأ القلب فرحة لامتداد ذلك الشاطىء الاسلامي حيث يلتقي الجبل بالبحر والسهل بالصخر، وحيث الجبال العالية مكسوة بالخضرة الدائمة والاشجار الباسقة .

لقد عشت فى هذه الايام رحلة الفكر وعبرة التاريخ وصورة الحاضر ، ووجدنا الجزائر تبني حياتها من جديد فى نشاط وعزيمة قوية وتتحرك

نحو النهضة والتقدم فى اطار مفهوم الاسلام الصحيح، وقد تعالت صيحة اللغة العربية فبدت على كل لسان.

واعطانا فندق الحمدانيين فى بجاية حيث نزلنا صورة التجدد والمحافظة فى اطار واحد ، فهو مبنى على صورة القلاع التاريخية الاسلامية وفى داخله نجد النموذج الجزائري المغربي الاسلامي القديم : وبالرغم من التقدم العصري فى كل مجال البناء والهندسة والخدمة ، اجد امامي هذه (الفازة) الجميلة المصممة على الطراز الجزائري القديم ، وتحت المادة وعاء من الحوض وهناك الطاقة القديمة والخزنة الخشبية ، ولقد امضيت ليلتي امس استمع الى هدير البحر واصطخاب موجاته وهو يضرب فى جدار الفندق الضخم .

ومن خلال هذا الملتقى تعرفنا على العشرات من الاعلام من شرق الارض وغربها، نماذج متعددة من اليابان واليمن والهند وايران ومن ايطاليا وفرنسا واسبانيا والمانيا ، كلهم جاءوا يتحدثون عن الاسلام ويشاركون فى البحث عن حضارته وفكره ويدلون بدلائهم من حول الاصالة والمعاصرة . ومجال الحوار مفتوح ، فما تنتهي محاضرة باحث فيهم حتى يفتح باب التعليق والتعقيب ، فتضاء كل المصابيح ، وتتكشف كل الحقائق وهناك رجال فى الجزائر يقظون حذرون لا يتركون خطا او انحرافا دون ان ينهوا عنه واذكر فى مقدمتهم : الشاذلي مكي واحمد حماني ورشيد بن عيسى ، هؤلاء ركائز من النواحي التاريخية والفقهية والدراسات الحديثة ، اما الوزير فانه يقظ لا تفوته كلمة ولا يتجاوز عن الحق متحدث امامه ، بيده الضوابط التى تكفل حماية البحث من الانحراف ، ورده الى الاصالة اذا اعوزه الامر .

ولقد تحدث المتحدثون عن حضارة بجاية وقالوا كل ما عندهم عن علوها وسقوطها ، ولكنهم غفلوا عن حقيقة اساسية فلم يلبث الا ان تقدم الى المنبر بعد ان انتهوا ليكشف هذه الحقيقة ويصحح الموقف ويضعه فى الاطار الصحيح .

لقد كانت رحلة الملتقى الاسلامي الثامن بعيدة الغور فى آماد التاريخ وفى اعماق الفكر وفى آفاق البحث جميعا وكانت ثروة ضخمة للمفكر والباحث والمؤرخ والصحفي من خلال اثني عشر يوما من العمل الدائب والنظر المتصل على نحو لم نشهده فى كثير من مؤتمرات البحث او ندوات الدرس، مما يجعلنا نعتقد بحق ان الملتقى قد اضاف كثيرا وصحح كثيرا واثرى العقول والافكار .

مصر ـ انور الجندي



اردت ان اسجل تحت هذا العنوان ، ما انبثق عن مناقشة شاركت فيها مع بعض الزملاء الافاضل من رجال العلم بالشرق العربي فكان من ذلك ، وقوفي عند هذا الاستعمال الذى شاع فى الشرق منذ نصف قرن تقريبا ، ثم شاع عندنا ، وهو قولهم « وهو بالتالي » كذا وكذا .

وقد كنت من المستعملين له ، وانا طالب بكلية الآداب من جامعة فؤاد الاول ، الى ان اتيحت لي فرصة القاء بحثين لي على استاذنا الراحل ، طه حسين ، رحمه الله ، وكان احدهما حول ابي « دهبل الجمحي » ، والآخر حول « الوصف فى شعر ذي الرمة » فانتقد علي الاستاذ هذا الاستعمال.

ومن يومئذ وانا امعن فيه ، والتمس له وجها من الصواب ، فلا اجده مستعملا فى النصوص القديمة، ولا فى استعمالات اصحاب الفنون التى باشرتها ، منذ دراستي الثانوية ، فهذا التالي لا اعرفه بمعناه المقصود ، الا فى القضية الشرطية بالمنطق الصوري، كما بالسلم :

جزآهما مقدم وتالي

واخيرا اهتديت الى ان قول معاصرينا من شبابنا وشيوخنا « العلاميين » ، المنافحين عن العربية الحاملين لرايتها بزعمهم « بالتالي كذا » ما هو الا ترجمة حرفية للاستعمال الانجليزي Consequently او Subsequently

وما اكثر ما غزتنا الانجليزية فى عقر دارنا ! ومن افتك غزواتها بنا ، صياغة المستقبل فى النفي بقولنا « سوف لا » أو « سوف لن » اذا مثل هذا لا يوجد الا بها واختها الالمانية ولا يوجد له نظير فى اية لغة من اللغات التى تحيى بيننا الآن ، اللهم الا هذه التعبيرات التى فتك بها سرطان الاستعمار البغيض ونحن عن ذلك سامدون وفى غفلة متسكعون .

وعلى العكس نجد بعضهم يستعملون مثل « جاء ابن وعم فلان » فيخطأون في هذا الاستعمال، ويصوبون بأن يقولوا « جاء ابن فلان وعمه » . وكان هؤلاء المعترضين ماخوذون بالعقلية التى لا تدرك طبيعة العربية ، التى قال علماؤها: «بالنية والانتظار» فيها و « التقدير » فى تراكيبها . والنية هذه لم تقم عليها اللغة فحسب ، بل قام عليها حتى الدين ، قال الحديث « انما الاعمال بالنيات » وقل الفقه : «الذمة عامرة باليقين لا تبرا الا باليقين» فكان للقصد وعدمه فى ارتكاب الجنح والجرائم ، اعتباره الاول

فتعبيرنا اذن صادر عن طبيعة العربية ، التى تقول بكل ذلك وتقول ، بناء على قاعدة النية « بلمح البصر » ، وبغير ذلك من ملاحظ لا تخرج عن مبدأ النية ، ولا تعتمد على التركيب الميكانيكي الذى نجده قد تحكم عند اصحابه ، « ولكل قوم هاد ». اما نحن

فنقدم ونؤخر حسب ما نقصد وما ننوي اليه ، ونضمن الافعال فنشرب بعضها بعضا ، ان اقتضى الحال ، وكانت في ذلك وجهة معقولة ، لا تمحك فيها ولا تغرير ...

لقد استعملت هذا التعبير ، وانا طالب ايضا بالكلية المذكورة ، في احد البحوث التي قدمتها لاستاذنا ، مصطفى السقا رحمه الله ، فصوبني فيه ، على جهة التحسين ، لا التقبيح له لان استاذنا السقا ، يصح ان نعده آخر من حمل لواء استاذه العظيم ، الشيخ حمزة فتح الله ، فكان في العربية موسوعتها المتحركة ، وكان اللجوء اليه من الاساتيذ الكبار وقلما نجد من جيلنا المزاول للعربية ودراساتها، من لافضل عليه لهذا الاستاذ الذي عرفته الجامعة والمحافل العربية في مصر وغيرها .

وبعد عشر سنوات ، من استعمالي ذاك ، وجهت الى استاذي الدكتور ابراهيم امين ، بنموذج من ترجمتي لكتاب (جهار مقاله) بقصد الاطلاع على هذه الترجمة وابداء رايه السديد فيها ، فأعيد الى هذا النموذج من الترجمة ، مرفقا برسالة الموافقة والاستحسان ومعلما فيه هذا الاستعمال ، بالتصويب الذي سبق ذكره ، وكان الدكتور رحمه الله رحمة واسعة ، بحرا في مادته مشاركة في عدة لغات على مقدمتها التركية والانجليزية والفرنسية ، وربما الالمانية ايضا ، عدا العربية والفارسية . فلا شك ان توجيهه كان على سبيل التحسين ومنذ يومين ، راينا من زميل نقدره ونجل علمه ، يعترض على ناشيء في هذا الاستعمال ، ويوجهه نفس التوجيه او التصويب ، ولم نرد ان نقدم على الاعتراض ، كما يفعل بعض الزملاء العزاز ، ولكنا بعد ان ضمتنا حجرتنا ، قلت لذلك الزميل الفاضل « ان الاستعمال عربي » ، فقد قالت العرب « قطع الله يد ورجل من قالها » فقبل ذلك قبولا حسنا ، الا ان الزميل الآخر العزيز ، قال انه شاذ ، فقلت له بل النحاة لم يعتبروه بهذا الشذوذ ، وقرروا له قاعدته العامة ، كما قالت الالفية التي عزب عني آنذاك قولها :

ويحذف الثاني ويبقى الاول
كحاله اذا به يتصل
بشرط عطف واضافة الى
مثل الذي له اضفت الاولا

فقال الزميل العزيز ، هل وجد لما استشهدت به « قطع الله يد ورجل من قالها » نظير من العربية؟ فقلت له لا شك في ذلك ، وغاب عني قول الفرزدق :

يا من راى عارضا اسر به
بين **ذراعي وجبهة الاسد**

وقول الشاعر :

سقى الارضين الغيث **سهل وحزنها**
فنيطت عرى الآمال بالزرع والدرع

بل غاب عني قول الشاعر ، الذي لم يلتزم حتى ذلك الشرط فقال :

ومن قبل نادى كل مولى قرابة

وان كان هذا ليس محط الاستعمال المذكور وهو مستجمع لكل الشروط ، كما ان قراءة « فلا خوف عليهم » اي فلا خوف شيء تعد شاذة ..

فالمهم ان قولنا « اخذت كتاب وقلم فلان » عربي فصيح ، لا غبار عليه ، ويماشي ركبها الذي له نية قاصدة لا يحيد عنها في شيء .

لقد وجد في مخطوط ، كان ملكا لمحمد (بالفتح) الناصري ، هذه العبارة « ملك ... بثمن قدره قرش كلب ، عام ستة وسبعين والف » .

فما « قرش كلب » هذا ؟

يجب قبل ان نجيب عن ذلك، ان ننظر الى المغرب وهو يجتاز تلك المرحلة التاريخية ، فنراه آنذاك ، قد استولى على مغلب سواحله الاوربيون ، من اسبان وبرتغال وانجليز .

اذن فلابد ان تكون عملة هؤلاء رائجة عندنا . وقد قالت لي سيدة معمرة ، رحمها الله ، انها لم تكن تعرف للمغرب عملة له الا في عهد مولاي الحسن، رحمه الله، ويصدقها في هذا ان اطلاق اسم الحسني، كان يعم كل كلمة مغربية ادركناها ، حسنية كانت أم عزيزية او حفيظية ، هذا ما كنا نعرفه في الشمال ، فكانت هذه العملة الحسنية على اطلاقها ، رائجة به حتى قضى عليها « فرانكو » سنة 1937 وبقيت بعد ذلك معروفة بطنجة مستعملة فيها .

على ان اسم الحسني ، اتخذ له مدلولا خاصا، فيما عدا شمال المغرب ، فكان يعني نصف فرنك مغربي .

ومن اطرف ما حصل لي ان والدي مع بعض افراد الاسرة ــ رحمهم الله ــ استصحبني في سفر له الى فاس ، وانا في سن العاشرة ، فسالت احد الباعة عن ثمن معروض له ، فقال « حسني » فانفجر في وجهه ، رجل من معيتنا ، لانه فهم « الحسني » بمفهومه عندنا ، وان البائع ، يستدرجنا ليوقعنا في ورطة عند « الفرنسيس » باستحضارنا لعملة لا يسمح بها في منطقة حمايتهم ، اي العملة المغربية التي تسمى عندنا باسم « الحسني » .

وهكذا كان الحسني في العملة يعني ما يقابل غير المغربي عندنا ، وان كانهذا خاصا في الغالب ، بالقطع الفضية ، كاالريال ونصفه وربعه ، وعشره ونصف عشره ، وهو الذي كان يسمى بالبليون (الاسباني الاصل وان كان مغربي الواقع) .

وابتداء من البليون ، نجد العملة المغربية تتخذ الاسماء الاجنبية ، فنصف عشر البليون ، او الكرش (بالكاف الفارسية) هو « الصولدي » ، وكان ينطق في فاس بالنون احيانا ، وكلمة الصولدي هذه فرنسية قديمة ، كما في المعاجم « الايتيمولوجية » مثل معجم « ريتشرد جون كانليف » الانجليزي . وهذه الكلمة موجودة حتى في انجليزية القرن السادس عشر ، ووردت في بعض مسرحيات شيكسبير ، ولكنها اختفت فيما بعد ، وظلت النسبة اليها فقط حية ماثلة حتى الآن ، في اسم الجندي ، فهو في الانجليزية بهذه النسبة Soldier كما كما انه في الاسبانية بهذه النسبة Soldade على صيغة اسم مفعول ، وهي طريقة عرفتها العربية، على اوسع نطاق في النسب ، فقالت الالفية :

ومع فاعل وفعال فعل
في نسب اغنى عن اليا فقبل

وتزيد على هذه اسم مفعول ، كما حصل في المقنع الكندي ، اي ذي القناع ، وكما حصل على الملثمين عندنا ، اي ذوي اللثام ، وقد قلت هذا « لعلامة » من رجال الحيثيات ، فقال انهم الملثمون، بالكسر لانهم يلثمون انفسهم ، فقلت في نفسي ، يا ضيعة الافهام التي لا تستقر كاستقرار اللثام .

ويبدو ان اسم المفعول لهذه الغاية ، موجود حتى في غير العربية والاسبانية ، فقد استعمل « شيلي » winged words للكلمات الجنحة اي اولات اجنحة ، كما قال الله في الملائكة « أولي أجنحة » فالكلمات السامية في التعبير البالغة ذروة الرقي والبلاغة هي المجنحة التي صرنا نجدها في التعبير المصري ، وهي التي خلقها شيلي ، لاول حلقة لها كما نظن، فقال ما معناه من قصيدة له غرامية) ان الكلمات المجنحة فينفسي اذ تعبر عن حبنا السامي، ما هي الا سلاسل من رصاص ، تحيط حول طائره الناري » .

اذن فالكلمات وهي تقوم بوظيفتها في تصوير الحب ، ثقيلة ثقل الرصاص متينة متانته ، ولكنها سرعان ما تذيبها النيران اذا لامستها . نعود الى « الصولدي » ، فنقول : ما علاقته بالجندي ؟

ان علاقته به انه كان ما يتقاضاه من الحكومة يوميا ، ولهذا كانت صورته تنقش على هذه القطعة الصغيرة ، وقد ادركنا الجندي الاسباني يتقاضى يوميا ، خمسة صواليد صفار . وهذه العلاقة ايضا موجودة في الفرنسية كما هو معلوم ، ولعلها اول من استعمل ذلك ، لان اصل الكلمة فرنسي ، كما قالت المعاجم .

اما في الشمال ، فكان مقابل الصولدي ، « بيرا كبيرة » ، « وبيرا صغيرة » ، وهي بالاسبانية Perra gorda و Perra chica ومعناهما المعجمي : « كلبة سمينة » ، و « كلبة صغيرة » .

فهذه الكلبة ، هي التي وجدناها ، في « قرش كلب » فلربما عنى بالقرش « الصولدي » نفسه ، او ان الكلب ، كان ينقش في قطعة اعلى قيمة من الصولدي ، ك « البسيطة » مثلا ، التي كان اهل الجبال عندنا ، يسمونها باسم « كارا » اي الوجه بالاسبانية لانه كان منقوشا بها كذلك .. وهذا لا غرابة فيه ، فاسم « الريال » وهو اسباني الاصل ، يعني « ملكي » ــ كما كان في تركيا «مجيدي» يعني النسبة الى الخليفة عبد المجيد ــ وكان يطلق على ما كان محتويا على عشرين قطعة فضية ، هي « البليون » الفضي ، ولكنه فيما بعد صار عند

الاسبان ، يطلق على هذا البليون بنفسه ، وهو ما ادركنا عليه الحال عند الاسبان .

ولعل سنة 1861 ، كانت تشهد مرحلة انتقال، من المدلول الاول الى المدلول الثاني ، وبهذا وجدنا القائد الاعلى الذى كان يباشر عقد الصلح مع المولى العباس ، اثر حرب تطوان ، بين المولى محمد بن عبد الرحمن والملكة فيكتوريا الاسبانية ، يخرج فئتين من جيبه ، احداهما ما نعرفه باكرش او البليون والاخرى ما نعرفه بالريال ، فيقول له «المقصود بالريال ، فيقول له «المقصود بالريال فى العشرين مليونا ، انما هو هذا ـ واشار الى الريال ـ لا هذا ـ واشر الى الكرش او البليون . فكان كلمة « ريال » من قبيل المشترك آنذاك

واجهنا فى موضوعنا البيتين اللذين قالهما علي، قبيل مصرعه ، وهما :

(اشدد) حيازيمك للموت
فــان المــوت لاقيـكا

ولا تجـزع مـن المـوت
اذا حـل بواديـكا

هذان البيتان ، وجدنا الفرس ينظمون كثيرا ، على بحرهما ، وهو الهزج ، بل وجدنا اكثر من ذلك ، انهم يعتبرون البيتين بيتا واحدا ، فيجعلون اولهما مصراعا وثانيهما مصراعا كذلك ، وما هذا ـ كما قلنا ، ونحن اول من قلنا ـ الا تشبثا ، بما صدر عن علي مستقلا ببيته ، الذى هو وحدة لها من الكيان ما للبيت من غير الشعر . ويكفي ان نذلل على هذا بثلاث قصائد ، للشاعر حافظ الشيرازي اولها مطلعها :

اكرآن تركي شيرازي بدست آوردل مارا
بخال هندويش بخشم سمرقند وبخارار

ومعناه :

لو ان ذلك التركي الشيرازي تمكن من قلبنا
لمنحته بخاله الهندي سمرقند وبخارى

والثانية مطلعها :

دلم جز مهر مهرويان طريقي برنميكيرد
زهردر ميدهم بندش وليكن درنميكيرد

ومعناه :

ان قلبي لا يتخذ سبيلا غير حب الجميلات
اني اعطيه نصيحته من كل باب ولكنه لا ينتصح

والثالثة مطلعها :

الا يا ايها الساقي ادر كاسا وناولها
كه عشق آسان نمود اول ولي افتاد مشكلها

وهذا من قبيل ما يعرف عندهم باسم «الملمع» ومعنى الشطرة : « لان العشق يبدو اولا سهلا ، ولكن تقع المشاكل »

ومن قبيل الملمع البيت الاخير من القصيدة نفسها :

حضوري كرهمي خواني ازو غائب مشو حافظ
متى ما تلق من تهوى دع الدنيا واهملها

ومعنى الشطرة الاولى : اذا كنت تريد حضورا فلا تغب عنه يا حافظ » . وذكر اسم الشاعر او لقبه او كنيته ، فى قصيدته ، يعرف بالتخلص .

ولحافظ الشيرازي ملمعات كثيرة ، كما نجد فى هذين البيتين من قصيدة له اخرى :

« در حلقه كل ومل خوش خواند دوش بلبل »
هات الصبوح هبوا يا ايها السكارى

ومعناه : « ان البلبل قد غنى امس بحلقة الورد والخمر الطيبة » :

« آن تلخيوش كه صوفي ام الخبائثش خواند »
اشهى لنا واحلى من قبلة العذارى

ومعناه ، ان ذلك المر (بالشبه) الذى يسميه الصوفي أم الخبائث .

وبعد فلا نرد على من قال ان الفرس اختاروا من الاوزان العربية ما ناسب ذوقهم منها ، بل نقول بذلك ، ونقول فيما يتصل بهذا الوزن الذى ورد فيه البيتان المنسوبان لعلي ، ما قلنا فيهما ، ولا ينافي هذا الذى قلناه وحدنا ، ما قاله غيرنا فى هذا الاختيار وهي ملاحظة من وحي ساعتها ، نريد ان نسجلها ، فى أوانها ، حرصا منا عليها وعلى مثيلاتها، التى نعتز بها لانفسنا قبل غيرنا .

تطوان ـ محمد بن تاويت

في تاريخ النقد الادبي :

عيار الشعر وأثره في كتب البلاغة

للدكتور محمد علوي مقدم

كتب هذا البحث اولا باللغة الفارسية ، والقي في المؤتمر الثالث للتحقيقات الايرانية المنعقد خلال سنة 1972 ، ونشر كاملا في مجلة كلية الاداب والعلوم الانسانية ـ جامعة مشهد بايران ـ العدد الاول ـ السنة التاسعة ، في ربيع السنة الماضية . وهو يدور حول كتاب عيار الشعر لابن طباطبا الاصفهاني الذي يضعه بعض النقاد في طليعة ادباء العربية في عصورها الزاهرة ، ويفضلون كتابه هذا على مؤلفات ابن قتيبة وابن المعتز وقدامة ابن جعفر وغيرهم من نقاد الادب المشهورين .

وقد سعد اخونا الاستاذ محمد حجي اثناء حضوره مؤتمر تخليد ذكرى الامام سيبويه بشيراز بالتعرف على كاتب المقال الدكتور محمد علوي مقدم استاذ اللغة الفارسية وادابها بكلية الاداب من جامعة الفردوسي بمشهد ـ ايران ، فاعجب بدماثة اخلاقه ، وسعة اطلاعه على تاريخ العلوم الاسلامية التي شاد صرحها العرب والفرس خلال القرون الاسلامية الاولى ، وتاكد ذلك في عرضه القيم حول الصرف والنحو في القرن الثاني الهجري ودور سيبويه في تدوينهما، وفي المناقشات الادبية والتاريخية التي جرت على هامش المؤتمر .

ورغبة في ربط الصلات بين المسلمين شرقا وغربا عن طريق الاطلاع على جهودهم في التعريف بالتراث الاسلامي المشترك ، رجا اخونا الاستاذ محمد حجي من الدكتور محمد علوي مقدم أن يتفضل بنشر هذا البحث معربا في مجلة دعوة الحق ، كحلقة اولى في سلسلة بحوث فارسية اسلامية نرجو ان تنمو وتطرد رجاؤنا ان يقرا اخواننا الايرانيون على صفحات مجلاتهم شيئا مما يكتبه اخوانهم هنا في اقصى الجناح الغربي للعالم الاسلامي .

يدور بحثي هذا حول حول كتاب عيار الشعر لابن طباطبا ، وأثره في كتب البلاغة من بعده ، اسم ابن طباطبا : محمد ، فيما يقول ياقوت الذى انهى نسبه الى الامام علي بن ابي طالب . ولما كان جده هو ابراهيم ابن طباطبا ، فقد عرف هو بابن طباطبا ايضا . يذكر ياقوت (1) انه ولد بأصبهان ، وتوفي فيها عام 322 هـ . في حين ان المرزباني (المتوفى عام 384) لا يعده من اهل اصبهان (2). أما القفطي (المتوفى عام 646) فعده من كبار الادباء ، ونسب اليه كتبا في الشعر والادب ، وكان يعتقد ـ مثلما اعتقد المرزباني ـ انه لم يكن اصبهانيا بل ورد اصبهان ، كما انه ـ بعكس الآخرين ـ لم يحدد سنة وفاته واكتفى بأن قال : «وعاش بعد الثلاثمائة بكثير» (3).

(1) معجم الادباء ، 17 : 143 . طبعة القاهرة .

(2) معجم الشعراء ، ص 463. طبعة رف . كرنكو . القاهرة ، 1354 هـ .

(3) المحمدون من الشعراء ، 1 : 11 ـ 12 . الطبعة الاولى ، حيدر آباد . الدكن 1966 .

اما صلاح الدين الصفدي المؤرخ الاديب الذى عاش فى القرن الثامن الهجري (696 ـ 764 هـ) فوصفه بعد ان نقل ما اورده ياقوت عنه بالشاعر المفلق والعالم المحقق وذكر ان وفاته كانت فى اصبهان عام 322 هـ ايضا (4) . غير ان الصفدي نفسه يذكر اسما لابن طباطبا اخر غير الذى نحن بصدده ، هو محمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم المعروف بابن طباطبا ابن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه وكان خطيبا وشاعرا ، خرج من الكوفة على عهد المامون (5) . ويذكر خير الدين الزركلي صاحب الاعلام ، ايضا ابن طباطبا الذى توفى عام 199 هـ واسمه محمد ، من احفاد حسن المثنى ولد الامام علي بن ابي طالب ومن ائمة الزيدية ، وكان يعيش فى المدينة . ولما نشبت الحرب بين الامين والمامون عام 196 هـ . رحل الى مكة حاجا ، فاستقبله الناس وكانوا يعدونه من شجعان العصر ، وعاش 26 سنة (6) .

وخلاصة القول ان ابن طباطبا سواء ولد فى اصبهان ام لم يكن من اصبهان ، بل دخلها بعد ذلك ، فانه لا بد من القول انه عاش فى ذلك العهد فى مكان كان مركزا علميا، يقول السمعاني المتوفى عام 562 هـ، عن اصفهان « خرج منها جماعة من العلماء فى كل فن قديما وحديثا » (7) .

ويقول ياقوت : « وقد خرج من اصبهان من العلماء والائمة فى كل فن ما لم يخرج فى مدينة من المدن » (8) .

مكانة ابن طباطبا وشاعريته :

وصفه ياقوت بالشاعر المفلق والعالم المحقق وحدة الذكاء وصفاء القريحة وذكر من مصنفاته كتاب « عيار الشعر » وكتاب « تهذيب الطبع » فى الشعر وكتاب « العروض » الذى لم يسبق الى مثله وقال : « هو شاعر مفلق ، وعالم محقق ، شائع الشعر ، نبيه الذكر » (9) .

وينقل ياقوت عن حمزة الاصبهاني ان عبد الله بن المعتز كان يعجب بابن طباطبا ويقدمه على الشعراء الآخرين كما ان ابن طباطبا كان يتوق كثيرا للقاء ابن المعتز وسماع شعره ، غير انه لم يحظ بذلك لانه اقام فى اصفهان ولم يغادرها ، لكنه استطاع فى اواخر عمره ان يظفر بشعر ابن المعتز وان يختار منه 187 بيتا تفضيلا لها على غيرها (10) .

وعد المرزباني ابن طباطبا من كبار الادباء ايضا، وقال انه الف كتابا فى الشعر والادب ، وان اكثر اشعاره فى الغزل (11) .

اما الصفدي الذى نقل ما ذكر ياقوت عن ابن طباطبا فاورد له قصيدة في 29 بيتا لم يات فيها بحرفي «الراء» و «الكاف» ، مطلعها (12) :

يا سيدا دانت له السادات
وتتابعت فى فعله الحسنات

وروى القفطي ابياتا من شعره (13) .

اهمية كتاب عيار الشعر

لقد حقق الدكتور طه الحاجري والدكتور محمد زغلول سلام كتاب عيار الشعر على انه من الكتب المهمة فى النقد الادبي وفن الشعر ، وهما يذهبان الى تفضيله على « الشعر والشعراء » لابن قتيبة ، و « البديع » و « طبقات الشعراء » لابن المعتز

(4) الوافي بالوفيات ، 3 : 79 تصحيح هلمون رتير .
(5) المصدر السابق 1 : 377
(6) الاعلام 4 : 182 (الطبعة الثانية) .
(7) الانساب 1 : 284 ، الطبعة الاولى ، حيدرآباد . الدكن 1962 م .
(8) معجم البلدان 1 : 209 ، طبعة بيروت 1955 م .
(9) معجم الادباء ، 17 : 143 .
(10) معجم الادباء 17 : 144 ـ 145 .
(11) معجم الشعراء 463 .
(12) الوافي بالوفيات 2 : 79 .
(13) المحمدون من الشعراء 1 : 11 ـ 12 .

و « وقواعد الشعر » لثعلب و « نقد الشعر » لقدامة بن جعفر ، لان صاحبه شاعر يقول الشعر ويعانيه ، في حين ان الآخرين – عدا ابن المعتز – علماء بالشعر ، واكثرهم علماء لفقه .

يمتاز كتاب عيار الشعر بطابعه الخاص الذي تظهر فيه شخصية مؤلفه وذوقه في اختيار النصوص. وقد كان مؤلفه يدرك عناصر الحسن والجمال وفـدات الشعر وفي الكتاب كلام على اللفظ والمعنى والصور البيانية ، والقصيدة وموضوعها وصلته بالحال والمقام ، وفيه حديث عن المعاني الشعرية وتناول الشعراء لها قدماء ومحدثين وتصرف المحدثين فيها ، فمنهم من يقلد السابقين ومنهم من يبدع ولا يقلد (14) .

للذوق والطبع الصحيح عند ابن طباطبا اهمية خاصة ، يقول (ص 3 و 4) :

« فمن صح طبعه وذوقه لم يحتج الى الاستعانة على نظم الشعر بالعروض التي هي ميزانه ، ومن اضطرب عليه الذوق لم يستغن من تصحيحه وتقديمه بمعرفة العروض والحذق به » .

ويرى ابن رشيق القيرواني ان المطبوع من الشعراء مستغن ، بطبعه عن معرفة الاوزان وما يتعلق بها ، لنبو طبعه عن المزاحف منها والمستكره، اما الشاعر ضعيف الطبع فمحتاج الى معرفة شيء من ذلك يعينه على النظم (15) .

يرى ابن طباطبا في حديثه عن «علةحسن الشعر» (ص 14) ، ان كل حاسة من حواس البدن ، انما تتقبل ما يتصل بها مما طبعت عليه فالعين تألف المرأى الحسن ،والانف يقبل المشم الطيب ، والفم يلتذ بالمذاق الحلو ، والاذن تشوف للصوت الخفيض الساكن واليد تنعم بالملمس الناعم، والفهم يانس من الكلام بالعدل والصواب الحق . ومن علل حسن الشعر الاخرى قوله :

« ولحسن الشعر وقبول الفهم اياه علة اخرى وهي موافقته للحال التي يعد معناه لها كالمدح في حال المفاخرة .. » (16) .

ولابن رشيق شيء شبيه بهذا، يقول تحت عنوان « لكل مقام مقال » « وقد قيل : لكل مقام مقال وشعر الشاعر لنفسه وفي مراده وامور ذاته من مزح وغزل ومطايبة ، ومجون وخمرية وما اشبه ذلك .. » (17) .

يقول ابن طباطبا في اقسام التشبيه : « والتشبيهات على ضروب مختلفة ، فمنها تشبيه الشيء بالشيء صورة وهيئة ، ومنها تشبيهه به معنى ، ومنها تشبيهه به حركة وبطوءا وسرعة ومنها تشبيهه به لونا ومنها تشبيهه به صوتا » (18) .

فاما تشبيه الشيء بالشيء صورة وهيئة فكقول امريء القيس :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا
لدى وكرها العناب والحشف البالي

لم يكتف ابو هلال العسكري بايراد تقسيمات ابن طباطبا في التشبيه ، بل كرر امثلته بعينها ، فاستشهد على تشبيه الشيء بالشيء صورة وهيئة بشعر لامريء القيس وعدي بن الرقاع وهو ما استشهد بها بن طباطبا (19) .

وفي تشبيه الشيء بالشيء لونا وصورة ، مثل ابن طباطبا بشعر امريء القيس في وصف الدرع وكذلك فعل ابو هلال مع قليل من الاختلاف :

ومسرودة السك موضونة
تضاءل في الطي كالمبرد

تفيض على المرء اردانها
كفيض الاتي على الجد جد

ففي الصناعتين كلمة « مشدودة » بدلا من (مرودة) وكلمة « تفيض » بدلا من « يفيض »

(14) مقدمة عيار الشعر ، ص ز و ح . تحقيق الحاجري وسلام القاهرة 1956 م .
(15) العمدة 1 : 134 . تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الثانية 1955 م .
(16) عيار الشعر ص 14 .
(17) العمدة 1 : 199 .
(18) عيار الشعر 17 و 18 .
(19) كتاب الصناعتين 245 ، 246 .

كما انهما استشهدا في هذا المورد ايضا بشعر النابغة الذبياني (20) .

وفي تشبيه الشيء بالشيء معنى لا صورة (ص 22 و 23) يشبه ابن طباطبا الجواد الكثير العطاء بالبحر ، والشجاع بالاسد . اما اضداد هذه المعاني فليشبهها باشكالها كتشبيه اللئيم بالكلب والجبان بالصفرد (21) ، والقاسي بالحديد والصخر .

ويذكر ابو هلال نظير هذا في الصناعتين (ص 243) ، حتى ان عبادة ابن طباطبا : « وقد فاز قوم بخلال شهروا بها من الخير والشر وصاروا اعلاما فيها » اعادها ابو هلال حين قال: « ... وشهر قوم بخصال محمودة فصاروا فيها اعلاما فجروا مجرى ما قدمناه كالسموال في الوفاء وحاتم في السخاء والاحنف في الحلم وسحبان في البلاغة وقس في الخطابة ولقمان في الحكمة » .

وفي الكتابين ايضا ذكر لاشخاص اشتهروا بصفات ليست محمودة ، من مثل « باقل » في العي و « هبنقة » في الحمق (22) .

اما عبارة ابن طباطبا (ص 11) « فاحسن التشبيهات ، اذا عكس لم ينتقض » فرددها كثيرون بعده ، ومن مثل محمد بن عمر الرادوياني في كتابه « ترجمان البلاغة » الذي الف في منتصف القرن الخامس (23) الهجري ، يقول (ص 30) : « اجمل التشبيه اذا عكس لم ينتقض » . ورشيد الدين الوطواط في « حدائق السحر » يقول (ص 42) « واحسن التشبيه وانسبه ذلك الذي اذا عكس يبقى معناه صحيحا لا ينتقض » . ويقول صاحب كتاب « ابدع البدايع » : « احسن التشبيهات الذي اذا عكس لا ينتقض » (24) .

ويقول شمس الرازي في « المعجم في معايير اشعار العجم » (ص 345) :

« احسن التشبيهات التي يمكن عكسها ، اي جعل المشبه مشبها وبالعكس ، كتشبيه الليل بالشعر والشعر بالليل ، والنعل بالهلال والهلال بالنعل » .

وقد سمى ابن الاثير ما يجعل فيه المشبه مشبها به وبالعكس تشبيه « الطرد والعكس » وقال ان بعض علماء البيان عرفوه بـ « غلبة الفروع على الاصول » ثم استشهد بمثال من شعر ذي الرمة وقال ان الشاعر في هذا الشعر جعل الفرع اصلا والاصل فرعا (25) .

بعد النظر في « ترجمان البلاغة » ينبغي لنا ان ما جاء به مؤلفه الرادوياني (ص 30) من تشبيه الشيء بالشيء صورة وهيئة او في صفة من الصفات كالحركة والسكون واللون والسرعة والتأني هو ما اورده ابن طباطبا في التشبيه واستشهد له بأمثلة من امرىء القيس والنابغة (26) .

واورد ابن رشيق القيرواني بعض الامثلة التي استشهد بها ابن طباطبا فمثلما ذهب ابن طباطبا في باب « اللفظ والمعنى » الى آخر « للكلام جد وروح فجده النطق وروحه معناه » و « الكلام الذي لا معنى له كالجسد الذي لا روح فيه » (27) ، ذهب ابن رشيق الى ان ارتباط اللفظ والمعنى كارتباط الروح بالجسم ، يضعف بضعفه ويقوى بقوته فاذا اختل اللفظ اختل بالمعنى (28) .

وفي تشبيه الشيء بالشيء حركة وهيئة اورد ابو هلال الامثلة نفسها التي ذكرها ابن طباطبا من شعر عنترة والاعشى (29) . اما في تشبيه الشيء

---

(20) عيار الشعر 18 والصناعتين 249 .

(21) الصفرد : طائر لا ينام طول الليل ، زعموا انه يتعلق ببعض اغصان الشجرة لئلا ينام ، وهذا من فرط جبنه ، وهو اعظم من العصفور » .

(22) لمزيد من الاطلاع راجع : عيار الشعر 23 والصناعتين 243 .

(23) مقدمة محقق ترجمان البلاغة . طهران 1339 شمسي

(24) ابدع البدائع 133 ، لشمس العلماء الكركاني .

(25) المثل السائر ١ : 412 تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، طبعة الحلبي . القاهرة 1939 م .

(26) عيار الشعر 24

(27) المصدر السابق 11

(28) العمدة 1 : 134 .

(29) عيار الشعر 20 و 21 والصناعتين 248 .

بالشيء معنى لا صورة فاكتفى ابو هلال بالاستشهاد بيت واحد من بيتين النابغة الذى مثل بهما ابن طباطبا (30) .

اما فيما يتعلق بادوات التشبيه ، فكان ابن طباطبا اول من بحثها ، نقول اول ، لان ابن معتز الذي الف كتاب « البديع » وخصص للتشبيه صفحات (68 ـ 74) لم يبحث فى ادوات التشبيه ، واكتفى بضرب الامثلة فقط .

كذلك قدامة بن جعفر المتوفى عام 337 هـ ، فقد بحث التشبيه فى الصفحات (55 ـ 62) من كتابه « نقد الشعر » دون ان يعرض لادواته او يفرق بينها .

لكن ابن طباطبا يقول : « فما كان من التشبيه صادقا قلت فى وصفه : كانه او قلت : ككذا ، وما قارب الصدق قلت فيه : تراه او تخاله او يكاد» (31)

اما من جاءوا بعد ابن طباطبا فلم يشيروا الى هذا التفاوت ، سوى ما ينقله سعد الدين التفتازاني (32) عن الزجاج من ان « كان » من ادوات التشبيه حين يكون الخبر جامدا مثل : « كان زيدا اسد » اما اذا كان الخبر مشتقا ، فكن لا تكون للتشبيه ، بل اداة شك وترديد ، مثل « كان زيدا قائم » .

ولم يفرق شمس قيس الرازي ايضا بين ادوات التشبيه ، بل ذكرها فى خلال كلامه على اقسام التشبيه والامثلة التى استشهد بها (33) .

يذهب ابن طباطبا الى ان تشبيهات اية امة ترتبط ارتباطا وثيقا بتفكيرها وبيئتها ، فاهل الوبر من العرب الذين صحونهم البوادي وسقوفهم السماء، لا تعدو اوصافهم ما رأوه منها وفيها ، فاثر تشبيهاتهم مستمدة من حياة الصحراء والقبيلة التى يرتبطون بها ، ولا تكاد تخرج عن بيئتهم (34) .

فى عيار الشعر (35) بحث لافت للنظر عن السرقات ، يمكن ان نقول : انه غدا الارضية الفكرية لغيره من البلاغيين . يعد ابن طباطبا المعاني المشتركة سرقات ، ويذهب الى ان المحدثين قلدوا القدماء فى كثير من معانيهم الجيدة . لكن اذا اخذ المقلد المعاني التى سبق اليها وابرزها فى لباس احسن مما عليها وغير فيها وبدل لم يصب ، بل له فضل لطفه واحسانه ويكون كالصائغ الذي يذيب الذهب والفضة المصوغين فيعيد صياغتهما باحسن مما كانا عليه ، وكالصباغ الذي يصبغ الثوب فيبرزه بوضع احسن مما كان عليه . ثم يدعم رأيه بقول العتابي فى البلاغة ، اذا قيل له « بماذا قدرت على البلاغة ؟ فقال : بحل معقود الكلام ، فالشعر رسائل معقودة ، والرسائل شعر محلول » (36) وينتهي الى انه اذا فتشنا اشعار الشعراء وجدناها متناسبة تناسبا قريبا او بعيدا، ونجدها مناسبة لكلام الخطباء وغيرهم ، من هذا ان عطاء بن ابي صيف الثقفي دخل على يزيد بن معاوية فعزاه بأبيه وهناه بالخلافة، وهو اول من هنا وعزى من مقام واحد ، ثم حذا الشعراء حذوه ، فرثى ابو دلامة المنصور ومدح المهدي فى آن واحد ، وكذلك فعل ابو الشيص فى رثاء الرشيد ومدح الامين (37) .

لقد خصص ابو هلال العسكري الباب السادس من كتابه لهذا الموضوع (ص 196) وجعل احد فصوله « فى حسن الاخذ » الذى يقول فيه : ليس لاحد من الكتاب غنى عن الكتاب المتقدمين ، ولكن على المقلدين اذا ما اخذوا معاني ومفاهيم المتقدمين ان يلبسوها الفاظا من عندهم ، ويوردوها فى غير حليتها الاولى . ويقول فى (ص 197) اذا اخذ شخص معنى فى الآخرين بالفاظه الاولى دون ان يجري فيه اي تغيير ، فهو سارق ، ومن اخذه ببعض لفظه كان سالخا ، ومن اخذه فالبسه لفظا من عنده ،

---

(30) عيار الشعر 24 والصناعتين 248 .
(31) عيار الشعر 23 .
(32) المطول 261 (طبعة عبد الرحيم) .
(33) المعجم فى معايير اشعار العجم 257 ـ 263
(34) عيار الشعر 10 و 11 .
(35) المصدر السابق 76 .
(36) عيار الشعر 76 و 78 .
(37) المصدر السابق 79 ـ 83 .

اجود من لفظه كان افضل ممن تقدمه واولى به منه. واورد ابو هلال ايضا عبارة « ومن اخذ معنى بلفظه فليس فيه له نصيب » (ص197) وقال ايضا : « وقد اطبق المتقدمون والمتاخرون على تداول المعاني بينهم فليس على احد فيه عيب الا اذا اخذه بلفظه كله ، او اخذه فافسده ، وقصر فيه عمن تقدمه » (38) .

وقد بحث ابن الاثير (المتوفى عام 637 هـ) لموضوع السرقات ايضا فى الجزء الثاني من « المثل السائر » وقال : لقد الفت فى هذا كتابا قسمت فيه السرقات الى ثلاثة اقسام : نسخ وسلخ ومسخ (39)؛ فالنسخ ان ياخذ المتاخر اللفظ والمعنى من المتقدم دون تغيير بزيادة او نقصان ، والسلخ ان ياخذ قسما من المعنى ، اما المسخ فان يشوه المعنى الاول ويذهب بجماله .

ثم قسم ابن الاثير هذه التقسيمات الكلية الى ستة عشر قسما واورد امثلة لها ثم قال فى نهاية الموضوع ان احدا غيره لم يلتفت الى تقسيم السرقات هذه التقسيمات السابقة (40) .

اما الخطيب القزويني المتوفى عام 739 هـ متحدث فى « الايضاح » (ص 286 – 295) عن السرقات وعد كلا من « السرقة » و « الاخذ » قسما قائما بذاته اي ظاهرا وغير ظاهر ونجد كلاما على السرقات الشعرية مقاربا لما عند الخطيب ، عند سعد الدين التفتازاني المتوفى عام 791 هـ فى الفن الثالث من كتابه « مختصر المعاني » وهو ايضا يعد الاخذ والسرقة قسمين منفصلين، الاول ظاهر والاخر غير ظاهر (41) ، فاذا اخذت العبارة بالفاظها دون أي تغيير ، فهذه سرقة محضة وهو ما عرف « بالنسخ » اما اذا ادخل على العبارة اقل تغيير فى نظمها وترتيبها فهذا هو المسخ والاغارة ، اما اذا اخذ المعنى وحده فهو سلخ (42) .

ولم يضف شمس قيس الرازي الذي الف كتاب « المعجم » فى اوائل القرن السابع الهجري الى الابحاث السابقة شيئا ذا بال ، فالسرقات الشعرية فيما يقول اربعة انواع :

انتحال وسلخ والمام ونقل . فاذا تصرف احد فى شعر آخر وغير فيه لفظا ومعنى ، او تصرف فيه قليلا ، فهذا هو الانتحال ، اما اذا اخذ المعنى وغير الالفاظ على وجه آخر فهو السلخ ، واذا الم بالمعنى بعبارات اخرى فهو الالمام .

واذا اخذ شاعر معنى شاعر آخر ونقله من موضوع الى موضوع آخر ، فهو النقل (43) .

وفي الختام يقول شمس قيس الرازي (ص 475) : « واذا ما جاء شاعر بمعنى حسن ، لكنه كساه بعبارات رديئة واداه بالفاظ ركيكة ، ثم توفر لآخر المعنى نفسه ، لكن اظهره بلفظ جيد وعبارات مناسبة مقبولة فهو اولى به والمعنى ملك له ، وللاول فضل السبق » .

ايران – د. محمد – علوي مقدم

---

(38) الصناعتين 198 .
(39) المثل السائر 2 : 365 .
(40) المثل السائر : 2 ، 412
(41) مختصر المعاني 215
(42) 215 – 217 .
(43) المعجم فى معايير اشعار العجم 464 – 475

المخطوطات التاريخية في مكتبة الحرم المكي

اعداد : الدكتور محسن جمال الدين

لم يكن فن فهرست المخطوطات ، والتعريف بها، واستعراضها ، ودراسة احوال اصحابها ، من الفنون السهلة الهينة اللينة ، كما يتبادر للذهن . انما هو فن يتطلب خبرة ، واطلاعا ، ومعرفة، بشؤون المخطوطات نفسها ، مع تحليلها ورقا ، وتاريخا ، وخطا ، وحبرا ، وترجمة وصورة[1] .

وهو معاناة لا يعرف تأثيرها على نفس الباحث الا النفر القليل ، من المعنيين في هذا المجال ، ومن السائرين في دربه الطويل . الذي يتطلب رؤيا حسنة، ومعرفة تامة ، واحساسا عميقا .

فكم من مخطوط تافه ، باعه مزوق ماهر، وناسخ متفنن ، على ساذج هاو ، بأغلى الاسعار . فاذا هو كتاب قد طبع عدة مرات ، وبذل في اسواق الوراقين!!

وكم من مخطوط نادر ثمين يضم فكرة جديدةوعلما نافعا ، قد بيع لحاجة ، او لجهالة ، بارخص الاثمان. ثم انزوى في خزانة من لا يعرف قدره . ولا يثمن سعره وظل مختفيا سنين طويلة . يتململ تململ السليم (2) على فراش من قتاد (3) دون ان يرى الحياة ، والنور، والحركة . فيبث له من انقذه من براثن ذلك الجاهل ، ومن ظلمات خزانته المقبورة . فصير صمته نطقــا ، وذله شموخا ، وبؤسه نعيما ، وشحوبه نضارة ! !

وهكذا فانك تجد في رفوف بعض الخزائن العامة والخاصة ، الكثير من هذه المفارقات ، التي تبعث في نفس الباحث النهم ، الكثير من المسائل ، وترسم في في ذاته العديد من العلامات ؟ !

وخزانة (مكتبة الحرم المكي الشريف) لازالت مخطوطاتها تحتاج الى غربلة ، وكشف واسع متأن . كي تستخرج نفائسها ، ويعرف بجواهرها المختفية على قلتها .

واليوم نستعرض (المخطوطات التاريخيــــة) ونعرف بأهمها ، ونشير الى ترجمة أصحابها ، ونعلق على ما كان منها مطبوعا ، او الــذي لا زال في دور الانتظار . وما قصدنا الا التدليل على اهمية التراث العربي والاسلامي المتناثر هنا وهناك ، ولغــرض الارشاد والاعلام عن وجوده . كي ينهل من غيضه أبناء العروبة وغيرهم ، في جيلنا الحاضر ، والاجيال اللاحقة. واننا نهيب بهم ان يسعوا الى درسه وتحقيقه ونشره. ومنه تعالى نستمد العون ، ونلتمس الهداية ، ونرجو التوفيق .

---

1) راجع المورد ــ العددين الاول والثاني . س1971/1 ــ 1391 ص 173 وما بعدها . عن (المخطوطات الادبية في مكتبة الحرم المكي الشريف) .

2) السليم ــ من الاضداد ــ وهو اللديغ او الجريح المشرف على الهلاك . سموه به تفاؤلا بالسلامة .

3) وهو شطر من بيت شعري قديم :
« دنف تقلبه الاكف على فراش من قتاد »

التسلسل اسم المخطوطة	مؤلفها	رقمها
1) اتحاف الاخصا بفضائل المسجد الاقصى	عبد الرحمن السيوطي (4)	192
2) اتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية الحسن	محمد علي الطبري (5)	126
3) اتحاف الورى باخبار أم القرى	نجم الدين عمر بن فهد (6)	2
4) اثارة الترغيب والتشويق الى المساجد الثلاثة والبيت العتيق	محمد بن اسحق الخوارزمي (7)	4
5 أخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام	محمد بن أحمد الاسدي (8)	18
6) الاخبار المستطابة في فضل سلطان طابه	جلال الدين الحنفي (9)	22
7) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار	الازرقي (10)	5
8) الارج المسكي في التاريخ المكي	عبد القادر الطبري (11)	3
9) الارشادات القدسية	محمد غرس الدين الخليلي (12)	60

4) لم اجد في المصادر التي لدي اسم هذا الكتاب بانه للسيوطي . واشار عنه صاحب (الكشاف) الدكتور اسعد طلس ص 220 رقم 873 بانه شمس الدين محمد المنهاجي السيوطي . وينسبه الحاج خليفة في كشفه ج 1 ص 38 بأن مؤلفه كمال الدين ابن أبي شريف . طبع منه المستشرق لا منغ سنة 1817 م قطعة منه . واخبرني الزميل الدكتور عدنان محمد سلمان ورسالته عن (السيوطي) بانه ينسب اليه .

5) من مخطوطات (الدهلوي) . التي نقلت الى مكتبة الحرم الشريف . (والطبري) هو محمد بن علي بن فضل الحسيني (1100 — 1173 هـ) يعرف بالمحب الطبري له (عقود الجمان) . راجع (معجم المؤلفين) ج 11 ص 34 .

6) ابن فهد — هو عمر بن محمد الهاشمي الشافعي . محدث ، مؤرخ (812 هـ — 885 هـ) له عدة مؤلفات مخطوطة قيمة . راجة (معجم المؤلفين ج 7 ص 318 وهذا الكتاب من مخطوطات (الدهلوي) .

7) الخوارزمي — محمد بن اسحق الحنفي (شمس الدين) عالم ، نحوي ، فقيه جاور مكة المكرمة وتوفي سنة 807 هـ . وهذا الكتاب من مخطوطات (الدهلوي)

8) احمد بن محمد الاسدي — المكي الشافعي ، مؤرخ نحوي ، شاعر
من مؤلفاته : قلائد النحور توفي سنة 1066 هـ والمخطوط من خزانة (الدهلوي)

9) لم اجد له ترجمة لها صلة بهذا المخطوط في المراجع التي بين يدي . وهو من خزانة (الدهلوي) العالم المكي الهندي 1286 هـ — 1355 . وقد نشر الباحث الشيخ احمد الجاسر (المغانم المطابه — في معالم طابه) للفيروز آبادي المتوفى سنة 823 هـ .

10) الازرقي — محمد بن عبد الله المكي ، المؤرخ ، الجغرافي . المتوفى سنة 242 هـ وكتابه مطبوع في اوروبا والمشرق .

11) عبد القادر الطبري : المتوفى سنة 1033 هـ . عالم ، أديب ، شاعر . من مؤلفاته كشف الخافي من كتاب الكافي، في علمي العروض والقوافي. وهو من مخطوطات (الدهلوي) .

12) محمد بن غرس الدين الخليلي الفلسطيني : المتوفى سنة 1057 هـ . محدث، أديب مجاور في مكة المكرمة .

التسلسل اسم المخطوطة	مؤلفها	رقمها
10) اعلام الانام بتاريخ بيت الله الحرام	محمد صالح الشيبي (13)	6
11) اعيان العصر أعوان النصر	صلاح الدين الصفدي (14)	202
12) الانتصار لقدوة الاخيار	صلاح الدين الصفدي (15)	262
13) أنساب السادة الاشراف	باعلوي (16)	32
14) الانسان الكامل في معرفة الاواخر والاوائل	عبد الكريم بن ابراهيم الجيلي (17)	102/1
15) اهداء اللطائف من اخبار الاوائل والاواخر	حسن بن علي العجمي (18)	14
16) البحر الزاخر في أحوال الاوائل والاواخر	أبو محمد مصطفى الهاشمي (19)	2
17) البرق اليماني في الفتح العثماني	محمد أحمد القوتلي (20)	30
18) بلوغ القرى في ذيل اتحاف الورى	عبد العزيز عمر بن فهد (21)	11
19) بهجة النفوس والاسرار في تاريخ دار هجـرة المختار .	عبد الله بن عبد الملك القرطبي (22)	13

---

13) محمد صالح الشيبي : واسرة آل الشيبي من سدنة بيت الله الحرام : لم اجد له ترجمة قديمة ، أو حديثة . وهو من مخطوطات (الدهلوي)

14) الصلاح الصفدي : خليل بن أيبك ، الشاعر ، المؤرخ ، الاديب . من فلسطين. صاحب (الوافي بالوفيات) وغيره . توفي سنة 764 هـ . والكتاب لم نره مطبوعا

15) ورد اسم هذا الكتاب في كشف الظنون ج 1 ص 172 . باسم : الانتصار لطريق الاخيار . وهو لشمس الدين محمد بن عمر الواسطي الشافعي ، المتوفى سنة 849 هـ . ولا زال الكتاب مخطوطـــا .

16) باعلوي : من السادة الاشراف الحضارمة : منهم عبد الرحمن بن محمد باعلوي العيدروسي المتوفى سنة 1031 هـ . والكتاب من مخطوطات (الدهلوي)

17) عبد الكريم بن ابراهيم الجيلي ــ الصوفي المتوفى سنة 832 هـ . له مؤلفات في مجال الصوفية . والكتاب مطبوع .

18) حسن بن علي العجمي ــ المتوفى سنة 1113 هـ أصله من (اليمن) له عدة مؤلفات ، وقد اشار عنه وذكره الاستاذ محمد سعيد كمال . في مجلة (العرب) ج 2 س 2 ص 110 سنة 1967 في دراسته عن (الطائف) ومؤرخه ، وهـــو يحتفظ بنسخة منقولة عن هذا المخطوط .

19) هناك بعض المؤلفات بهذا الاسم : منها قديم ومنها حديث . ومن أشهرها كتاب (البحر الزاخر) للشريف احمد الزيدي اليماني . وبي الهدى المقدسي ، ومحمد فهمي المهندس . راجع (الكشف) ج 1 ص 224 والذيل ج 1 ص 164 .

20) قطب الدين محمد بن احمد المكي ــ المتوفى سنة 988 هـ . وقد طبع الكتـــاب مؤخرا . راجع (العرب) ج 1 س 1 ص 61 سنة 1967 و ج 7 س 1 ص 630.

21) عبد العزيز بن فهد المكي ــ المتوفى سنة 921 هـ . له غاية المرام بأخبـــار سلطنة البلد الحرام . وهو من مخطوطات (الدهلوي) .

22) ابو محمد عبد الله بن محمد المرجاني التونسي . (القرطبي) المتوفى سنـة 757 هـ . والكتاب من مخطوطات الدهلوي . وقد جرت حوله مناقشات بـــين الاساتذة : الانصاري ، والنيفر ، وابا حسين . راجع (المنهل) ج 3 س 36 ص 348 وما بعدها ..

التسلسل اسم المخطوطة	مؤلفها	رقمها
20) تاريخ ابن خلكان	ابن خلكان (23)	180
21) تاريخ الخميسي	حسين بن محمد الديار بكري (24)	10
22) تاريخ صاعد الاندلسي	صاعد بن أحمد الاندلسي (25)	61
23) تاريخ طبقات الامم	صاعد بن أحمد الاندلسي (26)	196
23) تاريخ العتبي	محمد عبد الجبار العتبي (27)	106
25) تاريخ في اشراف وامراء مكة المعظمة	المؤلف مجهول (28)	43
26) تاريخ المحمدين	لم يذكر مؤلفه (29)	31
27) تاريخ مكــــة	محمد بن اسحق الفاكهي (30)	26
28) تاريخ النويـــــري	أحمد بن عبد الوهاب النويري (31)	1
29) تاريخ اليافعـــــي	اليافعي (32)	147

23) ابن خلكان — شمس الدين احمد بن محمد الاربلي الشافعي صاحب وفيات الاعيان (608 هـ — 681 هـ) وهو اشهر من أن يعرف .

24) حسين بن محمد الديار بكري : المالكي المتوفى سنة 966 هـ . وكتابه (الخميس في احوال أنفس نفيس) . وقد طبع في مجلدين سنة 1283 هـ . راجع (معجم المطبوعات) ص 897 .

25) صاعد الاندلسي : القاضي ابو القاسم بن احمد القرطبي الطليطلي المالكي . له طبقات الامم . وتاريخ صاعد منه نسخة في بودلاين . ولادته سنة 420 هـ — ووفاته سنة 462 هـ .

26) صاعد الاندلسي : هو نفسه صاحب التاريخ ، وقد نشر الطبقات الاب لويس شيخو اليسوعي سنة 1912 م . راجع (معجم المطبوعات) ص 1182 .

27) العتبي : محمد بن عبد الجبار المشهور بأبي النصر العتبي . أصله من الري اشتهر بتاريخه المعروف (اليمني) طبع بدلهي سنة 1848 م . وبولاق سنة هـ . وله ذيل اسمه (الفتح الذهبي على تاريخ ابي النصر العتبي) .

28) لم اعثر على اسم مؤلفه . والكتاب كما يبدو من تاليف المتأخرين .

29) تاريخ المحمدين : ولعله (المحمدون من الشعراء) للقفطي — الذي حققه الاستاذ حسن معمري ، وعلق عليه الاستاذ الدكتور علي جواد الطاهـــر في (العرب ج 2 س 5 ص 135 . وذاك تاريخ وهذا أدب . وراجع المــــورد : العددان 3 + 4 ص 222 .

30) الفاكهي : ابو عبد الله محمد بن اسحق . من القرن الثالث الهجري . نشـــر المستشرق (وستنفيلد) قسما منه سنة 1859 م في كتابه (المنتقى في اخبار ام القرى) والكتاب من مخطوطات (الدهلوي) ..

31) شهاب الدين احمد النويري (677 هـ — 733 هـ) صاحب نهاية الارب وهو كتاب تاريخ وادب . وكتابه مطبوع في عدة مجلدات .

32) اليافعي : ابو محمد عبد الله اليافعي 698 هـ — 768 هـ . وهو من اليمن ، جاور مكة ، اشتهر بتاريخه المسمى (مرآة الجنان) والكتاب مطبوع في حيدر آباد سنة 1334 هـ .

التسلسل	اسم المخطوطة	مؤلفها	رقمها
30)	**تتمـة المختصـر**	**عمر بن الوردي (33)**	**8**
31)	**تحصيل المرام فى تاريخ البلد الحرام**	**تقي الدين الفاسي (34)**	**10**
32)	**تحصيل المرام فى أخبار البلد الحرام**	**محمد بن أحمد الصباغ المكي (35)**	**11**
33)	**تحفة الزوار الى قبر النبى المختار**	**شهاب الدين احمد الشافعي (36)**	**133**
34)	**تحفة اللطائف فى فضائل ابن عباس ووج والطائف**	**عبد الحفيظ القاري (37)**	**15**
35)	**تحفة المطالب فيمن نسب الى عبد الله وأبي طالب**	**الحسين السمرقندي (38)**	**33**
36)	**التحفة المرضية فى الاراضي المصرية**	**زين الدين بن نجيم (39)**	**34/4**
37)	**التحفة النابلسية فى الرحلة الطرابلسية**	**عبد الغني النابلسي (40)**	**95**
38)	**تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة**	**ابو بكر بن الحسين العثماني (41)**	**100**
39)	**ترجمة سلاطين آل عثمان**	**محمد المرادي (42)**	**127**

33) ابن الوردي : ابو حفص عمر الوردي الشافعي 689 هـ ــ 746 هـ . له تتمة المختصر فى تاريخ البشر أو (اخبار البشر) ويعرف بتاريخ ابن الوردي . والكتاب مطبوع فى الاستانة ومصر وهو من مخطوطات (الدهلوي) .

34) تقي الدين الفاسي : (775 هـ ــ 832 هـ) المالكي صاحب تاريخ شفاء الغرام، وتحفة الكرام ، والعقد الثمين . واغلبها مطبوع . وهو من مخطوطات (الدهلوي).

35) محمد بن الصباغ المكي (1243 هـ ــ 1321 هـ) كتب عنه الاستاذ الشيخ عبد الوهاب الدهلوي فى (المنهل) ج 7 ص 344 والكتاب من مخطوطات (الدهلوي)

36) شهاب الدين احمد الشافعي : 909 هـ ــ 974) وهو المعروف بابن حجر الهيثمي . والكتاب مطبوع باسم (تحفة الاخبار فى مولد المختار) راجع (معجم المطبوعات) ص 81 .

37) القاري : عبد الحفيظ بن عثمان المتوفى سنة 1326 هـ وهناك مخطوطة بهذا الاسم للشيخ محمد بن فهد المتوفى سنة 954 هـ فى خزانة الاوقاف ببغداد رقم 4796 ومخطوطة الحرم الشريف للدهلوي . راجع (العرب) ج 2 س 2 ص 101 وما بعدها .

38) حسين السمرقندي : المتوفى سنة 1043 هـ . وهو من مخطوطات (الدهلوي).

39) زين الدين بن عابدين : بن نجيم المصري المتوفى سنة 970 هـ .

40) النابلسي : الشيخ عبد الغني النابلسي (1105 هـ ــ 1143 هـ) . عالم، صوفي، شاعر صاحب الرحلة الحجازية وغيرها . والكتاب مطبوع باشراف أحد المستشرقين الالمان .

41) زين الدين ابو بكر بن الحسين العثماني . نزيل طيبة المتوفى سنة 816 هـ .

42) المرادي : محمد خليل افندي المرادي . (1173 هـ ــ 1206 هـ) صاحب سلك الدرر . وهناك مؤرخ آخر اسمه محمد بن مراد علي المرادي (1094 هـ ــ 1169 هـ) ويبدو ان الكتاب من مؤلفات الثاني .

التسلسل	اسم المخطوطة	مؤلفهـا	رقمهـا
40)	التعريف بما آنست الهجرة من معالم دار الهجرة	جمال الدين المطري (43)	21
41)	الجامع اللطيف . في فضائل مكة وأهلها	محمد بن ظهيرة (44)	2
42)	جلاء العينين بمحاكمة الاحمدين	ابو البركات خير الدين نعمان الالوسي (45)	9
43)	الجواهر الثمينة في محاسن المدينة	محمد كبريت الحسيني (46)	24
44)	الجواهر المعدة في فضائل جده	احمد الخضراوي (47)	27
45)	حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي امارةالحاج	احمد الرشيدي (48)	12
46)	الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز .	عبد الغني النابلسي (49)	41
47)	الدر الفاخر في خبر الاوائل والاواخر	عبد الهادي بن محمد صالح الطاهر (50)	31
48)	الدرر الثمينة	احمد محمد القشاشي (51)	19

43) المطري : جمال الدين المطري (671 هـ — 741 هـ) والكتاب مطبوع . راجع مقالة الاستاذ الباحث الشيخ حمد الجاسر في مجلة (العرب) ج 5 س 4 ص 465 سنة 1970 . ومقالة الاستاذ الدكتور صالح احمد العلي في مجلة (المجمع العراقي) ج 11 سنة 1964 . والدراسة مفيدة عن مؤرخي مكة والمدينة . والكتاب من مخطوطات (الدهلوي) .

44) جمال الدين محمد بن نجم الدين : بن ظهيرة المكي صاحب كتاب (الجامع اللطيف في فضل مكة وبناء البيت الشريف) طبع بمصر سنة 1340 هـ . وهو من علماء القرن العاشر الهجري . راجع (معجم المطبوعات ص 150 وهو من مخطوطات (الدهلوي) .

45) الالوسي : من اسرة آل الالوسي العراقية المشهورة بعلمائها . والمؤلف هو خير الدين أبو البركات نعمان الالوسي صاحب سلس الغانيات (1252 هـ — 1317 هـ) والكتاب مطبوع بمصر .

46) محمد بن كبريت بن عبد الله الحسني : المتوفى سنة 1070 هـ . وهو من مخطوطات (الدهلوي) ومنه نسخة في خزانة الاوقاف ببغداد رقم 177 .

47) الخضراوي : احمد الرشيد المغربي المتوفى سنة 1327 هـ . له كتاب (اللطائف في تاريخ الطائف) .

48) احمد الرشيدي : المتوفى سنة 1096 هـ . فقيه ، شاعر ، من بلاد المغرب . له حسن الصفا والابتهاج وغيره . راجع (معجم المؤلفين) ج 1 ص 272 .

49) عبد الغني النابلسي : المتوفى 1143 هـ . المار ذكره صاحب (الرحلة الحجازية) وهي مطبوعة بمصر . راجع (معجم المطبوعات) ص 1834 .

50) لم اجد ترجمة واضحة عن المؤلف . وهذا المخطوط من خزانة (الدهلوي) . ويبدو انه من المتأخرين .

51) القشاشي : احمد بن محمد بن يونس المدني المتوفى سنة 1071 هـ . له تصانيف كثيرة تربى في المدينة ودفن بالبقيع . وهذا من مخطوطات (الدهلوي)

التسلسل	اسم المخطوطة	مؤلفها	رقمها
49	الدرة الثمينة في فضل المدينة	محمد بن محمود النجار (52)	9
50	دستور الاعلام بمعارف الاعلام	محمد بن عمر التونسي (53)	28
51	الرياض النضرة في فضائل العشرة	احمد بن عبد الله المطري (54)	46
52	نسبة الاعمال وخلاصة الافعال في تاريخ مكة والمدينة	سعد الدين الاسفرائيني (55)	99
53	سراج الملوك والخلفاء	محمد بن الوليد النهري (56)	176
54	السلاح والعدة في تاريخ جدة	احمد بن الفرج (57)	28
55	السلسلة الذهبية في الشجرة الشيبية	عبد الستار الدهلوي (58)	17
56	السلوك بمعرفة الملوك	تقي الدين المقريزي (59)	6
57	سمط النجوم العوالي في أنباء الاوائل والتوالي	عبد الملك بن الحسين العصامي (60)	29
58	شجرة السادات	ركن الدين الحسيني (61)	7

52) النجار : محب الدين محمد بن محمود النجار الحافظ المتوفى سنة 643 هـ . والكتاب مطبوع كما اشار بذلك صاحب (العرب) الاستاذ الشيخ حمد الجاسر ج 5 س 4 ص 388 .

53) محمد بن عمر بن عزم التونسي : المتوفى سنة 891 هـ . راجع (كشف الظنون) ج 1 ص 753 .

54) محب الدين الطبري : المتوفى سنة 694 هـ . والكتاب مطبوع باسم رياض النضرة في مناقب الاصحاب العشرة) .

55) سعد الدين الاسفرائيني : عالم ، اديب ، فقيه ، توفى سنة 581 هـ .

56) هناك كتاب باسم (سراج الملوك) للعالم الاندلسي (الطرطوشي) ولم اجد اسما في المظان التي لدي ، عن سراج الملوك والخلفاء . لمحمد بن الوليد النهري — بل هناك اسم النهدي — والنهروالي — المؤرخ — وكثيرا ما يقع التصحيف .

57) ورد اسمه في (العرب) ج 3 س 2 ص 198 (الشيخ عبد القادر بن احمد بن محمد بن فرج الشافعي الخطيب ، المتوفى سنة 1010 هـ وعنوان الرسالة (السلاح والعدة في تاريخ بندر جدة) .

58) عبد الستار الدهلوي : (ابو الفيض) بن خدايا البكري الحنفي احد المدرسين في الحرم المكي . عالم جليل ، وناسخ ماهر ، له مؤلفات منها (الازهار الطيبة النشر في ذكر الاعيان من كل عصر) ولد سنة 1286 هـ — وتوفى سنة 1355هـ راجع (العرب) ج 2 س 2 ص 114 مقالة الاستاذ الفاضل محمد سعيد كمال.

59) السلوك لمعرفة دول الملوك : للمقريزي — احمد بن علي المتوفى سنة 845 هـ وهو مؤرخ الديار المصرية . والكتاب مطبوع منتشر . راجع عن المقريزي الاعلام ج 1 ص 172 .

60) عبد الملك بن حسين العصامي الشافعي المتوفى سنة 1111 هـ . وقد طبع كتابه المذكور بمساعدة امير قطر السابق . وله كتاب لطيف آخر مخطوط اطلعنا عليه اسمه (قيد الاوابد) .

61) هناك الكثير من الاشجار المتعلقة بالانساب ذكرها صاحب الكشف والبغدادي، ولم اجد من بينها اسم هذا المؤلف . وهو من مخطوطات الدهلوي كسابقه .

التسلسل	اسم المخطوطة	مؤلفها	رقمها
59)	شرح أسماء أهل بدر	طه بن مهنا الجبرتي (62)	110/1
60)	شرح تاريخ العتبى	فضل الدين الكرماني (63)	98
61)	شرح الصدر بغزوة بدر	عبد الله الشبراوي (64)	186
62)	شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام	تقي الدين الفاسي (65)	127
63)	طيف الطائف فى فضائل الطائف	ابن علان الشافعي (66)	12
64)	العسجد المسبوك ممن تولى اليمن من الملوك	علي بن الحسن الخزرجي (67)	48
65)	العقد الثمين فى تاريخ البلد الامين	محمد بن أحمد الفاسي (68)	17
66)	عقود اللطائف فى محاسن الطائف	عبد القادر الفاكهي (69)	22
67)	العمدة فى المختار من الزبدة	شيخ الشرف العبدلي المدني (70)	118
68)	فتوح المغرب	لابن عبد الحكم (71)	169

62) الجبرتي : طه بن مهنا الحبلي الشافعي المتوفى سنة 1178 هـ . وقد طبع الكتاب بمصر سنة 1294 هـ .

63) الكرماني : فضل الله . له جوامع الفقر ، ولوامع الفكر فى شرح تاريخ العتبي. وقد توفي سنة 620 هـ .

64) عبد الله الشبراوي : (1091 هـ — 1172 هـ) عالم ، شاعر . وقد طبع الكتاب بمصر سنة 1297 هـ . راجع (معجم المطبوعات ص 1099 .

65) تقي الدين محمد الفاسي : (775 هـ — 832 هـ) طبع منه المستشرق وستنفيلد فى مجموعته عن تواريخ مكة المكرمة . وقد طبع وحقق فى مصر ، تحت اشراف المرحوم الباحث فؤاد السيد .

66) ابن علان : محمد بن علي الشافعي (966 هـ — 1057 هـ) من علماء مكة . له شعر ومؤلفات مخطوطة أخرى وكتابه (الطيف الطائف بتاريخ وج والطائف) من مخطوطات الدهلوي . ذكره لاستاذ محمد سعيد كمال . فى مجلة (العرب) ج 2 س 2 ص 108 .

67) موفق الدين علي بن الحسن الزبيدي اليمني المتوفى سنة 812 هـ . وقد نشر عنه دراسة الزميل الدكتور نوري القيسي . كما نشر عنه دراسة الدكتور بدري محمد فهد ، والاستاذ ايمن فؤاد السيد ، والمرحوم الدكتور العلامة مصطفى جواد ، وعلق على ذلك الاستاذ الباحث الشيخ حمد الجاسر . راجع (العرب) ج 5 ج 6 س 5 والاقلام ج 7 س 5 . والمورد ج 3 + 4 س 2 والدراسات والتعيلقات تنصب فى نسبة الكتاب وصاحبه .

68) الفاسي : محمد بن احمد — مرت ترجمته ، وهو مؤرخ مغربي الاصل وقد اشتهر بمؤلفاته القيمة عن بيت الله الحرام . وقد طبع الكتاب فى ثمانية مجلدات فى مصر . واشرف عليه المرحومان الشيخ محمد سرور الصبان وفؤاد السيد.

69) الفاكهي : مرت ترجمته . له مؤلفات اخرى توفى سنة 982 هـ . راجع (العرب) ج 2 س 2 ص 106 والكتاب من خزانة (الدهلوي) .

70) شيخ الشرف : محمد بن محمد الحسيني النسابة المتوفى سنة 437 هـ . ولم اجد ترجمة باسم العبدلي المدني . والكتاب من مخطوطات (الدهلوي) .

71) ابن عبد الحكم : ابو القاسم عبد الرحمن المتوفى سنة 257 هـ . وله فتوح مصر والمغرب والكتاب مطبوع فى اوربا والمشرق .

التسلسل اسم المخطوطة	مـؤلفهـــا	رقمهـا
69) الفروسية والمناصب الحربية .	نجم الدين حسن الرماح (72)	122
70) الفوائح المسكية والفواتح المكية	عبد الرحمن بن علي البسطامي(73)	71
71) قرة العيون فى اخبار اليمن الميمون	وجيه الدين عبد الرحمن الديبع (74)	126
72) الكواكب الدرية فى السيرة النبوية	عبد الرحمن بن اسماعيل ابو شامة (75)	143
73) مثير شوق الانام	محمد علان بن عبد الملك (76)	94
74) محاضرة الاوائل ومسائرة الاواخر	علي دده السكتواري (77)	30
75) منائح الكرم فى أخبار مكة وولاة الحرم	السنجاري (78)	111
76) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار	تقي الدين المقريزي (79)	100
77) نزهة الانظار والفكر فيما مضى من الحوادث والعبر	عبد الستار الدهلوي ؟ (81)	

72) محمد بن لاجين الحسامي : المتوفى سنة 780 هـ . من العارفين بفنون الفروسية ومن المؤلفين فيها . من مؤلفاته (بغية القاصدين فى العمل بالميادين) و (غاية المقصود والرماح) راجع (معجم المؤلفين ج 11 ص 164 .

73) البسطامي : عبد الرحمن بن محمد المتوفى سنة 858 هـ . عالم انطاكي حنفي. من مؤلفاته نظم السلوك فى تواريخ الخلفاء والملوك . والفوائح المسكية . راجع (معجم المؤلفين) ج 5 ص 184 .

74) وجيه الدين عبد الرحمن بن علي الديبع اليمني المتوفى سنة 944 هـ والكتاب مطبوع . راجع ذيل الكشف ج 2 ص 225 .

75) ابو شامة : عبد الرحمن بن اسماعيل ابو شامة المتوفى سنة 665 هـ . لــــه تصانيف عديدة من اهل القدس وله كتاب الروضتين المطبوع .

76) ابن علان : محمد علي بن محمد بن ابراهيم بن عبد الملك المتوفى سنة 1057هـ له تصانيف عديدة ــ وهو من اهل مكة . راجع (معجم المؤلفين) ج 11 ص 54.

77) على دده بن مصطفى السكتواري المتوفى سنة 1007 هـ والكتاب مطبوع عدة طبعات بمصر ، وفيه طرائف والتفاتات بديعه منها قريبة للواقع ، ومنها ضاربة فى بيداء الخيـــــال ! !

78) السنجاري : تاج الدين علي السنجاري المتوفى سنة 1095 هـ وللكتاب اسم آخر (منايح الكرم فى اخبار البيت وولادة الحرم) . وهو من مخطوطات (الدهلوي)

79) المقريزي : مرت ترجمته . وكتابه المواعظ والاعتبار ــ قد طبع منه أقسام فى القرن التاسع عشر ، وفى القرن العشرين . كما ترجم الى اللغة اللاتينية بعض منه . راجع (معجم المطبوعات ص 1781 .

80) الدهلوي : عبد الستار عبد الوهاب الدهلــوي ــ (1286 هـ ــ 1355 هـ) راجع عنه (معجم المؤلفين) . والمخطوط من آثار (الدهلوي) نفسه . التي أهداها الى مكتبة الحرم الشريف . ونقل ورثته الكثير منها الى خزانة الحـــــرم المكـــي .

التسلسل اسم المخطوطة	مؤلفها	رقمها
78) نزهة الزهور في ذكر ما صار في الدهور	الدهلوي (81)	125
79) نور العين في مشهد الحسين	أبو اسحق الاسرائيني (82)	74/1
80) نيل مصر	أحمد بن العماد الافقهي (83)	56/5
81) وسائل السائل الى معرفة الاوائل	محمد أبو اللطف القدسي (84)	135

هذه الكتب أهم ما وجدناه ، واقتبسناه ، واعددناه ، من (المخطوطات) (التاريخية) في خزانة (مكتبة الحرم المكي الشريف) وقد قمنا بتقديمها لمجلة (المورد) التراثية ، وللباحثين الكرام ، ولطلبة المعرفة في بلادنا ، والعالم العربي . والمعنيين من المستشرقين

ولعل الكثير من المحققين في هذا المجال قد لمسوا المشقة والعناء ، في البحث والتنقيب عن اسم مؤلف ، وعنوان كتابه ، وتاريخ نسخه ، او طبعه .

أما جانب الكمال النهائي ، فلا أخال اني ادعيه ، فاللاحق يتمم ما قام به السابق . لان ذلك من سنة الحياة ، وعالم التطور ، ودنيا العلم ، وثمرة الجهود.

---

81) من مخطوطات (الدهلوي) . ولم اجد له ذكرا في المصادر التي بين يدي وهو كما يبدو من آثار الشيخ الدهلوي نفسه .

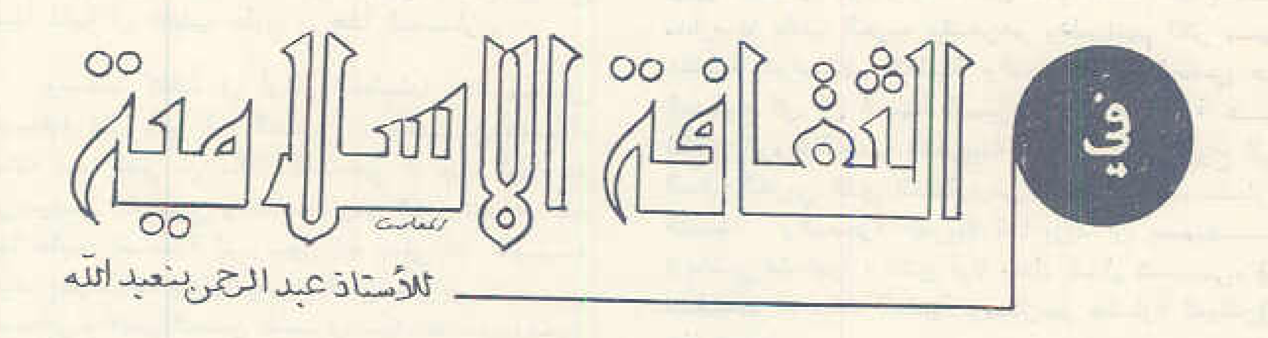
82) الاسفرائيني : مرت علينا ترجمته — والكتاب قد طبع في مصر سنة 1298 هـ . ويليه في المطبوع (قرة العين في اخذ ثار الحسين) لابي عبد الله بن محمد . راجع (معجم المطبوعات) ص 436 .

83) احمد بن العماد الافقهي (750 هـ — 808 هـ) اديب ، عالم . راجع عنه معجم المؤلفين ج 2 ص 26 .

84) هناك منظومة ذكرها صاحب كشف الظنون بهذا الاسم ج 2 ص 2007 ولم يشر الى اسم ناظمها .

أهم المصادر والمراجع

1) معجم المؤلفين : لكحالة .
2) الاعلام : للزكلي
3) كشف الظنون : حاجي خليفة
4) ايضاح المكنون : للبغدادي
5) هدية العارفين : للبغدادي
6) معجم المطبوعات العربية : لسركيس
7) مجلة العرب : الشيخ حمد الجاسر .
8) مجلة المنهل : الاستاذ الانصاري
9) الكشاف : للدكتور اسعد طلس
10) تقرير : الاستاذين الكريمين (المعلمي) و (جمعه) بتاريخ 6 — 7 — 1388 .
11) جريدة المدينة — اعداد مختلفة .
12) مجلة الاقلام — العراقية .
14) معلوماتي الشخصية
13) مجلة المورد — العراقية .
15) أوراقي الخاصة .



القرآن الكريم ابن الأزل، كانت مبادؤه وتعاليمه، وما فتئت ، نبراسا للحقيقة يجلوها مهمـا تلاحقـت السنون والأحقاب . والاسلام بما عهد فيه مـن سماحة واستيعاب لضرورات الحياة دين الخلـود والبقاء حيث لا بقاء لايديولوجيات الافراد والشعوب . وروح التجدد في الاسلام طابعه الخاص يميزه عن بقية الدعوات ، وتلك مزيته الفضلى في احلال الفكـر والحضارة الاسلاميين محلهما البارز في مصطـرع التيارات والمذاهب الهدامة التي سيطرت على العقول والأفكار منذ ان ثاب الانسان الى رشده واخذ يبحث عن عقيدة تملأ ضميره وتشيع الطمانينة في نفسـه وتهديه طريق الخلاص .

وروح التجدد في الدين تسمح له ان يستسيغ كل ما هو طبيعي ، اي كل ما هو علمي وما هو جديد . وهذا الالتقاء في الدين بين المعطيات الطبيعية والعلمية هو التقاء جدلي بين الطبيعة والله . الطبيعة ضـرورة ونظامية صيرورة والله حرية وخلق وكينونة . وبقدر ما يستمر الالتقاء في الدين بين الضرورة والحرية بقدر ما يظل معبرا عما هو كائن دون أن ينفصل عما هو صائر . وبقدر ما يتجدد في الدين او خلاله هذا الالتقاء بقدر ما يبقى قاعدة الحوار اللانهائي بين الله والانسان .

ومن هنا راينا كيف ان علماء الاسلام ومفكريه وفلاسفته اعتمدوا مختلف الطرق العقلية في سبيـل التوصل الى الحقيقة بقدر اعتمادهم مختلف الطرق النقلية . وكان ما نشأ من توتر بين مختلف أتباع هذه الطرق سببا رئيسيا من اسباب التجدد في الاسـلام ، فظل خلاقا ومتجددا ما فتئت جميع الطرق والمناهج متجددة وخلاقة ، وجمد حين طغت طريقة واحدة من هذه الطرق على الطرق الاخرى .

وهكذا فان التجربة الاسلامية التي يتحقق كمال رؤياها في الوحي وتبلغ ذروتها في حقيقة الله ، تتخذ الملكات الحية والعقلية والالهامية درجات في سلـم الصعود نحو هذه الذروة . وفي اعتقاد المفكر الاسلامي العظيم محمد اقبال ان القرآن يرى أن الموقف التجريبي ضرورة من حياة الانسان الروحية . ولذلك فانه يعلق نفس الأهمية على جميع ميادين التجربة الانسانية ، كطرق لمعرفة الحق الذي يكشف عن وجوده بآيـات خفية وظاهـرة .

ومن هذه التوطئة نخلص الى ذكر مظاهر الثقافة الاسلامية فنجد ان البصرة لعبت دورا طلائعيـا في غاية الأهمية اذ انها كانت مهدا لتيارات الفكر الاسلامي الاولى ، اذ المسجد الجامع فيها هو المركز الرئيسي للثقافة الدينية والفلسفية ، بني بالقصب ابان ولاية عتبة بن غزوان . قال البلاذري : كان المسلمون اذا غزوا نزعوا ذلك القصب وحزموه ووضعوه حتـى يرجعوا من الغزو ، فاذا رجعوا اعادوا بناءه .

وفي هذا المسجد كان يجتمع جلة فقهاء المسلمين فيتناقشون في الدين وتفسير القرآن الكريم والـى جانبهم حلقات لدراسة اللغة والشعر ورواية اخبـار العرب وانسابهم . وظهر المعتزلة في البصرة ايضـا والسبب في هذا الاسم هو ان فريقا مـن الفقهـاء والفلاسفة اختلفوا مع زملائهم في القضاء والقدر وهل الانسان مسير ام مخير وغير ذلك ، فجلسوا في حلقة منفردة واعتزلوا بقية المتحدثين .

ونبغ من ابنائها عدد كبير ، واليها كان يهـرع كل راغب في الاستزادة من الفقه والتشريع والنحـو والشعر وصحيح اللغة وكل الفقهـاء والشعـراء في الصدر الأول من الدولة العباسية حتى عهد المعتصم

من تلامذة حلقاتها ، وظلت كذلك محجة للراغبين في العلم الى نحو القرن السادس الهجري ؛ ولم تستطع مدينة ثانية أن تتغلب عليها في هذا المضمار .

وسكنها كذلك في أوائل تخطيطها عدد من الصحابة مثل عمر ابن الحصين ، وعدد من القراء ومات فيها أنس بن مالك الصحابي اذ جاء اليها مع أبي موسى الاشعري وسكنها . ومن الذين توفاهم الله فيها حليمة السعدية أم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرضاعة وابنها رضيع النبي ؛ وأبو بكر الصحابي والامام الحسن البصري سيد التابعين ومحمد ابن سيرين ومحمد بن واسع ومالك بن دينار وغيرهم من أقطاب الشريعة والحديث والفقه . وفي البصرة قبر طلحة رضي الله عنه . أما قبر الزبير بن العوام فيقع في ضواحيها ، اذ قتل غيلة في وادي السباع .

يقول ابن بطوطة : « ولأهل البصرة مكارم أخلاق يقومون بحق الغريب فلا يستوحش بينهم . وهم يصلون الجمعة في مسجد أمير المؤمنين علي ؛ ثم يسد فلا يأتونه الا في يوم الجمعة التالية . وهذا المسجد من أحسن المساجد وصحنه متناهي الانفساح مفروش بالحصباء الحمراء التي يؤتى بها من وادي السباع ، وفيه المصحف الكريم الذي كان عثمان رضى الله عنه يقرأ فيه لما قتل » .

وقد ترعرعت الثقافة الاسلامية في كنف الحضارة العربية الاسلامية ذات المنزع العلمي ؛ فكان العلم لحمتها وسداها ، وتلك حقيقة لا تخفى على الناقد البصير خلافا للصورة التي ارتسمت في أذهان الغربيين من أن المسلم لا يعرف من الحياة التريض والتراح . وشبيبتنا قلما يدركون هذه الحقيقة ، اذ كلما تقدم بنا الزمن واجهنا اغفالا متزايدا في مناهجنا المدرسية وفيما نقدم لهذه الشبيبة من زاد ثقافي — لدور ذلك التراث العريق في اطلاق الشرارة الاساسية التي أوقدت الحضارة الحديثة كلها ؛ شرارة البحث العلمي والتجربة والاستقراء ومدارسة الطبيعة بدلا من الدوران حول الأفكار والبقاء في دائرة العقل كما فعل فلاسفة اليونان القدامى وعلى رأسهم أرسطو .

ويقول الدكتور عبد الله عبد الدائم ان مفتاح الامر في نظرنا ان الحضارة العربية الاسلامية امتازت من دون غيرها من الحضارات بالجمع الوثيق بين العنصرين الاساسيين اللازمين لكل حضارة كاملة متكاملة ، نعني الدراسات الادبية والفكرية من جانب ، والدراسات العلمية التجريبية من جانب آخر . على أن أبرز ما فيها ليس العنصر الاول ، كما نظن غالبا نتيجة لعناية مدارسنا بأدب العرب وشعرهم وفلسفتهم أكثر من عنايتها بدراساتهم العلمية والتجريبية . والعكس هو الصحيح أي أن السمة المميزة لتلك الحضارة هو اطلاق الروح العلمية التجريبية ، ونقل هذه الروح الى العالم الغربي الذي تلقفها وبنى عليها الحضارة الحديثة . والمعجزة العربية كما يريد أن يسميها (ماكس فانتاجو) تكمن أولا وقبل كل شيء في حماستهم للابحاث العلمية ومجازتهم حضارة اليونان في هذا المجال .

فهم الذين حققوا — كما يقول — المزج بين المعارف اليونانية والهندوكية ، بحيث يحق لنا أن نسمي العصر الذي اكتشفوا فيه خصوبة الجبر وروعة الحساب وفائدة الكيمياء عصر المعجزة العربية . والمسلمون والعرب هم الذين بنوا على حد قول (جورج راندال) في كتابه عن تكوين العقل الحديث ، حضارة لم يكن العلم فيها مجرد براعة فحسب بل كان علما طبق على الفنون والصناعات الضرورية للحياة العلمية . وهم الذين كانوا يمثلون اجمالا في القرون الوسطى — على حد قوله أيضا — التفكر العلمي والحياة الصناعية العلمية الذين تمثلهما في أذهاننا اليوم ألمانيا الحديثة . وقد جعلوا العلم — في الطب وعلم الآلة بل في جميع العلوم — في خدمة الحياة الانسانية مباشرة ، ولم يحتفظوا به كفاية في حد ذاته . وقد ورثت عنهم أوربا ما ترغب أن تسميه بروح « بيكون » التي تطمح في توسيع نطاق حكم الانسان على الطبيعة .

ومعنى هذا أن روح تقري الطبيعة وملاحظتها والتجريب فيها — تلك الروح التي تنسب الى بيكون ومن جاء بعدهم من المفكرين التجريبين — هي في الأصل روح الحضارة العربية الاسلامية التي انتقلت الى أوربا فانتجت الحضارة الحديثة كلها . والحضارة العربية اليوم ، حين تعاود هذه الروح وتقبل على الاهتمام بالعلم والتقنية والصناعة ، انما تعود في الواقع الى أصولها وتتابع عملها الذي بدأته والذي قطعتها عنه عهود الانحطاط والتأخر .

والفكر العربي مدين للاسلام بهذه الوثبة الخلاقة . والذين يناقضون هذا القول كما أسلفنا يستندون الى ما خلفته أوضاع أوربا في القرون الوسطى وأوائل عصر النهضة من صراع عنيف بين رجال العلم ورجال الدين في أوربا ، اذ وقف هؤلاء من

العلم موقفا سلبيا ناتجا عن تبني الكنيسة لبعض الآراء العلمية التي أثبت العلم الحديث خطأها . والأمثلة على ذلك كثيرة منها قصة تسطيح الارض وكرويتها اذ لم يجهر العلماء بكرويتها حتى لاقوا العنت والتعذيب فحكموا واحرقت كتبهم بل لقد احرق « برونو » مثلا ومن هنا نشأت فكرة مناقضة الدين للعلم واصبح واجب العلماء الاحرار تجريح اصول الدين وتوهين عراه .

ولكن الامر يختلف بالنسبة للاسلام ، ولقد وضع الاسلام العلم والعلماء بمنزلة مكرمة بل لقد جعل طلب العلم بشتى فروعه وميادينه فريضة على كل مسلم وجعل الانشغال بطلب العلم خيرا بالانشغال بالعبادة سواء اكان علما دينيا أم دنيويا لأن الدين الاسلامي عالج بنظمه كل نواحي الحياة ومجالاتها فلا غرابة اذا رايت كتب الفقه مثلا تشتمل على احكام الصلاة الى جانب أحكام السياسة والصوم الى جانب احكام الاحوال الشخصية والى جانبها احكام الحرب والطب والأخلاق والاجتماع والاقتصاد والتربية وكافة فروع العلوم ... اضافة الى جعل طلب العلم فريضة فقد جاءت كثير من الآيات والأحاديث داعية الى الدراسة والنظر فى مخلوقات هذا الكون الفسيح ونظمه وقوانينه الثابتة والمتغيرة .

« قل انظروا ماذا فى السموات والارض » يونس 101 .

« قل انما أعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى » العنكبوت 20 .

« قل انما اعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا » سبأ 46 .

« افلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او آذان يسمعون بها .. » الحج 46

وكثير من الآيات والأحاديث التى تشير الى ان التفكير فريضة اسلامية كما يقول الفقيد العزيز عباس محمود العقاد ... اذ ان تلك الكائنات وتلك القوانين قد اوجدها الله لمنفعة هذا الانسان فعليه ان يكتشفها فيشكر الله الذي وهبه اياها : فقوى الطبيعة من حرارة وبرودة ونور ورياح ومياه وخيرات ومعادن وكنوز ونبات وحيوان وقوانين ثابتة كالجاذبية والمغناطيسية والكهربائية والضوء والصوت والذرة الخ وغير ذلك من امور لا تعد ولا تحصى انما هي لخدمة هذا الانسان .

« هو الذي خلق لكم ما فى الأرض جميعا » البقرة 28 .

وكلما امعن الانسان فى البحث والدراسة تكشفت له اسرارها وحكمتها وفائدتها للانسان : « ربنا ما خلقت هذا باطلا » آل عمران .

فيستطيع استغلالها لمنفعة الأمة والخير العام...

من هذين المصدرين — مصدر جعل طلب العلم فريضة ومصدر توجيه القرآن للناس الى الدراسة — انطلق المسلمون يبحثون ويدرسون ويترجمون ويقارنون منذ وقت مبكر فتطورت مبادىء العلوم الموجودة بدافع قرآني فكانت هناك نهضة علمية جبارة فى حقول عديدة ومتنوعة من حقول العلم والمعرفة فى الطب والرياضيات والفلك والبصريات والطبيعيات (الفيزياء وتطبيقاتها والكيمياء والميكانيكا والذرة والنبات والحيوان والجيولوجيا والانواء) والتربية والسيكولوجيا والتاريخ والجغرافيا والرحلات والاجتماع (العمران) والسياسة واللغة والادب والمنطق والفلسفة والقوانين وغير ذلك ... فلم نسمع ان هناك تناقضا بين الدين وهذه العلوم ، ولو كان هناك تناقض لمنعت منذ وقت مبكر ولرأينا على الاقل فتاوي العلماء بتحريم قوانين ابن سيناء والرازي فى الطب مثلا أو تحريم الرياضيات وقوانينها فى الهندسة والجبر والمثلثات والتى توصل اليها كل من الخوارزمي والبتاني وابن يونس وغيرهم أو تحريم الفلك وقوانينه التى توصل اليها البوزجاني والبيروني وغيرهم أو او الفيزياء أو الكيمياء وغير ذلك ... فى حين أننا نجد ان الخلفاء انفسهم كانوا يشجعون تلك الدراسات بل يؤثر عن المأمون انه أعطى للمترجمين ذهبا يعادل وزن ما ترجموه من الكتب !

فازدهرت تلك العلوم وبلغ ما الفه العلماء فى ذلك اعدادا هائلة من الكتب ولعلها من معجزات هذه الأمة العلمية ، فى الوقت الذيكانت اوروبا فيه لا تعرف من تلك العلوم شيئا الا مبادىء بسيطة انحصرت فى فئة قليلة من الاكليريوس .. وفى الوقت الذي بلغت فيه الحضارة اوجها عند المسلمين كان شارلمان وحاشيته يتعلمون كيف يكتبون أسماءهم . ولما دالت دولة المسلمين لانشغالهم بالخلافات والانشقاقات ولبعدهم عن الاسلام الذي كان سبب رفعتهم ومجدهم شاء الله للغرب بعد أن نهل من مناهلهم العلمية أن يفيق

من الجهل والتأخر فيسطو على نتاج العلماء والمسلمين فلما درسوها دراسة واسعة نسبوا اكتشاف الحقائق العلمية اليهم وتنكروا للمسلمين فاذاقوهم العذاب والحرمان باستعمار بلدانهم وامتصاص خيراتها وانكروا فضلهم العلمي على الحضارة الذي لا يزال معينا لا ينضب للدارسين والمخترعين .

وحسبنا أن نذكر في هذا المجال « بيت الحكمة » الذي انشأه الخليفة المأمون ببغداد وان نذكر مدرسة بغداد التي ترعرعت في كنفه والتي سادت اعمالها العلمية « روح السير من المجهول الى المعلوم ، ومن النتائج الى الاسباب وانكار كل ما لا تثبته الملاحظة والتجربة على حد قول « سيديو » في كتابه الشهير عن تاريخ العرب (طبع باريس 1954)

ورصيد الاسلام في شتى ميادين المعرفة يعلو عن الحصر وقد اثبتنا بعضه في مقال سابق ، وحسبنا هنا ان نشير الى ان النشاط العلمي الكبير الذي حققته الحضارة العربية الاسلامية قد استطاعت بفضله ان تكون الرائدة في الاسلوب العلمي الحديث وفي الطريقة التجريبية وفي تطبيق العلم على أمور الحياة .

وهذا العطاء الخصب قد يسر للحضارة العربية الاسلامية بفعل عوامل ابرزها دون شك تمازج الثقافات الذي تم في أيامها ، ولاسيما التمازج الذي حدث بين تراث اليونان وفارس والهند والذي أمكن دمجه دمجا عضويا أصيلا بالثقافة العربية . وهذا الدمج العضوي لتراث الآخرين مع تراث العرب هو الذي استطاع أن يجعل من الحضارة العربية الاسلامية حضارة خصبا ولودا ، وان يزودها بالقدرة على العطاء والابتكار . فالعرب والمسلمون لم يقفوا من تراث غيرهم موقف الرفض بل نقلوه ووعوه ، كما انهم لم يكتفوا بالنقل بل هضموا وتمثلوا وحققوا التفاعل اللازم بين تراث الآخرين وتراثهم . وبذلك ولدت الشرارة الحية الخصبة لحضارة منتجة متحركة . وهم اليوم مدعوون الى أن يقفوا مثل هذا الموقف من الحضارة العالمية وينقلوها ويهضموها ويتمثلوها شريطة ان يحققوا الدمج العضوي بينها وبين تراثهم وحضارتهم وهذا الأمر ميسور لهم ما دام تراث الغرب في أصوله هو تراث العرب والمسلمين وما دام هؤلاء يحيون ما خمد ويعيدون ما انقطع حين ينهلون من حضارة العالم العلمية والتقنية ، وحين يتابعون رسالتهم التي لحقوا بها العالم ، رسالة العلم والتجريد والتأثير في الطبيعة .

وحين يعرض المرء للثقافة الاسلامية تقفز الى الذهن شخصية المفكر الاسلامي الكبير ابي حامد الغزالي صاحب كتاب « تهافت الفلاسفة » وكتاب « احياء علوم الدين » وكتاب « المنقذ من الضلال » وكتاب « القسطاس المستقيم » وكتاب « ميزان العمل » وكتاب « المستظهرين » وغيرها كثير اذ المفقود منها اكثر من المطبوع . وهي تتناول موضوعات مختلفة كالتصوف والعقائد والفقه والأصول والفلسفة والمنطق .

ويرى الغزالي ان أحكام العقل صادقة في العلوم المنطقية والرياضية والطبيعية ، وفي كل ما يتعلق بأمور التجربة . أما المعارف الآلهية فان العقل لا يحكم فيها الا بالامكان . واذا كان كلام الفلاسفة في الرياضيات برهانيا ، وفي الالهيات تخمينا ، فما رد ذلك الى عدم وفائهم في الالهيات بشروط البرهان المنطقي .

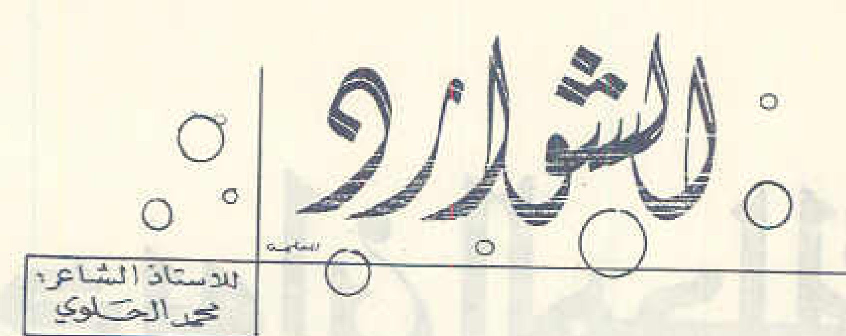
وقد اهتدى الغزالي في رده على الفلاسفة الى آراء طريفة سبق بها فلاسفة القرن الثامن عشر فقال عند كلامه عن مسألة قدم العالم : ان الزمان والمكان هما علاقات بين التصورات ، تخلق بخلقها او بالأحرى يخلقها الله بين الصور الذهنية في عقولنا . وهذا قريب من راي الفيلسوف الألماني الشهير كانت Kant الذي قال : ان مقولتي الزمان والمكان هما صورتان قبليتان مخالفهما العقل ، او بالاحرى يستخرجهما من داخله ليرتب فيهما ظواهر الطبيعة .

وعند انكاره لفعل الطبيعة قال: « اننا لا نستطيع ان نرد هذا الفعل الى مجرد علاقة زمانية بين شيئين، بل ان مجرد اعتيادنا مشاهدة التعاقب بين ظاهرتين طبيعيتين لا يسمح لنا بان نقول ان الظاهرة الاولى علة الظاهرة الثانية ... وهذا شبيه براي هيوم Hume الذي زعم بعد الغزالي بست مائة وخمسين سنة تقريبا « ان اعتيادنا لمشاهدة التعاقب بين حادثتين بانتظام هو الذي جعلنا ندعي أن الحالة الاولى علة الحادثة الثانية » .

وبعد ، فهذه اطلالة اخرى على خضم الثقافة الاسلامية ، استدركنا فيها بعض ما فاتنا ان نجلوه في سابقاتها . ونحن نأمل أن تتاح لنا الفرصة استقبالا لاستكناه المزيد من مجاهل الفكر الاسلامي احقاقا للحق وحتى يعترف الجاحدون لفضل هذه الثقافة بالدور الطلائعي الخلاق الذي كان لها في تاريخ الثقافة الانسانية .

الرباط : عبد الرحمن بنعبد الله

ديوان المجلة



للاستاذ الشاعر: محمد الحلوي

يا نبي الهدى فديتك لو لم ... تك للخلق مرسلا ونبيا
كنت احرى بأن تقدس فيهم ... مثلا شامخ الذرى علويا

— ◆ —

يا بن عمي سمعت صوتك يدعو ... ني فادمى قلبي وفجر دمعي
وتمنيت ان اطير لنلقى ... قد رينا فكان وضعك وضعي !

— ◆ —

ضعفنا اليوم نابع من غلو العرب فى فخرهم بأمجاد امس
وحياة الشعوب فى مجدها الخاسر تعليه بالكفاح وترسي

— ◆ —

لو مسخنا ضفادعا وزحفنا ... نحو صهيون لاختفت صهيون !
نحن فى الارض كالغثاء ملايين عجاف .. اذلها مليون !!

— ◆ —

وصحا الشرق ذات يوم فالفى ... امم الغرب فى اعالي الفضاء
وهو ما زال سائلا : هل انا حر فامشي ؟ ام ملجم بالقضاء !؟

— ◆ —

عيبنا نحن يوم يذكر عيب ... لبني الشرق انهم كرماء
بالكلام الكثير .. والمال نذرو ... ه ... وتلك الالقاب والاسماء !

— ◆ —

جرح قومى اربى على كل جرح ... مزمن حل فى سويداء قلبي
واشد الجراح عمقا وانكا ... ها ، دماء تراق فى غير حرب

— ◆ —

اتراني مصدقا زعم قومي ... انهم دون خصمهم .. ضعفاء
وهم ان دعوا لقتل ذويهم ... عنتريون فى الوغى اكفاء

— ◆ —

قل لمايـر .. واليالـي حبالى هل رات فى الاعياد مثل كبور ؟
كان شؤما .. وكـان مأتـم صهيون .. وبشرى لهم بسوء المصير!

— ◆ —

نحسب الموت نقمة وهو خيـر لوجـود نعيـش فيه ونعمـة
لو وهبنا الحياة من نشاة الخلـــق لحلت بالارض اسوا تخمة !

— ◆ —

كم بريء ! يـقاد للسجـن مغلــولا ، ونذل قد اخطاته العدالة
ذاك ما شكـك الكثيريـن فى العـدل ، اذا كان واقعا فى الضلالة !!

— ◆ —

يا وضيع القمـاط ! ما اوضع الانسان نفسا ! اذا دعـاك لقيطـا
هل صفت منـذ آدم نطفـات من سفاح حتى تكون خليطا ؟!

— ◆ —

ما تعامت من حيـاتي شيئـا هو اغلى منها كخلق الصراحـه
افقدتنـي الكثيـر ممـن توددت اليهـم واوسعتنـي جـراحـة !!

— ◆ —

يـا مليكاتـي النواعـم ! ما كنتـن الا جـآذرا وحمـامـا
كيف صار الغزلان فى الروض غيـلانـا وامسى الحمام فيه حماما ؟!

— ◆ —

ما تعرت حـواء فيكم لتلهـو او لتبـدي جمالهـا للعيـون
انها حربهـا ! وقـد اعلنتهـا بـسلاح من الهـوى والفتـون !

— ◆ —

والذي استعبـد النفـوس الكبيـرات واعمى بريقـه الابصـارا
وادار الدنيـا ودار عليهـا ليس الا حـواء .. والدينـارا !

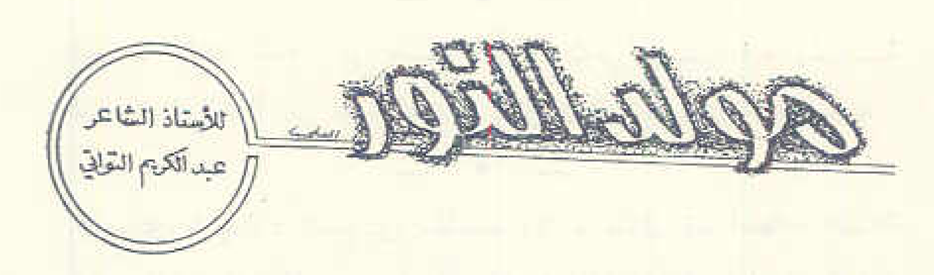
— ◆ —

للخطايـا روائـح ! لو تفشـت لم يكن مخـطيء بها مستريحـا
لو تفشت .. رايت كـل تقـي يتـراءى بنسـكه مفضوحـا !

— ◆ —

يا خطايـاي ! ما ارتكبتـك الا كنت لي فرصـة لاذكـر ربـي
لممـا كنـت ــ او كبائـر فالـرب كبير .. اجل من كل ذنـب !

تطوان ــ محمد الحلوي



حدث كان فى الزمان فريدا   الغيوب انجلت وقامت شهودا

وجلا النور، فالسماوات والارض   سعود مباركات سعودا

— * —

اي سر ، هذا الذى بهر الكون   جمالا يسبي وحسنا فريدا

اي سر ، هذا الذى غير الارض   واضفى عليها خلقا جديدا

فاذا الكون والعوالم روضات   جنات ، زكت جنى وورودا

واذا الصحرا من بداوتها تصحو   ويفتر ثغرها توحيدا

واذا الكعبة الحرام ضياء   بدد الشرك والخنى تبديدا

— * —

هو ارهاصة النبوءة غراء   تبدت حقائقا ووجودا

هو ميلاد احسن الخلق : اخلاقا وخلقا ومحتدا وجدودا

احمد المجتبى الذى بشر الله به الكون ، واصطفاه وليدا

— * —

عاشت الصحرا فى الجزيرة ظمآى   تستميح السحاب طلا زهيدا

وترى الخصب امنيات منام   ولبان الانعام عيشا رغيدا

وترى الواد عفة واحتراما   وازدلاف الاوثان دينا رشيدا

وترى المجد غارة واستلابا   وترى الظلم مكسبا محمودا

هجع العقـل للخرافـات فيـها   وتناسـى حنيفـة وعهـودا
واستنـام الـورى بـها لجهـالات وظلوا على خناهـا سجـودا
يتلهـون بالتماثيـل جهـلا   ويلوذون بالدمـى تبليـدا
رجت الارض بالضلال وناءت   والسماء اربدت وغامت وعيدا
واشراب الاحناف للبيت ، يستهـدون اقداسـه طريقـا رشيـدا
واستجاروا بربـه واستخاروا   وترجوا هديا ولطفا حميـدا
واطالوا التمجيد ، والله بالخلـق لطيـف فبـارك التمجيـدا
واستجاب الدعـا وقال لطـه   كن رحيما بالخلق بـرا ودودا
فاحتفى العرش بالبشارة واهتـز لهـا الكون والهـا عربيـدا
فاذا الارض في الجـزيرة جنـات احالـت اوارهـا تبريـدا
والسراب الكئيب فجر مـاء   وعيونا تروي الظمـاء برودا
والصحاري تنـورت فتملت   في ازدهاء زهورها والـورودا
اينع الزهر في رباها واضحـى القيـظ ظـلا يـرف هونـا وئيـدا
والبراعيم داعبتها النسيمـات ،   وامسى بها الجنى عربيـدا
والدوالي ترنحـت فتهـادت   في انتشـاء عصيرهـا الموودا
والنهيـر الوسنـان دغدغـه الطيـر فالقـى على الزمـان نشيـدا
لففته الاصـداء اروع لحـن   واسرتـه للحيـاة قصيـدا
هو قرآن احمد جـل آيـا   مشرقات السنا وجل شهيـدا
تتغنـى بـه الدهاريـر قربـانـا ويغدو تسبيحها المنشـودا

— * —

أي سر هـذا الـذي غيـر الارض واحيـا طريفهـا والتليـدا ؟
واستثـار الاكوان ، فهي تسـابيـح واخلاص مفعـم توحيـدا ؟

— * —

هو والله معجـزات ابـي القـاسـم ، لاحت اعلامهـا تمهيـدا
ولد النور ، فالسمـاوات آي   رجع الكون وحيـها تمجيـدا
وتعالت اصداؤهـا كلمـا حلـوا وذكـرا معطـرا مـودودا
وتهـادى فيوضهـا المـلا الاعـلى ، ركوعا مقدسـا وسجـودا

— * —

شاق اشعاعه البسيطة ، فاختالت بهاء وزغردت تحميدا
وتنادت ملائك الله : يا بشرى البرايا : حلوا من السعد جيدا

— * —

ولد النور ، ما اميلح اشراق محياه : نطفة ووليدا
فتوالت خوارق الكون ارهاصا : وعوذا طورا وآنا وعيدا

— * —

نار كسرى خبت ، وروع اهلوها ، وعانى تنورها التبريدا
فاذا المرزبان اسوان يشكو ان راى ناره تمج الوقودا
اي باس اصاب احطابها اليوم، فحارت وما استعرت حديدا

— * —

وبناة الاهرام سيء بهم ذرعا ، وحسوا اصنامهم لن تجودا
اجهدوا النيل بالقرابين ، فاناب مهيضا مستنزفا مجدودا
وراوا امرهم غثاء فدلوا واستدروا المقوقس المكدودا
فتملى المقوقس المعبد الكابي ، والقى طريقه مسدودا
فتروى وابعد الزيغ عنه وهدى بكرا للنبي ولودا

— * —

وبنو الروم في مواكب حزن نكس الياس جيشهم والبنودا
يتوارون خائفين حيارى مسخ الاقوياء منهم قرودا
كلما امعنوا الفرار اعيدوا من بعيد وبددوا تبديدا

— * —

وتنادت يهود يثرب ذعرا : نور — الليل — نجم احمد بيدا
وارادوا كيدا باحمد ، لكن كان كيدا في نحرهم مردودا
بئست العترة اليهود، فما تعرف الا تختلا وكنودا
امة تحضن الرذيلة طبعا وتحب الاجرام حبا شديدا
وترى الختل فطنة وذكاء وانتقاض العهود صنعا حميدا
ضل من يرتجي صلاح يهود لن تعيش اليهود الا يهودا
نهم الدهر خسة تعشق الخزي صنيعا ، والعار ترجو حصيدا

كبتوا ـ ويلهم ـ واجلوا ، وقال الله : لعنا للمارقين مبيدا

— ❊ —

بورك اليتم يتم احمد اولى سعدها الخصب والنماء المديدا
در ثدي العجفا حليمة ، واهتز حليبا وفاض زبدا مهيدا (1)

— ❊ —

كل تلك الخوارق الحق كانت عبرا تؤتسى وبعثا جديدا
ذكرت هذه البسيطة ايمانا تواصى بها الاناسي عهودا
قدست مصدرا ، وبورك مغزاها ، وعزت مقاصدا وبنودا

— ❊ —

حمل السر آدم ، وتوخى من بنيه تعهدا وصمودا
مذ هدى الله آدما سره الاسنى، ونادى: ان كن عليه شهيدا
ثم نادى كل البرايا : ألست الرب ؟ قالوا : بلى ، شهدنا وحيدا
لم يك السر الا احمد لما ذرا الله كونه والوجودا
جلبت سره الغيوب ، وناجته ، فالقت به نبيا حميدا
فاذا الكون فى ابتهالات يمن يتملاه شاكرا مودودا
ينشر الورد والرياحين بشرى ويناغي التبريك والتحميدا

— ❊ —

وتعالى الدعاء اطيب من نشر الخزامى : هل الوليد سعيدا
لم يكن مولدا لطفل ، ولكن كان اشراقة وفجرا جديدا
كان حلم الانسان امل تخليصا ورجى مثوبة وخلودا

— ❊ —

كان نورا فابدعته المقادير نبيا محمدا محمودا
فتنادت ملائك الله : يا أرض هلمي فبارك المولودا
من به اليمن طائف . والسعادات تناجي ركابه والبنودا
والذي جاء رحمة لبني الارض ونورا من الهدى مشهودا

---

(1) المهيد : الزبد الخالص

وغدا فرحة لكل البرايا وعلى السن التقاة نشيدا
رجع الكون في ابتهال هداه وترضاه دينه المنشودا

— * —

صان ربي تلك التي في حشاها اودع السر سرك المشهودا
وهبت للحياة والدين اسا كان نبراسا للحياة رشيدا
فليهبها الهك الحي انعاما زكيا ومنة وخلودا
وليحطها بفضل طيبك يا احمد ـ فضلا ، وعفوه الموعودا

— * —

نعمت الدار دارها ، وبنو يثرب كانوا الانصار والتأييدا
قاسموا صحبك الكرام حطام العيش ، اذ كانوا في العطاء الجودا
ويودون انهم قاسموهم طاهرات الاردان حورا غيدا
واستلذوا لعز دينك اهوال المنايا ، واستعذبوها حديدا
صاولوا الشرك، اذ قوى الشرك هول واستماتوا وناصروا التوحيدا
فاضافوا لتالد المجد مجدا وسموا رفعة وكانوا الصيدا
ولقد اثلوا المحامد قدما ولقد كانوا للرسول الجدودا
دار فلك الزمان دورته الكبرى فكنت الزمان عقدا وجيدا
زبدة الطيبين من آلك الصيد ، تجسمت مجتبى مسعودا

— * —

وقضى ربك المهيمن فاختارك للدين رسولا وللدنى تسديدا
وتولاك بالنبوة تزجيك التحايا مجلوة املودا
واناخت بساحك الرحب نشوى واستقر النوى بها محمودا

— * —

ومضى ركبك المبارك يختط حياة ومسلكا وحدودا
نبذ الشرك والانانية الجهلا ، والمكرمات عاش رصيدا
وتعاطى لنصرة الحق والعدل يمينا وموثقا وعهودا
فاطمأن الورى لدين ودنيا واستقاموا واستمرأوا التوحيدا

— * —

يا رسول الاله قبلتك الاولى فلسطين تشتكي التهويدا
خزي صهيون نجس القدس منها   واراق الدما وادمى الصديدا
واباح الحمى بها واستباح الدين فيها : التثليث والتوحيدا
حرقوا المسجد الحرام، وقد راحوا يدكون صرحه والعهودا
وارى المسلمين ما انفكوا يشتكون حيارى موزعين جهودا
فرقتهم اهواؤهم ، فتناءوا   دون وعي مقاصدا وحدودا
يتواصون بالفداء ، فيارب تقبل شعارهم والوعودا

— * —

وبنو فتح في ابا يتحدون المنايا ، مستلئمين الصمودا
اقسموا ان يحرروا القدس، او يمضوا الى الموت : ثائرا وشهيدا

— * —

وارى شبل احمد ، بارك الله خطاه ، لبى الندا صنديدا
عبأ الجيش، والاساطيل ارسى   وتحدى الصهيون والتهويدا
مثل حي سنه « الحسن الثاني » واحيا به الجدود الصيدا
فليكن ما اتى مثالا ونهجا   وليكن مبدأ ورمزا حميدا
واسأل غزة الابدية والجولان تدرك قراره المحمودا
فلنحيي ابطالنا حيثما كانوا : بسيناء او بسوريا شهودا

— * —

ولتدع « يعرب » الخلافات جنبا ولتوحد صفوفها والجهودا
ولتعبيء شعوبها ، فهي والله شعوب تهوى الفدا والصمودا
حرب « اكتوبر » علامة بعث   فلتكن يقظة وبعثا جديدا

— * —

يا رسول الاله انا باعتابك لذنا فاشفع تشفع حميدا
وتدارك حماة دينك يارب وبارك نضالهم تأييدا
وتقبل بجاه (طه) دعانا   وتجاوز وحقق المقصودا

فاس — عبد الكريم التواتي

أيها المغرب شكراً

للشاعر سليم الرافعي

« من ذرى لبنـــان التي حماهـــا جيش المغـــرب »
« الى كل اسرة في المغـــرب انجبـــت الابطـــال »

ايها المغـرب : هل تـأذن ان اجزيـــك شكـــرا ؟
ايهـا المؤمـــن بالوحـــدة : فتحـــا مستمـــرا
عالم الاسلام يحيــا بــك احساســا وفكـــرا
يوم ارسلـت بنيـك الصيـد اشعاعــا وزهـــرا
سال ذاك الـدم في (الجـولان) ما ازكـاه عطـرا !

— ◆ —

ايها المغرب : نهـر الحـب نهـر الـدم دينـه !
ايهـا الفـادي تـراب الشـرق : تفديـك عيونـه
ايهـا الحافـظ عهـد الشـرق في الجلى تصونـه
شعبك الخالد حصن الشرق ان ريعـت حصونـه
شعبك الخالـد جنـد اللـــه .. والله معينـــه !

— ◆ —

يا سخـي البـذل يـوم الـروع ما هـاب رجـالك
صـدروا عن حومـة المـوت وقد شـع جمالـــك
وذرى الشـام ذرى المغـرب تحميهـــا نصالـــك
كم تلال في ربـوع الشـام ترويهـــا تلالـــك
وحـدة الاسـلام مـا حققهـــا الا نضالـــك !

— ◆ —

خلـد المجـد لـك الذكـــر : فتوحـــا وعلومـــا
مـن (ربـاط الفتـح) والتاريـخ يرويـك عظيـما
واهـب الاســلام اقليـمـا وفاديــه كريمـــا
يا اخـا الـروح نبيـلا عشـت بالـروح حكيمـا
سيد البحريــن ! بوركـــت حديثـــا وقديمـــا !

طرابلس ، لبنـــان ــ سليم الرافعـي

في ذمة الله والتاريخ والأدب

للأستاذ محمد بن عبد الله الروداني

« في ذمة الله والتاريخ والادب » علال ، والحق والاسلام والعرب(1)

ناضلت عنها نضال المستميت ولم تبخل بنفسك بله الجهد والنشب

وذقت فيها الذى ما ذاقه احد من الفجائع والانكاد والنصب

فما ثنتك عن الغايات عائقة ولم تعق لك عزما سورة النوب

بكرت للجد من قبل الشباب فلم تشب كالناس فى لهو ولا لعب

انتم بني الجد اهل الجد قد شهدت آثاركم بتوخيه على الداب

عرفت مذ كنت بالدين القويم وبالـخلق الرصين وبالمنجى من الريب

موطد العزم فى حل ومرتحل للحق تنصره فى كل مضطرب

وهبته نصف قرن من حياتك لم تفتا تجالد عنه كل مغتصب

«ان تنصروا الله ينصركم» شعارك فى هول الخطوب فلم تجبن ولم تهب

انت الشجاع الذى ردت وقائعه عن البلاد جنود البغي والشغب

آليت انك مخلوق لتدحرها اغنيت فيها غناء الجحفل اللجب

ارادة الله شاءت ان تنفذها وتحمل العبء فيها حمل محتسب

قد هيا الله ما قد كنته ازلا وكم يهيا فى الآزال من عجب

---

(1) لا يخفى ان هذا صدر مطلع قصيدة المرحوم الاستاذ علال الفاسي فى مرثيته لامير الشعراء احمد شوقي بك ، شارك بها فى المهرجان المقام لذكراه بفاس وسمى بعد ذلك ـ « يوم شوقي بفاس » .
ولما فكرت فى رثاء الاستاذ علال استشعرت جلال قدره ورفعة مكانته ومزاياه الكبرى التى خلدته ، فصرت الفق كلمات متقطعة حول هذه المعاني لم تلبث ان تحولت فى فمي الى ما يقارب هذا الشطر ، فاذا بي اتذكره ، فقلت وهذا ايضا من وحي علال فصممت على اثباته كمدخل لقصيدتي فرارا من ان يفوتني الشنب اذا اقتصرت على محاكاته فقط كما قال ابن الخيمي :

يا بارقا بأعالي الرقمتين بدا لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

ومن عنايتـه نلـت الوثـوق بـه ... فـرت للنصر سير الواثق الطرب

فى فتية قد شـروا الله انفسهـم ... واستعذبوا فيه مر الضر والتكب

قد قمت تدرأ فى نحر العداة بهم ... سلاحكم قـوة الايمان لا اليلب

شننتموها علـى الاعـداء ضاربـة ... كالنار ان سعرت فى يابس الحطب

هم فتية صبر قامـوا بواجبهـم ... نحو البلاد وذاقوا الصاب كالضرب

تعشقوا اقصى غايات المعالي فلم ... يرعهم أي مستعص من الطلـب

من كل ندب بعيد الغـور متقـد ... من الذكاء اتقاد البرق فى السحب

من سورة التوبة اختطوا مبادئهـم ... يوم انبروا لنزال الخصم كالشهب(2)

فانجـح الله مسعاهـم وخلدهـم ... فيمن تقبل منهم أحسن القـرب

— ◆ —

لما انحرفنا وعوقبنـا عليـه بأن ... نحتل من ماكر مستعمر شغـب

اناخ كلكلـه فينـا ليعركنـا ... عرك الخنوع والاستسلام والرعب

والله اعدل من يقضـي وارحم من ... يمضي الامور بلطف جد مقترب

تدارك الشعب منكم بالاساة بني الـ ... ـأحرار خيرة اهل الدين والحسب

كما تـدارك كلا بابـن يوسـف ذا ... لك الهمام الشريف النفس والنسب

العاهل المرتضى الميمـون طالعـه ... كانما جاءه التوفيق فى سبـب

قد كان معتصم الاحرار يكلؤهـم ... بالشد لـلازر والتقريب لـلارب

كم من ايادي قد اسدى وآمال ار ... ضاها وفرج عنه اليأس من كـرب

---

(2) قال الله تعالى فى سورة التوبة : « ما كان لاهل المدينـة ومن حولهـم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسـهم عن نفسـه ، ذلك بأنهم لا يصيبهم ظما ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يطأون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ، ان اللـه لا يضيـع اجـر المحسنين ، ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم، ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون » وذلك لما تخلف بعـض النـاس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج لغزوة تبـوك .

ولا يخفى ان منطلق الوطنيـة كان من جامعـة القرويين بفاس ، وان هـذه الوطنية كانت فى اول أمرها محاربة من الاسلام للكفر ، بل هذا هو مظهرها الاول فى كافة بلاد الاسلام ، فهي قبل كل شيء جهاد فى سبيل الله ، وان روادها الاولين كانوا من شبان علماء الدين ، وكانت هذه الآية الكريمة من شعاراتهم اذ ذاك .

ويوم طنجة فى تاريخنا علم — انار كالشمس كل المغرب العربي (3)
القى به الخطبة العصما التي ارتعدت — لها فرائص الاستعمار بالرهب
وقال انا لشرق ليس يربطنا — بالغرب الا رباط القسر والغلب
وان بغيتنا تحرير تربتنا — والانضمام لجمع الدول العرب (4)
وان تكن زمجرت باريس واحتدمت — واستبدلت من لبون جوان ذاالصخب
فلم تزده سوى تأجيج عزمته — على التحرر كالبنزين للهب
وبعد ذلك لاقى منه ساستها — فى عقرهم اي جلد ماهر صلب (5)
لم يرض منهم بانصاف الحلول ولم — يقبل وعودا من التضليل والكذب
فكان موقفه الاسمى المطوق للاعناق بالمنن العظمى مدى الحقب
وفى كاروع ما هو الوفاء وضحى مثل روعته بأروع الرتب
ولم تهن عزة السلطان عزته — ولم يمله نعيم الملك والنخب
حتى راينا وما بالعهد من قدم — مؤزر النصر يمحو عارض الوصب
وشاركته اذى الضراء اسرته — من اول الشوط حتى الفوز بالقصب
وكان فى الحسن الثاني لهم وزر — فقد تعود شد الازر وهو صبي
فى همة تتحدى الحادثات ترى — فى بعد مطمحها حثا على الطلب
ادامه الله محفوفا بنصرته — فى حاله وفى عقباه وفى العقب

— ◆ —

لم تنس صرخة علال صحونا لها — من شبه سكر بجريال من الغضب
دوى بها تملأ الآفاق مدهشة — من المعزية الملجا لكل ابي (6)
يا مصر قل لك الشكر الجزيل على — بيض الايادي وفسح الصدروالرحب
اخوة الدين والاوطان تجمعنا — ووثق الجذم منا اوثق الارب

---

(3) فى شهر ابريل 1947 ذهب جلالة المغفور له محمد الخامس لطنجة على كره من الفرنسيين ومحاولات شتى لعرقلته ، وفي عاشره القى بها الخطبة العظيمة التى أسفر فيها عن رغبته الملحة فى استقلال بلاده والانفصال تماما عن فرنسة .

(4) كانت فرنسة تحاول ان تؤسس من مستعمراتها مجموعة تسميها الاتحاد الفرنسي ، فلما اعلن جلالته رغبته فى الانضمام للجامعة العربية ايأسها من الطمع فى انضمام المغرب الى اتحادها .

(5) ذهب جلالته الى فرنسة عام 1950 للمطالبة بانهاء الحماية ، فحاول الفرنسيون مغالطته فرفض كل اقتراحاتهم ورجع مرفوع الرأس موفور الكرامة .

(6) هي مدينة القاهرة كانت تسمى القاهرة المعزية نسبة الى مؤسسها المعز لدين الله الفاطمي على يد قائده جوهر الرومي الكاتب سنة 358 هـ .

اربيت يا مصر من حق البرور بها ... على الوجوب الى ما منه لم يجب

— ◆ —

دوى بها يوم اضحى ما احتفلنا له ... الا بسيل مـن الآمـاق منسكب

نادى ضمائر شعب مسلم يقـظ ... يأبى الهوان ومهما سيمه يثب

فثار كالبحـر ان هاجـت زوابعـه ... وطم كالسيل اذ ينحط من صبب

وخاب من ظن طغوا ان سيوقفه..! ... واي طاغ على الايام لم يخب ؟؟

وسنة الكون ان الحـق يعلـو ولا ... يعلى عليه وخصم الحق فى تبـب

حتى أتى الله بالنصـر المبيـن وخـــر الظلم منهزما فى اشنع الحرب

— ◆ —

علال واسمك كاف عن حلاك وهل ... للشمس غير اسمها من نعت او لقب

تعرف النكرات البهم لا العلم الــــفرد المطل على الآفـاق من كثب

انعم كما شئت فى الفردوس مبتهجا ... فى السابقين قدامى صحبك النجب

من اسسوا ثم شادوا واستقاموا على ... مثلى الطريقة حتى ووروا فى الترب

فمنهم من قضى نحبا ومنتظـر ... يزداد اجرا ويرجو حسن منقلب

وفوا بعهدهـم الـه واحتسبـوا ... لوجهه شـدة الارزاء والعطـب

ان كنت عالجت فيك الشعر مكتسبا ... فانه لك طبـع غيـر مكتسـب

وانت رب القوافي وابـن بجدتهـا ... يطيعك القول فى الاملاء والكتـب

والرزء فيك عظـيم لا كفـاء لـه ... ولا يخفف بالاشعـار والخطـب

وهذه انة المحـزون ارسلهـا ... من عمق حزن فؤاد فيك مكتئب

جل المصاب وضاق الذرع واتصل الـــأسى ولم يبق قلب فيك لم يجب

لكننا لم يخننا الاحتساب ، فسر ... « فى ذمة الله والتاريخ والادب »

الرباط : محمد بنعبد الله الروداني

تأملات اسلامية :



انظر الماء الذى نشـــر بـــه — مـــن سحـاب فى سمـاء عاليـــه

مـــن الـــى أوكـاره انزلـــه — فى ســـلام وايـــاد واقيـــه ؟

قد شربنـــاه نميـــرا صافيـــا — ترتوي منه العطـاس الصاديـــه

تخرج الاشجـار مـــن اغصانهـــا — ثمـــرات يانعـــات دانيـــه

لـــو تأملنـــا راينـــا عجبـــا — يذهـل الالبـاب تبـدو خاويـــه

كيف تسقـــى من معيـــن واحـــد — وهي مـــن شكـل وطعـم ثانيـــه

— ＊ —

انظر النـــار التـــى نضرمهـــا — نصطلـي منها وتطهـو الطاهيـــه

من سقى الاشجار حتـى يبســت — فاستحالت جمـــرات كاويـــه

كم بنار الجـزل تقضـي حاجـــة — ليس تغني عن غناهـا غانيـــه

— ＊ —

انظر الـــزرع الـــذى نزرعـــه — من حبيبـات عجـاف فانيـــه

يمعـــن المحـــراث فى تغييبهـــا — هل ترى ـ صاح ـ لها من فانيـه

تحتويهـــا امنـــا فى جوفـــــها — فهـــي والله علينـــا الحانيـــه

ثم تعطيهـــا سمـــادا او غـــذا — فاذا هـــي زروع ناميـــه

بعد ان تـــروى بمـــاء نـــازل — من سمـاء اللـه وهـي الساقيـه

يحصد الخلق ثمارا نضجـــت — فاستحـالت لغـذاء كافيـــه

انظر البيضة يحلو محهـا وهي تبدو من حياة خاليه
لو تركناها زمانا كافيا تحت اكنان لطاف حاميه
اخرجت من بطنها افراخها زاحفات طائرات جاريه

— * —

انظر الارض اذا ما يبست كل ما فيها عيون باكيه
لو اعرنا مسمعا يفهمها لو جدناها يقينا شاكيه
ينزل المولى عليها مطرا ثم تهتز اهتزاز الغانيه
انها تربو اذا ما انبتت كل زوج من بهاج زاكيه

— * —

انظر القلب وما يضمره من نوايا مغلقات خافيه
يحسب الانسان ان لم يره احد : كلا . فتلك الداهيه
ان قلب المرء يبدو واضحا للذي منه الضنى والعافيه
فهو ان شاء الهدى قلبه نحو بر ونوايا صافيه
واذا اقداره قد سبقت بشقاء واختيار الخاليه
سبق نحو الشر حتى تنقضي محنة تبدو مرارا قاسيه
بيد ان الكسب حق وبه يقلب القلب تجاه الناجيه
كيف والعقل سراج ان خبا فليالي العمر دوما داجيه
وبعقل وبدين واضح يعرف المرء السبيل الهاديه
ارسل الرسل تباعا هديهم واضح يجلى لغير الطاغيه
ولهم كتب كرام انزلت من صميم الغيب وهي الشافيه
لم تزل آياتها تبهرنا عند ما تقرأ لاذن واعيه
من تحاماها لعمري جاحد سوف يصلى جمر نار شاويه
يقرع السن ولا من مهرب يكشف السر ولا من واقيه
يوم يبدي كل شيء وجهه حجة الظالم تبدو واهيه

— * —

انظر الليل اذا ما جننا فى سكون الظلمات الساجيه
فهو انعام عظيم غامر ليس يخفى عن حصيف داهيه
يرجع الانسان والطير وما فى فلاوات فساح فاليه

ينشد الكل هدوءا وكرى بهما نعطي حياة ثانيه
نعمة من واحد نعبده وله - لا غير - نحني الناصيه
فالق الاصباح نرجو عفوه جل عن شكل يرى او ماهيه

— * —

انظر الموت عبوسا وجهه أخذة للخلق حقا رابيه
انما الموت الذى يجتاحنا قوة الله القوي العاتيه
كم صحيح آمن فى سربه لم يفكر فى ليال آتيه
غصه الموت فامسى جثة ليس يحييها نواح الباكيه
لو عرفنا كنهه لم نقتصد فى اعتلاء المرتبات العاليه
عمر نوح ومضة فى طرفه وكذا الاعمار تمضي جاريه
ويح من ضيعها فى لهوه فهو لغو من حياة لاغيه

— * —

انظر الصحة تاج مشرق فوق هام من سقام ناجيه
ظاهر يخفى على من فوقه عميت عنه عيون هانيه
لو بكل المال نشري صحة ما راينا غير أبد شاريه
نعم الرحمن لا يعرفها غير من عنه تبدت نائيه
ليتنا نصرفها فى حقها اذ بذاك الصرف تضحي ثاويه

— * —

انظر الدنيا طويل عمرها شحنت بالشهوات الباديه
غررت بالاثم قوما فتنوا فاذا هم فى حضيض الهاويه
فخذ الحيطة من افخاخها انها لهي البغي الزانيه
كم قصور عمرت من قبلنا فوجدناها يبابا خاويه
وملوك دانت الارض لهم قد طوتهم وهي دوما طاويه
انما نحن ضيوف فوقها كيف لا والموت ليست ناسيه
عش بها ان شئت قرنا زارعا سوف تجنيها ثمارا آتيه
ليت اهل الارض طرا عرفوا كنه دار الخلد فهي الباقيه
واستعاضوا خالدا ينفعهم عن فعال الطيش وهي الفانيه
ليتهم قد سلموا من فتن اننا نلهو وليست لاهيه

جمع الشيطان ما يحلو لنا — وانبرى للشر اقوى داعيه
فاتبعنا نهجه فى سفهه — كفراشات تهاوت ناسيه
انفس الخلق مع شيطانها — تملا الكون شرورا عاتيه
هل كمثل النفس شيء اذ غدت — فى هواها كوحوش ضاريه
فهي غربان وبوم ناعب — وهي بالاحرى ذئاب عاويه
اذ رات من اي راع غرة — صممت : تنهش لحم الماشيه

— * —

انظر البر وما يتبعه — من معان الطهر وهي الواقيه
يرفع البر فقيرا لم يجد — اي كن غير بيت الباديه
خلع الاحسان من البسها — البس العز ونال الآتيه
ليس فى الدنيا جميل خالد — يجعل الارض جنانا زاهيه
مثل زرع الحب فى ارجائها — والرضا بالفلاتات النابيه
اي سر يحمل استخلافنا — ان دجا صبح المباديء الساميه
وتركنا ارضنا فارغة — من رسالات السماء الصافيه
اذ بدون الهدي من قرآننا — لن نساوي السائمات الراعيه
شرها اعراض جوع او اذى — ينتهي عند انتهاء الفاشيه
وشرور العقل من انساننا — ظاهرات خافيات ماحيه

— * —

ايها التائه فى بيدائه — سوف تضحى مثل نخل خاويه
صائحا من غير وعي قائلا — يا ليتها يا رب : كانت قاضيه
كيف يغني وزر من دونه — ويلتا لم يغن عني ماليه
اين اجدادي ومالي اين هم — هلكوا عني مع سلطانيه
فاز من يخشى الاها قادرا — فى جنان ضاحكات عاليه
ماؤها الرقراق شهد ذائب — من عيون باردات جاريه
وبها حور حسان لم تزل — من اياد عابثات ناجيه
وبها الاغصان ماست ظلها — وارف فيها قطوف دانيه
لا يرى سكانها شرا ولا — تسمع الآذان فيها لاغيه

— * —

رب فاجعلنــــا مــع سكانهـــا	واجرنــا من عـــذاب الهاويــه
انهـــا نزاعـــة أكالـــة	انها نــار لعمــري حاميــه
اننــا مــن امــة احببتهــا	امة القــرآن أهــل العافيــه
لم تــزل تعبـد ربــا واحـــدا	لم تــزل متــلوة لا تاليــه
هب لها التمكين واجمع شملهــا	لا تذرهــا يــا الاهــي خاليه
احفظ النشء لهــا مــن فتــن	ان تفشــت صيرتهــا غاويــه
ابعـث التسليـم والحــب الى	خاتم الرســل بســر الجاثيـه
واقــر العيـــن رب عاجـــلا	بانتصــار وحيـــاة راضيــه

تونس : الحبيب المستاوي

سيبويه

للاستاذ الشاعر الحاج أحمد ابن شقرون

النحو مفتاح لب العلم حاكمه ... وتبره كلما لاحت مناجمه

« وسيبويه » امام النحو فيصله ... وباحث فيه بحثا صال فاهمه

اذا ذكرت اسمه اضحت تواكبه ... تجلة اللقب الميمون عالمه

ما فى النحاة فقيه جاء مذهبه ... فى فقه نحوكعمرو(1) ـ ذو(2) يلازمه

فى قلب بصرة حط الرحل ذا شغف ... بنحو بصرة ، والكوفي يداهمه

والعرف من اقب يحكي كما ذكروا ... تفاحة ، وأريجا فاح فاغمه

ان اثقلت عجمة نطق الامام فما ... تضيره ، وهو حامي النحو خادمه

وعمدة الناس فى الفصحى التى سلست ... على يراع ـ تغنينا حمائمه

— ◆ —

« شيراز » وطن ذي علم وذي ادب ... يظل منه الفتى الفينان فاحمه

وفارس لم تزل عشا لمن برعوا ... فى العلم يسبقهم فيه منادمه

سل عنه فى الدرس والتحصيل مرجعه ... فى العلم ـ ينبئك بالمكتوب راقمه

ان الخليل (3) امام النحو من زمن ... استاذ يافعنا ، يرضيك حاسمه

«وسيبويه» وان ذاق الحياة اسى ... وغاب عنها فتى (4) ، فالذكر عاصمه

---

(1) اسم سيبويه : ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر .

(2) ذو ـ بمعنى الذي فى لغة طيء قال الشاعر :

فان الماء ماء ابي وجدي ... وبئري ذو حفرت وذو طويت

(3) هو الخليل بن احمد شيخ الشيوخ فى العلوم العربية .

(4) قالوا : انه توفي وعمره لم يتجاوز 32 عاما .

كتابه : معاني النحو ليس له مشابه ـ فاز في الحذاق غانمه
قد نال وهو حديث السن مشيخة مذ غالب الفحل فيها من يزاحمه
ولم يزل بنبوغ باكر علما زكت بعلتيه مثلى مكارمه

— ◆ —

قضية النحل والزنبور قد لعبت دورا ـ تقعر فيه من يخاصمه
وفي مناظرة محتدة قلبوا برشوة ، كفة الفياض عائمه
اتى الكسائي (5) فيها فرية فغدا مسائلا عربيا ما يكاتمه
فحرف العربي النطق مدعيا تصحيح لحن ، بفتوى لا تلائمه
فحم منها امام النحو موجدة اودت به وهو لدن العود سالمه
والمال من زمن يفري بباطله عمدا ، فيستر صرح الحق غائمه
لكنه عابر ، لا مستقر له والحق باق ، وان حيكت صوامده
فسيبويه امام مرتضى ، بطل اجاد حقا ، وان قدت قوادمه
والدهر ينصف اقطاب النهى ابدا وان تعمد غمط الحق كاتمه

(5) الكسائي كان معاديا لسيبويه فاشترى عربيا بمال ليقبل تحريف النطق الصحيح . في قضية النحلة والزنبور ـ الصحيح : (هو هي) والباطل (هو اياها) .

فاس ـ الحاج احمد ابن شقرون



جلست يوما الى دوح أحدثه ... وكان يبدو عظيما ، فارع الساق

يسمو باغصانه نحو السماء ، كما ... لو فار من قمقم دخان عملاق

اخا السكويا ، الا قل لي بربك هل ... عرفت خلا وفيا غير ملاق ؟

يقدم الخير للانسان مستترا ... ولا يرى حاجة تدعو لابواق

اني اراك حلبت الدهر اشطره ... فقال سبحان ربي خالقي، الساقي،

يا صاح ، تعرفني جدا وتجهلني ... لان علمك لم ينفذ لاعماقي

فمن سواي ، ترى ، بيتي ويأنف ان ... يذيع صيته في دنيا وآفاق ؟

بأسفلي ، منجم يزرى بمنجمكم ... وفوقه مصنع يبنيه اعراقي

وقد عملت قرونا صامتا وانا ... اجد في صنع اخشابي واوراقي

فتصنعون اثاثا فاخرا واذا ... نمتم ، فمني السرير الدافيء الواقي

وتوسقون على ظهري بضاعتكم ... عبر المحيطات من مرسى لاسواق

ورغم هذا فانت الآن تسألني ... سؤال من لا يرى فضلي واحقاقي

ولست في غابيء هذي بمنعزل ... كظنكم بي ، ولا كهفا لسراق

او ان غاية ما ابغيه ان تجدوا ... ظلا ظليلا باكنافي ، لعشاقي

كلا .. ولكن فضلي فوق ما وصفت ... اقلامكم ، ومضت في رسم انساقي

لولا سفينة نوح وهي من خشبي ... ما كان شيء يقيكم شر اغراق

انا الدؤوب الذي ما قال قط انا ... صنعت شيئا كهذا العالم (الراقي)

ماوى الوحوش ومأواكم اذا قطعت ... مني الجذوع ، وعم الناس اغداقي

— * —

وعشت في ظله وقتا افكر في ... هذا الحوار الذي ادى لاقلاقي

فذلك اليوم لن تنساه ذاكرتي ... بهياتي ، وانا في ذل اطراق

— * —

اني لاحقر ارضا ليس يرقصها ... فصل الربيع على انغام اوراق
ولا يخضلها نهر فتسرح في ... رضراضه العين او تهفو لرقراق
ورب رابية ، غناء كاسية ... فتان زهر ، وحليا ذات اشراق
بمائها العذب تلقى الزائرين لها ... كما يرحب مشتاق بمشتاق
بل انها حين تلقاني ببسمتها ... لتشرئب الى وجهي باعناق
اما ترى هذه الاغصان مائسة ... تقول ، عم في ظلالي بعد ارهاق !؟

— * —

هل في وحيشك يا غابات ذو ثقة ... يكون لي صاحبا في عمري الباقي ؟
فما وجدت صديقا في المدينة او ... صبيا بنوه على حب واخلاق
فعشت منفردا اصغي الى كتبي ... بين المروج واعشاب كلقلاق
ولم اعش مع خلان تخالهمو ... ذوي وفاء وانساب واعراق
بينا همو كلصوص الكهف واحدة ... قد احدقوا بي ليلا اي احداق
خلان سوء ، اذا ما عاتبوا نعقوا ... وما الهزار الذي عابوا بنعاق
لسم افعاك ترياق يعالجه ... وما يعالج اصفاهم بترياق
لما لزمتك ، ظنوا انني حطب ... لولا انتباهي ، لقد هموا باحراقي
من بعد ، لم يألوا جهدا لتنحيتي ... اذ لم يحسوا، كاحساسي، باعماقي!

— * —

في غابتي ساغني كالهزار على ... غصن لدي ، لنفسي ، لا لاذواق
اما التي هي جرداء وقاحلة ... كراس اصلع في مرآة حلاق
فتلك امقتها ، والله امقتها ... حتى لاحسبها اودت بارماقي
لو ان ايدي الشباب اليوم قدغرست ... فيها نباتا — وما يحتاج للساقي —
لكان منظرها يسبي السياح غدا ... سبيا يدر علينا كل براق
لو يعلمون ، لقد كانت لاولهم ... كهفا يقيهم وكانت مهد ارزاق
لو حدثت، لبدت، غضبى وساخطة ... تقول ، ربيتكم في حضن املاق
حتى كبرتم وصرتم قوة ، فاذا ... انتم ترون جزائي هو احراقي !
الم اكن امكم ، قبلا ، اهدهدكم ... حتى تنفس صبح بعد اطباق :
حضارة ، اخذت تسمو الى زحل ... وكان اولها في ظل اوراقي !

شفشاون — غربي محمد

دراسات مغربية



مع ابن الأزرق في مخطوطته :

بدائع السلوك في طبائع الملوك

وحديثه عن السفارة والسفراء

للدكتور عبد الهادي التازي

يوجد عدد كبير من رجالات العلم والحديث والفقه والتاريخ والادب ممن يحملون اسم الازرق او ابن الازرق او الازرقي في المشرق والمغرب .. والازرق جد قديم من اجداد العرب في الجاهلية يتصل نسبه بالعمالقة وكانت منازل بيته بالحجاز .. واليه ينسب في ــ بعض الروايات ــ المؤرخ اليماني محمد بن عبد الله ابن احمد بن الازرق من اهل مكة وصاحب كتاب (اخبار مكة وما جاء فيها من الآثار) والمتوفى سنة 250 ؛ وقبل مؤرخ مكة نعرف عن ابي راشد نافع بن الازرق البصري الحنفي راس الازارقة واليه نسبتهم ، الذي صحب عبد الله بن عباس وكان هو واصحابه من انصار الثورة على سيدنا عثمان وموالاة الامام علي رضي الله عنهما الى ان كانت قضية التحكيم بين علي ومعاوية . قتل على مقربة من الاهواز عام 65 في اعقاب مقاتلة المهلب ابن ابي صفرة له .. كما نعرف عن الحافظ حماد بن زيد الازرق شيخ العراق في عصره الذي ولد وتوفي بالبصرة عام 179 وعن ابي بكر محمد بن محمد بن الازرق الذي ورد من مصر على الاندلس وتوفي بقرطبة سنة 385 ؛ والمؤرخ عبد الله بن محمد ابن الازرق المتوفى عام 590 .. هذا الى الكاتب المعروف محمد بن هذيل الشهير بابن الازرق الذي خاطب الملكة ضونيا Dona يخبرها بوصول السفراء المغاربة من حصن القلاعة اوائل ذي الحجة عام 647 وغير هؤلاء من الزرق الذين تناهت الينا اخبارهم وفي صدرهم مترجمنا اليوم قاضي غرناطة ووزيرها وسفيرها ابو عبد الله ابن الازرق ..

ويظهر انه لا صلة بين اسرة الازرق هذا وبين الاسر التي تحمل لقب الازرق ببعض المدن المغربية ، وبفاس على الخصوص ، فان هذه الاسر ، او بعضها على الاقل ، وردت للمدينة من الجبال وقد كان جدي للام السيد عبد الرحمن بن عبد السلام الازرق يذكر انهم من صنهاجة السراير باقليم الحسيمة من بطن هناك يعرف ببني زرقت لقبوا بذلك لان عيون اغلبيتهم زرقاء .

وكما انه ليس ببعيد اطلاقا ان يكون اصل بعض اسر الازرق منحدرا من الديار الاندلسية عبر الجبل فان التلقيب بالالوان معروف بالمغرب كما بغيره من سائر الجهات كالاخضر والاحمر والابيض والاشقر والاكحل على نحو ما عهد من التلقيب بمختلف المهن والحرف كالقاضي والمفتي والفقيه والمؤذن والخطيب والامام والنجار والحداد والصباغ والعطار .

ويعتبر القاضي ابن الازرق من عيون رجال الفقه والادب والعلم الذين عرفهم القرن التاسع الهجري ، وقد افاد السخاوي ان ابن الازرق كان من الملازمين للاستاذ ابي اسحاق ابراهيم بن احمد ابن فتوح مفتي غرناطة في النحو والاصلين والمنطق(1)

(1) اشتهر الشيخ ابن فتوح هذا بسلوك منهاج تربوي خاص مع طلبته حيث يفسح لهم المجال كاملا للبحث والتعقيب والتعليق بل انه لا يرضى منهم بالتسليم المطلق والمتابعة العمياء .. ويأتي هذا المنهج وسطا بين مذهب العبدوسي (ت 847) ومذهب المشدالي (ت 864) المقري : الرياض تحقيقا السقار ، الابياري ، شلبي ، طبع المعهد الخليفي تطوان 1939 ــ 3ر304 ــ 317 ــ نفح الطيب ، تحقيق احسان عباس ، طبع دار صادر ، بيروت 1968 ــ 2ر700 ــ التازي : جامع القرويين بفاس ، طبعة دار الكتاب اللبناني بيروت 2ر428 .

كما كان من الذين يحضرون مجالس ابي عبد الله محمد بن محمد السرقسطي عمدة غرناطة في العلوم الفقهية ، ومجالس الخطيب ابي الفرج عبد الله بن احمد البقني ، ومجالس قاضي الجماعة بها ابي العباس احمد بن ابي يحيى الشريف التلمساني .. كما انه من اقرب الناس الى بلاط بني نصر فهو لذلك من اقطاب السياسة على ذلك العهد ، واذا ما تتبعنا آثاره سواء منها النثرية والشعرية ، فسنجد انه ليس فقط رجل وظيف شرعي ولكنه رجل دولة وكاتب ملك ؛ وان سلطان بني نصر يؤثره باسرار لا يبثها الى قاضي الجماعة ، الامر الذى يدل عليه قوله يخاطب شيخه الحافظ القاضي ابا القاسم ابن سراج وقد طلب اليه هذا الاخير ان يجتمع به في ظروف اضطراب مؤملا ان يحصل منه على سر من اسرار السلطان .. لقد باعده الوزير ابن الازرق معتذرا بهذه الابيات البديعة الرائعة لفظا ومعنى :

فديتك لا تسأل عن السر كاتبا
فتلقاه فى حال من الرشد عاطل

وتشطره اما لحالة خائن
امانته او خائض فى الاباطل

فلا فرق عندي بين قاض وكاتب
وشي ذا بحق او قضى ذا بباطل !

وقد كان من ابرز الذين سجلوا لهم مواقف حاسمة عندما اضطربت الاحوال فى غرناطة واختلط الامر على الناس فنكثوا بيعة السلطان ابي الحسن النصري وبايعوا عوضه ابنه محمدا ، فقد كان من راي القاضي ابن الازرق والمفتي ابي عبد الله المواق وكذا سائر فقهاء غرناطة ان مثل هذه المبادرة فى مثل تلك الظروف انما تخدم مصلحة العدو ولاتنقذ الموقف فى شيء ، وانها شبيهة بتبديل الفرس اثناء عبور النهر الهائج المائج .. وهكذا وقع فتوى شجب فيها فعل الناكثين اواسط شهر رمضان من عام 889 بالرغم من المخاطر التى كانت تحتف به وهو يقدم على هذا الموقف الجريء .

وقد اقتضت منه غيرته على تداعي الديار الاندلسية وتوالي انكسارها ان يفكر ــ اثر هذه الفتوى ــ فى السفارة لدى ملوك المغرب والمشرق آملا فى انقاذ ما يمكن انقاذه وترقبا فى الحصول على نجدة من شانها ان تردع لاعداء المتربصين وتبقى على الوجود الاسلامي ببعض تلك الديار .

ولما كانت ظروف المغرب الاقصى آنذاك قد بلغت من الاضطراب والقلق درجة لا تمكنه من الالتفات لما يجري فى العدوة الاخرى فقد قصد القاضي الى تلمسان بعيد التسعين وثمانمائة (2) وكان يحكمها آنذاك العاهل ابو ثابت الثالث ، ولكن السفير ابن الازرق ، وقد شعر بانشغال الناس عنه بالتصدي للمناورات والمضايقات التى كانت تحاك ضد الجزائر من طرف الاجنبي ، اتجه نحو مصر لدى الملك الاشرف قايتباي محمد بن علي ..

وهناك لقي كل ترحيب وتكريم لكنه فهم من المسؤولين هناك انهم يدركون ان امر الاندلس قد انتهى وانه لا فائدة ترجى من تدارك المحتضر الذى يسلم نفسه الاخير « فكان كمن يطلب الانوق او الابيض العقوق » (3) وهكذا فقد اقترحوا عليه ان يغدو اولا للقيام بمناسك الحج قبل ان يعطوه الجواب النهائي وكانوا فى واقع الامر يتوقعون وصول المزيد من الاخبار عن الاندلس ، هذا ايضا الى انشغال الملك بمنازلة السلطان العثماني بايزيد الثاني (4) .

وقد قصد القاضي ابن الازرق الحرمين الشريفين حيث قام بأدائه الفريضة وعاد اول سنة

---

(2) ازهار الرياض 3ر318 .
(3) نفح الطيب 2ر702 .
(4) السلطان بايزيد الثاني من اعظم سلاطين آل عثمان فتح عددا من القلاع والحصون وبنى طائفة من المدارس والجوامع والمستشفيات وما يزال حي بكامله يحمل باسطامبول اليوم اسم بايزيد ، كان يحاول احتلال بعض الجهات التابعة لقايتباي ، فكان هذا منصرفا بكليته لصد الهجوم وقد انفق اموالا طائلة فى هذا القتال الذى حال دون تلبية عدد من نداءات ملك غرناطة ، ولكنه مع ذلك كان يحاول بالطرق الدبلوماسية ان يبلغ قلقه للاسبان وربما تهديداته كذلك بواسطة القسيس والرهبان المتواجدين في القدس الشريف .
مجير الدين الحنبلي : الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، الطبعة الوهبية مصر 1283 م 2ر591 الزركلي : الاعلام ، مادة قايتباي .

896 القاهرة لمتابعة القيام بمساعيه التي من اجلها رحل ولكنه وجد ان الاخبار التي يتوفر عليها السلطان قايتباي كانت تنذر بأن كل شيء بالديار الاندلسية في طريقه نحو النهاية .

لقد بلغت الاخبار الحزينة فعلا عن سقوط العاصمة غرناطة واخذها من يد الامير محمد بن ابي الحسن منذ ربيع الاول من عام 895 .

وكانت للسلطات مع السفير جلسات مهمة افهمه السلطان فيها ان قضاء الله قد نفذ ، وعرض عليه بهذه المناسبة خطة قضاء القضاة في بيت المقدس تسلية له وتلهية ، عوضا عن القاضي شمس الدين محمد بن مازن الغزي . ووصل الامام ابن الازرق الى القدس يوم الاثنين 16 شوال 896 حيث قضى هناك ردحا من الزمن محاطا برعاية تلاميذه من مريدي الفقه المالكي واحترام معارفه ممن كان (حي المغاربة) بالقدس (5) يزخر بهم سيما وقد كان يضيف الى علمه جمال الشكل وانارة الشيبة وسيمة الابهة والوقار والنزاهة والصيانة والطهارة .

لكنه كان يغص من هول الانباء المتلاحقة من الاندلس .. فتناوشته الهموم ولم يقو على تحمل الصدمة والغربة في آن واحد ، لم يبق عنده بستان ولا مركب ولا مسكن على ما يقوم في نونيته المعروفة ، وهكذا توعك ولم تلبث انفاسه أن فاضت بعد نحو من شهرين من توليه القضاء حيث توفي يوم الجمعة 17 من ذي الحجة الحرام 896 بعد الفراغ من الصلاة ، وصلى عليه في يومه بعد صلاة العصر بالمسجد الاقصى وحشر الى جانب حوش البسطافي من جهة الغرب .

ولقد خلف القاضي ابن الازرق تراثا ادبيا فاخرا تجلى في هذه المقطعات الشعرية الجيدة التي نقلتها عنه الموسوعات الاندلسية الادبية ، فمن تلك القطع هذه الابيات التي نظمها عند نزول طاغية النصارى بمروج غرناطة والتي تعبر عما كان يحس به من آلام وهو يعيش الايام الاخيرة بالاندلس (6) :

مشوق بخيمات الاحبة مولع
تذكره نجد وتغرية لعلع

مواضعكم يا لائمين على الهوى
فلم يبق للسلوان في القلب موضع

ومن لي بقلب تلتظي فيه زفرة
ومن لي بجفن تنهمي فيه ادمع

رويدك فارقب للطائف موضعا
وخل الذي من شره يتوقع

وصبرا فان الصبر خير غنيمة
ويا فوز من قد كان للصبر يرجع

وبت واثقا باللطف من خير راحم
فالطافه من لمحة العين اسرع

وان جاء خطب فانتظر فرجا له
فسوف تراه في غد عنك يرفع

وكن راجعا لله في كل حالة
فليس لنا الا الى الله مرجع

ومن نونية خفيفة تنسب اليه بلغت زهاء المائة بيت ، هذه الابيات التي تعكس مشاعره وروحه المرحة وهي على ما يظهر من نظمه في المهجر :

لا ام لـي لا ام لـي
ان لم ابرد شجني !

واخلعن في المجو
ن ، والتصابي رسني

يا عاذلي في مذهبي
ارداك شرب اللبن !

اعطيت في البطن سنا
نا ان تخالف سنني

وان تسقه نظري
ومذهبي وتنهني ،

فالصفع تستوجبه
نعم ، ونتف الذقن

(5) عبد الهادي التازي : (حي المغاربة بالقدس) نشر في مجموعة موسوعة العتبات المقدسة للاستاذ جعفر الخليلي دار التعاون بغداد ، المجلد الاول 95 ـ كما نشر بمجلة مركز الدراسات الفلسطينية المجلد الاول ، العدد الثالث ، غشت 1972 / 7 وبملحق العلم الاسبوعي الثقافي 14 يناير 1972 .

(6) النفح 2ر704 .

والنفسي تستوجبه
لواسط او عدن !

— * —

افدي صديقا كان لي
بنفسه يسعدني

فتارة انصحه
وتارة ينصحني

وتارة العنه
وتارة يلعنني

وربما اصفعه
وربما يصفعني

— * —

دهر تولى وانقضى
عني كطيف الوسن

يا ليتني لم اره
وليته لم يرني

دنست فيه جانبي
وملبسي بالدرن

وبعت فيه عيشتي
لكن ببخس الثمن !

كانني ولست ادري
الآن ما كانني !!

— * —

لو انصف الدهر لما
اخرجني من وطني !

وليس لي من جنة
وليس لي من مسكن

اسرج الطرف وما
لي دمنة في الدمن

وليس لي من فرس
وليس لي من سكن !

يا ليت شعري وعسى
يا ليت ان تنفعني

— * —

هل للشريد عودة
الي ؟ قد شوقني

ولي الى الاسفنج شوق
دائم يطربني

وللارز الفضل اذ
تطبخه باللبن

وهات ذكر الكسكسو
فهو شريف وسني

لاسيما ان كان مصنوعا
بفتل حسن

ارفع منه كوارا
بهن تدوى اذني

وان ذكرت غير ذا
اطعمة في الوطن

فابدا من المثومات
بالجبن المكن

من فوقها الفروج قد
انهى في التسمن

وثن بالمصيدة التي
بها تطربني

والزبزبن في الصحاف
حسب أهل البطن (7)

ومن شعره في مدينة بسطة :

في بسطة حيث الاباطح مشرقه
اضحت جفوني بالمحاسن مغلقة

وله ايضا فيها :

قل لمن رام النوى عن وطن
قولة ليس بها من حرج

فرج الهم يسكني بسطة
ان في بسطة باب الفرج (8)

ومن نظمه سينية بديعة من نحو اربعين بيتا في مدح شيخه العلامة ابي يحيى ابن عاصم هذا مطلعها :

---

(7) النفح 3ر298
(8) النفح 6ر447 .

خشعت لمعطفه الغصون الميس
وربا فهام بمقلتيه النرجس
بك مجلس الانس اطمأن وبابن عا
صم اطمأن من الرياسة مجلس
بدر بأنوار الهدى متطالع
غيث بأشتات الندى متجس (9)

ومن نظمه قوله فى المجبنات :

ورب محبوبة تبدت
كأنها الشمس فى حلاها
فاعجب لحال الانام من قد
احبها منهم قلاها !

ومن شعره فى جمال الربيع قوله :

تأملت من حسن الربيع نضارة
وقد غردت فوق الغصون البلابل
حكت فى غصون الدوح قسا فصاحة
لتعلم ان النبت فى الروض باقل

ومن شعره فى الرثاء قوله فى والدته :

تقول لي ودموع العين واكفة
ما أفظع البين والترحال يا ولدي
فقلت اين السرى؟ قالت: لرحمة من
قد عز فى الملك لم يولد ولم يلد

غير ان ما تركه الامام ابن الازرق من مؤلفات قيمة طغى على سائر مناحي نشاطه الفكري ، فقد تجلى فيما دبجته براعته فى مختلف العلوم والفنون ما جعله مثار اعجاب الذين كتبوا عنه او قرأوا او سمعوا .. وقد كان فيها كتاب (الابريز المسبوك فى آداب الملوك) و (روضة الاعلام بمنزلة العربية من علوم الاسلام) و (شفاء الغليل فى شرح مختصر خليل) (10) هذا الى ما اثر عنه من فتاوي نقلها عنه صاحب المعيار فى جامعه (11) وقد رأيت ان اقدم بين يدي الباحثين اليوم عرضا عن مخطوطته الفريدة « بدائع السلك فى طبائع الملك » التى لخص فيها كلام ابن خلدون فى مقدمة تاريخية وكلام غيره ولكن مع زوائد كثيرة (12) ..

وبخاصة اريد سوق كلامه عن (الرسالة والوفود) وما اثار انتباهه مما قيل عن الموضوعين فى المؤلفات التى سبقته ، وذلك تنويها بالكتاب واشادة، وتدليلا عليه تكميلا للفائدة التى قدمها الينا ، لحد الآن ، سائر الذين عنوا بابن الازرق .

---

(9) ازهار الرياض 3ر322 ، وقد تشكك فى النفح فى نسبة هذه السينية لابن الازرق ، هذا كما نسب الابيات الثلاثة الماضية (فديتك لا تسأل عن السر) لابن عاصم النفح 6ر152 .

(10) وقف الامام المقري على جملة من هذا الشرح بتلمسان تتألف من ثلاث مجلدات ويقدر صاحب النفح ان يصل الكتاب الى عشرين مجلدا حيث ان المجلد الاول لم يكمل مسائل الصلاة قال المقريء: « لم ار فى شروح خليل ـ مع كثرتها ـ مثله » .

(11) كان منها فتواه باستنكار نكث بيعة ابي ابي الحسن النصري .

(12) وقفت فى المكتبة العامة بالرباط على اربع نسخ من المخطوط المتحدث عنه : علاوة على ما يوجد منه فى خزانة جامعة القرويين والخزانة الملكية الاولى رقم ج / 64 كمل نسخها فى اوائل صفر عام 998 ، عدد صفحاتها 529 تحتوي الورقة على واحد وعشرين سطرا من قياس 25،50 س على 18،50 ـ بينما النسخة الثانية رقم ج / 93 عدد صفحاتها 397 تحتوي الصفحة على خمسة وعشرين سطرا قياس 22،50 / 17،50 والثالثة رقم د 582 عدد صفحاتها 512 قياس الصفحة 30 / 21،50 وقد نسخت فى جمادى الاولى عام 1263 ـ اما النسخة الرابعة فتحمل رقم د / 1340 عدد صفحاتها 648 تحتوي كل صفحةعلى واحد وعشرين سطرا قياس الصفحة 50، 22 / 17،50 .

ويبتديء الكتاب هكذا : « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله قال الشيخ الفقيه الخطيب البليغ البارع العالم المتفنن المتبحر الصدر الامام الاوحد فخر علماء الاندلس فى عصره فى العلوم وسيد وقته فى العلوم قاضي الجماعة السيد ابو عبد الله محمد بن علي ابن الازرق الاصبحي وصل الله عزته وحفظ فى الاعلام رتبته : الحمد لله مالك الملك ايجادا وتدبيرا ومبدعه من فيض جوده عليما بأسرار وجوده خبيرا ..

وينتهي بالصلاة على النبي الكريم وعلى آله الابرار والصحابة الناصحين فى الاعلان والاسرار ما تعاقب الزمان يوما وغدا ، وراح اليه مشتاقالوصول غدا ..

النسخة ج / 64 : الصفحة الثالثة : ((سميته بدائع السلك فى طبائع الملك)) وفى النسخة د / 582
كتابة العنوان هكذا : ((بدائع السلوك فى طبائع الملوك)) يقول : ولو خصت السياسة بلحظ جانبها المرعى
الذمام ، واعمل فى فائدة عملها بمعتبرها فى التصريف ومعملها واجب العناية بها والاهتمام لناسب ان
يسمى بتحبير السياسة فى تدبير السياسة فهي العلم الذي لا يستغنى عنه سوقة ولا ملك ، ولا من
نهج به في التقويم سبل الرشد القويم وسلك فمن سماه بذلك فوجهه وضاح الاسرة مشرقها ، ولحظه
فى الاعتبار المناسب أصيل المناسب معرقها)) .

النسخة ج / 93 اشتهر عن القاضي ابن الازرق انه كان في كتابه ((بدائع السلوك)) متاثرا جدا بابن خلدون بل انه يكتفي احيانا بنقل كلامه حرفيا ... وهذه الصفحة من المخطوطة ، حول ان للدول أعمارا محدودة كالاشخاص ، تعطي فكرة عن مدى صحة هذا القول الذي يظهر أن له نصيبا من النظر ولو أن ابن الازرق حرص كثيرا على ان يدلي برأيه فيما يلخصه الامر الذي يدل على انه ليس مجرد ناقل .. لاحظه هنا يعقب قلت : تقدم له قبل هذا ان طول أمد الدول على نسبة القائلين بها في القلة والكثرة واستظهر على ذلك بشهادة الواقع من طول أمد كثير من الدول ثم هو هنا يقدر عمرها بما ذكر ويجعله طبيعيا فانظر فيه متأملا)) .

الترجمة العلمية لقاضي مكناس :

محمد بن احمد السوسي

للأستاذ محمد المنوني

اسرته ـ اسمه ومولده ومتعلمه الاولي ـ اساتذته فى مرحلة التحصيل ـ معلوماته ـ مرحلة التدريس ـ اسانيده فى العلوم ـ نماذج من الاخذين عنه ـ مؤلفاته ـ وظائفه وتنقلاته ـ وفاته ومدفنه ـ ارتسامات رحالة عن المترجم ـ نبذة من رسالة فى خطاب المترجم .

اسرتـــه :

تعتبر عائلة السوسي من الاسر العلمية بمكناس ، وهي تنحدر من اول قادم منهم لهذه المدينة :

1 ـ أبي العباس احمد بن علي السوسي ، حيث استوطن العاصمة الاسماعيلية فى صدر المائة الهجرية الثالثة عشرة ، وكان علامة مشاركا مدرسا (1) .

2 ـ ولمع بعده اسم ابنه الحاج المكي ، وصار ـ هو الاخر ـ من علماء المدينة ومدرسيها (2) .

3 ـ وهو والد علامة مكناس الطائر الصيت : الشيخ محمد المفضل ، المتوفى ـ بفاس ـ عام 1320 هـ / 1902 م (3) .

4 ـ وولد هذا الاخير هو السيد المختار ، العلامة المفتي المدرس ، المتوفى عام 1378 هـ 1958 م .

5 ـ ومن جهة اخرى : كان من نفس الاسرة العلامة المدرس : السيد محمد ـ بضم أوله ـ بن أحمد بن الحاج المكي المذكور ، المتوفى عام 1316 هـ 1899 م (4) .



6 ـ وكان يصغره اخوه السيد محمد ـ بفتح اوله ـ الذي هو موضوع الترجمة .

◆ ◆

ونتساءل ـ الان ـ عن منتسب قبيل المترجم فى سوس ، ويجيب عن هذا السؤال علامة البيت الشيخ المفضل السوسي ، وهو يذيل بعض منتسخاته بخطه هكذا : « فضول بن الحاج المكي بن احمد السوسي المكناسي دارا ومنشئا ، اشتوكي أصلا (5) » ، وبهذا تتبين أن منتمي الاسرة فى فريق هشتوكة الذين هم

(1) ترجمة المؤرخ ابن زيدان فى « اتحاف اعلام النا س » ـ ج 1 ، ص 362 ـ 363 .
(2) ترجمته فى نفس « المصدر » ـ ج 4 ، ص 10 3 ـ 311 .
(3) « المصـــدر » ـ ج 4 ، ص 327 ـ 333 .
(4) « المصدر » ـ ج 4 ، ص 276 .
(5) وردهذا بخط المشار له ءاخر نسخة كتبها من شرح اللامية الزقاقية لمحمد التاودي ابن سودة .

فى عداد جزولة ، ومثواهم يقع بدائرة اينزكـــان فى اقليم اكادير ، ويقول محمد المختار السوسي (6) عن المستوى العلمي للهشتوكيين : « والعلم فى هشتوكة والاعتناء بالقراءات متسلسل عدة قرون ، وناهيك بما كان هناك من مدارس متعددة تنيف على ثلاثيـــن فى الهشتوكيين سهلا وجبلا » .

اسمه ومولده ومتعلمه الاولي :

والى هنا نتبين ان مترجمنا هو الـسيد محمد بفتح أوله ، بن احمد بن الحاج المكي بن احمـــد بن علـــي الـســـوســـي .

وفى مكناس كانت ولادته (7) عـــام 1285 هـ 68 – 1869 م ، ثم كان متعلمه الاولي على الاستـــاذ محمد بن العياشي القبري (8) ، المتوفى عام 1327 هـ 1909 م ، فى الكتاب العلوي بالخضارين ، المستند على جدار القيسارية قرب المدرسة الفيلالية ، وعلى هذا الاستاذ حفظ القرءان الكريم ، وجوده برواية ورش ثم بقراءة ابن كثير .

اساتذته فى مرحلة التحصيل :

وفى مرحلة تحصيل العلوم كانت دراسة المترجم كلها فى مكنـــاس .

1 – وعمدته هو عمه الشيخ محمد المفضـــل السوسيءانف الذكر .

2 – كما قرا الابتدائيات على اخيه السيد محمد المشار له قريبا .

3 – ومن اعلام مكناس الاخرين الذين اخـــذ المترجم عنهم : محمد المفضل بن الهادي بن احمد ابن عزوز ، المتوفى عام 1319 هـ / 1901 م (9) .

4 – محمد القصري العبـدري ، المتوفى عـــام 1324 هـ / 1906 م (10) .

5 – محمد التهامي بن عبد القادر السوســـي عرف بالحداد ، المتوفى عام 1336 هـ / 1918 م (11) .

6 – محمد بن عبد السلام بن الطيب بن الراضي ابن حم الطاهري ، المتوفى عام 1339 هـ / 1921م(12).

7 – ابو العباس احمد بن الحاج يوسف بن ابي بكر الناصري ، المتوفى عام 1355 هـ / 1936م(13) .

8 – ومن اعلام فاس الذين قرا عليهم : ابو سالم عبد الله بن ادريس بن عبد الله البدراوي ، المتوفـــى عام 1316 هـ / 1899 م (14) ، اخذ عنه فى بعـــض زياراته لمكناس .

9 – قاضي مكناس : ابو العباس احمـــد بن الطالب ابن سودة المري ، المتوفى عـــام 1321 هـ 1903 م (15) .

10 – محمد بن قاســـم القادري الفاســـي ، المتوفى عام 1331 هـ 1913 م (16) ، يروي عنـــه بطريق الاجازة التي كتبها برسمه .

(6) « خلال جزولة » – ج 4 ، ص 59 .
(7) كانت ولادته بدارهم بدرب السيدة رحمة الخجيوية من حي السيدة عائشة العدوية .
(8) فى « الديوان الاسماعيلي لقبائل مكناس » : ان اسرة القبري أندلسيون من غرناطة .
(9) ترجمته فى « اتحاف أعلام الناس » – ج 4 ، ص 318 – 327 .
(10) ترجمته فى نفس « المصدر » – ج 4 ، ص 283.
(11) « المصدر » – ج 2 ، ص 107 – 110 .
(12) « المصدر » – ج 4 ، ص 299 – 300 .
(13) ترجمه – قيد حياته – المؤرخ عبد الحفيظ الفاسي فى « معجم الشيوخ » – ج 1 ، ص 146 – 147 : وفى « طلعة المشترى » – ج 2 ، ص 174 : يرفع نسب والده هكذا : « واما سيدي يوسف بن ابي بكر ابن يوسف بن محمد الكبير ، بن امحمد ابن ناصر ، فعقبه بمكناسة الزيتون ... »
(14) ترجمته فى معجم الشيوخ – ج 2 ، ص 113 – 115 .
(15) « المصدر الاخير » – ج 1 ، ص 99 – 103 ، مع «اتحاف اعلام الناس» – ج 1 ، ص 456 – 463.
(16) « معجم الشيوخ » – ج 1 ، ص 52 – 55 .

ولما حج المترجم عام 1331 هـ / 1912 م روى عن بضعة من مشيخة العلماء بالبقاع المشرقية :

11 – الشيخ عبد الجليل بن عبد السلام برادة الفاسي الاصل ، المدني المولد والمدفن ، المتوفى عام 1327 هـ / 1909 م (17) .

12 – الشيخ عبد الحميد المدعو سلامة المصري الدسوقي (18) ، روى عنه اواخر ذي القعدة من نفس عام حجته .

13 – الشيخ يوسف بن اسماعيل النبهاني الشامي الفلسطيني ، المتوفى عام 1350 هـ 1932 م (19) .

معلوماته :

وهو – في معلوماته – طبقة عالية في النحو والصرف والعروض والقوافي، عالم بالفقهيات، مشارك في علوم التفسير والحديث . ومصطلحه ، والسيرة النبوية ، والاصلين ، واللغة ، والبيان .

يستظهر كثيرا من المصنفات الدراسية ، وبالخصوص في مادتي النحو والصرف : يضرب متونها : اوائلها بأواخرها ، ويستحضر شواهدها ، ويحفظ – سوى ذلك – مقطعات شعرية في موضوعات متنوعة .

دءوب على المطالعة للدواوين العلمية ، ولما ظهر تفسير القرءان الكريم لطنطاوي جوهري عكف على قراءته ، واعجب به ، ونظم في التنويه بمؤلفه :

من لم يكن كالعالم الطنطاوي
فليعترف بالجهل ذي المساوي

مرحلة التدريس :

وقد اشتغل بالتدريس قرابة ستين عاما ابتداء من عام 1311 هـ / 93 – 1894 م الى وفاته ، وكان اكثر تدريسه ببلدته مكناس ، وواظب على الاقراء في جدية ومثابرة : بمعدل ثلاث حصص في الايام الدراسية : في الصباح ، وعند الزوال ، وبين العشاءين .

وكان مركز اقرائه في بداياته بالجامع العلمي أو المسجد القصري ، ثم انتقل للجامع الاعظم واستمر تدريسه به .

وبمناسبة حضوره المجالس الحفيظية بفاس اقرا العقيدة السنوسية الصغرى بالجامع الادريسي ، وحين انتقل الى الرباط درس الخلاصة في مسجد الزناقي ، قرب دار سكناه بصابة بوهلال ، واقرا اوائل المختصر الخليلي بمسجد دنية .

◆
◆ ◆

وقد اقرا في مكناس اغلب المصنفات المتداولة في مناهج التعليم القديم : ومنها المقدمة الاجرومية ، والمرشد المعين ، والجمل المجرادي ولامية الافعال لابن مالك ، والرسالة القيروانية ، والعقيدة السنوسية الصغرى .

الى الالفية لابن مالك ، والمختصر الخليلي ، والتحفة العاصمية ، واللامية الزقاقية ، وارجوزة الطرفة في مصطلح الحديث ، والقصيدة الخزرجية .

الى ارجوزة السلم للاخضري ، وتلخيص القزويني ، وجمع الجوامع للسبكي .

وفي الحديث الشريف والسيرة النبوية : اقرا كتاب الموطأ ، وصحيحي مسلم ثم البخاري، والشمائل الترميذية ، والاربعين النووية ، والمواهب اللدنية للقسطلاني ، والهمزية البوصيرية .

وكان يخص مصنفات الحديث والسيرة النبوية بالدروس الليلية بالجامع الاعظم ، ويحضرها – الى جانب الطلاب – جمهور كبير من المستمعين .

ثم كان ءاخر ما اقراه من هذه الدروس الليلية هو تفسير القرءان الكريم بالجلالين ، واستمر فيه حتى

---

(17) المصدر الاخير – ج 2 ، ص 63 – 66 .
(18) لم اقف على ترجمته .
(19) الاعلام لخير الدين الزركلي – ج 9 ، ص 289 – 290 .

شارف ختمه حيث وقف على سورة المعارج ، فنزل به مرضه الذي توفى منه رحمه الله تعالى .

* * *

وكان ايام تفرغه للتدريس ، يطالع على المتن الذي يقرئه ما كتب عليه من الشروح والتعاليق ، ويستوعب ذلك ، ويستخلص منه تحقيق المسائل ، ويهمش نسخته بالمحتاج له من التصويبات والتكميلات، ثم يلقي ذلك مستعينا بالرجوع الى كتابه او الى قارىء الدرس .

وهو يؤدي املاءاته بتعبير واضح سلس ، وصوت جهوري ، ويخلل بالاستشهادات بمحفوظاته العلمية ، ولا سيما في المناسبات النحوية او الصرفية ، الى انشاد مقطعات أدبية ، ومستملحات ، واشارات بارعة .

ومن سيرته انه يحرص على ختم المصنفات التي يبتدي قراءتها على طول بعضها ، مع التزامه لتلاوتها تباعا ـ من طرف قارىء مجلسه ـ بمتونها وشروحها ، وفي ذلك مطولات المؤلفات : الموطا بشرحه للزرقاني، وصحيح البخاري بشرحه للقسطلاني ، وصحيح مسلم بتعاليق الابي ، والمواهب اللدنية بشرحها للزرقاني ، فضلا عما دون ذلك من باقي المتون والشروح .

اسانيده في العلوم :

وله اعتناء باسانيد المصنفات التي يدرسها ، يعرض ذلك عند افتتاح الكتاب المعني بالامر ، غير أنه لم يجمع فهرسا على حدة ، ومما وقفت عليه من اسانيده واكثرها بخطه :

1 ـ سند تفسير القرءان الكريم وخصوصا بتفسير الجلالين : عن عمه : محمد المفضل السوسي ، عن قاضي مكناس محمد المهدي ابن سودة المري ، عن الشيخ محمد بن محمد بن عبد الواحد الحراق ، الحسني التطواني، عن الشيخ محمد التاودي ابن الطالب ابن سودة المري ، بسنده في فهرسه .

2 ـ سند صحيح البخاري : عن قاضي مكناس: ابي العباس احمد بن الطالب ابن سودة ، وهو يرويه من طريق المغاربة : عن شيخه بدر الدين الحمومي ، عن محمد التاودي ابن سودة ، بسنده ، كما يرويه عن مصطفى الكبابطي الجزائري ، عن علي بن عبد القادر المعروف بابن الامين الجزائري، عن ابي الحسن علي بن احمد الصعيدي العدوي ، بسنده في فهرسه ، ويرويه عن مجيزه : عبد الجليل برادة المدني ، عن شيخه عبد الغني الدهلوي المدني ، بسنده في فهرسه .

3 ـ سند القصيدة الهمزية البوصيرية : عن عمه محمد المفضل السوسي ، عن الحاج مبارك بن عبد الله السجلماسي الفيضي ثم المكناسي ، عن قاضي مكناس احمد بن عبد الملك العلوي ، عن ابي العباس احمد بن عبد العزيز الهلالي ، بسنده في فهرسه .

4 ـ سند الفقه المالكي عموما : عن المفضلين : السوسي وابن عزوز،وعن ابي العباس احمد ابن سودة، والاخير : عن محمد بن عبد الرحمان الفيلالي الحجرتي ، عن عبد السلام الازمي ، عن محمد التاودي ابن سودة ، بسنده .

5 ـ سند الرسالة القيروانية : عن عمه : محمد المفضل السوسي ، عن والد الاخير : الحاج المكي السوسي ، وبالاجازة عن ابي عبد الله محمد بن قاسم القادري ءاتي الذكر ، بسنده في فهرسه .

6 ـ سند الالفية لابن مالك : عن عمه محمد المفضل السوسي ، عن مبارك الفيضي ، بسنده الانف الذكر .

7 ـ سند المقدمة الاجرومية : عن اخيه السيد محمد ، عن المولى الكامل الامراني الحسني ، عن الحاج محمد المقري الشهير بالزمخشري ، عن محمد ابن عبد القادر الكردودي ، عن ابي محمد عبد القادر الكوهن ، بسنده في فهرسه .

8 ـ ومن جهة اخرى يروي المترجم ـ بالاجازة ـ عن ابي عبد الله امحمد بن قاسم القادري الحسني الفاسي ، ما تضمنه فهرس المجيز : « اتحاف اهل الدراية بما لي من الاسانيد والرواية » ، قال المترجم : « والذي روى فيها : هو :

علم اصول الدين .

وعلم التفسير .

وعلم الحديث .

وعلم السير .

وعلم اصطلاح الحديث .

وعلـم الفقـــه .

وعلـم اصـول الفقـه .

وعلـم المنطـق .

وعلـم النحـو .

وعلـم البيـان .

وعلم العروض والقوافي ، والورد القادري » .

نماذج من الأخذين عنـه :

كان من اثر عكوف المترجم على التدريس أزيد من نصف قرن ، ان مر بين يديه جمهور كبير من طلاب مكناس وغيرها طبقة بعد طبقة ، وفيهم عدد صاروا فى صف العلماء ، وهذه سبعة عشر اسما من نماذجهم ، مختارين من بين الراحلين من العلماء ومن اليهم حسب تسلسل وفياتهم :

1 ــ ابو العلاء ادريس بن محمد بن عمر المطهري العالم النوازلي المدرس العدل ، المتوفى عام 1349 هـ / 1930 م .

2 ــ النقيب : راشد بن علي بن احمد بن السعيدي بن محمد بن الطيب بن النقيب الشهير : عبد القادر بن عبد الله ، الادريسي الشبيهي ، العالم الدراكة ، المتوفى عام 1350 هـ / 1931 م .

3 ــ أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن الفضيل العلوي الاسماعيلي ، العالم المفتي المدرس العدل ، المتوفى عام 1352 هـ / 1933 م .

4 ــ النقيب : محمد بن المختار بن احمد الى آخر سلسلة الاباء المذكورين عند الاسم الثاني ، الفقيه الخطيب العدل ، المتوفى عام 1388 هـ / 1939 م .

5 ــ عبد الله بن الجيلاني العلمي دعي جمعان ، العالم المدرس العدل ، المتوف عام 1361 هـ / 1942 م.

6 ــ ابو زيد عبد الرحمان دعي الكبير بن محمد ابن عبد الرحمان ابن زيدان ، العلوي الاسماعيلي ، مؤرخ مكناس الشهير ، المتوف عام 1365 هـ / 1946 م

7 ــ عبد السلام بن محمد بن الفضيل العلوي الاسماعيلي ، الفقيه الماهر فى علم التصوف ، المجاهد، المتوفى عام 1368 هـ / 1948 م .

8 ــ محمد بن ادريس بن امحمد بن الحسين بن السلطان محمد بن عبد الله العلوي الاسماعيلي ، قاضي الدار البيضاء وغيرها ، المتوفى عام 1370 هـ 1951 م .

9 ــ الحسن بن محمد بن الحسين المنوني ، الجيسوبي الفرضي الفلكي العدل ، المتوفى عام 1375 هـ / 1955 م .

10 ــ ابو الصفاء المختار بن محمد المفضل ابن المكي السوسي ، وقد تبينا ــ سلفا ــ انه توفي عام 1378 هـ / 1958 م .

11 ــ عبد العزيز بن محمد الأمغاري ، الجيسوبي الفرضي الفلكي ، المتوفى عام 1380 هـ 1960 م .

12 ــ محمد بن بلقاسم بن محمد البصري ، الفقيه الجيسوبي الميقاتي الخطيب بالجامع الاعظم بمكناس ، ثم بالمسجد المحمدي بالبيضاء ، المتوفى عام 1382 هـ / 1963 م .

13 ــ الحاج بنعيسى الخلطي البوجنوني المكناسي الدار ، العالم المدرس الخطيب العدل ، المتوفى عام 1382 هـ / 1963 م .

14 ــ الحاج محمد بن الحاج محمد بن احمد بن محمد ابن الفقيه ، الزرهوني المكناسي الدار ، العالم المدرس الخطيب العدل ، المتوفى عام 1383 هـ 1964 م .

15 ــ محمد العربي بن محمد بن محمد العربي المنوني ، العالم النوازلي المدرس ، المتوفى عام 1388 هـ / 1968 م .

◆

◆ ◆

ومن الاخذين عن المترجم فى فاس وغيرها :

16 ــ محمد بن محمد بن قدور العبادي الفاسي، العالم النوازلي الشهير ، المتوفى عام 1385 هـ 1965 م .

17 ــ ابو العباس احمد بن بنعاشر ابن عبد النبي السلاوي ، العالم النوازلي المفتي الطائر الصيت، وله اجازة من المترجم وتوفي عام 1392 هـ 1972 م .

مؤلفاته :

خلف المترجم مؤلفات صغيرة في غالبها ، وهي – على العموم – تدل على تمكن في المادة ، واطلاع ، وسلامة تعبير ، كما تعكس – فيما يبدو – صورة دروس مؤلفها في فترة نشاطه التعليمي ، والمعروف منها – لحد الان – سبعة :

1 – شرح موسع على القصيدة الهمزية للبصيري ، لا يزال بخط مؤلفه في مبيضته : 189 ص ، مقياس 31 / 22 سم ، وجاء في آخره :

« ... في الساعة الثانية نهار الحادي عشر من ربيع الاول ، النبوي الانور ، على صاحبه أفضل الصلاة والسلام ، عام 1356 ، وسبق ختم هذه القصيدة المباركة في 11 ربيع الاول عام 1325 مرة ، واخرى في 11 منه عام 1334 ، واخرى – ايضا – في 11 منه عام 1344 ، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات » .

2 – حاشية على شرح ارجوزة مصطلح الحديث لابي حامد الفاسي ، تاليف ابي عبد الله امحمد بن عبد القادر الفاسي الفهري ، وقفت على ثمان صفحات من اوائلها في مبيضتها من نحو الحجم السابق .

3 – ختم الرسالة القيروانية باسم : « عون الموصوف بالجلالة ، على الفاظ خاتم الرسالة » ، في مبيضة المؤلف ، ونسخة أخرى مخرجة منها في دفتر مدرسي : 26 ص ، مقياس 22 / 17 سم ، قال في آخره :

« ... ووافق الفراغ من تبييضه الثالث والعشرين من جمادى الاولى، عام ثمانية عشر وثلاثمائة والف ، وذلك في اول مرة ، واما اخراجه من مبيضته والزيادة عليه ، ففي ثاني مرة ، وافق السادس والعشرين من شوال الابرك ، عام ثلاثة وعشرين وثلاثمائة والف ... » .

4 – « ختم المرشد المرشد المعين » لابن عاشر ، لدى العالم المدرس محمد بن عبد القادر العرائشي ، في نسخة مخرجة بخط المؤلف : 18 ص ، مقياس 22 / 17 سم ، بتاريخ خامس جمادى الثانية ، عام 1319 هـ .

5 – ختم الشمائل الترمذية ، باسم : « عون الطالب السائل ، على فهم الأثرين المختوم بهما الشمائل » ، في مبيضة المؤلف : 40 ص ، مقياس 30 / 20 سم .

6 – ختم المختصر الخليلي .

7 – ختم الالفية لابن مالك .

يذكران له دون ان اقف عليهما .

وظائفه وتنقلاته :

انخرط في سلك عدول السماط بمكناس من عام 1311 هـ .

وبعد وفاة اخيه السيد محمد عام 1316 هـ 1899 م اسندت له قراءة صحيح البخاري – سردا – بعد صلاة الصبح بالجامع الاعظم من نفس المدينة في شهور رجب وتاليه ، حيث يقع ختمه في اليوم السادس والعشرين من رمضان بعد صلاة العصر في مشهد حافل .

وفي العهد الحفيظي كان من بين العلماء الذين يضطلعون بسرد الحديث في المجالس السلطانية لقراءة نفس الصحيح بالقصر الملكي بفاس .

وفي عام 1331 هـ / 1912 م سافر للحج وزيارة البقاع الكريمة ، واتصل هناك ببعض الاعلام الذين سبقت الاشارة لأسمائهم .

ثم صدر نائبا لقاضي مكناس ابي العباس احمد ابن بوبكر عواد السلاوي ، الذي دامت ولايته لهذه الخطة من اواخر شعبان عام 1336 هـ / 1918 م ، الى اواسط عام 1341 هـ / 1923 م .

وفي عام 1342 هـ / 1923 م .

وفي عام 1342 هـ / 1924 م سمي عضوا بمجلس الاستيناف الشرعي الاعلى بالرباط .

ومن هذه الوظيفة رشح لقضاء مدينة مكناس في شعبان عام 1346 هـ / 1927 م ، واستمر بهذه الولاية الى اوائل عام 1359 هـ / 1940 م .

وفاته ومدفنه :

توفي المترجم ببلدة مكناس ليلة الثلاثاء ثالث شوال ، عام 1369 هـ / 1950 م ، عند الساعة الحادية عشرة وثلاثين دقيقة بالتوقيت المحلي ، وشيعت جنازته من الغد الذي هو يوم الثلاثاء ، في موكب كبير سار فيه غالبية السكان ، وبعد الصلاة عليه بالجامع الاعظم قبل الزوال ، تابع موكب الجنازة مسيرته الى

الزاوية الكتنية ، حيث دفن الفقيد بها في بيت اضافه لها ، وأعده ليكون به مرقده الاخير ، رحمه الله سبحانه رحمة واسعة ، والحقنا به مسلمين .

ارتسامات رحالة عن المترجم :

والان نذيل بما كتبه عن المترجم العلامة الاديب الشهير ابو العباس احمد سكيرج في رحلتيه الاثنتين الى مكناس (20) :

الاولى عام 1326 هـ / 1908 م ، ويقول فيها خلال ذكر الفضلاء الذين اجتمع بهم في الروض الزيداني :

« واجتمعنا – ايضا – لديه بالعلامة المحقق ، ذي الفصاحة العذبة ، والبلاغة العالية الرتبة ، ابي الفتح : السيد محمد بن أحمد السوسي ، وقد استدعانا لمحله (21) مع بعض الادباء النازلين معنا بروض سيدنا النقيب ، ولما اطمأن بنا الجلوس ، ورايت بمحله ما طابت به النفوس ، قلت :

دار عليها رونق وجلالة
من اجل ساكنها الامام امحمد

ذي الفتح والعرفان من بين الورى
من حاز كل فضيلة مع سؤدد

وقلت :

ودار دخلناها على الفضل أسست
وفيها اناس قد سموا في الانام

يحبون اكرام الضيوف لانهم
كرام وقد فاقوا جميع الكرام

وقال الشريف سيدي محمد الصقلي (22) :

يا رعى الله رجالا بالتقى
احرزوا مجدا وفضلا في الانام

جمعتنا بهم دار الذي
قد حوى بين الورى اعلا مقام

وقال الاديب السيد محمد ابن الحاج (23) :

بحيكم يسمو النزيل ويكرم
وفي سلك اهل الفضل – والله – ينظم

ومن حل في ارض الكرام تحزبت
عليه المعالي بل غدت به تعظم

ولم أنس لما أن وفيت محمدا
هلال الورى وهو الهمام القطمطم(24)

لقد أسس المجد الاصيل جلاله
فلقب بالسوسي اذ هو اكرم

ولما نهضت للخروج قلت :

يا دار حياك الحيا المدرار
بسلامة ما دامت الامطار

ورعى أهاليك الذين مقامهم
بين الانام لهم علا المقدار

وقلت مادحا له :

في أهل مكناس فقيه قد سما
وهو الهزبر محمد السوسي

---

(20) اطلعت على الرحلتين معا لدى ابن المؤلف: الشاعر الاديب الاريحي : السيد عبد الكريم سكيرج في بيته بمدينة سطات ، صيف عام 1384 هـ / 1964 م ، وسمح – بعد هذا – للخزانة العامة بتصويرهما على الشريط ، وبهذا فان احدى الرحلتين صارت تحمل في لائحة المصورات رقم 1029 ، وهي « غاية المقصود ، بالرحلة مع سيدي محمود » ، وكانت في عام 1329 هـ ، بينما تحمل الثانية رقم 1030 ، وهي « الرحلة الزيدانية » الواقعة عام 1326 هـ .

(21) كانت سكناه – في هذه الفترة – بالدار قرب الجامع الاعظم في ساباط الاسبوع، وهي التى كانت بها ادارة معهد التعليم الاصيل .

(22) هو محمد بن يحيى الاديب المشهور ، صاحب المكتبة العلمية بالبيضاء ، والمتوفى عام 1354 هـ .

(23) هو محمد بن عبد الكبير ابن الحاج السلمي ، أستاذ الادب بالقسم العالي بالقرويين ، والمتوفى عام 1378 هـ .

(24) البحر العظيم : على التشبيه .

حاز التقى والفضل من بين الـــورى
لا زال مرقاه على البرجيـــس (25)

واستدعانا مرة ثانية لمحله فدخلناه بسلام ، وقلت فيه بعد ما بالغ فى الاعتذار بما قام بـــه مـــن الاحتفال والاحترام :

علوتـــم بفضـــل على غيركـــم
وتعتـــذرون لنقـــل القـــدم

هل الفضل بين الانـام ســـوى
لكم فى الحديث يـرى والقـــدم

وقلـــت :

يا اهل مكناسة الزيتـــون انكـــم
ـ والله ـ بين الورى كالروح للذات

فى الانس لست بناس حسن انسكم
لم لا ومن فضلكم نحظى بلـــذات »

والى هنا تنتهي قطعة الرحلة السكيرجية الاولى عن المترجم ، ويقول عنه نفس المؤلف فى رحلتـــه الثانية عام 1329 هـ ، بمناسبة ذكرى العلماء الذيـن اتصل بهم فى الروض الزيداني :

« ومنهم الفقيه الامجد ، الفاضل الاسعد ، مـن اتصف بالاخلاق الحميدة ، حتى نال الفضائل العديدة ، فكان واسطة عقد اقرانه ، فى عصره وزمانه ابو الفتح سيدي امحمد بن احمد السوسي ، وهو من خاصـــة الاصحاب والاحباب ، تلاقيت معه بروض الشريـــف النقيب صباح يوم الاربعاء ، كما تلاقيت معه فى الرحلة الاولى به ، ولما قدمنا فى هذه المرة لمكناسة تشوفت لملاقاته لما لنا فيه من المحبة القلبيـــة ، والمعرفـــة الودية ... ووجهت له هذه الابيات فى الحـــال ... فانتظرناه فلم يسرع بالقدوم ، فكتبت له هذه الابيات:

متى يقول لنا الاصحاب جا السوسي
من فى العلوم يرى كمثل جاســـوس

ما باله اخر المجيء وهـــو فتـــى
قد كنت أعهده ياتـي لتأنيســـي

ان كان حال عن الود القديـــم فلـــم
يحل مع البعد عنه دون تهويـــس

لاكنني ان يدم هجرانه ســيـــرى
مني الذي لا يراه غير ابليـــس

ثم حضر واعتذر فقبلنا المعذرة ، بعـــد ان رام معاتبتنا بعدم اعلامه بقدومنا ، ثم شرعنا فى المذاكرة الى ان سالته عما يقرؤه مع طلبته درسا ، فذكر انـــه يقرؤ معهم الشمائل ، والمختصر ، والالفية ، ومحـــل درسه فى الالفية : المقصور والممدود ... » .

نبذة من رسالة فى خطاب المترجم :

وهذه شذرات من رسالة كتبها الى المترجـــم تلميذه محمد بن علي بن عبد الخالق ابن غازي المكناسي ، المتوفى عام 1319 هـ / 1901 م ، وهو والد العالـــم المجاهد الشهير : الفقيه محمد غـــازي ، وفى هـــذه القطعة يستعطف التلميذ استاذه ، ويرجو مسامحتـــه ان بدرت منه مخالفة ، وهو يقول فى اوائلها ومن خطه نقلـــت :

« هو النجم لابل دونه النجم رتبـــة
هو الدر لا بل دون منطقـــه الـــدر

هو الكامل الاوصاف فى العلم والتقـــى
فطاب به فى كل ما قطر الذكـــر

ذا الخلال التي تكل عن الحصر ، والخصال التي يعترف له بها نبهاء العصر ، الجامع لأوصاف الجمال وجمال الاوصاف ، الحائز لاصناف المحاسن ومحاسن الاصناف ، ذا السر الواضح السامي القدوسي ، ابا عبد الله سيدي امحمد السوسي ، حفظه الله ورعاه ، ومن الشـــر وقـــاه .

مذ ابصرت عينـــي محاسنـــه
وشاهدت منه الجمال الجميـــل

حملـــت قلبـــي مـــن محبتـــه
ما لم يكن يحمل قبـــل حميـــل

الى ان يقول : ابه وفيه جرى : (كل الصيد فى جوف الفرا) ، ضم الى عمله العمل ، ووصل مما اراد الى اقصى امل ، فهو الرئيس الذي به المفاخر تحمد ، جرت فى بحر محاسنه سفن الاذهان فلم تدرك قراره ، وعجز النظراء والبلغاء ان يخوضوا آثـــاره .

---

(25) هـــو نجـــم المشتـــرى .

سما في اهله طفـلا وكهـلا
واحرز كل مكرمـة حقيقـة

فبالاكرام والاكبـار حقـا
ترى ــ أبدا ــ سيادته حقيقـة

الى ان يقول في غرض المسامحة المامولـة :
وتكون تلك المسامحة من سيدي محققة ... وغير مستغرب اقبالك على أمثالنا ، واعطاء من لاذبك البغية والمنى .

ولا غرو أن يعطي المنى لائذبكم
ويلقاه وجه السعد متضح البشر

وفضلكم يغشي المطيع وغيره
كما تمطر الامطار بالترب والصخر

ويعلم الله ان النفس لا تسمح بهذا الامر لسواك ، ولا تبوح بمرامها الا لعلاك :

تكملت فيك أوصاف خصصت بهـا
فكلنا بك مسـرور ومغتبـط

السن ضاحكة والكـف مانحـة
والنفس واسعة والوجه منبسـط

بقيت بقاء الدهر يا كهف أهلـه

وصلى الله على سيدنا محمد خاتـم أنبيائـه ، ومبلغ انبائه ، وعلى ءاله وصحبه وسلم تسليما » .

الرباط : محمد المنوني

كتاب سيبويه في المغرب والأندلس (*)

للأستاذ محمد حجي

تمهيد تاريخي :

يتصل كتاب سيبويه بالدراسات اللغوية والنحوية في المغرب والاندلس اتصالا وثيقا عبر العصور ، ويرجع احتكاك هذه البلاد باللغة العربية الى عهد الفاتحين المسلمين في القرن الهجري الاول . وكانت عجمة لسان سكان هذه المناطق مدعاة الى اقبالهم على تعلم لغة القرآن منذ ان اخذ الاسلام ينتشر بينهم ، والعرب يقيمون بين ظهرانيهم . وقد بدأ تعلم اللغة العربية في الغرب الاسلامي بطريق المحاكاة والتعبير الشفوي البسيط ، وحفظ آيات وسور من القرآن الكريم لاداء الشعائر الدينية، قبل ان يميل الى استكناه اسرار اللغة والتعرف على قواعدها ، حينما رسخت قدم الاسلام في هذه البلاد ، واصبحت جزءا لا يتجزأ من الدولة الاسلامية الكبرى . لا سيما عندما اخذت تنتشر للحركة الفكرية ، الدينية واللغوية ، القائمة في المشرق آنذاك ، وتتردد أصداؤها في أرجاء المغرب والاندلس .

كان من الطبيعي أن يحدث مثل هذا في الجناح الشرقي من الامبراطورية الاسلامية ، غير أن قيام مدينتي البصرة والكوفة في العراق . واقبال علمائها من عرب وفرس على جمع اللغة العربية وفلسفتها بتقعيد القواعد واستنباط الاحكام والضوابط ، اسرع الخطى بتلك الاقطار في ميدان العلوم اللسانية ، وخولها قصب السبق في هذا المضمار ، حتى انجبت من الاعلام امثال الخليل ابن احمد ، ويونس بن حبيب ، وسيبويه ، الذين اصبحوا ائمة العربية في كل زمان ومكان .

لقد دخل النحو الى المغرب والاندلس مع تلاميذ هؤلاء الائمة الذين هاجروا المشرق فحطوا رحالهم بالقيروان وفاس وقرطبة ، واملوا على المتعلمين في هذه البلاد ما حوته صدورهم وقراطيسهم من علم غزير . ولئن عرفت الاوضاع السياسية بهذا الجناح الغربي من العالم الاسلامي تقلبات كثيرة خلال القرون الهجرية الاولى ، فان الحركة الثقافية ، ومن ضمنها العلوم اللسانية ، لم تثن عن طريقها او تقف عند الحدود المصطنعة التي كانت تنتصب حاجزا هنا وهناك ، تتقدم تارة وتتراجع اخرى ، فتابع العلماء نشاطهم الفكري في هذه البلاد ، سواء في العهد الذي كانت فيه سلطة خلفاء دمشق او بغداد تصل الى المحيط الاطلنطيكي وجبال البرانس ، او عندما انفصلت المنطقة عن انظارهم بزعامة الامويين في الاندلس ، والادارسة في المغرب ، والاغالبة ثم الفاطميين بافريقية .

(*) من محاضرة القيت بالمؤتمر العالمي الذي اقامته جامعة بهلوي بشيراز لتكريم امام النحاة سيبويه بمناسبة مرور اثني عشر قرنا على وفاته ، من 27 ابريل الى 2 ماي 1974 .

وابتداء من القرن الهجري الرابع ، دخل المغرب الاسلامي مرحلة النضج والتفتح الفكري ، حيث اخذت مساجد قرطبة بصفة خاصة ، تعج باعلام العلماء ، ومكتباتها تزخر بمختلف المؤلفات اللغوية والنحوية والادبية ، ايام عبد الرحمن الناصر ، وابنه الحكم المستنصر . وتأكدت شخصية هذه المنطقة فى القرون التالية مع المرابطين والموحدين الذين تمكنوا طوال قرنين ونيف من اقامة امبراطورية انتظمت فى سلكها اقطار شمال افريقيا والاندلس ، فكان العلماء يتنقلون فى ارجائها الفسيحة ، يملون ويؤلفون ، وينالون من ضروب الاكرام والتشجيع الوانا . وفى هذه الفترة بالذات نالت الدراسات اللغوية والنحوية والادبية اوفى نصيب ، وراج **كتاب سيبويه** اعظم رواج .

ثم كانت زوابع ومحن فى الغرب الاسلامي خلال القرن الهجري السابع كادت تعصف بثقافته ، لولا جهود المرينيين الضخمة فيما بعد ، والمتمثلة فى تشييد المساجد والمدارس الفخمة وتشجيع المعلمين والمتعلمين فى كل جهات المغرب ، وفى تقديم العون المادي والمعنوي لمملكة غرناطة ، فكان لذلك الاثر المحمود فى احياء ذماء العلم بالعدوتين ، واعطى الدراسات اللغوية والنحوية فيهما ، وبخاصة **كتاب سيبويه** نفسا جديدا .

ولما حم القضاء ، وحلت النكبة الكبرى بالمسلمين فى الاندلس فى نهاية القرن التاسع آوت العدوة الجنوبية مختلف المقومات الحضارية مع آخر المهاجرين الاندلسيين ، واصبحت مدينة فاس دار مقام لعدد عديد من الاسر النبيلة ، وفى مقدمتها اسرة ابي عبد الله النصري آخر ملوك بني الاحمر ، وعمر اندلسيون آخرون مدن تطوان والرباط والقصبة ، واستوطن غيرهم حتى قمم الجبال وحدور الاودية ، وبلغوا بسائط السوس الاقصى . وبذلك امتزجت الحضارة الاندلسية بالحضارة المغربية امتزاجا نهائيا ، ولم تنطفىء ذبالة تلك الثقافة الاصيلة ، ومعها الدراسات النحوية **وكتاب سيبويه** ، لم تنطفىء فى المغرب الى ايام الناس هذه .

الدراسات النحوية فى العدوتين :

بدات الدراسات النحوية بالمشرق ، كما هو معلوم ، فى زمن مبكر ايام الخلفاء الراشدين ، وتوالت بعد ذلك الى ان ظهر فى البصرة الخليل بن احمد الفراهيدي فى منتصف القرن الهجري الثاني (فوضع الاسس ونهج الطريق ، تاركا أمر تدوين القوانين النحوية الى تلميذه أبي عمرو بن عثمان سيبويه واضع « **الكتاب** » المشهور ، وقد يكون هذا الكتاب من بين الاسباب التي ادت الى احتدام الخصام بين المدينتين المتنافستين : البصرة والكوفة ، ذلك الخصام الذي انجلى عن قيام مدرستين نحويتين ، احداهما ، وهي مدرسة البصرة ، تساندها الاصالة والمنطق ، اذ وضعت قوانين عامة حسب مقاييس معقولة واهملت الشواذ وما خالف الاستعمال المشهور عند جمهور العرب ، فحصرت بذلك اللغة العربية فى قوالب محكمة وصيغ مضبوطة يسهل — نسبيا — ادراكها والاحاطة بها . والثانية ، وهي مدرسة الكوفة ، ساندها البلاط العباسي وشد ازرها لاغراض لا علاقة لها بموضوع اللغة وقواعدها . هذه المدرسة الثانية ولو انها اصطبغت فى البداية بصبغة علمية محضة ، فانها تحولت الى ما يشبه مسجد الضرار ، خارمة القوانين اعتمادا على سماعات شاذة او منحولة ، وشعبت الى حد كبير سبل تحصيل النحو ، او افسدته على حد تعبير السيوطي .

ثم تدارس علماء بغداد بعد ذلك آراء المدرستين المتنافستين ، فوازنوا واستظهروا ، وخطئوا ورجحوا . ونتج عن ذلك ظهور مدرسة بغدادية جديدة ، هي مزيج من مذهبي البصريين والكوفيين .

وقد تلقى الغرب الاسلامي قواعد اللغة العربية بمذاهبها الشرقية الثلاثة ، عن طريق النحاة المهاجرين ومعظمهم جاءوا من بغداد ، فاتخذوا من **كتاب سيبويه** اساسا للتعليم ، لانهم بدورهم اخذوه عن شيوخ بصريين او متابعين لمذهبهم . ولانتشار المدرسة البصرية فى المغرب والاندلس ، وسيادتها فى العهود الاولى على ما عداها من المدارس النحوية اسباب يمكن اجمالها فيما يلي :

اولا — ان المذهب البصري اكثر اصالة ومنطقية واقل تشعبا وتمحلا .

ثانيا — وجود **كتاب سيبويه** بين أيدي الناس ، لا يزاحمه كتاب آخر للرؤاسي أو الكسائي أو غيرهما من الكوفيين . والكل يعلم ان هؤلاء لم يؤلفوا ما يمكن ان يضاهي او يقارب **كتاب سيبويه** ، وانما هي رسائل وكراريس لا تذكر امام **الكتاب** .

ثالثا — مناصرة العباسيين لعلماء الكوفة ، وايثارهم اياهم بتعليم ولاة العهد وابناء كبار رجال

البلاط ، جعل الناس في الغرب ينفرون من هذا المذهب بعد ان خاصموا خلافة بغداد وخلعوا طاعتها .

على ان ذلك كله لم يصرف علماء المغرب والاندلس نهائيا عن النظر في مسائل الخلافة ، فتعرفوا على آراء مختلف الفرق ، ونظروا بخاصة في القضايا التي اخذت على البصريين ، فأثبتوا منها وابطلوا ، وانتقدوا بدورهم بعض آراء البصريين ، ومسائل من **كتاب سيبويه** نفسه ، وخرجوا هم أيضا بمدرسة نحوية جديدة ، هي المدرسة المغربية الاندلسية التي تحدث عنها ابن خلدون في غير ما موضع من **المقدمة** .

وفيما يتعلق بالاقبال على دراسة اللغة العربية وقواعدها في الغرب الاسلامي ، نلاحظ وجود نفس الظاهرة الشرقية المتجلية في وفرة العناصر الاعجمية الاصل من بين الدارسين . فكما كان سيبويه ودرستويه الفارسيان مثلا من اعلام النحو العربي في الشرق ، كان الجزولي وابن آجروم من برابرة السوس الاقصى من ائمة هذا الفن في الغرب . وظلت كتبهم جميعا تقرأ وتشرح على تعاقب الحقب والاجيال . غير أن من المفارقات التي لا ينبغي اغفالها في هذا الباب ، أنه اذا كانت العناصر الغير العربية في الشرق ، وبخاصة الفارسية قد اخذت تعود الى لغتها الاصلية منذ زمن غير بعيد عن عصر سيبويه ، فان السوسيين في المغرب ظلوا يتعلمون لغة القرآن ويعلمونها ويؤلفونها فيها مآت الكتب الى اليوم . وقد نشر المرحوم المختار السوسي منذ بضع سنوات تراجم علماء هذا الاقليم المغربي وآثارهم الضخمة في اللغة العربية وغيرها ، في كتابين هامين ، **سوس العالمة** ، **والمعسول** ، ويقع هذا الاخير في عشرين مجلدا .

مركز كتاب سيبويه :

لعل اصدق تعبير عن المكانة المكينة لكتاب سيبويه في نفوس المغاربة والاندلسيين انه ظل معتمدهم الاساسي في الدراسات العليا ، لم يستبدلوه بغيره طوال القرون . ولا يفهم من وجود كتب دراسية نحوية في هذه المنطقة أنها حلت محل **الكتاب** ، وانما هي مقدمات وأراجيز وضعت للمبتدين والقاصرين عن ادراك مسائل **الكتاب** وذلك **كمقدمتي** الجزولي وابن آجروم ، **والفيتي** ابن معطي وابن مالك وما اليها من شروح وحواش . ومع ذلك بقي **الكتاب** مجال براعة المبرزين من شيوخ النحاة ، وملتقى النجباء (الشادين) من الطلاب . هذا بالاضافة الى وفرة عدد الكتاب والمشتغلين بالكتابة عليه شرحا وتعليقا واستدراكا .

ومن نماذج حفاظ الكتاب المغاربة ابو عمران الهسكوري، موسى بن يمويمن صاحب كرسي **كتاب سيبويه** في القرويين . فقد ذكروا في ترجمته أنه فتح بين يديه يوما **كتاب سيبويه** بالقرويين في ثلاثة مواضيع ، فقرأ في كل موضع مقدار ثلاثة احزاب عرضا عن ظهر قلب. وكان ذلك بتدبير من منافسيه الذين راموا اعجازه على رؤوس الملأ لما كان في طبعه من حدة وفي لسانه من سلاطة . كما يعتبر الاعلم الشنتمري يوسف بن سليمان الاشبيلي من ابرز نماذج الاندلسيين الذين شرحوا الكتاب وعلقوا عليه . فهو قد الف كتاب **تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الادب في علم مجازات العرب** المطبوع مع **كتاب سيبويه** في طبعة بولاق شرح فيه شواهد الكتاب الشعرية التي تنيف عن الف بيت ونسبها الى اصحابها . والف ايضا كتابا جمع فيه **النكت في كتاب سيبويه** . ورسالة مطولة في المسالة الزنبورية الشهيرة ، أوردها المقري بتمامها في نفح الطيب ، الجزء الرابع من طبعة بيروت الاخيرة .

اشهر الدارسين لكتاب سيبويه :

تكاثر عدد الدارسين **لكتاب سيبويه** في المغرب والاندلس عبر العصور تكاثرا يجعل من العبث محاولة تعدادهم بل الاحاطة بهم ، ولو اتسع مجال القول ، غير انه لن يكون دون فائدة في ختام هذا **العرض** الوجيز الاشارة الى بعض الاعلام البارزين منهم تمثيلا لما سبق وتوثيقا .

نذكر في البداية ثلاثة من النحاة المشارقة الذين دخلوا **المغرب والاندلس في القرون الاسلامية الاولى** وكان لهم فضل السبق في نشر النحو واللغة والادب **وكتاب سيبويه** في هذه الديار ، وهم :

ابو اليسر الشيباني ، ابراهيم بن احمد البغدادي تلميذ عالمي البصرة المبرد والجاحظ ، وصاحب الشاعرين أبي تمام والبحتري . حمل معه الى المغرب علما غزيرا ، وانصرف جل اهتمامه الى **كتاب سيبويه،** حتى انه كتب منه نسخة في أخريات حياته بقلم واحد ما زال يبريه حتى قصر فأدخله في قلم آخر وكتب به حتى فني بتمام الكتاب . وكانت خاتمة مطاف ابي اليسر مدينة القيروان حيث توفي عام 298 .

وابو علي القالي ، اسماعيل بن القاسم البغدادي، صاحب **النوادر والامالي** ، و **والمقصور والممدود والبارع** وغيرها من كتب اللغة والنحو والادب . وفد علي عبد

الرحمن الناصر الاموي عام 330 وعاش بقرطبة يدرس، في جملة ما يدرس ويملي **كتاب سيبويه** ، وكان قد أخذه في بغداد عن ابن درستويه عبد الله بن جعفر الفارسي . وعرف القالي بتدقيق النظر في **الكتاب** والانتصار للبصريين الى ان توفي عام 356 .

وصاعد البغدادي ، ابو العلا بن الحسين . **دخل** الاندلس إيام المنصور بن ابي عامر ، فاهتبل بمقدمه واراد ان يعفي به على آثار ابي علي القالي الوافد من قبل على بني امية . لكن قلة خبرة صاعد **بكتاب سيبويه** عرضته الى السخرية والاهمال ، ولم يشفع له لدى الاندلسيين ما أملاه عليهم من كتاب **الفصوص** . فقد ذكروا ان صاعدا ادخل يوما على المنصور في مجلس ضم نحاة الاندلس وادباءها ، فسأله عن ابي سعيد السيرافي ثم ابا علي الفارسي . ولما انتقل هذا الاخير الى فارس سار معه ابو محمد الزبيدي اليها فدعاه الفرس ابا عبد الله الاندلسي . وتضايق ابو علي الفارسي من هذا الالحاح في الطلب والرغبة في الاستفادة ، فكان يقول للزبيدي على رؤوس الملأ : (ان والله على وجه الارض انحى منك) وادركت الوفاة ابا محمد الزبيدي ببغداد عام 372 .

اما ابو بكر الزبيدي فلم يغادر بلاد الاندلس ، وظل يدرس **كتاب سيبويه** في اشبيلية الى ان دعاه الحكم المستنصر الى قرطبة ليؤدب فيها ولي عهده هشام ، وكانت له في عاصمة الامويين مجالس نحوية عالية على غرار مجالس أبي علي القالي السابقة . والف ابو بكر الزبيدي في جملة ما الف **استدراكا على كتاب سيبويه** ، ومات وهو قاض باشبيلية عام 379 .

ونجد في العدوة الاخرى ابا محمد الزقاق ، قاسم بن محمد ابن الحاج ، شيخ النحاة في المغرب ، يدرس **كتاب سيبويه** في كل من فاس وسبتة وسلا ، مكونا حلقة اولى في سلسلة نحوية ستطول اجيالا عديدة . وكانت وفاته بمدينة سلا عام 559 .

ومحمد بن احمد ابن طاهر الانصاري الاشبيلي قرا بالاندلس والمغرب ، واستوطن مدينة فاس قائما على تدريس **كتاب سيبويه** ، وله تعليق على الكتاب . واقسم ان يقراه في البصرة حيث وضعه سيبويه ، وبر ابن طاهر بقسمه فحج ودرس **الكتاب** بمصر والبصرة مدة ، ومرض في طريق رجوعه ، فمات في بجاية بالمغرب الاوسط عام 580 .

ومن ابرز تلاميذ الامامين الزقاق وابن طاهر :

ابو الحسن بن خروف ، علي بن محمد الحضرمي، وهو اندلسي الاصل قرا **كتاب سيبويه** بفاس واشبيلية ومراكش وغيرها ، ووضع عليه شرحا عجيبا سماه **تنائيج الالباب في شرح غوامض الكتاب** ، وله رسائل عديدة في مناظرة كبار نحاة عصره .

وعمر بن عبد الله السلمي الاغماتي (اغمات . قريبة من مدينة مراكش) لم يصرفه منصب القضاء الذي أسند اليه في تلمسان وفاس واشبيلية عن تدريس **كتاب سيبويه** في هذه المدن كلها ، الى ان ادركته الوفاة فجاة باشبيلية وهو بها قاض عام 603 .

وأبو القاسم بن الملجوم ، عبد الرحمن بن عيسى الازدي . واسرة ابن الملجوم من انبل اسر فاس ، تسلسل فيها العلم والجاه والثروة نحو عشرة قرون . وكانت لهم مكتبة من اعظم المكتبات الخاصة في الغرب الاسلامي . درس ابو القاسم على كبار نحاة عصره في المغرب والاندلس وناظر شيخه ابن طاهر في نحو الثلث من **كتاب سيبويه** . واقرا الكتاب مدة غير قصيرة في جامع القرويين الى ان توفي بفاس عام 604 .

والامام الشلوبين ، عمر بن محمد ، شيخ نحاة اشبيلية قبل ان ينتزعها المسيحيون من يد المسلمين . كان يدرس بها **كتاب سيبويه** ، وكتب عليه تعليقا مهما طارت شهرته شرقا وغربا .

ومن ابرز المتخرجين على يد الامام الشلوبين :

ابو محمد الانصاري ، عبد الله بن علي . وانتقل بعد سقوط اشبيلية في يد النصارى الى مدينة سبتة بالعدوة المغربية ، فاستوطنها ودرس بها **كتاب سيبويه** الى ان توفي عام 647 .

عاصر ابا محمد الانصاري في سبتة نحوي آخر شهير ، هو :

ابو الحسن الشاري ، علي بن محمد الغافقي ، كان الكتاب معتمدة قرب مرحلتي التعلم والتعليم ، وتوفي بعد الانصاري بعامين .

ومن ابرز الشخصيات النحوية في القرنين الهجريين السابع والثامن :

الامام الصدفي ، محمد بن يحيى العبدري ، اشهر المتخرجين على ابن خروف والقائم مقامه في تدريس **كتاب سيبويه** في القرويين بفاس ، توفي رحمه الله شهيدا في احدى المعارك ضد المسيحيين مجبل الفتح المعروف اليوم بجبل طارق عام 651 .

وابو حيان الجياني ، امير المومنين في النحو . كان ملتزما الا يقرىء غير **كتاب سيبويه** ، او **تسهيل ابن مالك** للذين لم يتأهلوا بعد لخوض غمار الكتاب . وكان ابو حيان سلفيا معجبا بآراء ابن تيمية ، فشد الرحلة اليه من الاندلس ، واقام معه مدة في دمشق ، الى ان خطا ابن تيمية سيبويه وكذبه ، فكان ذلك سبب اعراض ابي حيان عنه وذهابه مغاضبا الى القاهرة . حيث ادركته الوفاة عام 745 .

ومن اشهر السيبويهيين المغاربة في القرون المتاخرة :

ابو زيد المكودي ، عبد الرحمن بن صالح ، امام النحاة في عصره ، ومؤلف الشرح الشهير على **الفية ابن مالك** . كان صاحب كرسي **كتاب سيبويه** في القرويين الى أن توفي بفاس عام 807 .

وابو عبد الله البعقيلي ، محمد بن ابراهيم ، من قرية آيت الطالب في السوس الاقصى بجنوب المغرب ، كان يستظهر **كتاب سيبويه** ويدرسه لنجباء طلبة البادية عقودا عديدة من السنين . وكانت وفاته عام 976 .

وابو العباس الدلائي ، احمد الحارثي بن محمد ابن ابي بكر ، تخصص من بين قومه العلماء في تدريس **كتاب سيبويه** بزاويتهم الدلائية في جبال الاطلس المتوسط بالمغرب ، الى ان توفي عام 1051 .

وابو عبد الله الدرعي ، محمد ابن ناصر ، عاش في قرية تامكيروت بصحراء المغرب يدرس **كتاب سيبويه** و **تسهيل ابن مالك**، الى ان لقي ربه عام 1085.

وبعد فان **كتاب سيبويه** ظل محط عناية النحاة المغاربة والاندلسيين منذ حمله اليهم تلاميذ سيبويه فدرسوه وشرحوه واستدركوا عليه وانتقدوا بعض مسائله ، ودافعوا من ينتقصه بغير حق . وما زالت كلية اللغة العربية بمراكش التابعة لجامعة القرويين حتى اليوم تضع **كتاب سيبويه** في طليعة المواد التي يدرسها طلبة الدراسات العليا بها .

الرباط : محمد حجي

دوكاستري وتاريخ المغرب

للأستاذ عبد القادر الخلادي

– 2 –

ينتمي ذو كاستري الى اسرة فرنسية عريقة ، من تلك الاسر النبيلة ذات التقاليد الاصيلة والمبادىء الخلقية الثابتة . وكان شعار افرادها « مخلص لملكي وللشرف » . وكاستري اسم حصن من حصون عصور الاقطاعية ، قائم في نواحي منبلي .

عرف كثير من ابناء هذه الاسرة في الميادين العسكرية والسياسية ، والجدير بالذكر ان اغلب الضباط الذين تولوا قيادة الجيوش الفرنسية ، عهد الاغارات الاولى على الاراضي الجزائرية، كانوا يحملون اسماء منسوبة الى حصون او ضياع اقطاعية ، عرف اصحابها منذ القديم بالضغط والاعنات على الطبقة الشعبية، الشيء الذي ادى الى اندلاع الثورة الفرنسية الكبرى عام 1789 .

ان اكثر الضباط الذين عاصروا ذو كاستري بالجزائر ، تخرجوا من المدرسة العسكرية « سان سير » وكانوا من المتخصصين لتسيير « المكاتب العربية » (Les bureaux arabes) التي شرع في تعميمها بمختلف المناطق الجزائرية حوالي النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ، ومن المؤهلين لدراسة البيئة الاجتماعية ومكوناتها، بالاضافة الى القيام بالمهام الاستعمارية « السلمية » وبالتخطيط للغزو الفكري والثقافي والصليبي .

وخلافا لما عرف عن الافواج الاولى من الضباط الفرنسيين من تنافس ، بل من تحاسد وركون ، في بعض الاحيان ، الى الدسائس ، قصد الحصول على الجاه والرتب العالية والاموال والاقطاعات على حساب « العرب » ، فان الضباط الذين تخرجوا من « سان سير » كانوا ، في غالب الاحيان ، يتقنون سياسة « الابتسامات » و « الابوية الحاضنة » على الرعايا المسلمين ، ويعملون متعاونين في ابحاثهم ، متساندين في تحقيق مشاريعهم ، مستغلين لصالح بلادهم ما يمتاز به كل منهم من مواهب وتخصصات ، وما يصل اليه من نتائج في مختلف المجالات .

لما عين ذو كاستري ضابطا بالجزائر ، سنة 1873 م واسند اليه الاشراف على الاراضي الصحراوية المتاخمة للحدود المغربية ، وقيادة كوكبة من الفرسان المسلمين المجندين بالجيش الفرنسي ، لم يلبث ان اصبح يشعر بنوع من الخيلاء لما بيده من سلطة واسعة ، ويشعر ، في نفس الوقت ، برغبة وثابة في دراسة بيئة تلك المناطق المترامية الاطراف ،

---

(1) ذو كاستر او ذو كاستري ؟ اخترت ، في القسم الاول من هذا البحث (دعوة الحق مارس 1974) الصيغة الاولى حيث اني كنت سمعتها مرارا من افواه رجال اعتقد انهم من « المحققين » ولكني تحققت الآن ان الصيغة الثانية هي الصحيحة لاني رأيت على الاجزاء الاولى من مجموعة « المصادر غير المنشورة » طابعا باللغة العربية بداخله « عبد ربه الباري ، هنري ذو كاستري وبدائرته : « ان الحق اذا قام دفع الباطل » وهذا الشعار هوالذي ختم به مكتوبا بالعربية ، المقدمة التي وضعه للمجموعة التاريخية .
وبالاضافة الى هذا فان اسم « ذو كاستري » ورد في القاموس المدرسي الفرنسي « لاروس » متبوعا بـ Tries لاثبات ان النطق به هو « ذو كاستري » .

واكتساب عطف سكانها ، ومعرفة مشاكلهم البشرية ، وما يملا قلوبهم من عواطف وغرائز ، وما هم عليه من عادات وتقاليد .

وهكذا بدأ يتعلم العربية ويتصل بالسكان ، وحتى بالعمال المغاربة الذين كانوا ياتون من جنوب المغرب للقيام باعمال موسمية ، فيجالسهم في خيامهم البسيطة ومنتدياتهم الشعبية ويساعدهم ، عند الحاجة ، بالقوت والمال ، منتهزا تلك الفرص ليسألهم عن القبائل التي ينتمون اليها ، والتي مروا بها خلال حلهم وترحالهم حتى امتلأ « وطابه » بالمعلومات عن المسالك ، وعما يشاهده سالكوها من سهول وجبال ووديان وانهار ، وعما يسمعونه من اخبار وافكار وآراء الخ .. بحيث كان يستفيد من تلك «السمعيات» ليضع خرائط لمناطق مغربية لم يطاها قدماه وتبين ، فيما بعد ، انها مطابقة ، في خطوطها العريضة ، لما يرى في تلك المناطق من معالم ومشاهد .

فانه رسم خرائط مبنية على مشاهداته الخاصة مثل تلك التي تتعلق بالناحية « الفجيجية » (1882) وخرائط مبنية على « السمعيات » مثل تلك خصصها لوادي درعة (1880) والتي استفاد منها كثيرا شارل ذو فوكو (سنة 1883) يوم اقدم على القيام برحلته المشهورة عبر المغرب (2) .

لا شك ان اهتمامه بوضع خرائط لنواح مغربية كان ناتجا عما كان يدبر اذ ذاك بالعواصم الاوربية وخاصة بفرنسا من « مكر » للملكة المغربية في شان الحدود وهو « تدبير » اتخذ عدة اوجه واستغلت وسائل مختلفة من مؤتمرات ، وحملات صحفية واستطلاعات جاسوسية الخ ... (3)

دفع تحمس «ذو كاستري» للنظريات الفرنسية الى التصريح ، سنة 1879 ، بان «المغرب جزء ضروري لاكتمال الامبراطورية الفرنسية بالشمال الافريقي» ، الا ان تصريحه هذا لم يرض ، يومئذ ، مسيري السياسة الاستعمارية الفرنسية الذين كانوا يفضلون العمل في طي السرية والكتمان ، سيما وان فرنسا كانت اذ ذاك تمهد سبيل « الحماية » على تونس ، وان «ازمة» المغرب كانت في تلك الفترة الحرجة بيد الملك اليقظ ، مولاي الحسن الاول ، الذي « لم يدل جهدا في تمهيد البلاد ، وتطمين العباد وتدارك الخلل .. وبعث السفارات للدول العظمى لفصل القضايا .. (4) .

مكث ذو كاستري ، اثر ذلك التصريح في «زاوية الاهمال » ولكن اهتمامه بالمسائل المغربية لم يخمد ولم يفتر ، ولذا توجهت اليه ، من جديد ، انظار رؤسائه فاختاروه ، سنة 1887 ليضع خريطة (5) للمملكة المغربية من شانها ان تيسر حل مشكلة الحدود . وليذهب بنفسه الى مراكش ليعرضها على الملك مولاي الحسن .

وهكذا تيسر له اثناء عودته من مراكش نحو الدار البيضاء ، صحبة قافلة تسير سيرا وئيدا ، ان يسجل معالم طريقه في خريطة ، يقال ، ان الجنود الفرنسية التي نزلت بالشاوية ، بعد ذلك بنحو العشرين عاما ، قد استفادت منها كثيرا ، وهي متوجهة نحو عاصمة الجنوب قصد احتلالها .

تزوج ذو كاستري ، سنة 1880 ، بارملة الكونت دونيبار ، بنت الجنرال لورسيار ذلك الضابط السامي الذي كان اشتهر في الجزائر بتنظيمه المحكم « لتقنية » الغزوات الوحشية على المداشر والقرى البريئة والذي قال عنه المؤرخ شارل اندري جليان : « ان لورسيار سيبقى ، من بين جميع اكابر ضباط الجيش الافريقي ، مضرب الامثال للانسانية في مظاهرها (6) وكان من الممكن له ان يستغل تلك المصاهرة والاقتران ببنت ذلك القائد الذي كان استسلم له الامير عبد القادر ، ليثبت نفوذه في

---

(2) سجل اعتراف ذو فوكو بذلك ، في تقرير الجلسات الدراسية التي نظمتها « الجمعية الجغرافية » Société de géographie سنة 1884 (ص 374)

(3) وردت بعض التفاصيل المتعلقة بهذه القضية في الجزء الرابع من كتاب « المغرب واوربا » للاستاذ ميـاج . Le Maroc et l'Europe par J.L. MiègeParis 1963

(4) الاتحاف ج 2 ص 508 .

(5) حاول ذو كاستري ، في عهد الحماية ، ان يعرف مصير تلك الخريطة ولكنه لم يجد لها اثرا في «المحفوظات» وقال عنها ، حسب رواية سينيفال « انها عبارة عن لوحة كبيرة مزخرفة بالالوان زخرفة تتلاءم والذوق الشرقي ، مثلت فيها مواقع المدن بصور دقيقة وكتبت اسماؤها بخط عربي جميل » .

(6) Histoire de l'Algérie contemporaine t 3 p. 316 et 318

الاوساط العسكرية بالجزائر ، الا انه لم تمر الا اسابيع قليلة بعد عودته من المغرب ، وهو في السابع والثلاثين من عمره ، حتى استقال ليقيم في فرنسا ، تارة في مسقط راسه بالانجو Anjou حيث انتخب عضوا في المجلس الاستشاري العام لمقاطعة « مان ولو ر » وتارة بباريس شارع الباك .

هناك بدا يسجل مذكراته وانطباعاته عن جنوب عمالة وهران ، وهناك الف كتابه « الاسلام : خواطر وسوانح » الذي تكلمنا عنه في المقال السابق .

اجل فان اهتمامه بمصالح اسرته ، ومصالح ابناء مقاطعته لم ينسه ميدان نشاطه القديم ، اذ لم يبرح جاعلا منه موضوعا لتفكيره ومخصصا قسطا وافرا من اوقاته ليكاتب بعض من ترك بالجزائر من اصدقاء ، ولتاليف مقالات وابحاث خاصة بالمغرب الاقصى 7) والمشاركة في جلسات الجمعيات المهتمة بالقضايا الشرقية والاستعمارية كجمعية الجغرافية ، والجمعية الاسيوية والاتحاد الاستعماري وجمعية المغرب Comité du Maroc الذي كان هو احد مؤسسيه ومن المواظبين على حضور جلساته ، الشيء الذي ادى به الى التفكير في وضع تاريخ عام للمغرب الاقصى ، فبدا اذ ذاك يقدر ما اكتسبه عن هذه المملكة من معلومات اثناء تجولاته بالجزائر والمغرب ، ومن خلال مطالعاته لما ترجم الى اللغة الفرنسية من الكتب العربية ، واتصالاته برجال ، اكثرهم مسلمون ، عرفوا بسعة الآفاق وغزارة المعارف ، ثم اخذ اثر ذلك ، يفكر في كتابة تاريخ المملكة المغربية . وحيث اقتنع ان اغلب الوثائق العربية الاصلية اندثرت او اصبح من الصعب الحصول عليها ، وان كتب التاريخ المغربي ، المؤلفة بالعربية لا تخلو من ثغرات ومن شوائب الجهل والنزعات المغرضة ، فانه جعل هدفه البحث عن الوثائق الموجودة في المظان الاوربية ليستخلص ما يساعده على انجاز ما كانت تصبو اليه نفسه ، اي تحرير كتاب عن تاريخ المغرب الاقصى ، يضم المعلومات الضرورية عن الموارد السياسية ومحاولاته الاقتصادية واحواله الاجتماعية .

استفتح ابحاثه بالتنقيب عما بالخزانات ودور المحفوظات الفرنسية من رسائل ومواثيق وتقارير ورحلات الخ .. واتاح له قيامه بمهام رسمية انتدب لها ، الاطلاع على ما كان بانجلترة وهولندا وبلجيكا والدانمارك واسبانيا والبرتغال من مثل تلك المستندات



دو كاستري يتحدث الى السلطان المولى عبد الحفيظ في عام 1912 بحديقة بوجلود بمدينة فاس

فجمع منها ما سمح له باخذه وباستنساخه وتصويره ، وطفق ينشرها .

اعرض عن الاعتناء بالوثائق الخاصة بالدول التي قبل الدولة السعدية وذلك نظرا لقلة عددها او لضآلة محتواها ، وقرر ان ينشر المصادر المتعلقة بالدولة السعدية والدولة العلوية وان يرتبها حسب مظان اصولها وحسب تسلسلها الزمني ، ان يخصص لكل بلاد اوربية مجموعة من الاجزاء تضم ما وجد بها من « مصادر » .

وهكذا اخرج الجزء الاول من « المصادر غير المنشورة » سنة 1905 اي قبيل انعقاد مؤتمر الجزيرة باشهر .

استهل ذلك الجزء بمقدمة بين فيها ما كان يتوخاه من نشر تلك الوثائق واوضح الطريقة التي سلكها في عمله ، وضمن ذلك الجزء الوثائق التي تخص الدولة السعدية والتي كان وجدها بالخزانات الفرنسية .

استحسن تلك المبادرة المهتمون بالتاريخ المغربي ، ونشرت المجلات المتخصصة مقالات التنويه بمجهود ذي كاستري والتنبيه كذلك ، على ما في الجزء المنشور من نقص وقلة الضبط ، ولذا اخذ ذو كاستري على نفسه ، وهو في متم العقد الخامس من عمره ، ان يدرس بمعهد شارط اساليب البحث عن الوثائق وطرق نقدها ، ثم استأنف بتجز ، باكثر دقة واوفر ضبط ، تحقيق ما تصل اليه يده من مستندات ، وكذا ما يحصل عليه منها بواسطة مساعدين من ذوي الكفاية والولع بالبحث اختارهم هو للعمل بجانبه ،

(7) مثلا : قراصنة سلا (1903) — مولاي اسماعيل وجاك الثاني (1909) الخ .

او بواسطة بعض المشرفين على دور المحفوظات من الذين اعتبروا الاسهام في ذلك العمل تشريفا لهم، فتطوعوا لاثراء رصيده التاريخي برضى واخلاص ، بحيث لم تأت سنة 1912 ، وهي السنة التى ابرم فيها عقد « الحماية » حتى كان نشر خمسة اجزاء من « المجموعة » ثلاثة من المحفوظات الفرنسية . واثنين من المحفوظات الهولندية ، ولما مات سنة 1927 كان قد نشر خمسة عشر جزءا ، وكون طائفة من البحاثة الاكفاء ، عرف كيف يحبب اليهم — الاستمرار في انجاز مشروعه سيما وانه قد توفرت له ولهم ، مع مرور السنين ، الظروف الملائمة لاقتفاء اثره وتحقيق تلك الفكرة التى ما فتئت تملأ قلبه وتقوي عزمه ، وهي ان ييسر الباحثين المشتغلين بتاريخ المغرب الوصول الى تلك المستندات المبعثرة في مختلف المظان الاوربية ، والتي من شانها ان تساعدهم على توسيع نطاق البحث التاريخي ، وضبط اسباب بعض ما وقع بالمغرب ، منذ عهد الدولة السعدية ، من احداث ومن تطورات في المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

لم يكتف ذو كاستري بالبحث عن الوثائق في اوربا بل ما انفك يتمنى من صميم قلبه ان تتاح له فرصة العودة الى المغرب ليرى راي العين ما بقي به من آثار برتغالية او اسبانية وليطلع على ما قد تصل اليه يده مما بالخزانات الخاصة من رسائل ديوانية وعقود تجارية او ظهائر توجيهية الخ . .

اسعفه الحظ لتحقيق رغبته اذ لم يكد يجف المداد الذى كتب به عقد الحماية حتى كاتبه الجنرال ليوطي الذى كان صادفه وهو يزور مع زوجته مناطق الجنوب الوهراني ، سنة 1907 ، تلك السنة التى اغار فيها الجيش الفرنسي على مدينة وجدة ، كاتبه عندما عين مقيما عاما للمغرب ، وطلب منه ان يلتحق به ليعينه بخبرته الواسعة على تادية مهمته .

شد ذو كاستري الرحلة ، وعند وصوله الى طنجة صادف بمرساها المركب الذى كان يقل المقيم العام الجديد ، فابحر معه وهكذا نزل رفقته بالدار البيضاء في 3 ماي 1907 ، وصاحبه في خفرة كوكبة من الفرسان الى فاس فوصلوا اليها جميعا في الرابع والعشرين من نفس الشهر .

قدمه المقيم الجديد للسلطان المولى عبد الحفيظ فأحسن استقباله ودارت بينهما ، خلال هذه الزيارة ، محادثة طويلة حول ماضي المغرب وحول مظان الوثائق التاريخية الرسمية .

كانت هذه المقابلة بحضور الصدر محمد المقري ، والظاهر انها هي التى يسرت له ، فيما بعد ، الاتصال ببعض العلماء المهتمين بالتاريخ واوحت للمقيم العام تعيينه في 11 يوليوز 1914 مستشارا مكلفا بشؤون التاريخ وبتأسيس مصلحة المحفوظات الا ان اندلاع نيران الحرب الكبرى الاولى الهاه عن نشاطه السلمي الى ما بعد عودته من ساحات الوغى سنة 1917 وكان بلغ السابعة والستين من عمره ، فشرع في تنمية رصيد مصلحة المحفوظات، واسهم في فتح معهد الدروس العليا وتأسيس الخزانة العامة سنة 1919 اي قبل بناء العمارة الحالية التى لم تفتح ابوابها الا سنة 1924 .

وفي 19 شتنبر من سنة 1919 صدر مرسوم وزاري احدث بمقتضاه في باريس القسم المغربي للتاريخ (Section historique du Maroc à Paris) تلبية ذو كاستري الذى جعل منه مستودعا للوثائق والمؤلفات الخاصة بالمغرب، وميدانا لنشاطه الدائب في التحقيق والتصنيف ، واعداد الرحلات والبعثات وتنسيق ثمراتها .

مات ذو كاستري سنة 1927 وكان قد نشر خمسة عشر جزءا من مجموعة « المصادر » وعدة دراسات ومقالات بالاضافة الى ما كان يقدمه للمؤتمرات واللقاءات من تقارير ووجادات .

نالت «مجموعته» شهرة جد واسعة محفوفة بالتقدير والاكبار، وتيسر استئنافها بصورة منتظمة، بعد موته ، وذلك بفضل ما كان يخصصه المغرب للقسم التاريخي المذكور من اعتمادات ، وبفضل من خلفه من رجال كرسوا جهودهم لتادية المهمة التى اسندت اليهم بنفس الجدية التى اتسم بها هو ، وبنفس الاخلاص الذى كان يهيمن على اعماله .

ظهرت الى اليوم من المجموعة « مصادر تاريخ المغرب غير المنشورة » حوالي الثلاثين جزءا ، وسنتكلم عنها بتفصيل في المرة المقبلة ان شاء الله .

الرباط — عبد القادر الخلادي

من اعلام العصر العلوي الثاني :

التاودي بن سودة

للدكتور محمد الأخضر

ابو عبد الله محمد التاودي بن الطالب بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن ابي القاسم بن محمد بن ابي القاسم ابن سودة المري الفاسي ، من اكبر العلماء الذين انجبتهم مدينة فاس بل والمغرب عموما . استحق لقب شيخ الجماعة بورعه وتبحره في العلوم ، ولقب ملحق الاحفاد بالاجداد بكثرة ما احتوت عليه فهرسته من الاعلام، اذ فيها شيوخه الذين اخذ عنهم، ومن اشهرهم محمد بن احمد ابن جلون (2) ، واحمد بن علي الوجاري ، وعلي بن احمد الشدادي، واحمد بن المبارك السجلماسي الذى كان عمدته في رواية الحديث ، ومحمد بن الحسين الكندوز (3) ، ويعيش بن الرغاي الشاوي الفاسي (4) ، ومحمد بن

---

(1) ترجم له :

ا – ل. بروفنسال ، شرفاء ، ص. 332 – 334 . وذكر بعض مراجع ترجمته .

ب – ك. بروكلمان ، ملحق ، 2 : 98 و 689 و 961 (29) .

ج – ع. كنون ، النبوغ ، 1 : 293 – 294 ، 2 : 258 – 259 .

د – ع. الكتاني ، فهرس الفهارس ، 1 : 185 – 190 ، وذكر بعض مراجع ترجمته .

ه – الشيخ الامير المصري ، فهرست .

و – الحافظ الزبيدي ، الفية السند .

ز – س. الحوات، الروضة المقصودة .

ح – ع. ابن ابراهيم ، الاعلام ، 5 : 134 – 140 .

ط – ع. المشرفي ، الحسام المشرفي ، ص. 324 – 327 .

ي – ع. ابن سودة ، دليل ، 1 : 81 و 89 و 101 و 191 و 202 ، 2 : 296 و 321 ، و 465 ، وذكر بعض مراجع ترجمته.

ك – الطالب ابن الحاج ، تأليف في ترجمته .

ل – س. الحوات ، ثمرة أنسي .

م – م. الزبادي ، سلوك الطريق الوارية ، ورقة 126 .

ن – الشيخ مخلوف ، شجرة النور الزكية .

ص – ا. التميشي ، تاريخ الشعر ، ص. 84.

ع – م. الحجوي ، الفكر السامي ، 4 : 127 ، رقم 801 .

(2) عالم فاسي كان يعيش اوائل القرن 18 . انظر ل. بروفنسال ، شرفاء ، ص 332 ، هامش 5 .

(3) تقدمت تراجمهم جميعا .

(4) انظر ل. بروفنسال ، شرفاء ، ص 333 ، هامش 3 ، وقد ذكر بعض مراجع ترجمته .

احمد التمـاق ، ومحمد بن قاسم جسـوس (5) . وسلك التاودي ابن سودة طريـق القـوم على يـد الشيخ الشهير احمد بن محمد الصقلي (6) .

وتخرج على يد الشيخ التاودي عدد عديد من الطلبة ، نذكر منهم ولده احمـد (7) ، ومحمـد بن الحسن الجنوي (8) ، ومحمد بن علي الورزازي (9)، واحمد الملوي ، والطيب ابن كيران (15) ، وادريس العراقي (11) ، ويحيى الشفشاوني (12) ، ومحمد بن عمرو الزرويلي (13) ، وحمدون بن الحاج (14)، وسليمان الحوات (15) ، ومحمد الرحموني (16).

ولقي التاودي ابن سودة في رحلته الى الحجاز عام 1191 = 77 — 1778 ، جماعة من الاوليـاء والصالحين ، والعلماء المشهورين ، امثـال الشيـخ السمان (17) ، والشيخ مرتضى الزبيدي (18) ، والقى دروسا في كل من المدينة المنورة والقاهرة .

ولابن سودة مؤلفات كثيرة يمكن تصنيفها كما يـلـي :

أ ـ في التراجم والمناقب والانساب

1 ـ الفهرست (19) .

2 ـ ترجمة الشيخ احمد بن محمد الصقلـي الحسيني (20) .

3 ـ نسب العراقيين الحسينيين القاطنيـن بفـاس (21) .

4 ـ مناقب الصالحين (22) .

ب ـ في الحديـث

1 ـ زاد المجد الساري في مطالع البخاري(23)

2 ـ شرح الاربعين النووية (24)

---

(5) تقدمت ترجمتهما .

(6) تقدمت كذلك ترجمته .

ولابن سودة شيوخ آخرون مشهورون ، مثل محمد بن عبد السلام بناني ، واحمد ابن عبد الله الغربي الرباطي ، (انظر ع. الكتاني ، فهرس الفهارس ، 1 : 187) والمعطي بن الصالح الشرقي.

(7) انظر ل. بروفنسال ، شرفاء ، ص. 201 ، رقم 5 ، وذكر بعض مراجع ترجمته .

(8) انظر ع. ابن زيدان ، اتحاف ، 4 : 135 — 140 ، م. داود ، تاريخ تطوان ، 3 : 99 — 101.

(9) انظر م. داود ، مختصر تاريخ تطوان ، ص. 297 .

(10) ستاتي ترجمتـه .

(11) تقدمت ترجمتـه .

(12) انظر ل. بروفنسال ، شرفاء ، ص 147 ، هامش 4 ، وذكر بعض مراجع ترجمته .

(13) المصدر السابق ، ص. 202 ، هامش 1 ، وذكر بعض مراجع ترجمته .

(14) ستاتي ترجمتـه .

(15) انظر ل. بروفنسال ، شرفاء ، ص 336 — 340 ، وما ذكر من مراجع ترجمته .

(16) ستاتي ترجمته

(17) انظر ع. الكتاني ، فهرس الفهارس ، 1 : 187 — 190 .

(18) تقدمت ترجمتـه .

(19) مخطوطات عدد 725 د و 952 د ، و 3251 ك .

(20) انظر ع. ابن سودة ، دليل ، 1 : 202 .

(21) المصدر السابق ، 1 : 89 .

(22) انظر ل. بروفنسال ، شرفاء ، ص 334 ، هامش 1 (8) ، ع. ابن ابراهيم ، الاعلام 5 : 13 و 136 .

(23) طبع على الحجر بفاس عام 1327 = 1909 . وتوجد منه مخطوطات عدد 561 ر 816 ر 817 د ، 1881 و 1949 ك .

(24) انظر ع. كنون ، النبوغ ، 1 : 294 .

3 ـ شرح مشارق الانوار للصغاني (25)

ج ـ في الفقـــه :

1 ـ طالع الاماني على شرح الزرقاني (26) .

2 ـ شرح تحفة ابن عاصم (27) .

3 ـ شرح لامية الزقاق (28) .

4 ـ شرح الجامع لخليل ، بعنوان : اتحاف الناظر والسامع بشرح مسائل الجامع(29)

5 ـ تحفة الاخوان بفوات الثنيا بطول الزمان (30) .

6 ـ مناسك الحج (31) .

7 ـ نــوازل (32) .

8 ـ ما تم وضعه فتم نفعه (33) .

9 ـ ما اشرف على التمام وما صد عنه عائق الحمام (34) .

10 ـ الحسام المسنون في نصرة اهل السر المكنون .

د ـ متنوعـــات (35) .

اشتهر الشيخ التــاودي بورعــه وزهــده ، وتعظيمه البالغ للصالحيــن والاشراف ، وبخاصــة المولى عبد السلام بن مشيش الذي زار قبره ، على ما يقال ، ستين مرة ، انشد في آخرها ، وهو اذ ذاك شيخ فان ، الابيات التالية :

اتيتكم شيخا وكهـلا وناشئـا
وفي كلها ارجو نوالكـم الجمــا

فها انا قد خيمتــها بفنائــكم
على وهن ، والضعف في بدني عما

فلا ترجعوني دون فيض بحاركم
ولا تحرموني من مواهبك العظمى (36)

لم يكن الشيخ التاودي في الحقيقة شاعرا، فلم يترك الا ابياتا متفرقة هنا وهناك ، قالهـا في مناسبـات مختلفة ، غير انها لا تخلو من اخلاص حق مؤثـر، وتكاد تتسم كلها بسمة التصوف ، من ذلك قوله :

مضى عمري والحين حان حقيقـة
وما زلت في بحر الهوى اتقلب

فوا اسفي اذ ضاع عمري سفاهة
وما لي في اوج السعادة مطلب (37)

تشتمل فهرست الشيخ التاودي على كبـرى ذكر فيها شيوخه وما نال منهم من اجازات ، وصغرى حوت اسماء وتراجم من لقي من الصالحين (38).

---

(25) مخطوط عدد 415 ك . والصغاني هو ابو الفضل حسن البغدادي (577 ـ 650 = 1181 ـ 1252)

(26) انظر ل. بروفنسـال ، شرفاء ، ص 334 ، هامش 1 ، ع ابن ابراهيم ، الاعلام ، 5 : 135 .

(27) طبعت مرارا ، ومن مخطوطاتها : 576 و 872 و 881 د ، و 849 ك .

(28) وضع علي بن عبد السلام التسولي (ت. 1258 = 1842) حاشية على هذا الشرح . مخطوط عدد 836 د. (انظر غلوش والركراكي ، فهرست المخطوطات ، ص 275 ، رقم 1438) .

(29) مخطوطان : 1643 د و 1170 ك .

(30) مخطوط عدد 1079 د .

(31) مخطوط عدد 2159 ك .

(32) مخطوط عدد 2259 ك .

(33) ورد ذكره عند ع. المشرفي في الحسام المشرفي .

(34) المصدر السابق .

(35) من بينها كناشات علمية مختلفة . (انظر ع.ابن سودة ، دليل ، 2 : 465) .

(36) ع. ابن ابرهيم ، الاعلام ، 5 : 136 .

(37) ا. النميشي، تاريخ الشعر ، ص. 84.

(38) انظر ع. الكتاني ، فهرس الفهارس ، 1 : 188 .

ومما قاله في الفهرست الكبرى :

« لما من الله على العبد بالرحلة لارض الحجاز، وظفر بزيارة الحرمين ، ونزل ارض مصر ، لقي من علمائها وفقهائها من يشار اليه بالنبل في العصر ، فطفحت نفوس طائفة لها بالعلم اعتناء ، وفي الاخذ عن مشايخ الغرب رغباء ، ان اقرا لهم من كتب الحديث ما تيسر ، وان كنت في الحقيقة على جناح سفر . فاجمع الامر على قراءة الموطأ بالجامع الازهر ، ولما افتتحناه وجرى في الدرس ذكر من اخذناه عنه او رويناه ، وقع ذلك من السامعين موقعاً، وكانهم يقولون لا نجد لهم سمعاً ولا مرجعاً . فطلبوا مني ان اقيد لهم سندي في ذلك ، وان اصل حبالهم ورابطتهم من جهتي بالامام مالك ، مع سند الصحيحين ، وذكر نبذة من مشايخي ممن شهد لي او اشتهر وعلم ... » (39) .

لهذا المقطع ، كما نرى ، اهمية خاصة بالنسبة لتاريخ العلوم الشرعية في نهاية القرن 12 = 18 (وهو تاريخ كتابة هذه الفهرست) ، اذ يبين مدى الاتقان الذي وصلت اليه دراسة الحديث بالمغرب خاصة ، وشمال افريقيا عامة ، بالنسبة للاقطار الاسلامية الاخرى بالمشرق (40) .

وكانت وفاة الشيخ التاودي بفاس يوم 29 ذي الحجة متم عام 1209 = 1795 ، وقد نيف على التسعين، حسب شهادة تلميذه سليمان الحوات(41). وبذلك نفترض ان ولادته كانت عام 1117 = 1705. ودفن بزاوية واقعة في زقاق البغل امام منزله .

وقد تمتع هذا الشيخ وابناؤه واحفاده بحظوة عظيمة لدى السلطان سيدي محمد بن عبد الله ، ثم لدى ولده وخلفه مولاي اليزيد ، فكانا يعظمونهم ويوسعونهم عطاء . ورغم ذلك كان الشيخ التاودي يظهر بسيطا صالحا ، مسارعا الى الخير رحيما ، وعطوفا حليما . كما تدل على ذلك القصة التالية :

في اخريات ايام الشيخ التاودي ابن سودة ، وقد اشتدت نحافة جسمه وظهرت عليه مخايل الموت ، انشد تلميذه سليمان الحوات في حقه :

قولوا لشيخكم ابن سودة انه
قرب الرحيل فهل له من زاد

عاش القرون وفاز من ايامه
بالمـال والاولاد والاحفاد

حتى اذا وفى الرياسة حقها
امسى الحمام لديه بالمرصاد

فلما أتاه الحوات ، جعل الشيخ يمسه بيده على ظهره ويقول له : « جزاك الله عنا خيرا . ذكرتنا يا بن الرسول » (42) .

احمد بن امحمد الفاسي (43)

(1799 – 1753 = 1213 – 1166)

ابو العباس احمد بن امحمد بن احمد بن امحمد بن عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي ، احد اعضاء

---

(39) ع. الكتاني ، فهرس الفهارس ، 1 : 188 .

(40) انظر م. الفاضل ابن عاشور ، الفقه بين المغرب وتونس ، مجلة المغرب ، عدد 6 – 7 ص 11 – 15 .

(41) س. الحوات ، ثمرة انسي ، حسب نقط ع . ابن ابرهيم ، الاعلام ، 5 : 139 ، وع. الكتاني ، فهرس الفهارس ، 1 : 187 .

(42) انظر ع. الكتاني ، فهرست الفهارس ، 1 : 187 .

(43) ترجم له :

أ – س. العلوي ، عناية ، ص. 78 .

ب – م. الفاسي ، الادب المغربي ، ص . 538 .

ج – م. الفاسي ، الرحالة المغاربة ، مجلة دعوة الحق ، السنة 2 ، عدد 4 ، يناير 1959 ، ص. 24 – 25 .

د – ع. الكتاني ، فهرست الفهارس ، 2 : 112 . (اثناء ترجمة الصدفي)

هـ – ع. ابن سودة ، دليل ، 2 : 349 .

الاسرة الفاسية الكبيرة التى انجبت العديد من العلماء المشهورين ، والادباء اللامعين . فهو ابن امحمد الفاسي المتقدم ، والاخ الاكبر لعبد الواحد، وابن اخي ابي مدين ، وحفيد الشيخين عبد القادر وابنه محمد ، وابن عم محمد المهدي ، وعمر ، ومحمد ابن عبد السلام ، ومحمد الطاهر (44) .

ولد ابو العباس بفاس عام 1166 = 1753 ، وحضر فى جامعة القرويين المجالس العلمية لاهله ، كابي حفص عمرو ، ومحمد بن عبد السلام الفاسيين. وحج الى مكة المكرمة عام 1211 = 1796، مارا فى طريقه بالجزائر وتونس وطرابلس ومصر ، ثم رجع الى المغرب فى السنة التالية بعد ان زار الحرمين الشريفين وسائر الاماكن المقدسة ، وادركته هو واخاه الوفاة بفاس بعد ذلك بستة ، بسبب الوباء المنتشر آنذاك بالمغرب عام 1213 = 1799 .

وقد كتب احمد الفاسي فى زيارته للمشرق رحلة لم تطبع بعد (45) ، تمتاز بوصف دقيق لجميع المراحل التى قطعها ، مع اشارات مهمة للعلماء والادباء فى مختلف البلاد التى زارها . وفى المقتطفات التى اخترناه من رحلة احمد الفاسي ، نراه بعد ان وصف عيد فيضان النيل بمصر ، حيث صادفه عند وصوله للقاهرة ، يذكر ولوع اهل المشرق بشرب القهوة وولوع اهل المغرب بشرب الشاي فيقول :

« بخلاف مغربنا فى هذا الاوان ، فانه عمت به البلوى او كادت ان تعم بشرب أتاي ، وهو باغلى ثمن فى الغالب ، وقد جعل الناس كلهم يتكلفونه ، ولا يخلو مجلس منه ، ولا اكرام ولا غير ذلك بدونه، وفيه من السرف ما لا يخفى » (46) .

وحضر يوما مجلسا علميا بالازهر ، فراى طالبا اخذ (حق طباقو) للتنفيحة من احد رفاقه، وبعد ان شمه افرغه فى كراسة ، ورد له الحق خاويا ، فتضاحك الطلبة بمحضر الشيخ ، وقال : « لا حول ولا قوة الا بالله » (47) .

ولما خرج الركب من القاهرة ، مرض رجل سوسي ، فاوصى بماله لاحد رفاقه ، وله ورثة بالمغرب . فلما توفي ، اخذ شيخ الركب المصري المال الذى تركه ذلك الشخص ، فعلق على ذلك صاحب الرحلة بقوله : « فانظر ، ايها الاخ ، هذه القضية ، وهل يصدر مثل هذا بمغربيا ، فحاشا وكلا » (48) .

تحتوي رحلة احمد الفاسي على وصف مفصل لاقطار الشرق الاوسط ومدنه فى بداية القرن الثالث عشر = 19 ، كمصر والحجاز ، وشمال افريقيا كطرابلس وتونس والجزائر . وقد اطلع المؤلف فى طرابلس على نسخة فريدة من صحيح البخاري بخط ابن الحسن علي الصدفي (ت. 508 = 1114)، وقد اشتراها صاحبها من اسطمبول ، فقال عند ذلك علماؤها « قد اخليت اسطمبول » .

ان وصف هذا المخطوط القيم ، والذى سبق ان قام به ايضا الرحالة محمد بن عبد السلام الناصري (49) ، لجدير ان يذكر بعضه هنا ، نظرا لقيمة المخطوط من جهة ، وللتفاصيل الدقيقة التي لاحظها المؤلف وسجلها :

« وقفت بمحروسة طرابلس على نسخة من البخاري فى سفر واحد ، فى نحو من ستة عشر كراسة ، وفى كل ورقة خمسون سطرا من كل جهة، وكلها مكتوبة بالسواد ، لا حمرة بها اصلا . وهي مبتدئة بما نصه :

---

(44) تقدمت تراجم اكثر هؤلاء العلماء الفاسيين ، وستاتي تراجم من لم يترجم منهم بعد .

(45) يعتزم م. الفاسي طبع هذه الرحلة فى سلسلة الرحلات الحجازية التى يقوم بنشرها . وتوجد منها علاوة على المخطوطات المحفوظة بمكتبات المغرب ، مخطوطات اخرى بالخارج ، كمكتبة احمد تيمور باشا ، ومكتبة بلدية الاسكندرية ،
(انظر م. الفاسي ، دعوة الحق ، السنة 2 ، عدد 4 ، ص 24) .

(46) المصدر السابق ، ص 24 — 25 .

(47) نفس المصدر ، ص 25 .

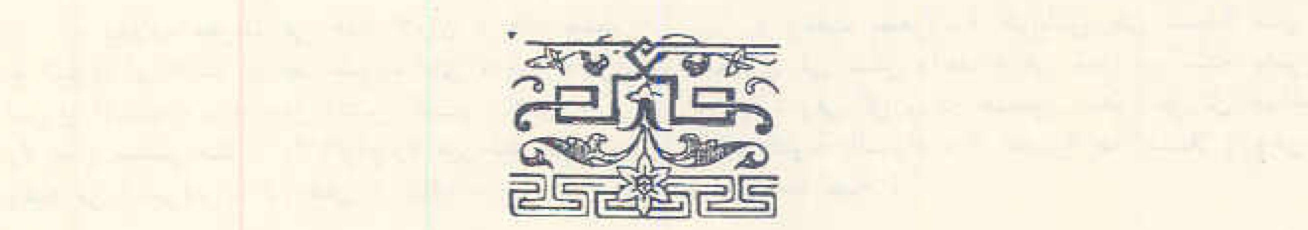
(48) نفس المصدر فى نفس الصفحة .

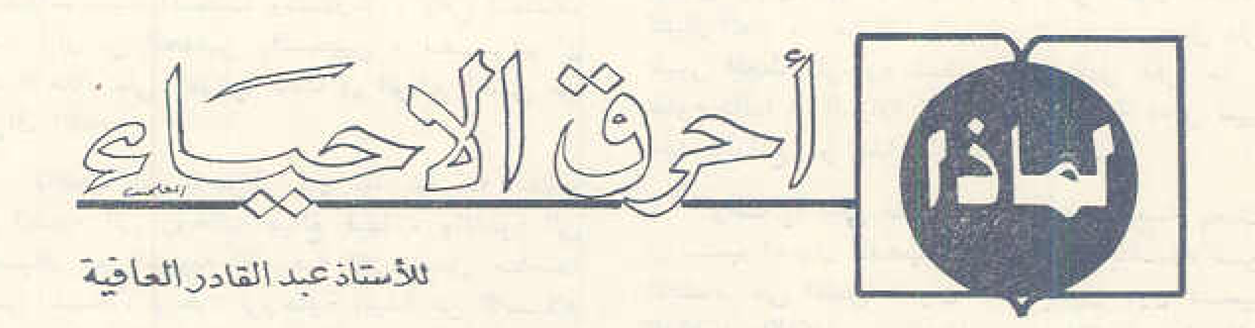
(49) ستاتي ترجمته .

باسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا (محمد) نبيه ، كيف كان بدء الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعند تمام كل حديث صورة اهـ. ولا نقط بها الا ما قل . وبآخرها عند التمام ما صورته : آخر الجامع الصحيح الذى صنفه ابو عبد الله البخاري رحمه الله . والحمد لله على ما من به ، واياه اسأل ان ينفع به ، وكتبه حسين بن محمد الصدفي ، من نسخة بخط محمد بن علي بن محمود، مقروة على ابي ذر ـ رحمه الله ـ وعليها خطه . وكان الفراغ من نسخه يوم الجمعة 21 محرم عام ثمانية وخمسمائة . والحمد لله كثيرا كما هو اهله ، وصلواته على (محمد) نبيه ورسوله صلى الله عليه وسلم كثيرا اثيرا . وعلى ظهرها : كتاب الجامع الصحيح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته واياه ، تصنيف ابي عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري رضي الله عنه ، رواية ابي عبد الله محمد بن يوسف القربري عنه رحمه الله لحسين بن محمد الصدقي ... وعليها اجازة الصدفي للقاضي عياض في جملة الفقهاء بسماعهم له فى المسجد الجامع بمرسية ..» (50). يضاف الى دقة وصف الاقطار والاشياء التى رآها الرحالة الفاسي ، بساطة الاسلوب ووضوح اللغة . وبذلك يكون المؤلف قد جعل من فن الرحلة الذى كان قد انحط منذ قرنين سابقين ، فنا حيا وشيقا، قريبا جدا من المفهوم الحالي لادب القصة .

الرباط : د. محمد الاخضر

(50) انظر ع. الكتاني ، فهرس الفهارس ، 2 : 112 ـ 13 .





قرأت مقال الأخ الاستاذ الدكتور عباس الجراري الذى نشر فى العدد الاخير من مجلة دعـوة الحـق الغراء وهو بحث القاه الاستاذ بمناسبة افتتاح السنة الجامعية لسنة 73 ـ 74 . تحت عنوان : « التيار الفقهي المرابطي ومدى تاثيره على الفكر والادب » .

وفى هذا البحث القيم تعرض الاستاذ الجراري لنقد التهم التي وجهت للمرابطين ، والصقت بهم ، وخاصة من بعض الحاقدين عليهم قديما وحديثا .. وكانت حجة معقولة ومنطقية فى غالب الاحيـان ، الا انه عندما حاول ان يعلل احراق كتـاب الاحيـاء للغزالي على عهد علي بن يوسف بن تاشفين لم يستطع ان ياتي بحجج مقنعة بل هنا استعمل الاستاذ الالفاظ التى يستعملها عادة اعداء المرابطين بالرغم من انـه نصب نفسـه المدافع عن المرابطين ! فبعد ما استعرض الاسباب والعلل التى رآها سببا فى ارتكاب عمليـة الاحراق يقول : « ويبدو انهم فى هذه المرحلة كونـوا بيروقراطية كهنوتية خصت نفسـهـا وبعـض الولاة الموالين لها بجميع امتيازات الاستثمار والسيطرة ، وكان ذلك سببا من اسباب انهيار هذه الدولة ..»(1) ويبدو لي ان الاستاذ الجراري شده امـام اللهـب والدخان المتصاعد من اوراق الاحياء وهي تحترق ، والذلك لم يحاول البحث جيـدا عن اسبـاب هـذا الاحراق .. مع انه لو رجع الى ظروف هذا الاحراق والى محاولة معرفة الاثر الذى خلفه كتاب الاحياء فى معاصريه او فيما بعد معاصريه ، لو تمعن فى ذلك لما فاته السبب الذى من اجله حكم على كتاب الاحياء بالاحراق .

فالدافع الى الاحـراق لم يكن بيروقراطيـة كهنوتية كما توهم الاخ الاستاذ بل الدافع الى ذلك هو اعمق من ان نحكم عليه فى بضع كلمات : تجمع بين بيروقراطية وكهنـوت وامتيـاز واستثمـار وسيطرة ...

ان الحكم على الكتاب ينبغي ان يرجع فيه الى ما بين المدرستين : المدرسة السلفيـة والمدرسـة الصوفية وما بينهما من خلاف فى وجهات النظر .. وكيف نظرت المدرسة السلفية الى كتاب الاحياء فى ذلك الوقت ..؟ بالرغم من ان الغزالي سني اشعري شافعي .. وله مواقف مشهورة فى الدفاع عن المذهب السني ضد الباطنية ، والمذاهب الشيعية المتطرفة ، وضد الآراء الفلسفية المتهافتة فى نظره ..

واذا كان الاحراق يمثل عملا تعصبيا ومزاجـا حادا .. فان الحكم الذى حكم به شيخ الاسلام ابن تيمية ، وابن القيم ، والمازري ، وغيرهم على كتاب الاحياء هو فى نظري اقسى من الاحراق ، بالرغم من

---

(1) دعوة الحق العددان الرابع والخامس ـ السنة السادسة عشرة ـ مارس 1974 ص 124 .

ان عملية الاحراق هي عملية مثيرة لها لهب ودخان ، لكن وصم الغزالي بالجهل، والعناد، والبعد عن روح الدين الحق .. يبقى في نظري افظع من الاحراق ، ويكفي ان ترجع الى كتاب الاخلاق عند الغزالي للدكتور زكي مبارك الذى جمع الكثير من هذه الانتقادات مبينا اصحابها ومصادرها.. وهي انتقادات علماء كبار من المحدثين والسلفيين ، لتعرف ان تلك الاحكام على الغزالي كانت فى الواقع اقسى من احراق الكتاب .

فاللجوء الى الاحراق كان لما يتضمنه الكتاب من الدعوة الى روحانية مبالغ فيها ، والدعوة الى الانسياق مع الغيبوبة الصوفية التى تجعل صاحبها ينسى نفسه ، وينقاد لروحانية بعيدة عن الاسلام الصحيح فى نظر المنتقدين للغزالي من ائمة الحديث والسلفية ..

فالمنتقدون يرون ان تلك الميوعة الروحية ينبغي الا تسود بين الجمهور ، ولذلك كان من الواجب ان يحذر الجمهور من الكتاب الذي تناقض بعض تعاليمه وتوجيهاته روح الشرع الاسلامي فى مسايرته للواقع الانساني ، تلك الروح التى تحافظ دائما على الموازنة بين الروح والمادة فلا هذه تطغى ولا تلك .. وحفاظا على هذه الموازنة ، واشفاقا من ان تفقد .. كانت عملية الاحراق ، وهي شبيهة اليوم بعملية مصادرة كتاب تراه الدولة مضرا بمصالحها ، وهذا يقع فى عصرنا الحاضر وفى غير عصرنا .. فالاتحاد السوفياتي مثلا يمنع عددا من الكتب ان تدخل الى بلاده ، ونرى فى كثير من الدول ان الكتاب الفلاني ممنوع ، بل الادهى من ذلك ما تعمد اليه بعض المنظمات كالصهيونية مثلا للعمل على اتلاف الكتاب من جذوره لا مطاردته فى مكان ما فقط .

فهذا يقع فى عصرنا الحاضر ولا احد منا يسم دولة الاتحاد السوفياتي مثلا بالجمود الفكري وبالكهنوتية ..! وانت تعلم كم لهذا النظام فى هذا الميدان من مواقف سواء مع الكتاب ، او الكتاب ...!

وما يقال عن هذ النظام يقال عن الانظمة المقابلة له ... وفى الايام الاخيرة طلعت علينا الصحف وهي تحمل نبا احراق الاعداد الهائلة من الكتب الاشتراكية فى ساحات عمومية بالارجنتين !! هذا ونحن على قاب قوسين اودنى من نهاية القرن العشرين !!.

مع العلم ان كثيرا من الدول لها اهداف محددة لا تقبل دخول بعض النظريات المخالفة ، او التي تحدث البلبلة فى الافكار ، او التى تكون مخالفة للتيار العام .. فالافكار التى من شانها ان تعمل على تغيير الخط المرسوم للمضي فى تحقيق فكرة ما ، تقاوم دائما ..؟! واذا كانت هناك مثالية تدعو لغير هذا فالواقع هو هذا كان ولا يزال ..

وانت يا اخي قدمت بنفسك فى مقدمة بحثك ان سبب اختيار المذهب المالكي هو ما يتضمنه من الاعتماد على النص ، وان ذلك يحول دون تشعب المذاهب والافكار .. فلماذا تنسى ذلك ؟ وهل كان من المعقول ان تقبل الدعوة الاصلاحية الجديدة كل ما يرد عليها من انحرافات خطيرة ؟! .

واذا كانت الدعوة المرابطية قد اتسعت لاحتضان المحدثين والمفسرين والرياضيين والفلاسفة .. ثم الادباء والشعراء والكتاب .. حسبما هو معلوم وحسبما اثبته انت بنفسك ، اذا كان ذلك كذلك .. فلما تضيق هذه الدعوة ذرعا بكتاب الاحياء ، وبالاحياء وحده دون غيره ؟! وهنا يجب ان نضع علامة استفهام كبيرة ، لماذا الاحياء بالذات دون سائر ضروب المعرفة الاخرى ؟.. وكلما كان الجواب عن هذا السؤال دقيقا كلما كان اقرب الى الصحة .

وهنا ينبغي ان نقول : لعل تلك الضروب من المعرفة التى عرفتها دولة المرابطين ، على سعتها وتشعبها كانت لا تشكل اي خطر على الاتجاه العام للدعوة المرابطية ، لان تلك الضروب من المعرفة يتقبلها الناس على انها ثقافة انسانية من الواجب معرفتها ، وتفهمها .. لكن الافكار التى يحملها الاحياء هي ليست من هذا القبيل ، بل هي دعوة الى تصوف من نوع خاص ، ولقداحصيت على الغزالي مسائل كثيرة رآها منتقدوه مخالفة لصميم الدين .. فى حين ان الغزالي يسمي كتابه « احياء علوم الدين » فهو ليس كتاب فلسفة ، ولا كتاب نظريات قابلة للاخذ والرد فى نظر صاحبها (1) بل هو شيء من صميم الدين ، واحياء له ..! ومن هنا كانت خطورة كتاب

---

(1) كانت حملة الغزالي شديدة على منتقديه فى كتابه « الاملاء فى اشكالات الاحياء » حيث رمى ناقديه بالغباوة والحسد والكذب .. وكان مندفعا فى ذلك اندفاعا كبيرا .

الاحياء على ما يبدو، فهو ليس نظرية فلسفية.. بل هو يرى ان الدين الحق هو ما فهمه هو، وفهمه المتصوفة امثال الغزالي ..

ومن هنا يكون خطر كتاب « احياء علوم الدين » للغزالي على الاتجاه المعتدل الذي انتهجته الدولة في قضايا الدين بل يكون خطره شديدا لما يحمله من بعض افكار شاذة تحمس لها صاحبها وجعلها من الدين باسلوب مشوق مغر ... فكان من الواجب على ذوي الغيرة على الاتجاه القويم الذي سلكوه في شأن الدين، كان من الواجب في نظرهم ان يعملوا على مصادرة هذا الكتاب.

ومهما يكن من امر هذه المصادرة والحكم عليها فهي عملية كانت ولا تزال ولن تزال .. فلماذا نعيبها على المرابطين وحدهم من دون العالمين ..؟! ولعل الرقابة على ما يكتب ويطبع وينشر هي موجودة حاليا في معظم دول العالم ان لم نقل في جميعها..!

واذا كانت عملية الاحراق عملية مثيرة ولافتة فهي لا تخرج عن كونها مصادرة .. وهذه مصادرة كانت واجبة في نظر الساهرين على الدعوة الجديدة خوفا عليها من ان يشوبها ما يشينها ... وسنرى انه عندما فتح الباب على مصراعيه كيف اصبح المغرب زاوية كبيرة من اقصاه الى اقصاه، وهذا ما كانت تخشاه الدعوة المرابطية ..

ولعل هذا ما يفسر تشبث الدعوة المرابطية بالمذهب المالكي المعتمد على النصوص والمتشبث بالعقيدة السلفية القويمة، ولعل هذا ايضا هو ما فهمته انت بنفسك، عندما حاولت تبرير اتخاذ المذهب المالكي مذهبا رسميا للدولة ..

اما جعل عملية الاحراق من اسباب الانهيار، او من بوادر الضعف الذي يصاحب الانهيار فهذا بعيد كل البعد ولعله يذكر بما نقله المتصوفة من دعاء الغزالي على دولة المرابطين حينما وصله خبر احراق الاحياء، حيث قال: « اللهم مزق ملكهم كما مزقوا كتابي هذا » ولست ادري لماذا لم يقل: اللهم احرق ملكهم ..؟! وهذه حكاية خيالية بدون شك، ولكننا بالاسف نرى ان ايحاءاتها لا تزال عالقة بالاذهان، ولذلك كان لها علاقة بأواخر عهد المرابطين كما اشرت الى ذلك ..!؟

اخي اعجبني والله تحرجك عندما حاولت الكلام في موضوع الاحراق « للاحياء » ولكنك بدلا من ان تعزز تحرجك بالتحفظ اسرعت فحكمت، بل اعطيت رايك الذى ختمت به الكلام عن هذا الموضوع، ولا شك ان رايك هذا يثير نقاشا طويلا.

وانا في محاولتي هذه لست اقصد الا الشيء واحد وهو التنبيه الى خطورة البث في هذه القضية بالذات نظرا للضجة الكبيرة والمفتعلة التى تحيط بهذه الحادثة وبغيرها من الاحداث التى سجلت على دولة المرابطين المجاهدة في سبيل الوحدة العقائدية والسياسية.

هذا، ويبدو لي ان قضية الاحراق شوشت عليك كثيرا، ولم تدر كيف تدافع فيها عن المرابطين، مع ان بحثك كله يتركز على فكرة دحض التهم التي الصقت بالمرابطين، ولذلك عندما رايت ان هذه القضية لا تحتمل دفاعا حكمت بقسوة، وجعلت البيروقراطية والكهنوتية .. اسبابا لذلك، والحقيقة يا اخي لم تكن هناك بيروقراطية ولا كهنوتية لكن كان هناك مبدأ، وقضية الحفاظ على هذا المبدأ من ان يشاب ويلوث، وكانت هناك دعوة جديدة تعمل على الحفاظ على التوازن بين الروح والجسد، ذلك التوازن الذي هو من صميم شريعة الاسلام، ومن اجل ذلك كانت محاربة « البرغواطية » والميوعة في جميع مظاهرها .. وهذا هو الاتجاه الذى روعيت المحافظة عليه في عملية احراق الاحياء واذا كان الغزالي يحمل تلك اللافتة الضخمة – سني اشعري شافعي مدافع عن المذهب السني .. – فان هذه اللافتة لم تصرف الحاكمين على الكتاب من تفحص مضمون الكتاب، والتعرف على ما فيه من افكار خطيرة على الدعوة التى حملت رايتها دولة المرابطين.

ونحن اليوم لبعدنا عن القضية زمنيا لا ندرك مقدار الخطر الذى تصوره اولئك من انتشار افكار الاحياء على مجتمع موحد – بفتح الحاء – سني جاد يعمل للذب عن الزيغ اينما كان وكيفما كان ..

وفي الختام اعود فاقول ان بحثك قيم ومركز وهذه هي الفجوة الوحيدة التى ارجوك ان تعيد البحث فيها حتى يبقى دفاعك عن الحقيقة التى حاولت الدفاع عنها دفاعا موضوعيا، ومنهجيا، ولاخوتك اصدق شكري والسلام.

شفشاون – عبد القادر العافية



الأوضاع السياسية والاجتماعية والفكرية في عصره .

للأستاذ محمد العلمي حمدان

- 5 -

الزهـــد :

رغم اتصال هذا الغرض بالغرض الديني السابق ، فان ارتباطه بنفس قائله وعواطفه كاختيار ارتآه صاحبه لحياته تلك التى حاولت قطع كل اتصال لها بالشهوات بعد ان خمدت فيه فورة الحياة واصبح منقادا لها عن ضعف جسمي بعد ان كان يقاومها بعنف الشباب وهكذا يأتي هذا الاتجاه عند ابن المرحل بعد ان اصبح يحس اواخر ايامه وبعد ان تجمعت عليه العلل ، فنجد له قصائد الخوف من المصير الرهيب والاسى الذى يغمره بعد احساسه بنهاية المطاف وذلك ما تترجمه هذه الابيات التى يقول فيها :

بـأي دواء ام بـأي طبيـب
بدواي عذار من بياض مشيـب؟

بياض كما لاحت كواكب سحرة
تريك طلوعا مؤذنا بغـروب

وهول هذا الواقع يسيطر عليه ويعتبره نهاية تستدعي ان يطلب من ابنه البكاء عليه وعلى غروره بدنياه التى لم يتزود فيها بما يطمعه فى النجاة .

بني ابك لي ان البكا يبعث البكا
وليس جوابي منك غير وجيب

بحارا ركبناها بغيـر سفائـن
غرورا فان نهلك فغير عجيب

ولعل تجربة قرن من حياة عاشها قد تركت خطوطها على حياته بمثل هذه السلبية الغريبة من رجل عاش بذخ القصور حين يردد :

بني الدهر ! اما الدهر فهو عدوكم
وان لاح يومـا فى ثيـاب حبيـب

الى قولـه :

بعيد من التوفيق من بات ساهـرا
رجاء بعيـد لا مخـاف قريـب

ولا يكتفي ، بل انه لا يجد غير البكاء على نفسه مخلصا له من الآمة فى انطوائية وتفكر وتأمل الفلاسفة او الزهاد السائلين عن جدوى الحياة ، وكان لسان حال كل الناس يعبر عن اساهم بمثل هذه الابيات :

جدير بأن يبكي على نفسه أسى
فتى كلما ترجى له توبة ترجا

جبان عن التقوى جريء على الهوى
قريب من المهوى بعيد عن الملجـا

جرى فى مجال اللهو ملء عنانه
الى الآن ما القى لجاما ولا سرجا

جنى ما جنى واستسهل الامر فى الصبا
فلما نهاه الشيب عن فعله لجا (1)

ابيات صادقة من نفس تحاسب نفسها بعد غفلة وتقف عند دقائق الافعال وخفاياها تبرزها فى صنعة صارخة متجلية فى هذا التقابل وهذا الجناس والطباق الذى لا يخلو منه بيت فى كلمات الاسى والرجا والهوى والمهوى والقريب والبعيد والجبان والجريء والابصار والبصائر وبرتني وبراءة وبلاكم وابلاكم ، مؤكدا بذلك شاعريته القوية فى ضعفه الانساني بعد شيخوخته .

ومن زهديات شاعرنا كذلك هذه المقطوعة التى يذكر فيها بالموت والحساب مندهشا من غفلة الانسان بقوله يخاطبه :

تنام وهذا الدهر اما مصبح
بجيش الردى يوما واما مبيت

تفوت بذكر الله تقو فانه
حقيق بأن يقوى الذى يتقوت

تنافس فى غير النفيس سفاهة
فقدك هوى ان السفاهة تمقت

وهو فى كل هذه المقطعات يلتقي بابي العتاهية فى روحه الزهدية حين يردد :

ابت طرفات كل قرير عين
بها الا اضطرابا وانقلابا

كأن محاسن الدنيا سراب
وأي يد تناولت السرابا

فيا عجبا تموت وانت تبني
وتتخذ المصانع والقبابا

الم تر ان كل صباح يوم
يزيدك من منيتك اقترابا

وفى حديثه عن الدنيا وغرورها :

ولقد اقام لي المشيب نعاته
يفضي الي بمفرق وقذال

واذا تناسبت الرجال فما ارى
نسبا يقاس بصالح الاعمال

كما يذكرنا بابي نواس فى لحظات توبته التى كانت تنتابه اواخر ايامه حين يردد امثال هذه التأملات :

افنيت عمرك والذنوب تزيد
والكاتب المحصي عليك شهيد

كم قلت لست بعائد فى تورة
ونذرت فيها ثم صرت تعود

حتى متى لا ترعوى عن لذة
وحسابها يوم الحساب تعود

وكانني وقد اتتك منية
لا شك ان سبيلها مورود

وقوله يخاطب نفسه :

يا نفس خاف الله واتئدي
واسعي لنفسك سعي متئد

منتك نفسك ان تتوب غدا
او ما تخاف الموت دون غد

ما حجتي يوم الحساب اذا
شهدت علي بما جنت يدي

النسيب :

قد يكون مما يثير الاستغراب ان يصدر من ابن المرحل الفقيه المتدين الزاهد شعر فى الغزل ، ولكن لم لا ؟ اليس ابن المرحل ككل انسان يكره ويحب ! الم يقل الشاعر :

ان عشقنا فعذرنا ان فى وجهنا نظر !؟

ورغم ذلك فان مقطوعات شاعرنا فى النسيب تنم عن انسانية فى غير فحش او افراط ، وتصدر فى عبارات لا تخرج به عن وقاره الذى اشتهر به ، مما يدل على شجاعة فيه وجراة ، وهو الفقيه القاضي المربي من ان يتحدث فى مثل هذا الفرض ، ومما يدل من جهة اخرى على غلو نقادنا الذين عمموا اتهام الفقهاء بالتعصب والتطرف فى الدين لحد الرجعية

(1) الذخيرة السنية ص 108 – 109 والنبوع ج 3 ص 809 .

وكمثال على عفة غزله ونقاء عباراته ، رائيته المشهورة التى يقول فيها :

طاف الخيال بوادينا فما زارا
الا وواقع سرب النوم قد طارا

لا ذنب للنوم بل للعين تدفعه
بل للحشا بل لمن حشا الحشا نارا

لا آخذ الله احبابي بما صنعوا
ان الحبيب لمحبوب وان جارا

وما اجمل الصدق فى تشريح النفس وتعريتها، اذ لم يمنعه وقاره من عرض نفسه على حقيقتها او تمثلها كما تكون فى مثل هذا الحال حين يحكيها على شكل قصة كما هو حاله فى المقطوعة الغنائية التالية :

تملكتم عقلي وطرفي ومسمعي
وروحي واحشائي وكلي باجمعي

وتيهتموني فى بديع جمالكم
فلم ادر فى بحر الهوى اين موضعي

واوصيتموني لا ابوح بسركم
فباح بما اخفي تفيض ادمعي

فلما فنى صبري وقل تجلدي
وفارقني نومي وحرمت مضجعي

شكوت لقاضي الحب قلت احبتي
جفوني وقالوا انت فى الحب مدع

وعندي شهود بالصبابة والاسى
يزكون دعواي اذا جئت ادعي

سهادي وشوقي واكتآبي ولوعتي
ووجدي وسقمي واصفراري وادمعي

ومن عجب اني احن اليهم
واسأل شوقا عنهم وهم معي

وتبكي دما عيني وهم فى سوادها
ويشكو النوى قلبي وهم بين اضلعي

ولكن هذا الصدق لا يمنعه من توشيح شعره حتى ليظهر فيه نوع من التصنع وما هو بتصنع ولكنه الطبع الغالب فى الرجل يلح عليه فاستمع اليه متغزلا فى هذه المقطوعة لتلاحظ ذلك :

يا راحلين ولي فى قربهم امل
لو اغنت الحيلتان القول والعمل

سرتم وسار اشتياقي بعدكم املا
من دونه السائران الشعر والمثل

وظل يعذلني فى حبكم نفر
لا كانت المحنتان الحب والعذل

عطفا علينا ولا تبغوا بنا بدلا
فما استوى التابعان العطف والبدل

مذ ذقت فضلكم فضلا فلا وابي
ما طاب لي الاحمران الخمر والعسل

وقد هرمت اسى من هجركم وجوى
وشب مني اثنان الحرص والامل

غدرتم او مللتم يا ذوي ثقتي
لبيست الخصلتان الغدر والملل (2)

وثقافة الشاعر اللغوية لا تخفى من خلال الابيات فى عدم استواء الجمع بين العطف والبدل وفى هذا الازدواج بين القول والعمل والشعر والمثل والحب والعذل والخمر والعسل ؛ وشاعرنا لا يتوان فى استغلال ثقافته البلاغية فى صناعة الكلام واللعب بالجمل والتقابل والتطابق حينا بعد حين كما هو الشان في هذه المقطوعة الغزلية التى تمتزج فيها الصنعة بهذا المنطق المقنع :

لم يكن الحب وصلا كله
لم تكن غايته الا الملل

او يكون الحب هجرا كله
لم تكن غايته الا الاجل

انما الوصل كمثل الماء لا
يستطاب الماء الا بالعلل

(2) جذوة الاقتباس ص 224

ومن شعره في هذا الموضوع قوله في قصيدة من عروض الدوبيت المجزوء وهو من اختراعه :

الصب الى الجمال مائل
والحب لصدقه دلائل

والدمع لسائلي جواب
ان روجع سائل بسائل

والحسن على القلوب وال
والقلب الى الحبيب وائل

لو ساعد من احب سعد
ما حال عن الحبيب حائل

يا عاذلي اليك عني
لا تقرب ساحتي العواذل

ذا نازل كمثل ظبي
يشقى بلحظه المنازل

ما بين جفون حسام
مخارقه له حمائل (3)

الى جانب هذا له مقطوعات في مواضع مختلفة في الطبيعة والوصف والحكم في اوزان خفيفة رشيقة قصيرة غالبا ما تلحن للغناء فأشعاره سارت حديث الناس في المحافل ومادة للمغنين في شتى المناسبات والافراح كما ذكر ذلك ابن الخطيب يرددها المتذوقون

ففي الوصف نجد له ابياتا في وصف الليل تدل على مساجلات ادبية كانت تنشأ عن لقاءاته بالادباء والشعراء في مناسبات مختلفة في امسيات كهذه التي يقول فيها :

وعشية سبق الصباح عشاءها
قصرا فما امسيت حتى اسفرا

مسكية لبست حلى ذهبية
وجلا تبسمها نقابا احمرا

وكان شهب الرجم بعض حليها
عثرت به من سرعة فتكسرا (4)

كما يصف نهرا في نزهة جمعته بقربه مع هذا الصنف من الاصدقاء بقوله :

والارض قد ضربت بمرهف نهرها
صفحا واتقى في المكان فصاحا

فاسمع الى غربيه في حصبائه
كالقين جر على العداة سلاحا (5)

وفي طائر القماري الذي كثيرا ما كان يصادفه في منتزهاته يستغل مطالع الجاهليين فيقول :

رب ربع وقفت فيه وعهد
لم اجاوزه والركائب تسري

اسال الدار وهي قفر خلاء
عن حبيب قد حلها منذ دهر

حيث لا مسعد على الوجه الا
عين حر تجود او ساق حر (6)

قيمة شعره :

ان المتمعن في شعر ابن المرحل على العموم لا يفتا يلمس آثار الشعراء الاسلاميين عبر مختلف عصورهم في الاشطار المتشابهة في معانيها او الاحالات التي ترمز اليها او الاوزان الواضحة التي تذكر بها ، وذلك لا يدل على تقليد بقدر ما يدل على آفاق الرجل الواسعة وثقافته الكبيرة ، وقد وصف تلميذه القاضي ابن عبد الملك المراكشي سهولة نظم وجريان ذلك على لسانه فقال : كان مكثرا من النظم مجيدا مستغرقا لفكره في قرضه ، لا يغيب عنه ليلا ولا نهارا ؛ شاهدت ذلك واخبرني انه لا يقدر على صرفه من خاطره واخلاء باله من الخوض فيه ، واشتهر نظمه وذاع وكلفت به العامة والخاصة وصار راسمال المستمعين والمغنين (7) وقال عنه ابن الخطيب

(3) النبوغ المغربي ج 3 ص 725 .
(4) رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة للشريف الغرناطي ص 55 .
(5) رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة للشريف الغرناطي ص 90 .
(6) رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة للشريف الغرناطي ص 49 .
(7) مطبوعات كلية الآداب بالرباط سنة 1964 .

السلماني : شاعر المغرب واديب صقعه الجامع بين سهولة اللفظ وسلامة المغنى واجادة التوليد وسلامة القريحة واحكام الاختراع وانقياد القريحة واسترسال الطبع والنفاذ فى الاغراض (8) اما كتاب الادب المغربي فيعده خير من يمثل هذا الادب بعد ميمون الخطابي فى منتصف القرن السابع الى نهايته (9) .

وعل اعمال النظر فى هذه الاحكام كـــاف لاستخلاص الحكم على اسلوبه الشعري وعلى شاعريته فسهولة النظم وجريانه على لسانه كافية للدلالة على قدرته ومهارته فى هذا الميدان وحكم تلميذه ابن عبدالملك يجعلنا نحس ان الرجل وجد ليكون شاعرا لا لطبقة معينة لشدة وضوحه وسيلانه لدرجة ان يكلف به الناس ويغني شعره المغنون .

اما راي ابن الخطيب فلا يحتاج الى تعليق اذ يكفي ان يكون صاحب الحكم هو ابن الخطيب لمعرفة قدرة ابن المرحل على التنوع والتلاعب والتوليـد والاختراع والنفاذ فى الاغراض ، ونختم كلامنــا فى الموضوع بما جاء لكتاب الادب المغربي حين حديثه عن الادب فى العصـــر المرينـــي اذ يقـول نقــلا عـن كتاب الموجـــز لحنـــا فاخـــوري ص 152 : « ويكفـي ان فى هـــذا العصـــر نبـــغ ذلـــك الشاعر الذى يحق ان يقال عنه : انه شاعر المغرب الاكبر ونعني به مالك بن المرحل الذى طبقت شهرته العالم العربي والذى لم يسع ابن خلدون الا ان يعترف بشاعريته على ما علم من تحفظه الشديد (10) .

واذا كان اثر الشرق فى شعر ابن المرحل لا مجال لنكرانه لان الاقليمية فى ميدان الادب لم تكن نشات بعـد حتى يفـرق بيـن نوعيـن من الادب ، فاثر البلاد التى تلقفت جسمه حين ولادته بالاندلس والتى احتضنته بالمغرب لا يخفى فى شتـى مظاهـر حياته وثقافته وصنعته ووظيفته .

لقد وهبت الطبيعة الفاتنة الاندلس والمغـرب جمالا قل نظيره تجلى فى بساتين جمعت من كل زوج بهيج ، وامتازت بقصورها ومنشآتها المختلفة التى تفنن المهرة من صناعها فى نقشها ونحتها وترصيـع حيطانها وارضها بفاخر الزليج والفسيفساء والرخام على مختلف الوانه واشكاله ، وبقببها ونافوراتها التى تلهب الحس وتخطف الابصار ، وبانـواع الثقافـات الادبية والفنية العربية منها والاسبانية ، فاشتهرت بكل جميل فى الموسيقى والاذواق الرقيقة فى اللباس والحدائق ومجالس الانس والشراب التى يؤنـس ورادها غزلات رشيقـات متفننـات فى استقبـال الضيوف والعناية بهم ، افلا يحـق لكل هـذا ان يؤثر فى شاعرنا ؟ وكيـف لا وقد عاش بيـن هـذا الجمال المتنوع بقصور المرينيين .

لقد تاثر ابن المرحل بكثير من مظاهر هذه البيئة فجاء ذلك الانسان المرغوب فيه لما امتاز به من ادب وظرف لا يستغنى عنه فى مجالس الانس والغناء التى تقدم فيها روائع شعره الغناء والسهر والتنكيت فى نوادي الادب ولياليها وقصور الامراء والرفقاء كما سنرى والهمه هذا الجمال وهذا المحيط الى جانب ما اشتهر به من مقطعـات غنائيـة فى موضوعـات الطبيعة والوصف والغزل التى تتعاطف مع النفس الهمته ذلك الفن الذى اختص به الاندلسيـــون من الموشحات .

الموشحـــات :

هذا فن اختصت به الاندلس رغم ما قد يقال من كلام فى انتسابه الى الشام او العراق او مصر ، وكان بالاولى ان يشاركها فى ذلك المغرب بصفتهما عاشا تحت لواء سياسي واحد ايام المرابطين والموحدين وتبادلا الهجرات منذ الفتح العربي للاندلس

ولكننا للاسف لا نجد كثيـرا يذكر فى هـذا الباب للمغاربة ، والكلام فى هذا الموضـوع كثيـر ، واذا كان ما لا يذكر كله لا يترك جله فيجب ان تشير الى ان ظاهرة انعدام اي تسجيـل للموشحـات المغربية او ذكر لها فى مختلف كتب تاريخ الادب ، هي تتمة لاتجاه عدائي شامل لمختلف اوجه الثقافة واجهه المغرب وبالخصوص بعد حادثة سجن المعتمد ابن عباد والتهم التى الصقـت على يـد المؤرخيـن والمستشرقين ، كقضية احراق الكتب ، واتهـام يوسف ابن تاشفين بالخشونة ، وعدم تذوق الشعر حين امتنع من الصفح عن المعتـمد ، والاحتفـاظ

(8) مطبوعات كلية الآداب بالرباط نقلا عن الاحاطة المخطوطة .
(9) الادب المغربي للاستاذين بن تاويت وعفيفي ص221 .
(10) الادب المغربي للاستاذين بن تاويت وعفيفي ص220 .

برسالة ابي الوليد الشقندي فى اظهار فضل الاندلس على المغرب دون رسالة ابن المعلم فى فضل المغرب على الاندلس ، وحتى نجد صاحب النفح يسجل موشحات المغاربة دون انينسبها لاصحابها خلاف ما يفعله مع موشحات الاندلسيين ، واذا اضفنا اهمال تسجيلها باعتبارها عملا لا يبلغ مرتبة الاعمال الادبية المحترمة كما صرح بذلك عبد الواحد المراكشي فى كتابه المعجب معتذرا عن ذلك ، فقد ادى ذلك الى ضياع كثير من اعمال الادباء المغاربة فى فن التوشيح وغيره ، ومن ذلك نجد ابن المرحل يذكر من جملة الوشاحين فى كتاب توشيح التوشيح للصفدي دون ان يذكر له موشحة واحدة ، ولكن هذا لم يمنعنا من اثبات احدى موشحاته كانت فى عداد المخمسات حسبما جاء فى النفح وكما سجلها الاستاذ كنون فى مجموعته الذكريات وهي فى المدح النبوي وفيها يقول :

ميم ملائكة الاله تسلم
فوجا عليه اذا بدا وتعظم
ويمر جبريل بها يتقدم

فيضاعف التعظيم والتكريما
صلوا عليه وسلموا تسليما

نون نبي جاءنا ببيان
وبمعجزات ابرزت لعيان
ويحسبه ان جاء بالقرآن

يشفي قلوبا تشتكي وجسوما
صلوا عليه وسلموا تسليما

لام لاجلك فاض دمعي جدولا
فاخضر آس اساك اذ يبس الكلا
يا خير من كلأ المكارم والعلا

وحمى الحمى ورمى فاعمى الروما
صلوا عليه وسلموا تسليما (11)

وهي موشحة طويلة تجمع حروف المعجم كلها ، وكل ما سبق يؤكد ان ابن المرحل كان وشاحا كبيرا ولكن انتاجاته فى هذا الموضوع ضاعت بدورها كما ضاع ديوان شعره للاسباب التى سبق الحديث عنها .

جانب الطرافة فى ابن المرحل وشعره :

وهو يتجلى فى نكته الادبية والشعرية التى يقول ابن الخطيب عنها : كانت له قوة العارضة فى ميدان المداعبة والمجانة المؤيد ذلك بخفة الروح وذكاء الطبع وحرارة النادرة (12)، من ذلك ما يروي صاحب النفح يقول : مر الدباغ (ابو عبد الله الدباغ المالقي المتطبب) علينا يوما بفاس ، فدعاه الشيخ فلباه فقال حدثنا بحديث اللطافة فقال نعم . حدثني ابو زكرياء ابن السراج الكاتب السجلماسي ان ابا اسحاق التلمساني وصهره اصطحبا فى مسير فآواهما الليل الى مجشر فسالا عن صاحبه فدلا ، فاستضافا فاضافهما فبسط قطيفة بيضاء ثم عطف عليها بخبز ولبن وقال لهما استعملا من هذه اللطافة حتى يحضر عشاؤكما وانصرف ، فتحاورا فى اسم اللطافة لاي شيء منهما حتى ناما ، فلم يرع ابا اسحاق الا مالك يوقظه ويقول قد وجدت اللطافة ، قال كيف ، قال: ابعدت فى طلبها بما لم يمر قط على مسمع هذا البدوي فضلا عن ان يراه ، ثم رجعت القهقرى حتى وقعت على قول النابغة :

بمخضب رخص البنان كانه
عنم يكاد من اللطافة يعقد

فسنح لبالي انه وجد اللطافة وعليها مكتوب بالخط الرقيق ، اللين ، فجعل احدى النقطتين لطاء فصارت اللطافة : اللظافة ، واللين : اللبن ، وان كان قد صحف عنم بغنم ، وظن ان يعقد جبن، فقد قوى عنده الوهم ، فقال ابو اسحاق : ما خرجت عن صوابه ، فلما جاء سالاه ، فاخبر انها اللبن واستشهد بالبيت كما قال مالك (13) .

ومن طرائفه وظرفه قوله موريا وقد بلغ الثمانين .

يا ايها الشيخ الذى عمره
قد زاد عشرا بعد سبعينا

---

(11) انظر فى هذا الموضوع بالعدد 5 و 6 من دعوة الحق السنة 15 .
(12) محاضرة فى الادب المغربي من مطبوعات كلية الآداب بالرباط سنة 1964 نقلا عن الاحاطة المخطوطة
(13) نفح الطيب ج 7 ص 168 .

سكرت من اكواس خمر الصبا
فحدك الدهر ثمانينا

وخير ما يمثل دعابته قصيدته البديعة عن زواج له بامراة شوهاء على سبيل المجانة وبأبيات منها نختم هذه الحلقة يقول فيها:

الله اكبر في منار الجامع
من سبتة تأذين عبد خاشع

الحمد لله السلام عليكم
آمين لا تفتح الكل مخادع

ان النساء خدعنني ومكرن بي
وملأن من ذكر النساء مسامعي

حتى وقعت وما وقعت بجانب
لكن على راسي لامر واقع

فخطبن لي في بيت حسن قلن لي
وكذبن بل هو بيت قبح شائع

بكرا زعمن صغيرة في سنها
حسناء تسفر عن جمال بارع

خود لها شعر اثيث حالك
كالليل يجلو عن صباح ساطع

حوراء يرتاع الغزال اذا رنت
بجفون خشف في الخمائل راتع

انفاسها كالراح فض ختامها
من بعد ما ختمت بمسك رائع

ووصفن لي من حسنها وجمالها
ما البعض منه يقيم عذر الخالع

وتركنني يوما وعدن وقلن لي
خذ في البناء ولا تكن بمدافع

ولزمنني حتى انفصلت بموعد
بعد اليمين الى النهار الرابع

فنظرت في امر البناء معجلا
وصنعت عرسا يا لها من صانع

وطمعت ان تجلى وابصر وجهها
وتقر عيني بالهلال الطالع

فذكرن لي ان'بس عادة اهلها
جلو العروس وتلك خدعة خادع

وحملنني ليلا الى دار لها
في موضع عن كل خير شاسع

ودخلن بي للبيت واستجلسنني
فجلست كالمقرور يوم زعازع

فنظرت نحو خليلتي متاملا
فوجدتها محجوبة ببراقع

واتيتها واردت نزع خمارها
فغدت تدافعني بجد وازع

فوجاتها في صدرها ونزعته
وكشفت هامتها بغيض صارع

فوجدتها قرعاء تحسب انها
مقروعة في راسها بمقارع

حولاء تنظر قرنها في ساقها
فتخالها مبهوتة في الشارع

فطساء تحجو ان روثة انفها
قطعت فلا شلت يمين القاطع

صماء تدعى بالبريح وتارة
بالطبل او يوتى لها بمقامع

بكماء ان رامت كلاما صوتت
تصويت معزى نحو جدي راضع

عرجاء ان قامت تعالج مشيها
ابصرت مشية ضالع او خامع

فلقيتها وجعلت ابصق نحوها
وافر نحو دجا وغيث هامع

جيران اعدو في الزقاق كانني
لص احس بطالب او تابع

حتى اذا لاح الصباح وفتحوا
باب المدينة كنت اول كاسع (14)

فاس ـ محمد العلمي حمدان

---

(14) جذوة الاقتباس ص 225 ـ النبوغ ج 3 ص 914 .

قصيدة البردة الخالدة على مر الأيام..

ابدعها شاعر مغربي الأصل مصري المولد

للأستاذ محمد بن أحمد اشماعو

منذ ازيد من ستة قرون ابدع الشاعر البوصيري (محمد بن سعيد الصنهاجي) قصيدة رائعة خالدة فى مدح الذات النبوية الشريفة ، قصيدة نبعت من عاطفة صادقة ، طافحة بالاعجاب وبمحبة الرسول الكريم عليه السلام ، فجاءت آية فى الرقة والتماسك والبلاغة .

واذا كان كل شاعر يأخذ استعداده ويشحذ قريحته ليخرج انتاجه مصقولا ، عذبا متناغما مع عواطف واحاسيس سامعيه وقارئيه ، عسى أن يضمن له البقاء والخلود .. فان هذا الشاعر المادح الصادق ، خرج على الناس بقصيدة فريدة حق له أن يسميها (الدرة اليتيمية) ، سارت وتسير على الالسنة، الالسنة التي تستعذبها انشادا وترنما وتمثلا ...

ان لهذه القصيدة عديدا من المزايا : انها لم تبل، فما زالت رغم مرور ستين عقدا من السنين ويزيد تتلى وتنشد ويتمثل ببعض ابياتها تمثلا ، لا فى انحاء العالم العربى فقط ، بل وفى انحاء العالم الاسلامي ، ليس بلغتها العربية وحسب ، ولكن ايضا باللغات التي ترجمت اليها كالفارسية والتركية وغيرهما ... هذه مزية اولى ، ومزية ثانية هي ان وزن القصيدة يسع غالب (النوبات) الموسيقية الاندلسية انشادا وترنما، وهذا الانشاد والترنم لا يكونان فى حالة السرور والابتهاج وكفى ، وانما احوال الذكر والخشوع والابتهال ... وابعد من هذا ، ان القصيدة بنفس الاوزان والانغام تستعمل فى المناسبات الحزينة ، حيث تكون المآتم وتجهيزات الاموات ، وبذلك يكون انشاد هذه القصيدة عونا على مداراة الآلام ، وتخفيفا من الوطأة على المحزونين . مزية ثالثة وهي فريدة ، ذلك أن من المعهود أن يكون هناك فاصل بين أدب الخاصة وأدب العامة ، كل معتز بأدبه وشغوف ، حتى اذا حضرت قصيدة البردة وجدنا أن الاذواق تقاربت والاحاسيس تشابهت ، ولا يبقى تفاوت الا من ناحية تفهم سامي المعاني ، وأدراك دقيق المرامي .. الحقيقة انها ميزات لم تظفر بها قصيدة اخرى ، ولم يخلد بها اسم شاعر ، كما خلد اسم الشاعر البوصيري :

الشاعر البوصيري :

ينحدر الشاعر من أصل صنهاجي (1) ، فهو مغربي الاصل ، الا أن الولادة (سنة 1211 م) والنشأة فى أرض مصر ، فعبقرية الصحراء — على هذا — استقت بمياه النيل ، فجاءت الثمرة يانعة نافعة ، ويذكر أن العمر امتد بالشاعر الى نحو الخمس والثمانين سنة ، وهو عمر مديد ، عاشه الشاعر بكل أعبائه ومشاكله ، واعترى بشريته فيه ما يعترى كل انسان فنان شاعر ، رقيق الاحساس ، عاثر الحظ ،

1) الموسوعة الميسرة ص 436

ضيق الرزق ، لم تشفق عليه حتى قلوب اهالي الموتى الذين كان يتولى التخطيط على شواهد قبور موتاهم الاعزاء ... لكن الشاعر الأديب المتمكن ، المثابر الملحاح اللبق ، المتصف بحلاوة النكتة وبالظرافة في مجالس محبيه وانصاره ... الشديد المنيف في مواجهة حساده وخصومه.. تمكن من أن يتولى منصب، تسامت وترقت بتوالي الاعوام ، وتحمل ما تفرضه هذه المناصب من المتاعب والمصاعب (2) ، ولما لاحت اعباء السنين منهكة ، وتربصات المنافسين ومضايقاتهم متعبة ، فضل الشاعر الانسحاب الكريم ، لاجئا الى ميدان التصوف ، والوقوف على باب الرسول العظيم :

154 خدمته بمديح استقل به
ذنوب عمر مضى في الشعر والخدم

155 اذ تلداني ما تخشى عواقبه
كأنني بهما هدي من النعم

156 اطعت غي الصبا في الحالتين وما
حصلت الاعلى الآثام والندم

157 فيا خسارة نفسي في تجارتها
لم تشتر الدين بالدنيا ولم تسم

شعر البوصيري :

لقد حفظ الادب العربي للشاعر البوصيري قصائد ومقطوعات في مختلف الاغراض (3) ، ولكن تاريخ هذا الادب اهمل تلك المنظومات على طرافتها ، وابقى للمادحين ما كتبه في تمجيد الرسول الكريم . والعجيب ان الذات الشريفة الهمت الشاعر ثلاث قصائد : (الهمزية) و (المضرية) و (البردة) الاخيرة سائرة على الكثير من الالسن ، والاولى لا تقل عنها شهرة في هذا المجال ، ولكن الثانية لم يكن حظها مثل حظ اختيها ، اذ لا يذكر احد ان هناك قصيدة مدحية للبوصيري مطلعها :

في كل طرفة عين يطرفون بها
اهل السموات والارضين ، أو يذورا (4)

حقا ، ان حظ الشعر كحظ الشعراء عجيب !

والا ، فالقطعة التالية ليست جديرة باهمال النقاد والباحثين في الادب ، انها قصيدة الصورة ، القصيدة المعبرة بصدق ، وهل ينتظر من اديب — ناثر او شاعر — سوى ان يعبر بصدق :

شكوى من الحال لوزير (5)

اليك اشكو حالنا ، اننا
— حاشاك — قوم أولى عسرة

في قلة نحن ، ولكن لنا
عائلة في غاية الكثرة

صاموا مع الناس ، ولكنهم
كانوا لمن أبصرهم عبرة !

ان شربوا فالبئر زير لهم
ما برحت ، والشربة الجرة

الى أن قال وقد اتى الحديث على أم اولاده :

ويوم زرات امهم اختها
والاخت — في الغيرة — كالضرة!

واقبلت تشكو لها حالها
وصبرها مني على العشرة !

قالت لها : كيف تكون النسا
كذا ، الازواج ، يا عرة ؟

قومي ، اطلبي حقك منه بلا
تخلف منك او فترة

وان تأبى ، فخذي ذقنه ،
او انتفيها ، شعرة شعرة !

قالت لها : ما هكذا عادتي .
فأن زوجي عنده ضجرة

اخاف ان كلمته كلمة
طلقني . قالت لها : بعرة !

---

2) انظر القصيدة حول الموظفين وحياة الوظيفة للشاعر .. اوردها الكاتب الكبير زكي مبارك في كتابه (مقارنة بين الشعراء) ...

3) يذكر ان هناك ديوانا للشاعر ، ولم اسعد بالاطلاع عليه .

4 و 5) مقارنة بين الشعراء كتاب للدكتور زكي مبارك .

يظهر أن الزوج الشاعر كان يعيش فى نطاق اسرته ببشريته المتقلبة ، ولذلك جعل زوجته الوفية تعبر — على لسانه — عن خوفها من اجراءات المجافاة والطلاق ... اترى هي نوازع كانت تنزع بالفنان الى مشاكسة الزوجة ، والى موادة صاحبات الجمال الريق الفتي ، ولو ان الجميلات الريقات لم يكن يحظى عندهن باعجاب ولا تقدير ؟ هاكم اعترافه :

اهوى ؟ والشيب قد حال دونه
والتصابي — بعد المشيب — رعونه(6)

أبت النفس أن تطيع ، وقالت :
ان حبى لا يدخل القنينة

كيف اعصى الهوى ؟ وطينة قلبي
بالهوى — قبل آدم — معجونة !

سلبته الرقاد بيضة خدر
ذات حسن ، كالدرة المكنونه

سمتها قبلة ، تسر بها النفـ
ـس ، فقالت : كذا اكون حزينه !

قد يكون هذا حديث نابع من واقع الشاعر المعاش ، وقد يكون من أوهام الشعراء ، وعندئذ تكون من قبيل الاماني الساخنة ، التي يستعذب كل فنان أصيل الاحتراق بها ، صقلا لما يعترى المعدن من صدا ، أو تحريكا للسواكن خوفا عليها من الهمود او الفناء . على كل حال أن ضمير شاعرنا كان حيا يهمس له بين الحين والحين :

159 ان آت ذنبا فما عهدي بمنتقض
من النبي ، ولا حبلي بمنصرم

160 فان لي ذمة منه بتسميتي
محمدا وهو اوفى الخلق بالذمم

ومرت الايام ، وقد عانى الشاعر ما عانى ، خاصم وخوصم ، وشاتم وشتم ، وقال الشعر متغزلا فتبذل ... ثم تبين فى الاخير ان طريق الرشاد أصلح وابقى ، وان حالة الاستقرار اولى من حالة الاضطراب فلم يكن هناك من ملجا سوى جانب الرسول الكريم ، هادي الامة ، وكاشف الغمة . وفاضت الجوانح وتفجرت العواطف ونبع القلب الخير بالرائعتين :

الهمزيــة والبــردة :

ولنترك الحديث عن الهمزية ، ولننتقل الى الحديث عن البردة (الدرة اليتيمة) فهو محصور فيها. وقد عللت تسمية هذه القصيدة الخالدة بالبردة ، بأن الشاعر قعد به المرض زمنا ، فبقي ملازما للفراش ، وذات ليلة تراآى له النبي عليه السلام فى المنام ، فاهتم بحاله ، وغطاه ببردته الشريفة ، فقام للقعد مطمئنا معافى ، وتوج قصيدته المدحية باسم (البردة) تيمنا . وليس هذا من قبيل الخرافات فالهامات الشعراء وتجلياتهم وصدق رؤاهم فوق تحقيقات المحققين .

واذا اخذنا قصيدة (البردة) الرائعة ، ذات المائة والسبعين واربعة أبيات فاننا نرى فيها استهلالا غزليا رقيقا ، مشوبا بمسحة من الشعر الجاهلي ؛ ومنه تخلص المادح الى زجر النفس ونهيها ثم دعاها بحرارة الى الاحتماء بجانب الرسول الكريم ، وسنحت فتغنى ما شاء الله له أن يتغنى بشخصية الرسول ورسالته ومعجزاته ، وبمعجزة القرآن الكريم ومعجزة الاسراء والمعراج وعبر عن العزم لينقطع باشعاره الى الرسول ومدحه والاعتزاز بمقامه العظيم .. تكفيرا منه عما مضى من لغو القول . وجاءت أبيات التوسل بعد ذلك رائعة مؤثرة ما اظن السامع اليها او المترنم بها الا وانفعل بها مستمعا او مترنما :

169 يا نفسي لا تقنطي من زلة عظمت
ان الكبائر فى الغفران كاللمم

170 لعل رحمة ربي حين يقسمها
تاتى على حسب العصيان فى القسم!

171 يا رب واجعل رجائي غير منعكس
لديك ، واجعل حسابي غير منخرم

172 والطف بعبدك فى الدارين ان له
صبرا ، متى تدعه الاهوال ينهزم

واذا عدنا الى القصيدة فاحصين ، متمعنين متذوقين ، استخرجنا تقريبا العشرين والمائة بيتا التي خصصت للنبي الكريم وجدنا أن تقسيمها يمكن ان يتم دون تعسف على الشكل الآتي :

---

6) كتاب مقارنة بين الشعراء المشار اليه .

50 بيتا فى مطلع القصيدة وفى ختامها من ذاتية الشاعر ، فهو متغزل ثم منصرف الى لوم نفسه على اشتغالها بهذه الامور الدنيوية ... ثم هو يسود اخيرا نادما متحسرا متلهفا على حسن المنقلب .

اما 124 بيتا فهي مخصصة كلها الى رسول الله مدحا وتنويها .

والحقيقة انه فيما يتعلق بشؤون النفس تستوقفه الدارس ابيات معبرة عن نفسية رجل رقيق الشعور رهيف العاطفة ، يزن نفسه وتصرفاته وياخذها فى ذلك كله اخذا شديدا ، ولا تلمس النفاق ولا المغالاة ولا الاستكبار :

10 يالائمي فى الهوى العذري معــذرة
منى اليك لو انصفت لــم تلــم !

12 محضتني النصح لكن لست اسمعه
ان المحب عن العذال فى صمــم !

14 فان امارتي بالسوء ما اتعظــت
من جهلها بنذير الشيب والهــرم

17 من لي برد جماح مــن غوايتهــا
كما ترد جمــاح الخيــل باللجــم

22 كم حسنت لذة للمــرء قاتلــة
من حيث لم يدر ان السم فى الدسم

24 واستفرغ الدمع من عين قد امتلأت
من المحارم والزم حمية النــدم !

25 وخالف النفس والشيطان واعصهما
وان هما محضاك النصح فاتهــم !

26 ولا تطع منهما خصما ولا حكمــا
فانت تعرف كيد الخصم والحكــم !

وتبلغ بالشاعر نفسيته الخيرة الى القمــة فى التواضع والاعتراف بنزوات النفس فيقول :

27 استغفر الله من قول بــلا عمــل
لقد نسبت به نسلا لــذي عقــم

28 امرتك الخير لكن ما ائتمرت بــه
وما استقمت فما قولي لك : استقم !

وبعد استغراق طويل فى التنويه بالرسول وبعثته وبطولته ومعجزاته .. يعود الى تلك النفس الآمــرة المؤذية فيعلن :

156 اطعت غي الصبا فى الحالتين وما
حصلت الا على الآثــام والنــدم

157 فياخسارة نفسي فى تجارتهــا
لم تشتر الدين بالدنيا ولم تســم

169 يا نفس لا تقنطي من زلة عظمت
ان الكبائر فى الغفــران كاللمــم

170 لعل رحمة ربي حــين يقسمهــا
تاتي على حسب العصيان فى القسم

ومن مزايا الشعراء المخلصين المحنكين انهم يرسلون الشعر وفى طياته حكما ، حكما مستمدة من التجارب الحلوة والمرة التي تنعموا او تخبطوا فيها ، مبقين اقوالهم احاديث ترددها الاجيال وتستخرج مــن العبرة للاعتبار .. كم هي جديرة بالتمعن هذه الاقوال:

4 ايحسب الصبان الحــب منكتــم
ما بين منسجم منه ومضطــرم !

10 يا لائمي فى الهوى العذري معــذرة
مني اليك ، لو انصفت لــم تلــم !

14 محضتني النصح لكن لست اسمعه
ان المحب عن العذال فى صمــم

19 والنفس كالطفل ان تهمله شب على
حب الرضــاع ، وان تفطمه ينفطم !!

25 وخالف النفس والشيطان واعصهما
وان هما محضاك النصح فاتهــم

26 ولا تطع منهما خصما ولا حكمــا
فانت تعرف كيد الخصم والحكــم

98 ولا تقل لى بما قد نلــت جيدهــا
فما يقال لفضل اللــه ، ذا بكــم ؟

101 فالدر يزداد حسنا وهو منتظــم
وليس ينقص قدرا غير منتظــم

109 لها معــان كالبحــر فى مــدد
وفوق جوهره فى الحســن والقيــم

115 لا تعجبن لحسود راح ينكرهـــا
تجاهلا ، وهو عين اليقظ الفهـــم

116 قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد
وينكر الفم طعم الماء من سقـــم !

165 ولم أرد زهرة الدنيا التي قطفـت
يدا زهير بما اثنى على هرم .. الخ

وهكذا تمضي القصيدة الخالدة بين ذكريـــات عاطفية وهواجس نفسانية وحيرة فكرية ينغمر بعدها الشاعر في عالم الرسول العامر بالهداية والرشـــاد وخدمة البشرية ... واخيرا يعود الى نفسه يعدهـــا ويمنيها بانها فازت فوزا عظيما بالتجائها الى حمايـة الرسول الاعظم ... وفى ظلال هذه الرحمة الالهية يميل الشاعر الى انهاء القصيد .

173 وائذن بسحب صلاة منك دائمـة
على النبي بمنهـل ومنسجـــم

174 ما رنحت عذبات البان ريح صبـا
واطرب العيس حادي العيس بالنغم

لنتخيل ذلك البان الرطب ــ الذي هو من منابت الاراضي الخصبة ــ يتمايل ويتمايل كلما هبت نسمات عليلة ، ثم هذه الابل ، لنتصورها وهي سائرة عبـر الفيافي الشاسعة ، لا يقويها على المضي فى السير الا حداء الحادي الطروب ... ان الدنيا في ازدهاء وحركة عند مختلف المخلوقات فى مختلف البقاع . فلتدم كذلك الصلاة على النبي .

هذا ، وقد نالت القصيدة منتهى الفوز ، ففتنت الشعراء وشغلتهم ، ولربما أثارت غيرتهم ، ولذلـك اتخذوها نموذجا للمدح النبوي ... ومن اجل ذلك كثرت القصائد المدحية من هذا القبيل . واخذها آخـــرون معجبين ، فشطروها وخمسوها وعارضوها ، وما زال ترن فى الآذان قصيدة شوقي التي مطلعها :

ريم على القاع بين البان والعلـــم
احل سفك دمي فى الاشهر الحـرم

وجاء آخرون فلم يطاولوا الشاعر الكبير ، وانما اقبلوا على رائعته يشرحونها ، ويبينون ما انطوت عليه من المعاني والاشارات والرموز ، ومن فنون البلاغة والبيان ، حتى لقد ذكر ان لهذه القصيدة تسعين شرحا بالعربية والفارسية والتركية والبربرية . أما الاستاذ المنوني فقد ذكر أن هناك تسعة شروح لهذه القصيدة اربعة منها كتبت بمدينة فاس ...

ولم يقتصر الاهتمام بالقصيدة على الادبـــاء والمنشدين ورقاق الشعور ، وانما تعداهم الى الجفاة غلاظ الاكباد . لقد اورد الناقد الكبير الاستاذ زكـــي مبارك « ان القصيدة كانت جزءا من الهدية التـــي قدمها العلامة ابن‌خلدون عند قدومه على تيمورلنك(7)»

وبعد ، فجدير بهذه القصيدة الاخلاقية التاريخية القيمة ان تقرب الى ميادين الدرس بالمعاهـــد وان تعطى العناية التي تستحقها فى البحث الحديـــث . ولنذكر انها كانت فى العهد غير البعيد من المتون التي تحفظ فى الكتاتيب تحفيظا (8) ، وتبقى بعد ذلك علـى الالسنة ، السنة الخاصة والسنة العامة تردد وتنشد، ويتملى بها فى محافل الابتهاج ومجامع الاكتئـــاب ، تتغذى بها جوانحهم وتجتمع عليها اذواقهم ، وتلـك خاصية من خاصيات قصيدة (البردة) الخالدة . ورحم الله شوقي حيث قال :

المادحون وارباب الهـوى تبـع
لصاحب (البردة) الفيحاء ذي القدم

مديحه فيك حب خالـص وهـوى
وصادق الحب ، يملي صادق الكلم (9)

الدار البيضاء ــ محمد بن أحمد اشماعو

7) كتاب المقارنة بين الشعراء .
8) اخبرني احد الاخوان من اقليم سوس أن اثر قراءة الحزب اليومي ــ بذلك الاقليم ــ يتلى جزء من البردة، وجزء من الهمزية .
9) عقد الدكتور زكي مبارك فى كتابه (مقارنة بين الشعراء) فصلا درس فيه قصيدة البوصيري وقصيدة شوقي وقصيدة ثالثة ، وانتهى الى ترجيح قصيدة البوصيري كل الترجيح .

قصة العدد

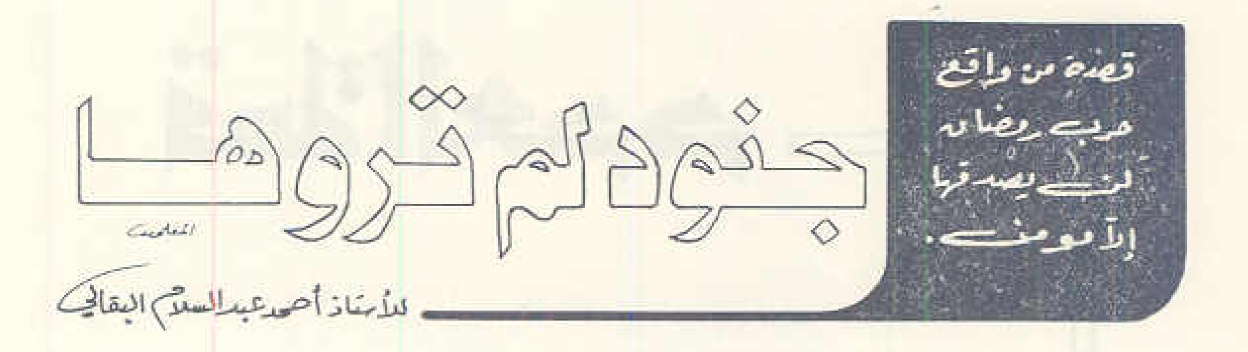
* جنود لم تروها ...

معرض الكتب ١٨

* كتاب عن : الشعر الروائي العربي والملحمة الاسبانية

من أنباء العالم الإسلامي

قصة العدد



صديق عزيز عاد حديثا من جبهة سيناء .. صافحته بحرارة وعانقته لعلني اشم رائحة الجهاد ، رائحة الكرامة والعزة العائدتين ..

وجلسنا لنطفيء الشوق .. ولانتملى بطلعة رجل عاد من حيث كنا جميعا نود ان نكون .. ومن حيث كناجميعا بقلوبنا وارواحنا .. وبادرته بسؤالي الذى كان يتوقعه .. كنت اود ان اعرف كل شيء عن اهم حدث فى تاريخ الامة الاسلامية المعاصر .

وسالته ، فيما سالت ، عن اغرب ما حدث له بالجبهة ..

ولاول مرة لاحظت ، وانا انتظر جوابه ، انه يلهو بسبحة شرقية في يده ، ويلتهم حباتها بأصابع ماهرة مدربة ..

كنت اعرف صديقي جيدا .. وكنت اعرف ان التدين لم يكن من صفاته رغم ايمانه العميق بالله .. فقد كان يكتفي من شعائر الدين بصوم رمضان كاغلب الشباب اللاهي بدنياه عن دينه وكان محبا للحياة والناس كثير المرح والفكاهة ، فبدا لي انه تغير قليلا وعزوت ذلك الى اجتيازه عهد الدراسة وخلو البال وتحمله مسؤولية كبيرة فى الجيش كما عزوت لهوه بالسبحة الشرقية الى تأثره بعادة الشرقيين الذين يعبثون بالسبح دون ان يكون لها معنى ديني ، كما يعبث الواحد بغليونه الفارغ بين اسنانه .

وتوقف عن اللعب بالسبحة ليركز اجابته عن سؤالي . ثم ابتسم وقال :

« كنت اتوقع منك انت على الخصوص هذا السؤال لذلك حرصت على الاحتفاظ بهذه القصة لاحكيها لك ، وفي الواقع ما كنت لانساها حتى ولو لم افكر فيك ـ فقد كان لها رد فعل عنيف فى نفسي .. ويمكن ان اقول لك انها اثرت فى مجرى حياتي ..

وتململت فى مقعدي لاسمع القصة التى احتفظ لي بها هذا الصديق كهدية من اغلى الهدايا .. وانا اعرف انه لا يحسن الادعاء ولا المغالاة .

قال : « كانت مهمتي كقائد كتيبة على خط النار الامامي ان استولي على احد تحصينات الاسرائيليين المنيعة واقتربنا منها حتى صرنا قاب قوسين من مدى مدفعيتها ورشاشاتها .. وكان الوقت أصيلا ، والشمس الصحراوية الكبيرة تغرب بسرعة خلف التلال القريبة .. ونظرت الى رجالي الذين اضناهم الزحف والقتال طوال النهار الجهنمي دون توقف فاصدرت الامر بحفر الخنادق للمبيت .

« واخرجت منظاري المكبر وزحفت الى قمة تل لادرس التحصينات ، وارسم خطة لمفاجاتها .. وحين عدت كان الجنود قد وضعوا مجارفهم ، واخرجوا علب طعامهم للعشاء ، الا المساعد عبد الله الذى كنا جميعا نناديه بالفقيه .. كان قصيرا نحيفا

معروف الوجه والبدن ذا لحية سوداء كثة تحيط بذقنه ، فقد كان واقفا يصلي ويداه على صـدره فى خشوع وكنت كلما رايته كذلك اشفقت عليه من شظية طائشة او رصاصة غادرة .. فمنت اصحه بالصلاة قاعدا .. كان من اشجع رجالي واكثرهم انضباطا .. وكان يتطوع لكل مهمة مهما صعبت فيخجل من هم اصغر منه سنا .

ووزعت الحراسة ، وبتنا الليلة فى تربص حذر خشية ان يعرف بوجودنا العدو ..

وباتت المدافع من جميع العيارات تهز تحتنا الارض ، وتضيء السماوات على طـول الجبهـة الاسرائيليون بالدبابات المصرية تقتحم عليهم مواقعهم وتحصيناتهم فى جوف الليل ، فأصيبـوا بالحيـرة والذعــر ..

ومع منتصف الليل استيقظنا جميعـا علـى سيل جارف من رصاص الرشاشات والصواريـخ والموانع والقنابل اليدويـة آتيـة من التحصينـات الاسرائيلية التى تنوي الاستيلاء عليها .. فظننت ان احدى دورياتهم اكتشفت موقعنا .. وزحفت الى راس التل لالقي نظرة على الموقع فاذا النار تنطلق من كل جوانبه بقوة كبيرة دون ان تتركز علينا بصفة خاصة ومن بين قصف المدافع وازيز الرصاص كنت اسمع اصواتا آدمية تستغيث او تلعن بشتى اللغات .. فداخلني الشك فى انني احلم .. ثم فكـرت : هل يكون الموقع الاسرائيلـي متعرضـا لهجـوم من الخلف ؟

واخذتني الحيرة فى ان اهاجم انا الآخــر برجالي من هذه الجهة او انتظر النتيجة .. فكـل انتظار فى صالحنا اذ كان اليهود يستهلكون ذخيرتهم بتبذير رهيب ..

وانتظرنا ونحن على اتم الاستعداد للهجوم حتى خفت حدة نيرانهم ، وتبين لي ان ذخيرتهم اشرفت على الانتهاء .

فأمرت رجالي بالزحف فى هدوء ..

وطوقنا الموقع المنيع فسمعت من داخله انينـا وصراخا هستيريا صعب عليهم كتمانه .. واعطيت اشارة الهجوم فاندفع الرجال يتسلقون التحصينات والموانع كالفهود الجائعـة بين صيحـات التكبيـر والتهليل .

وفى اقل من ساعة كان من بقي من جنود الموقع الاسرائيلي يخرجون رافعي الايدي مستسلميـن . وقد تهدلت ملابسهم وكساها الدم والطين .

ووقف الاسرى الثلاثة امامي والرعب والارهاق باد على وجودهم ، فوضعت سيجارة فى فم ضابطهم واشعلتها له ، واخذت فى محادثته والتهدئة من روعه .

ولاحظت انه يدخن بعمق وينظر حواليه باحثا عن شيء مخيف فسألته :

« عماذا تبحث ؟ »

فأجاب : « اين الآخرون » ؟

فسألت : « الآخرون ؟ »

فقال : « الذين كانوا يلبسـون حللا بيضـاء ! الذين هاجمونا فى منتصف الليل داخل تحصيناتنا بالسلاح الابيض .. »

قلت مستغربا : « لا بد انكم كنتم تحلمون ! نحن لم نهاجم الا قبل ساعة .. »

فقال وقد اتسعت عيناه لتكذيبي له :

« اؤكد لك يا سيدي ان رجالا بيض الملابس لم نستطع معرفة هويتهم كانوا يترامون علينا من فوق الاسوار ، ونحن نطلق النيـران من رشاشاتنـــا ومسدساتنا ومدافعنا عليهم فلا يسقطون واشتبكنا معهم بالسلاح الابيض فقتلوا منا الكثير » .

ولما راى الضابط اليهودي الشاب نظرة عدم التصديق فى وجهي اخذ يقترب مني بوجهه المرتاع ليؤكد لي صدق ما رواه ، وانهـم ربما كانـوا هـم الفدائيين الفلسطينيين .

فقلت له : اننا نحن راس حربة هذا الهجوم.. واننا على الخطوط الامامية المتوغلة جـدا داخـل الاراضي المحتلة ولا يعقل ان تتجاوزنا قوة دون علم سابق منا ـ ثم انه لا يوجد بين جنودنـا ولا بيـن الفدائيين الفلسطينييـن من يلبـس ملابس ميدان بيضاء .. وانه اولى به كضابط ان يعرف حماقـة ذلك .. فالهدف الناصع اسهل شيء للاصابة .

فأخذ من سيجارته نفسا عميقا ثم اشار لي بعقبها الى موقعهم قائلا :

« تفضل ادخل بنفسك الى هناك لترى مدى التخريب الذى اصاب موقعنا الحصين الذين هجموا كانوا على علم بكل شيء فيه والأغرب من ذلك انهم بعد انسحابهم لم يتركوا من قتلاهم جثة واحدة لنتعرف منها على هويتهم .. وكانهم نزلوا من السماء فابتلعتهم الارض .. »

وفكرت انها الصحراء والليل والحرب .. وان الخيالات والاشباح لابد لعبت باعصاب هذا الضابط الشاب ومن معه فانطلقوا فى فترة توتر حاد يطلقون النار على بعضهم البعض .

وحركت راسي غير مصدق ولا فاهم .. والتفتت لارى الفقيه يبتسم وهو يستمع الى عربية اليهودي المرقمة ، فصرفت الاسير ، وسالته :

« ما رايك يا سي عبد الله ؟ »

فقال بثقة من كان يتوقع ذلك :

الملائكة يا سيدي كانت تحارب فى صفنا وهم الجنودون المذكورون فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : (لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ، ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ، وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين).

وتوقف الفقيه ليقول : « وهذا ينطبق على حرب 1967 ، اما حربنا هذه ، حرب رمضان المبارك فتنطلق عليها الآية التى بعد الاولى وهي : (ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المومنين وانزل جنودا لم تروها ، وعذب الذين كفروا ، وذلك جزاء الكافرين) .

صدق الله العظيم .

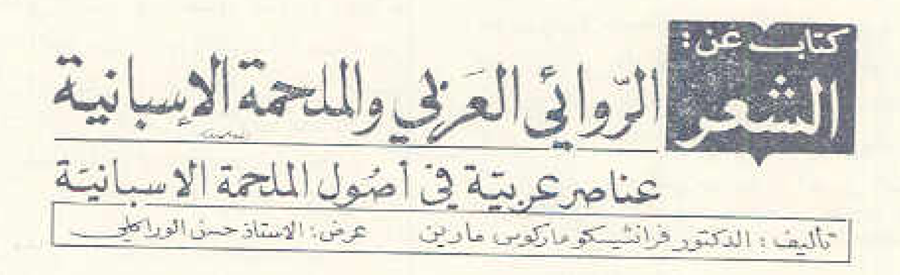
— ❊ —

« وتنهد صديقي الضابط وهو يتلو الآية الكريمة ثم قال :

« ورغم اني حفظت القرآن فى صباي خيل الي اني اسمع هذه الآية لاول مرة ومع اشراقة الفجر .. احسست بنور وهاج يسطع فى داخلي .. وبقطرات باردة تنزل على قلبي فتشيع فيه الطمانينة والايمان.

ونظرت الى حيث يجلس الاسرى الاسرائيليون فاذا بهم زائغي الابصار ، فاغري الافواه يتلفتون يمنة ويسرة ويقضقضون اسنانهم فى حركات جنونية كمن طار عقله ، والفقيه يطعمهم ويسقيهم .

الرباط ـ احمد عبد السلام البقالي



— ا —

« ان اخواني فى الدين يجدون لذة كبرى فى قراءة شعر العرب وحكاياتهم ، ويقبلون على دراسة مذاهب اهل الدين والفلاسفة المسلمين لا ليردوا عليها وينقضوها ، وانما ليكتسبوا من ذلك اسلوبا عربيا جميلا صحيحا ... يا للحسرة ! ان الموهوبين من شباب النصارى لا يعرفون اليوم الا لغة العرب وآدابها ، ويؤمنون بها ويقبلون عليها فى نهم ، وهم ينفقون اموالا طائلة فى جمع كتبها ويصرحون فى كل مكان بأن هذه الآداب حقيقة بالاعجاب ... يا للالم ! لقد أنسى النصارى حتى لغتهم ... فاما عن الكتابة فى لغة العرب فانك واجد فيهم عددا عظيما يجيدونها فى اسلوب منمق ، بل هم ينظمون من الشعر العربي ما يفوق شعر العرب انفسهم فنا وجمالا » (2) .

تلك مقتطفات من اعتراف احد رجال الكنيسة باسبانيا على عهد الحكم العربي ، هو المطران آلبور القرطبي Alvaro Cordubense (القرن التاسع الميلادي) ، على ما قد يكون فيها من مبالغة فانها بالفعل تعكس « الصورة المجملة » لحقيقة يقرها المنطق وتقرها طبيعة الاشياء تمخض عنها تعايش سلمي حينا وحربي آخر ، بين أمتين ، ولغتين ، وادبين ، كان لاحدهما الغلبة والتفوق على الآخر فى وجهات ، ومستويات ، وآفاق شتى ... شتى . وتلك الحقيقة ، بالاحرى : تلك « الصورة المجملة » لها — استنتاجا من اعتراف المطران آلبور — تقفنا على انبهار الاسبان بالادب والفكر العربيين واعجابهم الذي ليس له من حد ، بالوان ذلك الادب وانماط ذلك الفكر . هذا أمر طبيعي ،

لكن بالود الاشارة الى ان الانبهار انبهاران : انبهار « خلاق » وانبهار « قتال » ، واولهما ((ضوء أخضر)) يؤذن لاصحابه بالمرور فى طريق البعث والخصب والنماء ، اي ان هذا النوع من الانبهار لا يزال بصاحبه — فردا كان او جماعة او امة — يلح عليه الوانا من الالحاح تمس فكره وتمس وجدانه حتى يسلمه او يحمله حملا ليس يجد معه ، منه مفرا او خلاصا فى لحظة وعي تام بالذات فكرا ووجدانا ، على نبشها واجراء حفريات فى طواياها ، واستيحاء ذلك واستلهامه فى كل ما يأتي وما يدع ، والتالي : فى كل ما يمارس من نشاط فكري ووجداني . والنوع الثاني ، عنيت : الانبهار « القتال » هو غير النوع الاول بالطول والعرض، والعمق ايضا ، وبحسبنا ان نقول بأن علينا — واغلبيتنا منبهرة بلغات اجنبية وآداب اجنبية — أن نحذر الوقوع فيه ! .

---

(1) عنوان الكتاب بالاسبانية Poesia narrativa arabe y épica hispanica. « elementos araves en los origenes de la épica hispanica ». 388 pags. Editorial gredos - Madrid.

(2) انظر : آنخل جنثالث بالنثيا . تاريخ الفكر الاندلسي . ترجمة الدكتور حسين مؤنس (القاهرة 1955) الطبعة الاولى ، ص. 85 — 486 . وانظر كذلك ، لمؤلفه Simonet, Fco Xavier Historia de Los Mozarabes de Espana (Madrid, 1897 - 1903) p. 370-71.

— ب —

تلك « الحقيقة » اردت : « صورتها المجملة » التي تبدو في اعتراف المطران آلبور ، تكتنفها حيرة لافتة ، كان لا بد أن تستثير اهتمام الدارسين وانتباههم ، فاذا بهم ينهضون يحدوهم شوق الى تفصيل الصورة المجملة و « تمطيطها » لتبرز (الحقيقة) بملامحها وسماتها التي انتهى بهم بحثهم عنها ، اليها ، ولعل من اوائل هؤلاء الدارسين رجل كنيسة ايضا ، هو الاب اليسوعي خوان آندريس ، فلقد ألف في أواخر القرن الثامن عشر كتابا عن : « اصول الادب عامة وتطوراته وحالته الراهنة » Origen, progresos Y estado actual de la literatura طوق فيه عنق الادب الاسباني بدين كبير للادب العربي في الشعر والقصة . . . واجناس اخرى . وفي اواخر القرن الماضي جاء فرنانديث اي جنثالث . ف . ليسهم بدوره في تجلية مدى ما افاده الادب الاسباني من لغات الشرق وآدابه وقدم امثلة واخرى على تلك الافادة في خطابه الاكاديمي (104 صفحة) الذي سماه : « تاثير اللغات والآداب الشرقية في ثقافة شعوب شبه الجزيرة الايبرية » Influencia de las lengyas y letras orientales en la cultura de los puerlos de la Peninsula Ibérica.

— ج —

وتواردت بعد ذلك على معالجة تاثير الادب العربي في الآداب الاسبانية بخاصة ، والاوروبية بعامة عدة اقلام ، بحسبنا هنا ان نجتزيء بذكر بعضها ، وهي في الآن عينه ، اشهرها واكثرها ذيوع صيت : منديث اي بلايو ومنديث بيدال ، ومن المستشرقين اخوليان ريبيرا وآسين بلاثيوس ، وجنثالث بالنثيا . . . هذا في اسبانيا ، وفي بلدان اخرى من اوروبا وغير اوروبا شغلت تلك «الحقيقة» ــ التي رفع بها المطران آلبور ــ منذ قرون ــ عقيرته بشيء غير قليل من الالم والحسرة ــ خلقا كثيرا . على ان من المقطوع به والمفروغ منه في ذات الوقت هو أن كتاب آسين بلاثيوس عن الاسلام والكوميديا الالهية La Escatologia musulmana En la divina comedia ، سيظل من بين الاسهامات في هذا الموضوع ، بل ومن الجيد منها (في الطليعة باعتباره احدى المحاولات الجريئة التي تفتح اتجاهات فكرية جديدة في تاريخ الادب العربي ، فهو كتاب موضوعي وجدي وواضح ومنسق وغزير في مادته) كما يقول (فان تيجيم) عالم الآداب المقارن الشهير .

— د —

حمل الي بريد مدريد ، لاسابيع مضت ، فيما حمل الي من كتب ومجلات، كتابا، استاثر بي الساعات المتوالية . صرفني فيها ، وما استكثرت عليه ذلك ، عمن حولي من خلق وعما حولي من كتب ، حتى اذا فرغت من قراءته او كدت افرغ منها ، وجدتني واقعا تحت رغبة ملحة في ان ابدا قراءته مرة اخرى من جديد، ليستاثر بي الساعات المتوالية . يصرفني فيها ، ولن استكثر عليه ذلك ، عمن حولي من خلق وعما حولي من كتب ، هذا الكتاب هو : الشعر الروائي العربي والملحمة الاسبانية . «عناصر عربية في أصول الملحمة الاسبانية» .
Poesia narrativa arabe y épica hispanica. "Elementos Arabes en los origenes de a épica hispanica".

والمؤلف باحث في ريعان شبابه هو الدكتور فرنثيسكو ماركوس مرين ، وهذا اسم جديد يضاف الى قائمة اسماء الشباب الجامعي في اسبانيا الذي شغل ويشغل نفسه بالبحث الجاد والدرس المثمر في الفكر والوجدان العربيين في امسهما ويومهما ، ومن حق هذا الشباب الجامعي في اسبانيا ، علينا هنا ، في المغرب ، وهو يكب على نشر وتحقيق وترجمة ووصف ودراسة تراثنا الفكري والوجداني في امسه ويومه ان نكبر فيه خلوص نيته ، وصفاء طويته ، وتجرده ، وموضوعيته، وهذه سمات خلقية بكل تقدير وبكل اكبار، وادنى ما يمكننا ان نصور به هذا الاكبار وذلك التقدير ان نعرف بما يكتبه أولئك الباحثون ويؤلفون ، وندعو المرة والمرة والمرة ، الى العناية بترجمة دراساتهم فيما يتصل بعطاءاتنا الفكرية والوجدانية ، كما قلت واقول : في امسها ، وهو امس طويل ، حفل بعديد الانماط من الفكر الملتزم والوجدان الشفاف ، وفي يومها ، وهو يوم ، يقوم أكثر من دليل على الارهاص باستعادة الامة العربية والاسلامية فيه لدورها الريادي والطلعي ، في الفكر والوجدان .

الآن ، تعالى نتحدث عن الكتاب .

« الشعر الروائي العربي والملحمة الاسبانية » يمثل مرحلة، فقط، انتهى اليها د. فرنثيسكو ماركوس مرين ، في رحلة ، كان بداها ببحثه الذي قدمه لنيل الليسانس في الآداب ، وكان حول « قضية العنصر العربي في اصول الملحمة الاسبانية » « El problema Del elemento arabe en los origenes de la épica espanola
ثم تابع رحلة البحث بسلسلة مقالات ، تضمنت طريفا وجديدا في الموضوع . واذن ، فهذا الكتاب ليس عملا

نهائيا ، بمعنى انه برغم نتائجه الباهرة ليس كلمة ختامية للمؤلف فى الموضوع ، وانما هو « مرحلة استراحة » يغتنمها الباحث الشاب ليعرض على الانظار بقصد النقاش والجدل ، النتائج التي ظفر بها بعد دراسة شاقة يدلك عمقها وتدلك سعتها على مدى الجهد الذي بذل من اجل استوائها .

ان القول فقط بامكان وجود تاثير عربي فى جنس من اجناس الادب الاسباني ، غنائية او ملحمة أو قصة او غيرها ، لا يفيد ولا يجدي الا بقدر ما يثير من اهتمام ويلفت من نظر الى الموضوع . من الضروري . لكي يصبح تاثير الادب العربي فى الملحمة الاسبانية جليا ، اي (علميا) وليس مجرد دعوى ان يكون ، وجد فى الادب العربي ما يمكن حين جعله موازيا للادب الاسباني والغربي عموما أن يؤثر فيه ، هذا أولا . وكان هو الذي حمل الدكتور مرين على العناية البالغة باعداد أرضية صلبة ، فى غاية الصلابة ، لمجموع دراسته ، والارضية المذكورة تالفت من عناصر ثلاثة : اولها ، البحث فى شعر الملحمة وشعر الرواية او الحكاية ، وايجاد نوع من الترابط والتشابه بين النوعين على مستوى الشكل ـ بتعريفات متعددة ـ وعلى مستوى المضمون ، وعلى ضوء ذلك وبهديه ، عقد الفصل الثاني عن الانواع الروائية (الحكاية) (الفرعية) فى الادب العربي ، فدم له بالتلميح الى الراي السائد بين النقاد باسبقية الشعر الملحمي فى الظهور على الشعر الغنائي على ان الناقد الفرنسي كاسطن باريس Gastan Paris يؤكد على التعايش الملحمي ـ الغنائي ، بل انهما قد يبدأن بداية يمتزج فيها واحد بالآخر ، وبالنسبة للادب العربي ظل الشعر الغنائي والشعر الحماسي (الملحمي) ممتزجين . ثم ينتقل المؤلف ليصنف الانواع الروائية (الفرعية) فى الادب العربي بقصد الكشف عن مدى الشأن والخطر اللذين لها حين مقارنتها باغاني الفعال او القصائد الحماسية الاوربية ، وتلك الانواع هي : ايام العرب والحماسة والسيرة ، والحق ان هذا الفصل سواه المؤلف عرضا مركزا على جانب من الاهمية المتمثلة فى الجدة فى الحكم ووجهة النظر ، وهو العنصر الثاني من عناصر الارضية الصلبة التي اقام عليها مجموع دراسته . أما العنصر الثالث فى الارضية المذكورة ، فيطالعنا فيما بحثه المؤلف فى الفصل الثالث حول الاغاني (القصائد) التاريخية بوصفها صلة وصل بين الشعر الملحمي والشعر الروائي (الحكائي) وبعد ان بسط القول فى الشعر التاريخي الجرماني عقب على ذلك بدرس الشعر التاريخي العربي (الاراجيز التاريخية) ، وختم القسم الاول من كتابه بترجمة النص الكامل لارجوزة ابن عبد ربه المعروفة ، وعاد اليها ، فى الفصل الرابع والاخير من القسم المذكور ، دارسا محللا ليقف بعد ذلك كله وقفة غير قصيرة عند أصول الملحمة الاسبانية ، ذاكرا اسهامات من سبقه فى الميدان من امثال خوليان ريبيرا (2) الذي يعتبر أول من لفت الانظار الى التاثير العربي فى الملحمة الاسبانية، والدكتور لطفي عبد البديع (3) ، والدكتور محمد علي مكي (4) ، وغيرهم .

— و —

ومرة اخرى ، لكي يصبح تاثير الادب العربي فى الملحمة الاسبانية جليا ، أي (علميا) وليس مجرد دعوى ، ينبغي الكشف عن سبل الاتصال والالتقاء بين الادبين العربي والاسباني ، هذا ثانيا ، وهو الذي دفع المؤلف الى اعداد ارضية ثانية ، هي الاخرى ، فى غاية الصلابة لمجموع دراسته ، وتالفت الارضية الثانية من عناصر ، احدها : العلاقات بين الاندلس وشمال اسبانيا ، وثانيها : وضعية المستعمرين فى الاندلس ، وثالثا : اللغات فى الاندلس . وقد بحث المؤلف هذه العناصر بحثا فيه طريف وجديد .

ثم فى اعقاب تلك التقديمات و « الارضيات » ، وقد شغلت من الدراسة ، وهي تقع فى ثلاثمائة وخمسين صفحة ، حوالي مائتي صفحة ، ولكنها (التقديمات ـ الارضيات) كانت بما تضمنته من جزئيات وتفصيلات فى منتهى الضرورة لبناء بحث

---

(1) نشرتها 1970 La librairie des presses de l'université بعنوان (دراسات ملحمية) (Estudios épicos) de Montréal, Montréal 1970

(2) فى خطابه الذي القاه بمناسبة استقباله عضوا فى المجمع الملكي للتاريخ سنة 1915 ، وكان بعنوان : « Epica andluza romance ada »

(3) رسالته للدكتوراه التي قدمها لجامعة مدريد ، و كان عنوانها : « La poesia épica en la Espana musulmana y suin fluencia en la épica espanola

(4) بدراسات ، اهمها ، ولعلها ، فى أحب ، رسالته للدكتوراه فى مدريد : « En savo sobre las aportaciones orientales en la espana musulmana y su in fluencia en la formacion de la cultura hispano-arabe

كبحث الدكتور مرين ، اي انها ليست بحال ، حشوا ، او « وسيلة » مبتذلة لتضخيم الحجم .

في أعقاب تلك (التقديمات – الارضيات) يأتي « بيت القصيد » . . .

و « بيت القصيد » هو الذي يشكل القسم الثاني من الكتاب او جله ، على الاقل ، وهو قسم بقدر ما اعجبت بما فيه من ابتكار وطرافة ، تصورت العناء والعسر اللذين وجدهما المؤلف في نسجه . حقا ، ان اعسر ما في الامر – كما يشير المؤلف – هو الوصول الى تمييز و « فصل » العناصر الملموسة التي انتقلت من العربية الى الملحمة الرومانية .

ان المؤلف في هذا القسم الثاني المفيد الممتع ، يتتبع في شيء غير قليل من الايعاء والتقصي ، متعاملا ، بالدرجة الاولى مع النصوص ، عربية واسبانية ، ومبدا من مختلف الدراسات التي لها صلة ببحثه من قريب او بعيد ، العناصر العربية التي اثرت في الملحمة الاسبانية ، وهذه العناصر يجملها في ثلاثة مستويات :

أ) المستوى الفردي

ب) مستوى الفرد والمجتمع

ج) المستوى المجتمعي . ثم يمضي بعد ذلك يدرس تفريعات هذه المستويات المتمثلة في : أ) البطل (التحدث بضمير المتكلم في الادب وعلاقته بالملحمة الاسبانية . المميزات الشخصية للبطل . السلاح والخيل . الشرف الخاص) . ب) الفرد والمجتمع : (العلاقة بين الفرد والاسرة . الاسرة كهيئة . احترام الكبار . الثار للدم ، المبارزة القضائية . المساعد على تبرئة ساحة شخص بالاشتراك في التسمم . العار . المراة . الشرف الجماعي) . ج) المجتمع (السحر رباط العالم الشخصي بالعالم المجتمعي . الخضوع . الفروسية . الحرب . الجهاد او الحرب المقدسة) .

— ز —

تستوقفك في دراسة الدكتور مرين ثلاث ميزات :

ا) اسلوب متفرد عذب وجذاب وشاب ، اي والله فيه من شباب صاحبه توثبه وفورته .

ب) جراة بالغة طبع بها المؤلف علاجه لموضوعه والنتائج التي انتهى اليها . انها جراة « علمية » ، لانها او لأن صاحبها يسندها على عمق اطلاع وسعة المام بموضوع دراسته وما كتب حولها من قريب او بعيد وبمختلف اللغات ، الامر الذي اوقف المؤلف على عناصر في غاية الجدة ، كانت على ما يرجح مجهولة لدى الدارسين الرومانيين . انها جراة « علمية » جاءت نتاج اكباب على موضوع ، نذر له المؤلف نفسه ووقته وجهده . . . نذر له من العمر أجمله وأزهره .

ج) تجرد وموضوعية في البحث ، والامثلة عديدة . اذا شئت واحدا قلت لك : اقرا الكتاب فهو المثال اولا واخيرا .

ثم . . . بالاجمال :

ان الدكتور مرين ، صوت متميز واعد ، وللاستشراق ، وللدراسات العربية – الاسبانية ، أن يرقبا على يديه فتوحات موفقة .

تطوان : حسن الوراكلي

من القرارات الهامة لمؤتمر كوالالامبور :

يوم الاحتفال في العالم الاسلامي

بميثاق التضامن الاسلامي

في ظل ذكرى انعقاد مؤتمر القمة الإسلامي الأول بالرباط

للاستاذ المهدي البرجالي

قرر مؤتمر خارجية الدول الاسلامية بكوالا لامبور (من 21 - 6 - 1974 الى 25 - 6 - 1974) اتخاذ يوم 25 شتنبر من كل سنة ، موعدا للاحتفال السنوي - على صعيد العالم الاسلامي - بيوم ميثاق التضامن الاسلامي .

والقرار المتخذ واقع - بطبيعة الحال - ضمن نطاق التعبير عن الرغبة الجماعية في توثيق مظاهر الترابط بين المسلمين ، وتعزيز عوامل وحدتهم ، وهي وحدة يراد لها - ان تكون ذات مخبر على غرار ما لها من مظهر ، وان تدخل في الحياة الاجتماعية للمعنيين بها ، عن طريق التقاليد الاحتفالية التي ياخذ بها هؤلاء ، مثل دخولها في حياتهم الاقتصادية عن طريق المؤسسات المقامة لتنسيق التعاون الاقتصادي بين الدول الاسلامية .

ان التشارك في الشعور بين المجتمعات الاسلامية ، قد مكن من جعل مؤتمر كوالا لامبور والمؤتمرات قبله، وما ترتب عنها حقيقة دولية قائمة، وقد تلاقت الاهتمامات في حظيرة اللقاءات الاسلامية هذه حول العمل من اجل ترجمة هذا الشعور الموجود، الى حقائق عملية على الصعيدين السياسي والاقتصادي ونحوهما ، تمكينا للوطن الاسلامي من اكتساب موقع مكين في عالم اليوم ، مرتكز على تفاعل طاقاته المادية وتناسقها ، الا ان اقرار الاحتفال سنويا بيوم الميثاق، قد اتى ليركز اساسا على الجانب المعنوي كقوة فعالة في حفز الاتجاه نحو التكافل الاسلامي المنشود ، وحث الخطى لاصابته المزيد من اهدافه ، لقد جاء القرار ليكرس التضامن الاسلامي الجديد تكريسا يدخله في نطاق الاعياد المرعية في البلدان الاسلامية ، ويحله - من ثم - مكانة بين التقاليد الاجتماعية عند المسلمين ، بكل ما يتصل بذلك من ملابسات نفسية وفكرية ، من الضروري ان يكون لها اثر في زيادة الارتباط بمفهوم التضامن ومقتضياته.

ان النطاق الفكري والنفسي للعيد ليربط بين المحتفين به ربطا قوامه، تشاركهم في الايمان بدلالة من الدلالات المحتفى بها ، وتضافرهم على الاعتزاز بها ، والتجاوب معها بمشاعرهم وافكارهم . وهذا ما يوفر طاقة الحماس الجماعي لعيد من الاعياد ، ويمكن له في مضمون التقاليد المتبعة ، ويتيح له - من ثم - لان يصير من بين متوارث هذه التقاليد ، انتقالا من جيل لآخر .

والتضامن الاسلامي احساس قائم بالفطرة في نفسيات الافراد والجماعات بالاوطان الاسلامية ، وهو شعور يتمازج فيه التشارك في المشاعر الدينية مع مؤثرات الترابط التاريخي الطويل ، والتفاعل الثقافي والحضاري ماضيا وحاضرا ...

وباقرار الاحتفال سنويا في العالم الاسلامي ، بهذا التضامن ، فان الامر يشكل تجاوبا طبيعيا مع حالة فكرية ونفسية قائمة عند عامة الناس في البلدان الاسلامية ، وبكل ما تنطوي عليه حالة كهذه ، من اعتزاز بمعنى العيد المقرر ، وتحمس له ، وتضافر على الاحتفاء به .

ومن اليسير على عيد ـ والمناخ النفسي والفكري المحيط به على هذه الشاكلة ـ ان يتغلغل في صميم التقاليد الاجتماعية للبلدان التي تحتفي به ، مع ما يلزم عن هذا من رسوخ الدلالة التي يوحي بها في حظيرة المجتمع المعني ، وانعكاسها على اهتماماته ومصالحه القومية .

وقد روعي في توقيت الاحتفال السنوي بيوم الميثاق الاسلامي ، ان يكون موعده مطابقا لتاريخ انعقاد مؤتمر القمة الاسلامي الاول بالرباط . وهو توقيت ملائم من الوجهة المنطقية ، باعتبار ان مؤتمر الرباط ، كان المنطلق لسلوك الخط التضامني الراهن ، ضمن نطاق منظمة المؤتمر الاسلامي ، وبالتالي فان العزيمة الصادقة ، التي كانت حافزا على الانطلاق ، متخطية عقباته ومصاعبه ، يجب ان تستمر ذكراها حاضرة في الاذهان ، موحية بمزيد من العزم على تجاوز اقصى ما يمكن ان يوجد من سلبيات ، او يعترض من حواجز ، وتوفير كافة الاسس الضرورية لمتانة البنيان المراد اقامته .

ان كل ما سيتم في المراحل اللاحقة للعمل التضامني الاسلامي لهو في الواقع ثمرة تلك الطفرة التاريخية ، التي حصلت في سنة 1969 عندما توجه جلالة الحسن الثاني الى العالم الاسلامي ، يدعوه الى لم الشمل ، وجمع الكلمة ، والوقوف على صعيد واحد في مضمار التضامن والتكافل، واحتضنت عاصمة المملكة المغربية اول جمع دولي اسلامي من نوعه قام على اساس هذه الدعوة ، في تحد قوي لكافة سلبيات عصور التخلف ، وعهود الاستعمار ، وتضافر على حشد الطاقات الموفورة للبلدان الاسلامية ، واعطاء وجود المجتمع الاسلامي على اساس ذلك مدلولا جديدا ، يتسم بالتماسك والتكامل ، وتحدوه ميزات الفاعلية والتبصر ، وينعم باستقلال الفكر والارادة واتخاذ المبادرة والانجاز ، دون تبعية وانحياز .

وشهد العالم ، وسجل التاريخ ، ميلاد الكيان الدولي الجديد ، القائم على سند من اخوة الاسلام ، واستمداد من موضوعية الارتباط الحتمي بين المسلمين، وكان في ذلك فوز بين للفكرة النيرة ، والبصيرة النافذة ، والايمان ، اذ يسمو على المثبطات ، ويطوع الظروف لطبيعة ما يستهدفه .

وتلاحقت ـ بعد مؤتمر الرباط ـ وفي تسلسل حتمي ناجم عن الروح التي انبثقت عنه ـ مظاهر التواصل ـ بين اقطار المسلمين ، سواء في جدة ، او في لاهور ، او في كوالا لامبور ، فلا شيء مما بدا في هذه التجمعات الاسلامية ، الا وكان مؤكدا لجذرية الحدث التاريخي الذي احتضنته العاصمة المغربية، واصالة بواعثه وسعة ابعاده ، ولا شيء مما افضت اليه المشاورات والمؤتمرات الاسلامية المتلاحقة ، الا وهو بين الدلالة على ان الحشد العاطفي والفكري الكثيف الذي استمد منه مؤتمر الرباط وجوده ونتائجه ، كان اضخم واروع من ان تستهلك فعاليته في نطاق محدود ، او تستنفد اغراضه في مدى قصير .

ان هذه الهالة التاريخية التي اكتنفت مؤتمر القمة الاسلامي الاول ، وعمق الاستمدادات الفكرية التي انطلق منها ، وخصوبة المناخ العاطفي الذي اذكى حوافزه ، كل ذلك ليجعل منه ، منبثق اشعاع مستمر على ارضية التضامن بين المسلمين في النطاق الذي ترعاه منظمة المؤتمر الاسلامي، ومستلهم سير وتطور لحركية هذا الكيان ، وآفاق نجاحه .

ومن هذه الرؤية ، يتبين مدلول اتخاذ القرار المتخذ في « كوالا لامبور » وما ينطوي عليه هذا المداول من ابعاد منطقية .

الرباط ـ المهدي البرجالي

من أنباء العالم الإسلامي

المغــــرب :

افتتح الداي ولد سيدي بابا وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية بمسرح تواركة بالربـاط دورة تدريبية لوعاظ وائمة مدينتي الرباط وسلا فى اطار الدورات التدريبية التي اعتادت الوزارة تنظيمها بين الحين والآخر لفائدة المرشدين الدينيين والائمة والخطبـــاء .

ويتضمن برنامج هذه الدورة دروسا فى التفسير والحديث والسيرة النبويـة ، ومنهجية الدعـوة والدعـــاة .

ومعلوم ان هذه الدورة ستستمر مدة شهر وقد سبقتها فى السنة الماضية بمدينة الدار البيضاء دورة اولى كان لها مردود ملموس ، وتاثير كبير على وعاظ ومرشدي مدينة البيضاء ..

وبهذه المناسبة فقد القى السيد الوزير خطابا استهل به هذه الدورة بحضور عـدد كبيـر مـن الشخصيات الرسمية والعلماء والمسؤولين فى الوزارة :

اصحاب السعادة ، أصحاب السماحة والفضيلة، حضرات السادة المحترمين .

يشرفني ان احييكم ، مرحبا بكم ، وشاكـــرا تكرمكم بالحضور فى حفل افتتاح الدورة التكميلية ، التي تنظمها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلاميـــة ، لفائدة المرشدين الدينيين والخطباء والائمة ، بمدينتي الرباط وسلا ... والتي ستستمر شهرا كاملا ابتداء من هذا اليوم يتلقى المشاركون خلالها محاضرات فى مختلف الوان المعرفة الاسلامية ، تتناول مواضيـــع متنوعة من تفسير ، وحديث وحضارة ودراسات مقارنة من العقائد والاديان ... ومنهجية الدعوة والارشاد ، كما ستتناول دراسة عن حاضر العالم الاسلامي ومـــا يزخر به من طاقات مادية وفكرية وبشرية .

وقد سهرت مديرية الشؤون الاسلامية على اعداد منهاج حافل ، يحتوي الى جانب الدروس اليوميـــة ، على محاضرات أسبوعية تعالج بعض الموضوعـــات الهامة التي من شأنها أن توسع آفـاق المشاركيـــن وتساعدهم على استيعاب مختلف جوانب المهمة التي سيضطلعون بهـــا ...

وقد استدعي لالقاء الدروس والمحاضرات طيلة فترة التدريب هذه ، صفوة من اجلة علمائنا ومفكرينا الذين لا نملك الا ان ننوه باريحيتهم العلمية ، ونقـــدر تضحيتهم ، خصوصا وان الدورة تنظم فى وقت هـــو بالنسبة اليهم وقت راحة واستجمام .

حضرات السادة ــ انه لا يخفى عليكم ما تكتسيه عملية تكوين الاطر من اهمية بالغة ، فالاطار الصالح ، المختص ، يعني بالضرورة ضمان جودة الانتاج ووفرة المحصول ... واذا كان ثمة ميدان ما يحتـــاج الـــى المزيد من العناية بتكوين اطره ، فهو ميدان التربيـــة الروحية ... لقد انتهى الى الابد ، ذلك التفكير العقيم

الذي كان يرى ان الدور الذي تقوم به التربية الروحية والخلقية في رفع مستوى المجتمعات والدفع بها في معارج الرقي والكمال ، هو دور ثانوي ، لقد ظهر خطأ هذا النوع من التفكير في النتائج الوخيمة التي انتهت اليها المجتمعات التي طغت عليها المادة وتسربت اليها عناصر الالحاد ، وصرفتها عن كل ما يستجيب لحاجة الانسان الروحية .. وها هي تتحمل الان عواقب هذا الاختيار الذي ادى بها الى اختلال خطير في التوازن المجتمعي وفتح عليها ابواب الانحراف والانحلال وتحطيم الاسرة .

اما مجتمعنا الاسلامي فله في دينه السمح الكريم ما يعصمه من الوقوع في مثل هذه المحاذير . فديننا ــ ولله الحمد ــ هو خلاصة الاديان ، ومنبثق كل هداية وصلاح ، وسبيل الحق والصدق ، ومناط السعادة في الآجلة والعاجلة ، وليس علينا الا ان نتمسك به حق التمسك ، فيقينا كل زيغ وضلال ، ويؤمن لنا سلوك السبيل السوي ، وتحصيل الخير العميم .

انطلاقا من هذه العقيدة، واقتناعا باهمية وضرورة اتباع ما امر الله به ان يوصل ، وتنفيذا لتعليمات مولانا امير المؤمنين الحسن الثاني رائد البعث الاسلامي في هذا الوطن، تنهمك وزارة الاوقاف والشؤون الاسلاميه في اعداد برنامج شامل ، يستهدف بالدرجة الاولى تحريك جهاز التوعية الاسلامية الذي تم تنصيبه في سائر مدن المملكة وقراها ، وبدا يمارس مهمته بصفة دائمة ومنتظمة ، وذلك وفق تخطيط علمي مدروس .. يستجيب لرغبات سائر الفئات والطبقات الاجتماعية .

ولكي تضمن لهذا الاسلوب عطاء زكيا ، ومردودا طيبا ، فلا بد من توفير عناصر انجاحه وتيسير وسائل تنفيذه .

وفي مقدمة ذلك، تكوين العناصر التي وكل اليها امر تنفيذ هذا المشروع ، وتقديم العون والمساعدة لهم ماديا ومعنويا ، وفي هذا الاطار تقوم مديرية الشؤون الاسلامية باعداد خطب ومحاضرات نموذجية يتم توزيعها اسبوعيا بواسطة النظار والسلطات المحلية على الوعاظ والخطباء في الحواضر والبوادي ...

وبعد تأمين عملية تزويد الخطباء والمرشدين بذلك ، بصفة دورية ومنتظمة ، قررت الوزارة تدعيما لذلك ، ان تقوم بتنظيم دورات تكميلية على مستوى الاقاليم ، الغاية منها اعطاء المرشدين والخطباء تكوينا ، يجعلهم اكثر قدرة على استيعاب الرسالة الملقاة على عاتقهم واعمق فهما لملابسات عصرهم ، وما يموج به من مذاهب وفلسفات وتيارات عقائدية ، فالمفروض في كل من يتصدى للارشاد ان يكون ملما بطبيعة هذه الفلسفات والتيارات ، مدركا لمواطن الضعف فيها ، حتى يعرف كيف يدحضها بالتي هي احسن ، اي بالطرق المنطقية والمعقولة والاسلوب العلمي الذي لا يقبل غيره .

هذه بالاضافة الى تزويدهم باحدث اساليب الدعوة وأفيد الطرق التي انتهى اليها الابتكار والتجديد في هذا المجال ...

اننا عازمون باذن الله على تطوير اساليب الوعظ والخطابة التي بحكم التطور اصبحت مفتقرة الى المزيد من الانسجام مع المنطق والواقع والمفاهيم المعاصرة، فالمرشد والخطيب يجب ان يرتفع الى مستوى رسالة، وعليه ان يتوفر الى جانب سعة المعرفة وعمق الاطلاع، على صفاء فكري وروحي كامل ، وان يعمل باستمرار على تنمية مواهبه وتوسيع مداركه ، واثراء رصيده العلمي بالاضافة الى تطهير اخلاقه والسمو بنفسه وروحه .

يجب على المرشد والخطيب ورجل الدين عموما ان يكون ذكيا عالي المهمة ، عزيز النفس ، وبذلك يكبر في أعين رواده ، ويكثر مستمعوه ويتضاعف مريدوه ، كما يجب ان يكون تقيا نقيا ، مثقفا ذكيا ، حريصا على مسايرة ركب العلم والحضارة ، متفتحا نظره على الحياة ، مستفيدا من كل مشاهداته وتجاربه منها ، متصلا بالمجتمع ، متفاعلا معه ، خبيرا بشؤون الناس افرادا او جماعات .

اننا نريد صياغة جديدة لرجال الدعوة والخطابة، وكل المنتصبين لاداء رسالة الحياة والخلود ، ولكننا سنقطع المراحل شيئا فشيئا ، ونطويها تدريجيا ، معتمدين على همة علمائنا الاعلام لتغذيتكم روحيا وفكريا، ثم على طموحكم وتطلعكم نحو الكمال والفضيلة.

حقق الله لامتنا ما تنشده من نعمة الاستقرار الروحي والمادي في ظل رائد البعث الاسلامي مولانا امير المومنين الحسن الثاني ، ابقاه الله للبلاد ملاذا امينا ، وحصنا حصينا ، واقر عينه بسمو ولي العهد المحبوب آمين ، انه سميع مجيب .

والسلام عليكم ورحمة الله .

* توفي المفتي الاكبر للقدس وفلسطين المحتلة الحاج محمد امين الحسيني في بيروت عن سن تناهز الثمانين سنة وكان المفتي الحاج محمد امين الحسيني قد نقل الى المستشفى قبل لحظات من وفاته .

وعلى اثر نعي الفقيد بعث صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله ببرقية تعزية الى السيد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية جاء فيها ما يلي :

ان لله وانا اليه راجعون ، لقد تلقينا بمزيد من الحسرة والالم نبأ الفاجعة التي منى بها الاسلام والعروبة واصيبت بها فلسطين الاسيرة خاصة بوفاة مجاهدها البطل وعالمها الفذ ، الحاج امين الحسيني رئيس الهيأة العربية العليا ومفتي القدس الشريف .

اننا وشعبنا لنشعر بحزن عميق والم ما له من مثيل لفقدان هذا المجاهد العظيم والمؤمن الصادق الذي تجمعه بأسرتنا قرابة الدم وتربطه بوالدنا رابطة الكفاح في سبيل الحرية والانعتاق وصد الطغيان وتطبعه في اذهان جميع العرب والمسلمين وانصار الحق والحرية في كل مكان صور النضال الذي قاد مسيرته في مراحله المبكرة لصد تيار الصهيونية الغاشم والقضاء على المؤامرة الكبرى التي دبرت لطرد الشعب الفلسطيني من وطنه واحلال اجانب غرباء محله فيه .

اننا لنقف خاشعين أمام هذه الكارثة الجديدة التي اصابت وطننا الاسلامي والعربي بصفة عامة واصابت الشعب الفلسطيني بصفة خاصة ولا نجد عزاء الا في الدفاع عن المبادىء وبلوغ تعبئة القوى وتجنيد الطاقات والاهداف والغايات التي وقف فقيدنا الحاج امين الحسيني حياته الحافلة على الدفاع عنها والعمل على بلوغها ، حتى استشهد وهو يناضل بكل قواه في سبيلها .

واننا في هذه اللحظة الاليمة لنبعث في شخصكم الى جميع المناضلين الفلسطينيين بتعازينا الشخصية وتعازي شعبنا الذي يكبر نضال الفقيد ويجله ، ونرجو ان تكونوا خير ترجمان يعبر عن تضامننا وآلامنا ومواساتنا لدى الشعب الفلسطيني في هذا المصاب الجلل .

افرغ الله على فقيدنا الراحل شآبيب رحمته ورضوانه ، واسكنه فسيح جناته انه سميع مجيب .

* افتتح كما هو معلوم في كوالالمبور مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية بحضور ممثلي 37 دولة من بين فيهم ممثلوا الثورة الفلسطينية التي ساهمت لاول مرة في هذا المؤتمر بوصفها عضوا كامل الحقوق طبقا للقرار المتخذ في مؤتمر القمة الاسلامي بلاهور .

وقد ساهم المغرب في هذا المؤتمر بوفد ترأسه السيد الداي ولد سيدي بابا وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية وقد ضم هذا الوفد السيد بادو سفير المغرب في جدة ، والسيد عبد اللطيف العراقي سفير المغرب في القاهرة والدكتور بنعبود رئيس قسم الشرق الاوسط وافريقيا في وزارة الخارجية .

وقد ادلى السيد الوزير لدى مغادرته المغرب بتصريح ذكر فيه بان من بين القضايا التي سيناقشها مؤتمر كوالالمبور قضية القدس الشريف وتحريرها من السيطرة الصهيونية والمشكل الفلسطيني وقضايا اخرى تتعلق بالتضامن الاسلامي في الميادين الاقتصادية والسياسية والاجتماعية .

وذكر السيد الداي ولد سيدي بابا بالمجهودات التي بذلها صاحب الجلالة الحسن الثاني في مجال تعزيز التضامن بين الاقطار الاسلامية وبالنشاط الذي قام به جلالته من اجل عقد اول مؤتمر قمة اسلامي بالرباط وهو المؤتمر الذي أسفر عن انشاء عدةمنظمات دولية اسلامية هدفها تمتين الروابط وتطوير التعاون وتعزيز التضامن بين الشعوب الاسلامية ، واوضح السيد الوزير ان مشكل الاقليات الاسلامية المضطهدة في بعض الاقطار ستكون محور المناقشات في المؤتمر .

وقال السيد الداي ولد سيدي بابا ايضا : « ان مشكل الصحراء المغربية ما تزال خاضعة للسيطرة الاسبانية ستناقش في مؤتمر كوالالمبور واننا نتمنى ان يبرز التضامن الاسلامي في المؤتمر ازاء هذا المشكل فالمغرب الذي قام بواجبه في الكفاح الذي خاضته افريقيا من اجل تحريرها ، والمغرب الذي ساهم في تحرير الشعوب يوجد في وضع غير عادي نتيجة كون جزء من اراضيه تحت السيطرة الاجنبية ، والى خطورة هذا الوضع ننوي اثارة انتباه المؤتمر وذلك لكي يتأكد التضامن الاسلامي ، ازاء قضيتنا »

وتدعو التوصية التي صادق عليها مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية بشأن الصحراء المغربية المغتصبة ، تدعو اسبانيا الى انهاء احتلالها للصحراء المغربية ، وتكلف الامين العام بأن يسهر على تطبيق هذه التوصية .

وتعتبر هذه التوصية مشابهة لتلك التي اتخذها مؤتمر منظمة الوحدة الافريقية بمقاديشيو .

وصادق مؤتمر كوالالمبور على توصية تتعلق بمساندة الكفاح الفلسطيني واعتبار منظمة التحرير الفسلطيني الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني وتوصية اخرى ضد العدوان الاسرائيلي على جنوب لبنان تدعو الدول الى قطع علاقاتها مع اسرائيل .

كما ان هناك قرارات اخرى فيما يخص المسلمين فى الفليبين وتدعيم امن وسلامة البلدان التي لا تتوفر على الاسلحة النووية والمبادلات الاقتصادية بين البلدان المتقدمة والعالم الثالث والاقطار الخاضعة للاستعمار البرتغالي ومساعدة غينيا بيساو .

كما صادق المؤتمر على قرار يقضي باعتبار يوم 25 شتنبر من كل عام تاريخ انعقاد اول مؤتمر قمة اسلامي بالرباط — يوم الاحتفال بالميثاق الاسلامي — وبذلك يخلد المؤتمر تلك الانطلاقة الاولى التي جاءت بمبادرة من المغرب حينما دعا صاحب الجلالة نصره الله الى مؤتمر قمة افريقي يناقش اعتداء الصهاينة على المقدسات الاسلامية واحراق بيت المقدس .

ومنذ ذلك التاريخ اصبح العالم الاسلامي قوة يحسب لها الف حساب واصبحت للامة الاسلامية كلمة وثقل فى الميزان الدولي .

وقد قرر مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية ان يكون يوم 25 شتنبر من كل عام يوما للميثاق الاسلامي يحتفل به فى جميع البلدان الاسلامية وقد تمت المصادقة بالاجماع من قبل المؤتمر الخامس لوزراء خارجية البلدان الاسلامية على هذا الاقتراح الذي تقدمت به ماليزيا .

ونشير الى ان يوم الخامس والعشرين من شتنبر يصادف اول مؤتمر قمة اسلامي انعقد فى الرباط عام 1969 بدعوة من صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله .

وكان مؤتمر الرباط قد سجل انطلاقة كبيرة فى سبيل توحيد كلمة المسلمين وتدعيم مكانتهم فى العالم وسيبقى هذا اليوم يوما خالدا فى التاريخ الاسلامي .

هذا وقد انهى المؤتمر دورته بالمصادقة على عدة ملتمسات وقرارات وقرر ان تنعقد الدورة السادسة لوزراء الخارجية بالقاهرة فى النصف الثاني من شهر ماي من السنة المقبلة .

وادلى السيد الوزير بتصريح لدى عودته من ماليزيا اكد فيه ان طلب المغرب بتأييده فى قضية الصحراء المغربية قد قوبل بالتأييد من طرف الوفود المشاركة كما نوقشت قضية الصحراء وحدد قرار يندد بالمماطلة التي تتبعها الحكومة الاسبانية فيما يتعلق بتصفية الاستعمار من هذه المنطقة المغربية واعادتها الى الوطن .

وقال السيد الوزير :

شارك الوفد المغربي الذي تشرفت برئاسته فى اعمال مؤتمر كوالالمبور ، وهو المؤتمر الخامس لوزراء خارجية الدول الاسلامية منذ ان انعقد لاول مرة هنا فى الرباط مؤتمر القمة الاسلامي .

وكانت المواضيع التي درست فى هذا المؤتمر من اهم المواضيع التي تشغل بال الراي العام الاسلامي والعربي ومن بينها القضية الفلسطينية وقضية القدس وقضايا الاستعمار .

وفى هذا الموضوع بالخصوص كان الوفد المغربي قد ادرج فى جدول اعمال المؤتمر قضية الصحراء المغربية مذكرا انها من اخطر القضايا الاستعمارية التي ما زالت تعاني منها الامة الاسلامية والعالم العربي وافريقيا .

واضاف السيد الوزير ان ذلك هو الشيء الذي جعلها تعترف بالاهمية الكبرى للمؤتمر الاسلامي الاول الذي انعقد فى الرباط ، وتقرر تخليد الاحتفال بذكراه يوم 12 جمادى الثانية من كل سنة ونعتبر نحن المغاربة هذه النقطة هامة جدا لانها تبرز مدى اهمية الدور الهام الذي قام به جلالة الملك والشعب المغربي لاعداد المؤتمر الاول ثم وضع الاسس الاولى لخلق الكيان الاساسي الذي اصبح الآن يعتبر كيانا عالميا له وزن فى المنتظم الدولي ، قد اتخذت قرارات اخرى تتعلق بالتعاون الاقتصادي والمالي وانشاء صندوق للتضامن الاسلامي حيث تمت المصادقة على ان يكون هذا الصندوق جزءا من البنك الاسلامي وهو الآن فى طريق الاعداد وسيكون هذا البنك فى أمد غير بعيد عاملا من عوامل التضامن والتقارب والتساند بين جميع الشعوب الاسلامية كما وافق المؤتمر على انشاء وكالة انباء العالم الاسلامي التي ستتلقى عما قريب التبرعات من بعض الدول المنتجة للبترول الشيء الذي سيسمح للوكالة بأن تباشر اعمالها فى اقرب وقت ممكن ، وباختصار فان المؤتمر كان منظما تنظيما جيدا بفضل ما وفرته الحكومة الماليزية من أسباب الراحة ، وقد

وفرت الحكومة الماليزية وشعب ماليزيا حفاوة وتقديرا لجميع الشعوب وخصوصا الوفد المغربي الذي كان محاطا برئيس الوزراء الماليزي وحكومته بعناية خاصة وذلك لما تكنه ماليزيا من تقدير لصاحب الجلالة ولمواقف جلالته لصالح ماليزيا والعالم الاسلامي وقد قوبل طلب المغرب بالتأييد من طرف الوفود المشاركة وبناء على هذا القرار فقد نوقشت قضية الصحراء المغربية وصدر في اعقاب هذه المناقشة قرار يندد بالمماطلة التي تتبعها الحكومة الاسبانية فيما يتعلق بتصفية الاستعمار من هذه المنطقة المغربية واعادتها الى الوطن .

كما ان المؤتمر وافق على فقرة اخرى تطالب الحكومة الاسبانية بسحب قوات الاحتلال الموجودة في المنطقة. وقد كلف المؤتمر الامين العام للمؤتمر الاسلامي بأن يقوم بالوسائل الضرورية لتطبيق قرار مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية ، وفعلا فقد وعد الامين العام للمؤتمر بالقيام بواجبه لا فقط كأمين عام للمؤتمر الاسلامي ولكن كعربي ومسلم يريد لهذه البلاد ان تتحرر أراضيها قاطبة .

ومن بين القضايا الاخرى التي تمت مناقشتها ايضا موافقة المؤتمر على قرار يقضي بأن تكون للعالم الاسلامي يوم عيد يحتفل به تخليدا لذكرى المؤتمر الاسلامي الاول الذي انعقد في الرباط بطلب من صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله .

❊ تقابل السيد الداي ولد سيدي بابا وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية مع وزير دولة الامارات العربية السيد عيسى بن حرب وزير الشؤون الاسلامية والاوقاف في حكومة أبو ظبي ، واجرى معه حديثا وديا تناول تعزيز علاقات التعاون لما فيه المصلحة العامة للبلدين ، وقد قدم الوزير العربي هدية الى وزير الشؤون الاسلامية المغربي وهي عبارة عن مصحف شريف ، وقد اكد بأن هناك مجالات خصبة للتعاون بين دولة الامارات لتركيز الثقافة والحضارة والتراث الاسلامي .

وليس هناك من شك بأن مسيرة حقيقية تصنع الغد المرتكز على عقيدة اسلامية تعمل عملها لتصحيح المفاهيم والتصورات المغلوطة ووضع لبنات صحيحة تكون دعامة قوية نرتكز عليها في مسيرة التطوير والمحافظة على شخصيتنا وتطعيم حضارتنا بعناصر جديدة تكون في مستوى تطلعاتنا وطموحنا ، وركز الوزير العربي على موضوع تبادل الخبرات واللقاءات والاستفادة منها

ثم رد الوزير المغربي على كلمة وزير دولة الامارات العربية المتحدة بانه يأمل في لقاءات متعددة تدعيم علاقات التعاون وتستطيع ان تخرج من خلال تعاوننا بكل ما يخدم الاسلام وتنتفع به امة الاسلام ، وقال ان هذا الاستعداد من حكومة صاحب الجلالة يدل على عزيمة وارادة وقدرة تساعدنا على بحث كل الامكانيات وابرازها لصالح العروبة والاسلام .

وتحدث السيد الوزير عن وضع كل امكانيات حكومة صاحب الجلالة في سبيل خدمة مصلحة الاسلام ونوه بمجهودات رئيس دولة الامارات العربية المتحدة وايمانه بضرورة تكاثف الجهود والسير قدما سدا منيعا ضد كل التحديات الدخيلة .

وابلغ وزير حكومة صاحب الجلالة الضيف الكريم ان بلاده تعتز باستضافة اخ عزيز تربط بلاده بالمغرب باوثق العرى .

❊ استقبل السيد الداي ولد سيدي بابا وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية سماحة المفتي السيد بابا خانوف رئيس الادارة الروحية لمسلمي آسيا الوسطى وكازاخستان ، الذي جاء في زيارة مجاملة للسيد الوزير .

وقد دار الحديث بين سماحة المفتي والسيد الوزير حول مواضيع اسلامية عامة والصلات الثقافية والحضارية بين المسلمين .

وقد حضر هذه المقابلة السيد كاتب الدولة في الاوقاف والشؤون الاسلامية ، وبعض المسؤولين في الوزارة .

❊ تقدم الاستاذ محمد الخمار الكنوني مساعد بكلية الآداب والعلوم الانسانية بفاس بتحقيق وتقديم لكتاب: « الوافي ، في نظم القوافي » لابي الطيب صالح بن شريف الرندي (601 هـ — 684 هـ) كراسة لنيل شهادة السلك الثالث الى كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط .

وقد نوقشت الرسالة يوم 13 — 5 — 1974 من الاستاذ الدكتور محمد بن شريفة مشرفا ورئيسا، وعضوية الاستاذين الدكتورين : امحمد الطرابلسي ، ودرويش الجندي ومنحت بميزة : حسن .

❊ صدر بفاس العدد الاول من مجلة شهرية جديدة باللغة العربية تحت اسم « الدار » وهي مجلة تهتم

كما جاء فى عنوانها بشؤون السكنى والتعمير والسياحة والمحافظة على البيئة الطبيعية فى المغرب ويقع العدد الاول من هذه الجريدة فى ثمان صفحات من الحجم المتوسط ويشرف على ادارة هذه الجريدة السيد نجدي محمد

* تنفيذا لتعليمات امير المومنين جلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله كانت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية قد كلفت اعضاء المجالس العلمية بالمغرب بتحقيق وتصحيح تفسير ابن عطية : — المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز —

ويقع فى 12 جزءا مع جزء اضافي للفهارس ، ويضم كل جزء 5 احزاب ويقع فى حوالي 600 صفحة من الحجم الكبير .

* تقدمت دار الحديث الحسنية رسالة للمناقشة فى موضوع المدرسة القرآنية بالمغرب من اعداد الاستاذ عبد السلام الكنوني لنيل دبلوم الدراسات الاسلامية العليا وكانت اللجنة مكونة من :

— الدكتورة عائشة عبد الرحمن رئيسة .
— الدكتور عبد الهادي التازي عضو
— الاستاذ أحمد بن تاويت عضو

واستغرقت المناقشة ثلاث ساعات بحضور جمهور من المثقفين وقد كللت بمجهودات الطالب عبد السلام الكنوني بالحصول على النجاح فى بحثه بدرجة حسن وكان هذا العطاء من دار الحديث الحسنية هو التاسع من نوعه .

* اشادت جريدة « البلاد » بالخطوة التي اتخذتها حكومة جلالة الملك الحسن الثاني بتوجيهات كريمة من جلالته بوقف تصوير فيلم محمد الرسول صلى الله عليه وسلم ..

وقالت — ان مواقف جلالة العاهل المغربي تميزت بالغيرة الاسلامية النابعة من قلب عامر بالايمان بالله تعالى والعمل فى خدمة دينه والدفاع عنه .

وقالت — اننا نحيى جلالة ملك المغرب فى اكبار وتقدير ونرجو للمغرب استمرار التوفيق فى اطار من الاسس الاسلامية التي قامت عليها مسيرته عبر التاريخ ثم جاء الملك الحسن الثاني ليدعمها ويزيدها قوة على قوتها بما جعل من المغرب قلعة شامخة من قلاع الاسلام ومعاقله فى مواجهة تحديات العصر .

* توصلت لجنة الرصيد اللغوي للمغرب العربي الى الانتهاء من وضع لغة موحدة للمرحلة الاولى من التعليم الابتدائي فى صورة معجم عربي فرنسي وفرنسي عربي مع المقابل العربي الانتكليزي والانكليزي العربي ، وهكذا ستصبح هذه اللغة العربية الفصيحة الموحدة التي انطلقت من صميم حاجات التلميذ المغربي فى بيئته واعتبرت لغة كتبه المستعملة فى الاقطار الثلاثة وراعت المفاهيم العصرية التي يتعلمها الطفل الاوروبي ، مستعملة فى جميع الكتب المدرسية اثناء السنوات الثلاث من التعليم الابتدائي ابتداء من اكتوبر 1975 بعد اجراء التجارب (البيداغوجية) فى شهر سبتمبر المقبل لدراسة أحسن طرف التطبيق فى مدارس المغرب العربي .

ولهذه الغاية سيجتمع ممثلو كل قطر فى علوم التلقين .

وقد قام بهذا العمل الفريد من نوعه فى تاريخ لغتنا وتعليمنا كل من معهد الدراسات والابحاث للتعريب عن المغرب، ومعهد العلوم الصوتية واللسانية عن الجزائر وقسم الالسنة بجامعة تونس عن تونس

وستجتمع هذه اللجنة النشيطة لمتابعة اعمالها فى وضع الرصيد اللغوي الوظيفي للمرحلة الثانية اثناء شهر نوفمبر القادم بتونس او الجزائر .

ومما يجدر التنبيه اليه ان هذا المعجم الاول يحتوي على الفاظ علمية وتقنية وحضارية وضعت على اسس قواعد اللغة العربية الصرفية والاشتقاقية كما اعتمدت اعمال المجامع والهيئات المختصة فى وضع المصطلحات فى العالم العربي قصد التوحيد مع المشرق الشقيق ، ومراعاة للحياة اليومية فانها تبنت الفاظا حضارية خاصة بالمغرب العربي على أساس الاشتراك.

ومن المعلوم ان هذا الرصد اللغوي كان قد وزع على هيآت تربوية وادباء وعلماء ابدوا رايهم فى الفاظه ثم جمعت هذه الاراء كلها وعورض بعضها ببعض اثناء لجنة مكبرة حضرها عناصر مختلفة من كل قطر من اقطار المغرب العربي ثم حصل الاجماع عليها .

لهذا يعتبر هذا العمل اول عمل لغوي جماعي واجماعي حقق فعلا الخطوة الاولى المحسوسة الملموسة فى طريق التوحيد المنشود .

وأخيرا نقدر الصعوبات والمشاق التي وجدها اعضاء اللجنة فى طريقهم ، الا اننا نعلم ان النجاح الذى حققوه للغتنا القومية سينسيهم كل المتاعب التي

تكبدوها والتي سيتكبدونها فى هذا الطريق الطويـل لتحقيق وحدتنا اللغوية .

الجزائـــــر :

✻ كان آخر نشاط قام به اتحاد الكتاب الجزائريين، فى موسمه الحالي ، هو ندوة عن التراث والموقف منه، فقد شارك فى الندوة كل من : محمد الميلي ، محمـد العربي ولد خليفة ، جمال اقنال ، احمد بن ديـاب ، الطاهر بن عائشة .

✻ فى دراسة سياسية واقتصادية وتاريخية للجزائر المعاصرة ، اعدتها وكالة « ناب ... » الفرنسية ، جاء فى مقدمتها ان الجزائر فى القرن السابع الميلادي لـم تكن تعرف بهذا الاسم الحالي ، بل كانت تسمى المغرب!

تـــونـــس :

✻ يعد الاستاذ ابو لبابة الطاهر حسين الموفد مـن كلية الشريعة واصول الدين بالجامعة التونسية بحثا لاستكمال رسالة الماجستير موضوعه « التاريخ فى معرفة الحديث » للامام البخاري تحقيق ودراســة ، وذلك فى كلية أصول الدين بجامعة الازهر وقد اطلع على النسخة المصورة منه بالمعهد وطلب تصويرها .

✻ صدر حديثا افادة النصيـح فى التعريـف بسند الجامع الصحيح ، لابي عبد الله محمد بن عمر بـــن محمد ابن رشيد السبتي الفهري الاندلسي ، تحقيـق الدكتور الشيخ محمد الحبيب بن الخوجة ، طبع الدار التونسية للنشر فى 158 صفحة .

السينغـــال :

✻ حصل الرئيس السنغالي ليوبولد سيدار سنغور مؤخرا على جائزة (ابولينير 74) الادبية المخصصـة للشعـــر .

✻ صدر اخيرا كتاب (اناشيد الظلال) للرئيـــس سنغور ، عربه شعرا الدكتور نمر الصباح . يضـم الكتاب احدى عشرة قصيدة تغلب عليها السمـــة الافريقية .

آكــــرا :

✻ اعلن فى اكرا ان منظمة الاغاثة الدولية الخاصة بالمسلمين تتخذ من نيجيريا مقرا لها تنوي انشـــاء جامعة اسلامية ، مالي تتولى مهمة الاشراف على كافة الدورات الاسلامية التي تعقد فى جامعات افريقيـــا الغربية .

نيجـريــا :

✻ أشهر جامعات افريقيا : جامعة (ابيــدان) النيجيرية ستقيم مسجدا كبيرا اطلقت عليه (الجامع الكبير)

الجامع يسع 2500 مصل وبه جناح خـــاص للسيدات .. كما يشتمل على قاعة احتفالات ومكتبـة اسلامية وبيت ضيافة .

الجامع سيقام فى حرم الجامعة التي رصدت 120 الف جنيه تحت حساب انشائه الذي يبلغ نصف مليون جنيه يساهم بها الطلاب المسلمون .

الســـــودان :

✻ اشهرت الصحفية الالمانية — كارولا بيرتمان — اسلامها فى العاصمة السودانية وفـق التعليمـــات الشرعية الاسلامية ، وقد عمدت الى تغيير اسمهـا السابق واختارت لنفسها اسم — فاطمة — الاسلامي

كمبـــالا :

✻ ذكرت التقارير الواردة من العاصمة اليوغندية عن حركة سير الدعوة الاسلامية فى يوغندا ان هناك اقبالا كبيرا من الوثنيين لاعتناق الدين الاسلامي وان متوسط الذين يشهرون اسلامهم يصل الى ثمانيــن شخصا كل اسبوع .

✻ تناولت احدى الوكالات الامريكية المتخصصـة موضوع انتشار الاسلام السريع فى القارة الافريقية وقالت بأن ثلث سكان القارة الافريقية اليوم يعتنقون الدين الاسلامي وبأن الاسلام ما زال يواصل زحفه فى انحاء القارة وتقول الوكالة بأن افريقيا ستكون قارة مسلمة تماما .

مصـــــــر :

* يقوم الاستاذ حسن عبد العال بكليـــة الاداب بجامعة الاسكندرية بتحقيق كتاب العصا لأسامة بــن منقذ ، وقد حصل على عدة نسخ مخطوطة من الكتاب من ايطاليا وهولندا والهند ونسختين صورهما المعهد من مكتبة الاسكوريال باسبانيا .

* كتاب الاغاني لابي الفرج الاصفهاني الجزء الثاني والعشرون ، تحقيق الاساتذة علي السباعي ، وعبد الكريم العزباوي ، ومحمود غنيم باشراف الاستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم ، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة فى 436 صفحة .

* تعد الاستاذة رقية ابراهيم ، المدرسة المساعدة بكلية البنات الاسلامية بجامعة الازهر رسالة دكتوراه موضوعها : « ديوان الامام الصرصري » تحقيـــق ودراسة وذلك تحت اشراف الدكتور احمد الشعراوي وكيل جامعة الازهر ، وقد اطلعت على نسخة الديوان الموجودة بالمعهد .

* يعد الاستاذ محمد جبر ابو سعده المـــدرس المساعد بكلية اللغة العربية بجامعة الازهر رسالة دكتوراه موضوعها : « الحركة العلمية فى جامع عمرو ابن العاص فى القرنين الاول والثاني للهجرة » وذلك تحت اشراف الدكتور احمد مجاهد مصباح الاستاذ بالكليـــة .

* يعد الاستاذ عبد الفتاح محمد ابو العينـين ، المدرس المساعد بكلية الشريعة بجامعة الازهـر ، رسالة دكتوراه موضوعها : « كتاب الاشباه والنظائر لتاج الدين السبكي « تحقيق ودراسة وذلك تحـــت اشراف الدكتور الشيخ عبد الغني عبد الخالق .

* يعد الاستاذ محمد الشيخ عبد الوهاب فضـل ، المدرس المساعد بكلية اللغة العربية بجامعة الازهر رسالة دكتوراه فى قسم التاريخ بالكلية، وقد اطلع على الاجزاء غير المطبوعة من كتاب المنتظم لابن الجوزي، توطئة لاختياره موضوعا لرسالته .

* يعد الاستاذ محمد جاد الرب المدرس المساعد بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة ، رسالة دكتوراه فى النحو تحت اشراف الدكتور كمال بشر عميد الكلية .

* يعد الدكتور ابراهيم نجيب محمود ، عضو رابطة الاطباء البيطريين بالقاهرة بحثا عن البيطرة عنـــد العرب وقد اطلع على فهارس المخطوطات ومراجع المعهد لاستكمال بحثه .

* معترك الاقران فى اعجاز القرآن تاليف الامـــام السيوطي (جلال الدين ابي الفضل عبد الرحمن بن ابي بكر) ، تحقيق الاستاذ على محمد البجـــاوي ، دار الفكر العربي بالقاهرة ، القسم الثالث فى 747 صفحة.

* التسهيل لعلوم التنزيل ، تاليف ابن جـــزي الغرناطي (ابى القاسم محمد بن أحمد بن جزي) ، تحقيق الاستاذين محمد عبد المنعم اليونسي وابراهيم عطوة عوض ، دار الكتب الحديثة بالقاهرة ، الجزء الاول فى 351 ص .

* يعد الاستاذ فتحي على حسانين المدرس بالتربية والتعليم بالقاهرة ، رسالة دكتوراه بعنوان « شـرح اللمع لابن جني لعمر بن ثابت الثمانينـــي « تحقيـق ودراسة ، وذلك فى كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر تحت اشراف الدكتور احمد حسن كحيل رئيس قسم النحو بالكلية، وقد اطلع على النسخة الموجودة بالمعهد من الكتاب وهو يرجو السادة الباحثين ممن يجد نسخة اخرى لهذه المخطوطة أن يتصل به مشكورا ليخبره بمكانها .

* اصدر الدكتور بدوي عبد اللطيف ، رئيس جامعة الازهر ، كراسا فى 30 صفحة من الحجم الكبير عــن (الميزانية الاولى فى الاسلام)

وكان الاستاذ حسين قاسم العزيز قـد اورد فى كتابه الضخم (البابكية) جداول مقارنة بالجزيـــة والضرائب التي كانت تحصلها الدول الاسلامية فى بعض فتراتها .

* يعد الاستاذ عبد الفتاح خليفة القرنوانـــي ، المدرس بمعهد دسوق الثانوي الديني رسالة وكتوراه موضوعها « الامام جلال الدين السيوطي وجهوده فى التفسير وعلوم القرآن » ، وذلك فى كلية أصول الدين بجامعة الازهر تحت اشراف الدكتور على محمود خليل الاستاذ بقسم التفسير بالكلية .

* بناء على التجربة الناجحة التي قام بها المجلس الاعلى للفنون والاداب بالقاهرة باصدار كتاب « خمسة

من شـعراء الوطنية » هم : احمد محرم واحمد الكاشف واحمد نسيم وعبد الحليم المصري وعلي الغاياتي ، قام بالكتابة عنهم وتحليل اشعارهم : د. بدوي طبانـــة ومحمود غنيم ومحمد عبد الغني حسن ومصطفـــى الماحي ود. مختار الوكيل ، بناء على هذه التجربة كلف المجلس الاعلى : د. محمد عبد المنعم خفاجي ومحمد عبد الغني حسن ومصطفى الماحي والعوضي الوكيل وعلي ادهم للكتابة عن الشعراء المرحومين : وعادل الغضبان وعلي الجندي وعزيز اباظة وعبد الرحمن صدقي ، كل باحث عن كل شاعر .

* ديوان شعر جديد صدر بالقاهرة للشاعر حسن اسماعيل بعنوان « اغنية حب » .

* حظى مشروع انشاء معهد اسلامي فى اليونـــان باهتمام المسؤولين فى اليونان .. فقد ابلـغ السفيـــر اليوناني بالقاهرة السيد اتوان كوارنتيس ، فضيلـة الدكتور عبد الحليم محمود ، شيخ الجامع الازهـــر ، ترحيبه بتنفيذ اي مشروع ديني يشرف عليه الازهر فى اليونان ..

* بحث الشيخ عبد العزيز عيسى ، وزير شؤون الازهر مع البروفسور جونس ، رئيس قسم الدراسات الاسيوية بجامعة كونبيرا الاسترالية ، الذي قـــام بزيارة القاهرة اخيرا ، امكانية اقامة مركز اسلامـــي بسدني وانشاء معهد لدراسة اللغة العربية قبل دخول قسم الدراسات العربية بجامعة كانبيرا ..

كما جرى بحث اهمية دراسة اللغة العربيـــة كاساس لدراسة الحضارة الاسلامية . وقد وعد وزير شؤون الازهر ، بمد الجامعة بالكتب والمخطوطـــات مساهمة من الازهر فى نشر الاسلام وتعليم اللغـــة العربية باستراليا .

* تجيب محفوظ عين مقررا للجنة السينما بمصر خلفا للفقيد عبد الحميد جودة السحار .

* «فى عالم الصيد» عنوان الكتاب رقم 10 للشيخ احمد حسن الباقوري يتناول الصيد تاريخيا واجتماعيا صدر بالقاهرة .

* « امبابة ولعنة الفراعنة » اسم كتاب صدر حديثا للرائد حسنين عرفة برانق رئيس مباحث امبابة بالقاهرة

* دعا فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود شيـخ الازهر جميع طلاب وطالبات كليات جامعة الازهر الى حضور « ندوة اهل القرآن » التي ستعقد يوميـا فى الجامع الازهر لحفظ القرآن وتفسيره والاستماع الى الاحاديث النبوية بعد انتهائهم من الامتحانات .. نشرت جريدة الاهرام هذا النبأ .

* يصدر قريبا فى مشروع المكتبة العربية عن طريق المجلس الاعلى للفنون والاداب بالقاهرة ديوان « سائر على الدرب » للشاعر محمد عبد الغني حسن وقد اودع فيه قصائده التي نظمها منذ صدور آخر ديوان له «ماض من العمر » الذي ظهر سنة 1952 .

* توفي الشاعر المصري الشاب محمود الماحي الذي كان يبشر بمستقبل فى الشعر وكان الماحـــي الصغير — تمييزا له عن الشاعر الماحي الكبير — من اكثر الشعراء نشاطا والقاء فى المحافل والندوات وهو من اسرة من محافظة البحيرة غير اسرة الماحـــي الشاعر بدمياط . وهو فى شبابه المختصر يذكرنـــا بشعراء الشباب الراحلين من امثال : احمد العاصي وفؤاد بليبل ومحمد رشاد ماضي وصالح الشرنوبـي وابراهيم محمد نجا .

* صدر فى القاهرة « ترنيمة حب » وهو الكتاب رقم 13 لفتحي الابياري .

* الدكتور رؤوف كحيل استاذ الاقتصاد بجامعـة اكسفور توفي فى تنزانيا حيثكان معادا ليلقيمحاضرات فى الجامعة التنزانية ، الدكتور كحيل مصري وله عدة مؤلفات فى الاقتصاد العالمي .

* توفي فى القاهرة فتوح نشاطي (73 سنة) شيخ المخرجين المسرحيين فى مصر . بدا هوايته للمسرح سنة 1924 وسافر فى بعثة الى فرنسا لدراســة الاخراج سنة 1937 ترجم ما يقرب من 50 مسرحية عن الفرنسية . بدا حياته ممثلا فى فرقة رمسيس ثم تحول للاخراج .

* احمد فؤاد تيمور (50 سنة) امين اول رئاسة الجمهورية بالقاهرة الف روايته الاجتماعية الثالثـــة « ثلاث زهرات » بعد ان اصدر من قبل « اعترف اليك» و « امومة حائرة » .

❊ صدر عن دار المعارف بمصر فى سلسلة اقـرأ « خبز الاقوياء » تأليف ابراهيم المصري ، فى هذا الكتاب النفيس جمع المؤلف تجارب حياته وخبراته وآراءه فى أسمى القيم التي يتميز بها الانسان : قيمة الاخلاق والمال والارادة والحب والثقافة والادب والفن والوطنية والدين . الكتاب فى 234 صفحة .

❊ تعد الاستاذة زينب محمد عفيف شاكر ، المعيدة بقسم الفلسفة بكلية البنات بجامعة عين شمس رسالة ماجستير موضوعها « الطبيعيات والالهيات فى فلسفة ابن باجة » .

❊ اقدم جمعية علمية فى مصر المعاصرة أقامها نابليون عند مجيئه اليها تحت اسم المجمع العلمي المصري من 175 سنة انتخب بتزكية اعضائها الـ 60 وزير الثقافة الاسبق الدكتور سليمان حزين رئيسا للمجمع للمرة الثانية .

❊ توفي بالقاهرة الدكتور احمد محمد كمال الحائز على جائزة الدولة التقديرية عميد المعهد العالي للصحة العامة سابقا والمستشار بالصحة العالمية ونقيب الاطباء الاسبق ورئيس الجمعية الصحية المصرية وصاحب ورئيس تحرير مجلة « الدكتور » .

❊ « الشعر الجاهلي بين ملوكه وعبيده » الرسالة التي نال بها الدكتوراه زكريا صيام من كلية اللغة العربية بجامعة الازهر .

❊ « صالح جودت فى الميزان » كتاب للناقد المصري من 175 سنة انتخب بتزكية اعضائها الـ 60 الندوة ويقع فى 142 صفحة .

❊ صدر فى منشورات دار الامم ببيروت « ديوان جبران » مجموعة شعرية لجبران جبور فى 216 صفحة حجم كبير . للمؤلف « الفصحى فى العامية » و « القانون فى الطب لابن سينا » و « عقلاء المجانين » .

❊ الاديب المصري يحيى حقي يكتب الان مذكراته التي تتضمن فترة اشتغاله بالسلك الدبلوماسي وتجربته مع القصة والادب .

❊ توفي فى القاهرة الدكتور احمد زكي صالح وكيل كلية التربية واستاذ ورئيس قسم علم النفس التعليمي بجامعة عين شمس .

❊ « شرفاء لا يسرقون » كتاب جديد فى مكتبات مصر الان لمحمد حمدي عبد المجيد اهداه الى الذين يعطون بسخاء فيثرون الحياة بعطائهم ولو كان نصيبهم منها الجحود .

❊ انتخب المجمع اللغوي بالقاهرة الدكتور ابراهيم بيومي مدكور رئيسا له خلفا للفقيد الدكتور طه حسين بعد ان أمضى 28 سنة فى منصب امين عام المجمع . الدكتور مدكور نال جائزة الدولة التقديرية فى العلوم الاجتماعية عام 1971 .

❊ الكاتب ثروت اباظة عينه وزير الثقافة مستشارا ادبيا لنصوص هيئة السينما والمسرح والموسيقى بمصر .

❊ ستقام فى مصر تماثيل نصفية لعدد من الشعراء الخالدين لتوضع فى الحدائق العامة كما تقرر اصدار طوابع تذكارية لهم . من بين هؤلاء الشعراء أحمد شوقي وخليل مطران .

❊ توفي الدكتور احمد الخشاب وكيل كلية الاداب بجامعة القاهرة .

❊ تصدر وزارة الثقافة بالقاهرة فى مطلع الشهر الجاري مجلة ثقافية باسم « 6 اكتوبر » لنشر انتاج الادباء الشبان فى مصر .

تركيا :

❊ يعد الاستاذ مولود بن حسين بربر من تركيا الطالب بكلية الشريعة والقانون بجامعة الازهر رسالة دكتوراه فى الفقه المقارن بالكلية ، وقد اطلع على مخطوطة التوضيح ، وهي شرح على مقدمة أبي الليث السمرقندي فى الصلاة توطئة لاختيارها موضوعا لرسالته .

❊ يعكف حزب العدالة التركي وحزب ملي سلامت على دراسة مشروع يستهدف اعتماد تدريس التعاليم الاسلامية والاخلاقيات فى المدارس التركية بعد أن عارضته بعض الفئات التركية .

ويقول نبأ لوكالة الانباء السعودية من أنقرة ان عددا من النواب الاتراك يستعدون لفتح باب مناقشة

الموضوع فى البرلمان التركي الذي يؤيد عدد كبير من اعضائه اعتماد تدريس هذه المادة .

لبنـــــان :

* بعد 25 سنة على وفاة الشاعر خليل مطـران شاعر القطرين سينتقل فى هذه الايام رفاته من مصر الى بعلبك فى لبنان وهي مسقط رأسه ليدفن هنـاك حسب وصيته .

* اهدى الرئيس اللبناني سليمان فرنجية وسـام الارز الوطني الى كل من الشاعرين احمد رامي وصالح جودت .

* الفرقان بين أولياء الرحمن واولياء الشيطـان ، لشيخ الاسلام بن تيمية وهو يحدد حقيقة اولياء الله ويبين صفاتهم وذلك بأدلة واضحة مقنعة ، بالاضافة الى تحقيق الكتاب بعزو الايات الكريمة ، وتخريـج الاحاديث الشريفة وترجمة الاعلام الواردة فيه ، نشر المكتب الاسلامي فى بيروت ، الطبعة الثانيـة فى 160 ص .

* آخر معرض للكتاب العربي نظم فى الشهر الماضي فى بيروت ضمن المعرض الدولي للكتاب ، وقد اختيرت من بين مئات الكتب العربية اربعة كتب نالت جوائز لجنة المعرض وهي : كتاب الفن المصري (الجائزة الاولى) . القضية الفلسطينية والخطر الصهيونـي (الجائزة الثانية) . الآثار النثرية لكمال ناصـر (الجائزة الثالثة) العراق بين 1908 — 1929 .

* «اغاني ترقيص الاطفال عند العرب » تاليف احمد ابو سعد صدر عن دار العلم للملايين ببيروت فى 184 صفحة حجم كبير . وهي أول دراسة منهجية لاغاني الترقيص عند العرب منذ الجاهلية حتى نهاية العصر الاموي . انفق المؤلف فى وضعها سنوات طوالا ورجع فى سبيل اعدادها الى مئات المصادر الاولية والثانوية فجاءت انجازا علميا يحق للمكتبة العربية الاعتزاز به.

* اصدر مجمع البحوث الاسلامية فى القاهرة بيانا استنكر فيه المحاولة التي تقوم بها بعض الجهات فى لبنان لهدم اللغة العربية بالتخلي عن بعض قواعدها الاساسية واحلال الالفاظ العامية الشائعة محل الالفاظ العربية .. واوضح البيان ان المركز التربوي للبحوث والانماء فى بيروت يتبنى هذا المشروع .

* يقول اديب ملحم البستاني المشرف على طبع الجزء الثاني من ديوان الشاعر جورج صيدح انه اصبـح جاهزا وسيوزع عن دار غندور فى 280 صفحة .

* صدر عن دار الكاتب العربي فى بيروت كتاب : « فيصل ومعركة الكرامة العربية » تاليف المؤرخ قدري قلمجـي .

* صدر فى مطبوعات جامعة بيروت العربية الكتب التالية : « الاصول التاريخية لنشأة الدراما فى الادب العربي » تاليف سعد الدين حسن دغمـان فى 276 صفحة حجم كبير . و « تاريخ البحرية الاسلاميـة فى مصر والشام » تاليف الدكتور احمد مختار العبادي استاذ التاريخ الاسلامي بجامعتي الاسكندرية وبيروت العربية والدكتور السيد عبد العزيز سالم استاذ التاريخ الاسلامي بجامعتي الاسكندرية وبيروت العربية فى372 صفحة حجم كبير . و « ابن ابي عتيق ناقد الحجاز ، اخباره ونقده » تاليف عبد العزيز عتيق الاستاذ بجامعة بيروت العربية فى 448 صفحة حجم كبير . و «النوروز وأثره فى الادب العربي » تاليف الدكتور فؤاد عبـد المعطي الصياد الاستاذ بكلية الاداب بجامعة عـين شمس فى 160 صفحة حجم كبير . و « التضاد فى ضوء اللغات السامية ، دراسة مقارنة » تاليف الدكتور ربحي كمال الاستاذ المحاضر للدراسات السامية فى جامعتي دمشق وبيروت العربية والجامعة الاردنيـة فى 160 صفحة حجم كبير .

* القرامطة ، لابي الفرج بن الجوزي ، رسالـة جمع فيها المؤلف ما نثر فى كتب التاريخ والعقائـد ، ولخص فيها ما ورد عن هذه الفرقة الضالة التي عاثت فى بلاد الاسلام فسادا ، تحقيق الاستاذ محمد الصباغ، الطبعة الثالثة نشر المكتب الاسلامي فى بيروت ، 80 صفحة .

* صدر فى مطبوعات جامعة بيروت العربية ما يلي: « محمد بن تومرت وحركة التجديد فى المغرب والاندلس» للدكتور سعد زغلول عبد الحميد عميد كليـة الاداب بجامعة الاسكندرية فى 40 صفحة حجم كبير و «العربية بين اللغات العالمية الكبرى » للدكتور ابراهيم بيومي مدكور أمين عام مجمع اللغة العربية بالقاهرة فى 16 صفحة حجم كبير . و « الدراسات العربية والاسلامية فى بعض البلاد الاوروبية » للسلي مكلوخلن وفلاديمير

فومتشوف والدكتور مارتينيارنو رونكاليا والدكتـــور اسطفان فيلد والاب الدكتور ميشال آلار فى 64 صفحة حجم كبير . و « الميزانية الاولى فى الاسلام » للدكتور بدوي عبد اللطيف عوض رئيس جامعة الازهر فى 30 صفحة حجم كبير . و « الشخصية الاسلامية » للدكتورة عائشة عبد الرحمن « بنت الشاطىء » استـــاذة الدراسات القرآنية العليا بجامعة القرويين بالمغرب فى 64 صفحة حجم كبير . و « من اسس العربية فى البيان القرآني» للدكتورة عائشة عبد الرحمن «بنت الشاطىء» فى 64 صفحة حجم كبير . وهذه كلها محاضرات كانت قد القيت فى جامعة بيروت العربية .

※ صدر فى بيروت كتاب « اسرار لغوية معربـــة المفقودة » تاليف ملحم ابراهيم البستاني فى 120 صفحة ومعلق عليها ويلي ذلك نبأ اكتشاف حلقة اللغـــة يقول المؤلف : « هذا الكتاب الصغير ستجد فيه ما يفعم نفسك فرحا وابتهاجا ويملا صدرك فخرا واعتزازا فهو بالاضافة الى ما اشتمل عليه من ابحاث طريفـــة مفيدة يطالعك بنبأ اكتشاف حلقة اللغة المفقودة التـــي شغلت عقول العلماء واللغويين زمانا طويلا ولم يهتدوا اليها » .

※ « المدارس الاجنبية فى بيروت خـــلال القـــرن التاسع عشر » عنوان المحاضرة التي القاها الشيخ طه الولي المستشار الثقافي والصحافي بسفارة تشاد فى المركز الثقافي الالماني ببيروت . وقد تناول فيهـــا تاريخ افتتاح المدارس الاجنبية فى بيروت والمنافسة بين المؤسسات الامريكية والفرنسية والالمانية على نشر ثقافتها وانتهى الى القول بأن هذه المنافسة ساعدت على تنبيه الاهالي على افتتاح المدارس الوطنية وايقاظ الوعي الفكري بين المواطنين ولكنها لم تستطع التغلب على الطابع العربي للثقافة المحلية .

※ افتتح فى بيروت المؤتمر الاسلامي العام الـــذي اشتركت فيه مختلف الهيئات والجمعيات الاسلامية فى لبنان وذلك للتنسيق بينها وتوحيد جهودها ومخططاتها فى محيط الدعوة الى الله والعمل المثمر ..

وكان مؤتمر المنظمات الاسلامية فى العالم والذي عقد مؤخرا فى مكة المكرمة بدعوة من الرابطة قد جاء فى توصياته بضرورة توحيد الهيئـــات والجمعيـــات الاسلامية فى البلد الواحد تحت منظمة واحدة من اجل تنسيق الجهود وتوحيدها للعمل المشترك .

هذا وقد وجهت الدعوة للامـــين العـــام لرابطة العالم الاسلامي الشيخ محمد صالح القزاز لحضور هذا المؤتمر .. وقد انتدب معاليه سعـــادة الاستاذ صفوت السقا المدير العام المساعد لتمثيـــل الرابطة فى هذا المؤتمر .

السعـــوديـــة :

※ صرح الدكتور محمد زيان عمر عميد كلية الاداب والعلوم الانسانية بجامعة الملك عبد العزيـــز ان جامعة الملك عبد العزيز تعتزم طبع القصائد والابحاث التي ساهم بها الادباء السعوديون الأولون واصدارها فى سلسلة ادبية . وستقوم بتوزيعها على الجامعـــات العربية والاجنبية والهيئات والمؤسسات التعليمية وذلك اسهاما من الجامعة فى التعريف بالادب السعودي فى برنامج التبادل الثقافي بجامعة الملك عبد العزيـــز والهيئات العلمية .

※ تراس الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ وزير المعارف السعودية والرئيس الاعلى للجامعات جلسة المجلس الاعلى لجامعة الرياض وقد ناقش المجلس اهم الوسائل الكفيلة بتطوير الجامعة وتمكينها من تحقيق رسالتها على الوجه الافضل . كما ناقش انشاء وحدة لاستخراج الحليب المعقم بكلية الزراعة وانشاء معمل للضغط العالى بكلية الهندسة .

※ تحدث مدير عام برامج التعليم الخاص بوزارة المعارف السعودية عبد الرحمن العبران عن برامـــج التعليم الخاص واهدافه وتطوره خلال العشر سنوات الماضية ومما قاله ان هذا النوع من التعليم يهدف الـــى رعاية المعاقين وتزويدهم بالعلم والمعرفة والتربيـــة الاسلامية والثقافة العامة اللازمة لهم تبعا لذلك فان الغاية الاساسية لتربية المعاقين لا تختلف فى جوهرها عن تربية المواطنين الاقوياء .

※ عاد سعادة الاستاذ محمد صفوت السقا اميني المدير العام المساعد لرابطة العالم الاسلامي من جولته فى بعض العواصم الاوربية منتدبا من قبل الامانة العامة للرابطة ..

وقد اجرى سعادته خلال هذه الجولة محادثات هامة فى مكاتب الرابطة فى تلك العواصم تتعلق بالدعوة الاسلامية وتدعيم النشاطات المختلفة التي تقوم بها هذه

المكاتب في مجال الدعوة ودرس مع المسلمين هناك مشاكلهم واحتياجاتهم .

* وجه الامين العام لرابطة العالم الاسلامي الدعوة لعدد كبير من اصحاب الفضيلة العلماء واساتذة التعليم العالي والادباء والصحفيين لحضور المحاضرة القيمة التي القاها الدكتور جمال الدين الفندي رئيس قسم الفلك والارصاد الجوية بجامعة القاهرة عن المرصد الاسلامي وذلك بمقر الرابطة بمكة المكرمة وقد ترجمت المحاضرة ترجمة فورية الى عدة لغات وقد علم انه تم اتخاذ عدد من الخطوات التنفيذية بشأن المرصد الاسلامي المزمع انشاؤه بمكة المكرمة .

* احتفلت جامعة الملك عبد العزيز بمرور 25 عاما على تأسيس كلية الشريعة والدراسات الاسلامية في مكة المكرمة — وهي اول كلية في المملكة واقيم الاحتفال الكبير تحت رعاية صاحب السمو الملكي الامير فهد بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية وذلك يوم 23 جمادى الثانية 1394 هـ .

* تفضل جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز فأصدر أمره الكريم للديوان الملكي بتسليم قصر النيابة بالبغدادية بجدة .. الى دولة تنكو عبد الرحمن رئيس اللجنة التحضيرية للبنك كمقر مؤقت للبنك الاسلامي للتنمية ريثما يتم انشاء مبنى خاص للبنك .. وتجدر الاشارة الى انه سيخصص قسم خاص من المبنى لاعمال اللجنة التحضيرية .

وتجري الان اتخاذ الترتيبات اللازمة لتجهيز المقر المؤقت وتسليمه وسوف ينقل مكتب اللجنة التحضيرية الذي مقره الان بفندق جدة بالاس الى المبنى المذكور .

* صرح الامين العام لرابطة العالم الاسلامي الشيخ محمد صالح القزاز بأن الرابطة سوف تعمل على تحقيق فكرة مؤتمر للكتاب في العالم الاسلامي على غرار مؤتمر الادباء السعوديين .

* قال الدكتور عبد العزيز الفدا مدير جامعة الرياض تعليقا على مؤتمر المنظمات الاسلامية في العالم الذي عقد في مكة ان هذا المؤتمر سيكون له نجاح كبير ، فلا شك ان الانسان يلمس بين يوم وآخر ازدياد النشاط الاسلامي وازدياد قرب المسلمين من بعضهم وخاصة فيما يتعلق بالمنظمات الاسلامية ومنظمات الطلاب الاسلامية خاصة منها .

* تبرعت حكومة جلالة الملك فيصل بمبلغ مائة الف ليرة سورية مساهمة في بناء جامع الصحابي عبد الله بن رواحة في دمشق ، ويقوم الجامع في منطقة مزدحمة بالسكان .

كما تبرعت بمبلغ مائة الف ريال للمساهمة في مشروع بناء المستشفى الذي تقوم به جماعة انصار الدين في مدينة أماش في نيجيريا .

وتبرعت المملكة ايضا بمبلغ مائتي الف جنيه استرليني لمهرجان العالم الاسلامي الذي سيقام في لندن عام 76 م .

وجدير بالذكر ان هذا المهرجان سيشتمل على نشاطات عدة تغطي التراث الاسلامي والحضاري عبر القرون وانتهاء بالايام الحاضرة وما تشهده دول العالم الاسلامي واقطاره من نهضات فكرية وعلمية وثقافية

* تولي جامعة الرياض الاهتمامات بادخال علم الفلك في مناهج كلية العلوم عناية متوالية لما لهذا العلم من اهمية في تاريخ الحضارة الاسلامية . وقد اشترت كلية العلوم مؤخرا قبة فلكية من احدى الشركات الامريكية التي لها تجارب سابقة في هذا الميدان وستقوم الكلية بتجهيزها بالاجهزة العلمية التي تستخدم في ميدان البحث الفلكي ومن هذه الاجهزة تلسكوب مقياس 12 انشا كما ستقام غرف لاعمال التلسكوب وغرفة تحميض الافلام .

* اجاب الشيخ محمد صالح القزاز الامين العام لرابطة العالم الاسلامي على سؤال لمندوب وكالة الانباء السعودية في مكة حول قرار حكومة المغرب بوقف تصوير فيلم (محمد رسول الله) في أراضيه ..

فقال معاليه : ان القرار الذي اتخذه جلالة الملك الحسن الثاني وحكومة المغرب بوقف تصوير فيلم محمد رسول الله قرار حاسم .. وقد جاء في الوقت المناسب ، بعد ان تناقلت الانباء عن مشروع تصوير هذا الفيلم في أراضي المغرب العربي الشقيق ..

وانني باسم رابطة العالم الاسلامي أتقدم بالتحية الصادقة والشكر الجزيل لجلالة الملك الحسن الثاني ولحكومة المغرب على هذا الموقف الحاسم .. وتابع معاليه يقول : فالاسلام منذ بدأ رسالته وهو يواجه المؤامرات من قبل اعدائه لتشويه عقيدته وتحريف مبادئه ..

وليس ما نواجهه اليوم من مؤامرات ودسائس ضد ديننا وقرآننا وتاريخنا الا حلقة في هذه السلسلة من المؤامرات الصليبية والصهيونية والشيوعية على هذا الدين القويم ..

وان الشروع في تصوير فيلم محمد رسول الله هو مؤامرة لاشك فيها على هذا الدين وعلى شخصية نبيه الكريم صلوات الله وسلامه عليه ...

والعالم الاسلامي بجميع شعوبه ومؤسساته ومنظماته قد استنكر هذه المحاولة الشنيعة .. وهو الان يرحب بهذه الخطوة المباركة التي خطتها حكومة المغرب وعلى راسها جلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله وايده .

* تم اكتشاف موقع اثري كبير شمال شرقي مدينة الرياض على مسافة 40 كيلومترا وقد وجدت فيه احجار تحمل كتابات بالخط الثمودي القديم ، وتقول وزارة المعارف التي اكتشفت الموقع ان هذه الكتابات يعود تاريخها الى ما بين القرنين السادس والخامس قبل الميلاد .

* استقبل وكيل جامعة الرياض الدكتور عبد الله النافع الطلاب التشاديين الذين وصلوا الى الرياض للالتحاق بكليات الجامعة في منحة دراسية وعددهم 12 طالبا .

* غادر الرياض الدكتور عبد العزيز الفدا مدير جامعة الرياض متوجها الى السودان لحضور اجتماع مجلس امناء المركز الاسلامي الافريقي بالسودان لمناقشة الخطوات التي اتخذت نحو انشاء المركز في الخرطوم .

* تقوم لجنة منبثقة عن مشروع المرصد الاسلامي برئاسة الدكتور محمود خيري علي مدير المرصد بدراسة المناطق المرتفعة المحيطة بمكة المكرمة توطئة لاختيار المكان المناسب لاقامة المرصد ، وقد قامت اللجنة بارتياد مناطق الشفا والهدا ووادي النمصة وشمال شرقي الطائف ، وتتفاوت المرتفعات التي شملها المسح بين 1500 الى 2500 متر فوق سطح البحر .

وقد رافق اللجنة في جولتها الاستطلاعية كل من الشيخ خالد ابن عبد الله بن فتن والشيخ عبد الله بن عبد الله العدواني والشيخ عبد الله بن سمران من سكان هذه المناطق .. للاستعانة بخبرتهم .

* بحث مجلس الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة في جلسة عقدها مؤخرا موضوع عقد مؤتمر لبحث شؤون الدعوة واعداد الدعاة وتبادل الاراء وتنسيق الجهود في هذا المجال الذي تزداد اهميته كل يوم ازاء التيارات المعاصرة الفكرية والمذهبية والخلقية المناوئة للاسلام .. وينتظر ان يعقد هذا المؤتمر في العام القادم ان شاء الله ..

سوريا :

* بحث عن « مشاركة المدن الفراتية السورية بالحركة العلمية في العصور الاسلامية » قدمه عبد القادر عياش الى الهيئة التنظيمية للندوة التاريخية العالمية عن بلاد الشام الذي عقد في الجامعة الاردنية في 20 — 25 ابريل . وعبد القادر عياش وقف منذ ربع قرن وقته وماله وجهوده على التعريف بتاريخ وادي الفرات وحضارته وجغرافيته وسكانه واقتصاده وادبه وفولكلوره ولغته وتطوره وقد الف ونشر116 موضوعا بين بحث وكراسة وكتاب جميعها عن وادي الفرات .

* كتاب اللامات لابي الحسين أحمد بن فارس اللغوي ، تحقيق الاستاذ الدكتور شاكر الفحام ، ونشر بمجلة مجمع اللغة العربية في دمشق ، من صفحة 757 ، الى 801 بالجزء الرابع من المجلد الثامن والاربعين .

* حقق الدكتور عبد القدوس أبو صالح شرح ديوان ذي الرمة لابي نصر الباهلي ، الجزء الثاني ، ونشر في مجمع اللغة العربية في دمشق .

* دعا اتحاد الكتاب العرب بحلب الى حضور الحفل الادبي الذي اقيم تكريما للاديب خليل الهنداوي بمناسبة مرور نصف قرن على عطائه الادبي . وقد تكلم في الحفلة : فريد جحا وكامل ناصف وجورج سالم وعبد الرحيم حصني والدكتور عمر دقاق وانطون المقدسي وكانت كلمة الختام للمحتفى به .

* دعت جمعية العاديات بحلب الى محاضرة القاها الدكتور احمد يوسف الحسن موضوعها « صناعة الفولاذ الدمشقي عند العرب » .

* المركز الثقافي العربي بحلب دعا الى محاضرة القاها جان بول ريكوكي الاستاذ بجامعة ديجون في

فرنسا وموضوعها « الحضارة الرومانية فى سوريا ، الاتجاهات السياسية والقوى المؤثرة والتقاء الثقافات»

* صدر فى حلب ديوان « اكاليل غار » للشاعرين محمد هلال فخرو ومحمد سعيد فخرو مع مقدمة للناقد الادبي عبد الله الطنطاوي .

* الاديب الحلبي احمد وهبي السمان القى محاضرة فى دار الكتب الوطنية بحلب موضوعها « العروبة فى المهجر » .

* رسالة الكندي فى حدود الاشياء وروسومها ، تحقيق الدكتور ميشيل الارد مدير المعهد الفرنسي للدراسات العربية فى بيروت ، ونشر بمجلة الدراسات الشرقية التي يصدرها المعهد الفرنسي فى دمشق ، المجلد 25 من صفحة 48 الى 83 .

* يعتزم مجمع اللغة العربية بدمشق طباعة تاريخ ابن عساكر الذي يتألف من اربعين مخطوطة . وقد بدات لجنة تحقيق فى المجمع بتحقيق جزء منه تمهيدا لاعداده وتقديمه للطبع .

* توفي فى برمنجهام البرفسور ماركس نيبورتود عن سن تناهز الخامسة والسبعين وكان استاذا للتاريخ القديم ولاسيما تاريخ اليونان واظهر براعة فى علم الآثار وقراءة الكتابات المنقوشة على الاحجار ، وكان الاستاذ تود يمتاز بحسن الخط الى حد بعيد حتى كان يضرب المثل بجمال خطه وكان الى ذلك متصوفا يحب ان يسدي الجميل والمعروف للاخرين ولكأن الشاعر عناه حين قال « كانك معطيه الذي أنت سائله » .

* دعت الندوة اللبنانية بالاشتراك مع المعهد الثقافي الايطالي فى بيروت لسماع محاضرة القاها البروفسور فرنشيسكو غبريلي عميد معهد الدراسات الاسلامية فى جامعة روما وكان موضوعها « الاسلام فى حوض البحر المتوسط » وذلك فى قاعة المحاضرات التابعة لوزارة التربية الوطنية .

* انتهى الدكتور سامي الدروبي من مشروعه الذي استلزم عدة سنوات لترجمة أعمال دستويفسكي وينهمك الآن فى ترجمة الاعمال الكاملة لتولستوي ، وقد صدر فى دمشق الجزء الاول من اعمال تولستوي بعنوان : (الطفولة . المراهقة . الشباب)

* القى نصرت منلا حيدر فى منتدى نقابة المحامين بحلب محاضرة عنوانها « طرق الرقابة على دستورية القوانين فى الدستور السوري والدساتر المقارنة » .

* يصدر قريبا كتاب راجي عشقوتي « اضواء على الشعر الحديث » فى طبعة ثانية وقد اعتمد الكتاب مرجعا فى الجامعة اللبنانية وفى الصفوف الثانوية فى معهد الحكمة .

* الشاعر علي الزيبق القى محاضرة فى دار الكتب الوطنية بحلب موضوعها « الحياة الادبية فى حلب . قام بتقديمه الاديب عبد الله الطنطاوي

* دعا المركز الثقافي العربي فى درعا الى محاضرة القاها اديب اللجمي موضوعها « حرب التحرير العربية ومستقبل التضامن العربي » .

* القى محمد منلا غزيل محاضرة فى قاعة المركز الثقافي العربي فى منبج عنوانها « ابو فراس فتى بني حمدان فى ركاب البطولة والايمان» وهي من مادة الكتاب الذي يعتزم اصداره بعنوان « ديباجة البحتري وبحوث ادبية أخرى » .

* من حلب : النابغة الهاشمي ترجم عن الالمانية الجزء الثاني من كتاب « فاوست » للشاعر جوته . سبق ان صدر له قبل نحو عامين ترجمة عن الالمانية لكتاب « ذئب البوادي » تأليف هرمان هيسه .

* الشاعر السوري نزيل لبنان نزار قباني يجتاز ازمة صحية عنيفة اثر اصابته بنوبة قلبية استدعت نقله الى مستشفى الجامعة الامريكية فى بيروت ليقضي فترة تحت مراقبة صحية دقيقة .

* الشاعر السوري عدنان مردم بك صدرت له فى منشورات عويدات ببيروت مسرحية شعرية جديدة من اربعة فصول بعنوان « فلسطين ثائرة » وتقع فى 128 صفحة .

* من دمشق : صدر للدكتور عبد الكريم رافق كتاب بعنوان « العرب والعثمانيون » .

* القى الاديب الاردني عيسى الناعوري محاضرة فى الموسم الثقافي الذي اقامته أسرة التربية والتعليم

فى المفرق تكلم فيها عن ادب جبران وموقف ميخائيل نعيمة منه . كما التقى بعده بأسبوع فى ذات الموسم محمود العابدي محاضرة عن الكتاب والقراءة والثقافة العامة بمظهر من مظاهر الحضارة الراهنة .

※ « السيف والتابوت » كتاب جديد صدر فى منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي بدمشق للدكتور عبد السلام العجيلي فى 186 صفحة وهو مجموعة محاضرات كان قد القاها العجيلي فى مناسبات مختلفة وفى نوادي أدبية .

※ يعد الاستاذ محمد قاسم مصطفى من الموصل بالعراق رسالة دكتوراه موضوعها : « ديوان القاضي ناصح الدين الارجاني » تحقيق ودراسة وذلك فى كلية الآداب بجامعة القاهرة تحت اشراف الدكتور حسين نصار رئيس قسم اللغة العربية بالكلية ، وقد اطلع على نسخ الديوان الموجودة بالمعهد وطلب تصوير النسخة التي استحضرتها مؤخرا بعثة المعهد من ايران ، وهي تعتبر أقدم نسخ الديوان .

※ يعد الاستاذ نبيل محمد الضرب ، المعيد بكلية الآداب بجامعة اللاذقية بسوريا رسالة ماجستير موضوعها كتاب « المسائل العضديات » لابى علي الفاربي تحقيق ودراسة وذلك فى كلية الاداب بجامعة عين شمس ، تحت اشراف الدكتور طه عبد الحميد طه الاستاذ المساعد بالكلية وقد اطلع على المخطوطات المتعلقة بموضوعه .

※ يعكف الشعراء أحمد دوغان ومصطفى النجار ومضر سخيطة على اصدار مجموعة شعرية بعنوان : « الخروج من كهف الرماد » مع مقدمة للاديب الحلبي عبد الله الطنطاوي .

※ القى الدكتور جورج جبور محاضرة فى المركز الثقافي العربي بدمشق موضوعها « الملكية الثقافية ».

※ « التعليم العالي فى سورية ، واقعه وآفاقه » موضوع المحاضرة التي القاها الدكتور عصام جانو على مدرج كلية الاداب بجامعة حلب .

الاردن :

※ « الفكر الاسلامي وطرائق النقد الادبي » للمؤلف الكاتب الاسلامي محمد علي أبو حمدة الماجستير فى النقد الادبي من جامعة القاهرة والمدرس حاليا فى معهد التاهيل التربوي بعمان ولقد عرف كتابه فى مقدمته بقوله « وقبل ان افرغ من المقدمة أحب ان انبه الى ان العقل وحده كان دليلي ومؤنسي وقد باعدت بنفسي عن النظرة المسبقة .. والواقع هو اننا اخذنا انفسنا بمبدا عام التزمناه وارتضينا به وهو الوصول الى الحق من خلال المقدمات والنتائج والاستقراء ولعل ذلك وحده ما يشفع لي فى تقديم هذا الكتاب الى القراء فهو ليس بحثا في الاسلام لانه لم يضف جديدا ولا هو فى العقائد لان كتبها تزخر بها المكاتب ولكنه منطلق الى الزيادة وطرق البحث والدعوة الى الدراسة والتأمل » .

※ نشرت دائرة الثقافة والفنون فى عمان « قاموس العادات واللهجات والاوابد الاردنية » تأليف الاديب الاردني روكس بن زائد العزيزي فى ثلاثة اجزاء تربو صفحاتها على الالف . ولقد انفق العزيزي معظم حياته الحافلة فى الكتابة والتاليف . واتخذ من بحوث الادب والسير والتراجم والتاريخ والقصص ميدانا فسيحا لقلمه غير انه خص الابحاث اللغوية واداب البادية بجهد كبير فكان هذا القاموس من ثمار هذا الجهد !. ولا ريب فى ان هذا القاموس سيحفظ للاجيال المتعاقبة شروحا وافية لكثير من مفردات اللغة الشعبية وما يتعلق بذلك من مختلف اللهجات والاوابد والعادات فى قرى الاردن وصحرائه ومدنه على السواء

※ اقيم فى فندق الاردن بعمان لقاء بدعوة من السفارة الايطالية بمناسبة صدور الرواية الايطالية الشهيرة « الفهد » التي ترجمها الكاتب الاردني عيسى الناعوري ، وقد اشترك فى هذا اللقاء المستعرب الايطالي أومبرتو ريتستانو والقى السفير الايطالي دانتي ماتاكوتا كلمة ترحيب ثم تولى عريف الحفلة الدكتور ناتالي روستيكو مستشار السفارة تقديم الخطيبين ريتستانو والناعوري وفى نهاية الحفلة وزعت على المدعوين نسخ فاخرة من الرواية ممهورة بتوقيع المترجم . كما اقيمت حفلتان متشابهتان لهذه الغاية فى دمشق وفى بيروت .

※ أيدت الجامعة الاردنية انشاء مؤسسة اسلامية لدعم البحث العلمي وتقوية الروابط العلمية بين الجامعات الاسلامية وايجاد معاهد جديدة للبحث وذلك للمساعدة فى حل مشاكل التنمية فى العالم الاسلامي واقامة ارتباط بين العلماء فى الاقطار الاسلامية من جهة وبقية اقطار العالم الاخرى من جهة ثانية ...

وقد جاء ذلك فى رسالة بعثت بها وزارة الخارجية الاردنية الى السفارة الباكستانية فى عمان تضمنت اقتراح الجامعة باجراء مسح تفصيلي للمواد الاولية فى الدول النامية والمشاركة فى المشروع واجراء دراسة تفصيلية لمشاريع البحث والطاقة البشرية وتطبيق التكنولوجيا فى هذه الدول لدفع عجلة التنمية الاقتصادية فيها الى الامام .

* اوصت لجنة اليونسكو بالمانيا الاتحادية خلال عقد اجتماعها الرئيسي فى مدينة مونستر الجامعية بفتح فروع لمؤسسة فروبينيوس فى افريقيا لكي يعهد الى العلماء من ابناء تلك القارة بالقيام بالبحوث العلمية، وان يتم دعم هذه المؤسسة التي يقع مركزها فى فرانكفورت اكثر من الماضي وتعنى المؤسسة بالحياة الثقافية فى افريقيا .

* الاديب أمين فارس ملحس رئيس تحرير مجلة « رسالة المعلم » فى وزارة التربية الاردنية اصدرت له دائرة الثقافة والفنون مجموعة قصصية بعنوان « ابو مصطفى وقصص اخرى » .

* قام الدكتور عبد العزيز الخياط وزير الاوقاف وشؤون المقدسات الاسلامية فى الاردن بجولة فى محافظة اربد زار خلالها مديرية الاوقاف فى مدينة اربد. كما تفقد عددا من المساجد والانشاءات الوقفية فى المحافظة .

وكان الدكتور الخياط قد افتتح المسجد الجديد فى بلدة حلاوة بلواء عجلون .

وتحدث الدكتور الخياط بهذه المناسبة عن رسالة المسجد فى الاسلام فقال ان علينا ان نستمر فى اداء رسالة الاسلام وان نعمل جهدنا لاستمرارها .

وقال ان المسجد لم يبن ليكون مكان عبادة فحسب وانما ليكون ملتقى المسلمين لتدارس قضاياهم وامورهم والبحث فيما يهمهم فى دنياهم وآخرتهم أيضا.

وبعد أن شاد سماحته بدور مواطني بلدة حلاوة فى التعاون لاقامة واعمار المسجد حث على ان يكون المسجد مركزا اسلاميا ثقافيا بحيث يتاح للمراة ان تنال قسطا من الثقافة الاسلامية لتعينها فى توجيه ابنائها.

والقى السيد احمد القرعان متصرف اللواء كلمة تحدث فيها عن اثر المسجد فى بناء الحضارة الاسلامية باعتباره مصدرا للاشعاع — والخير والهدى .

* قررت الحكومة التركية بالتعاون مع الحكومة الاردنية تنفيذ مشروع اسلامي سياحي مشترك فى مدينة السلط .

وقال الدكتور عبد العزيز الخياط وزير الاوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية فى تصريح لوكالة الانباء الاردنية ان المشروع يتضمن اقامة بناء مسجد على الطراز المعماري التركي .

واضاف يقول لقد ابدت الحكومة التركية اهتماما بالموضوع وارسلت احد المهندسين للاطلاع على موقع المشروع .

* قدمت وزارة الاوقاف وشؤون المقدسات الاسلامية فى الاردن مجموعة من الكتب الثقافية والاسلامية والمطبوعات الى الجامعة العربية الاسلامية فى الولايات المتحدة الامريكية كهدية من الاردن للجامعة المذكورة .

* طلب الدكتور عبد العزيز الخياط وزير الاوقاف وشؤون المقدسات الاسلامية فى الاردن الى أئمة المساجد أن يندوا فى خطبهم ببيع الاراضي فى الضفة الغربية لنهر الاردن وما يمثله ذلك من مخاطر ، وقال الوزير الاردني ان تحذير المواطنين من بيع اراضيهم الى اليهود او الى عملائهم فى المناطق المحتلة واجب تمليه مصلحة الوطن .

* وزع الملك حسين اوسمة على رجال التربية والتعليم فى يوم المعلم اقيم له احتفال حافل فنال الوزير محمد اديب العامري والدكتور اسحاق الفرحان وسامين من درجة ممتازة ونال ستة من المديرين اوسمة من الدرجة الاولى و 25 معلما من الدرجة الثانية و 40 من الدرجة الثالثة وهذه الاوسمة لا تمنحها وزارة التربية الاردنية الا لمن اشتغلوا فى ميدان التربية ما لا يقل عن ربع قرن .

* أعلنت الجامعة الاردنية بأن مكتبة الجامعة سوف تسهم فى تزويد المعهد الاسلامي للدراسات الشرعية فى جنوب افريقيا بالكتب والنشرات المتعلقة بالمواضيع الدينية واللغة العربية ..

وتقوم الجامعة الاردنية بتبادل الكتب والنشرات مع معظم الجامعات والمعاهد فى مختلف انحاء العالم.

العـــــراق :

※ صدر في بغداد ديوان شعر جديد لشاعر نكبة فلسطين الاستاذ « برهان الدين العبوشي » وقد صدرت سابقا للعبوشي الدواوين الشعرية الآتية :

1) ديوان جبل النار (2) ديوان النيازك (3) ديوان الى متى ؟ علما بانه اصدر مجموعة من المسرحيات الشعرية وهي ما يأتي : (1) وطن الشهيد (2) شبح الاندلس (3) عرب القادسية (4) الفدائي . ولديـــــه مذكرات مخطوطة تحت عنوان (من السفح الـــى الوادي) سيقدمها للطبع في اقرب فرصة ممكنة ...

※ « سامراء عروس المجد » ديوان شعر جديد سيقدم للطبع وهو من شعر الشاعر الوجداني والكاتب الكبير الدكتور (مصطفى نعمان البدري) ولديه كتاب يبحث عن زراعة العنب في سامراء تحت عنوان (زراعة الكروم في حاوي سامراء) على بأن حاوي سامـــراء كان يسمى بحاوي الدوالي في العصور الغابرة ولديه كتاب آخر باسم (البدريون عبر العصور) وهو يبحث عن عشيرة البوبدري السامرائية التي يرتقي نسبها الى سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنه .

※ حاز على شهادة الدكتوراه بمرتبة الشرف الاولى في الادب العربي من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة السيد (مصطفى نعمان البدري) بعد أن نوقشـــت اطروحته عن الكاتب الراحل (مصطفى صادق الرافعي) رحمه الله وكانت بعنوان (الكاتب — الرافعي) علمـــا بانه حاز على الماجستير من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة ايضا بدراسة عن الرافعي وقد طبعـــت اطروحة الماجستير وقدم لها الاستاذ الكبير والشاعر النحرير (محمد بهجت الاثري) ولم ظله الوارف .

※ صدر في القاهرة ديوان شعر للاستاذ الكبيـــر والشاعر السلاق (محمد بهجت الاثري) وقد كتـــب مقدمة الديوان المذكور الشاعر الراحل (عزيز اباظة) رحمه الله .

※ صدر في بغداد الجزء الثاني من ديوان الشاعـــر الكبير « معروف الرصافي » رحمه الله وسيقدم للطبع قريبا الجزء الثالث وهو من مطبوعات وزارة الاعلام العراقيـــة .

※ أوجز السير لخير البشر، تصنيف احمد بن فارس المتوفى سنة 395 هـ ، ذكر فيه « ما يجب على ذي الدين معرفته من نسب رسول الله صلى الله عليـــه وسلم ومولده ومنشئه ومبعثه ، وذكر احوالــــه في مغازيه ومعرفة أسماء ولده وعمومته وازواجه، تحقيق الاستاذ هلال ناجي ، ونشر في المجلة السالفة مـــن صفحة 143 الى 154 .

※ الشيخ جلال الحنفي البغدادي اعد دراســـة مرتبة عن (علم العروض) وقد أصدر الشيخ الحنفي عدة كتب ما بين أدبية ودينية وتراثية وتاريخية ولديه ديوان شعر يعتزم طبعه في اقرب وقت مناسب ...

※ الاستاذ الكبير « حقي الشبلي » مشغول في اعداد مذكراته الفنية منذ نعومة أظفاره الى يومنا هذا وقد سبق للاستاذ الشبلي ان اسس مجموعة من الفرق المسرحية وقد حياه شاعر العراق الراحل (جميل صدقي الزهاوي) رحمه الله عندما مثل دور يوليوس قيصر في مسرحية يوليوس قيصر التي أخرجها الشبلي وقد مثلت على مسرح مدرسة التفيض وذلك في عام 1934 م .

※ الاستاذ عمران بن موسى افندي البياتي منهمك في اعداد كتاب تحت عنوان (مندلي عبر العصور) وقد سبق للبياتي ان اصدر كتابا بعنوان (عشائر مندلي) ولديه كتابين معدين للطبع وهما (شعراء مندلي) و (علماء مندلي) .

※ شرح مشكلات ديوان ابى الطيب المتنبي او الفتح على فتح ابي الفتح ، ردا على ابن جني ، تاليف أبي علي بن فورجة البروجردي ، تحقيق الدكتور محسن غياض بكلية الاداب بجامعة بغداد ، القسم الرابع نشر بالمجلة السالفة من صفة 155 الى 184 .

※ يقوم الدكتور محسن مهدي بدراسةاقدم النصوص الخطية لالف ليلة وليلة وتحقيق أصولها والتعرف على خصائصها الفنية واللغوية .

ومن الاصول الخطية التي ينظر فيها الان، نسخة (جالاند) في المكتبة الوطنية بباريس ونسخة كنيســـة المسيح في مكتبة بودليان في اكسفورد .

ومن الجدير بالذكر ان هذه اول دراسة علمية جادة لاصول الف ليلة وليلة . ذلك ان اصول هـــذه المجموعة من القصص غير معروفة ، والموجود مـــن مخطوطاتها في اوربا وآسيا أكثر من ثلاثين مخطوطة

كتبت خلال القرون من الثالث عشر حتى الثامن عشر ثم بدأت تطبع فى القرن التاسع عشر ولا توجد طبعة محققة تحقيقا علميا على مخطوطات قديمة تتميز بالدقة .

وهذه الدراسة التي يقوم بها الدكتور محسن ستقودنا الى التعرف على جوانب هامة من التطور التاريخي للغة العربية واللهجات المحلية فى اقطار الوطن العربي وستمهد السبيل لدراسة خصائص فن القصة المحلية عند العرب .

هذا ويقوم الدكتور محسن بجمع صور كل مخطوطات الف ليلة وليلة من انحاء العالم ليضعها فى ركن خاص بجامعة هافارد لتكون تحت يد الباحثين ممن يرغبون فى دراسة اي جانب يتعلق بهذه المجموعة.

※ اهل المئة فصاعدا ، تاليف مؤرخ الاسلام الحافظ شمس الدين الذهبي ، وقد تناول فيه من عمر من الانبياء ومن عاصرهم فى العصور الاولى ، ثم ذكر من جاوز المائة من الصحابة رضوان الله عليهم ، وذكر من معمري المشركين ثلاثة هم مسيلمة الكذاب ، وعتبة بن ربيعة وأخوه شيبة ، واورد بعد ذلك التابعين الذين لحقوا زمن الجاهلية ثم غيرهم من التابعين ، ثم المعمرين بعد ذلك حتى عصره وقد حقق الكتاب الاستاذ بشار عواد معروف ، من كلية الاداب بجامعة بغداد ، ونشر فى العدد الرابع من المجلد الثاني من مجلة المورد العراقية من صفحة 107 الى 142 .

※ نصوص باقية من صناعة الكتاب ، تاليف ابي جعفر النحاس ويتناول هذا البحث بالدرس والتحليل والشرح والتعقيب : (نصوص باقية من كتاب صناعة الكتاب) . لابي جعفر النحاس وهي خمسون نصا ، فى مختلف مناحي الكتابة الفنية وفى منهجها من حيث ابتداءاتها وعنواناتها واشتقاق قسم من اسماء مصطلحاتها . جمعها وعلق عليها وشرح مصطلحاتها الاستاذ احمد نصيف الجنابي ونشرت فى المجلة السالفة من صفحة 185 الى 208 .

※ يتضمن العدد السابع من مجلة « الاقلام » التي تصدرها وزارة الاعلام العراقية ملفا خاصا بطه حسين ومن مواده « طه حسين ناقدا » للدكتور عناد غزوان.

※ صدر عن مطبعة المجمع العلمي العراقي فى بغداد « تطور فهرسة المخطوطات فى العراق » للسلامة كوركيس عواد ، وهو مستل من المجلد الثالث والعشرين من مجلة المجمع العلمي العراقي ويقع فى 48 صفحة حجم كبير .

※ صدر لعبد الله الجبوري عن رئاسة ديوان الاوقاف « فهرس المخطوطات العربية فى مكتبة الاوقاف العامة فى بغداد » الجزء الاول (القرآن وعلومه ، الحديث وعلومه ، الفقه).

※ قررت نقابة الصحفيين فى القطر العراقي منح عضوية شرف للشاعر محمد مهدي الجواهري الذي يقيم حاليا ببلاد المغرب ..

※ الاستاذ فاضل مصطفى الساقي من العراق يعد رسالة دكتوراه موضوعها « تقسيم الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة » وذلك فى كلية دار العلوم بجامعة القاهرة ، تحت اشراف الدكتور تمام حسان ، عميد الكلية .

※ حصل الطالب العراقي نعمة العزاوي على الماجستير بمرتبة الامتياز عن رسالته « أبي بكر الزبيدي » .

※ صدر فى منشورات دار التآخي للطباعة والنشر ببغداد كتاب جديد تأليف عبد الغني الملاح عنوانه « المتنبي يسترد اباه » وهو دراسة فى نسب المتنبي تقع فى 208 صفحات .

※ صدر قريبا فى بغداد ديوان الامام الشافعي تحقيق الشيخ يونس السامرائي .

※ صدر لطه باقر استاذ التاريخ القديم بجامعة بغداد الجزء الاول من « مقدمة فى تاريخ الحضارات » صدر عن دار البيان .

※ القت الطبيبة العراقية الدكتورة صبيحة الدباغ محاضرة بالانجليزية فى كلية الصحة بجامعة لندن ضمن سلسلة المحاضرات الاكاديمية الموسمية التي يحضرها عادة طلاب الدراسات العليا والاساتذة عن « موقف الطب من مشكلة التكاثر السكاني فى العالم » وقد قوبلت المحاضرة التي استغرقت ساعة ونصف بتصفيق حاد خلافا لما هو معتاد فى المحاضرات الاكاديمية . وكانت المحاضرة معززة بالجداول

والخرائط والصور الايضاحية التي عرضت على شاشة الفانوس السحري ، مع تقديم حلول ومقترحات علمية وطبية لكل هذه المشكلة المستعصية التي تهدد العالم بخطر مروع لا يمكن التكهن بنتائجه .

※ اصدرت مصلحة البريد العراقية طوابع تذكارية عن ابرز رجال الفكر والادب والصحافة والفن العراقيين فى الفترة الاخيرة ومن هذه الشخصيات الشاعر محمد مهدي الجواهري والعلامة مصطفى جواد والصحفي الاديب ابراهيم صالح شكر والفنان جواد سليم والشاعر بدر شاكر السياب والشيخ محمد رضا الشبيبي وآخرون .

※ عقد فى بغداد مهرجان « افرام — حنين » وقد دعى له علماء عرب ومستشرقون ممن يعنى عناية خاصة بالثقافة السريانية . وكان بين المدعوين فؤاد افرام البستاني الاديب اللبناني وكان وجوده فرصة لجامعة الموصل وتلفزيون بغداد . فقد القى فى الاولى محاضرة عن الشعر اللبناني وعقد التلفزيون معه ندوة ضمن البرنامج الثقافي .

※ يقوم الاستاذ التريشي بتحقيق كتابين آخرين هما « بلوغ الامل فى بعض أعمال الزجل » للشيخ محمد مرزوق الدجوي المصري ، وكتاب « دفع الشك والمين فى تحرير الفنين » الشيخ جمال الدين النبراني المصري والكتابان عالجا الفنون الشعرية العامية ايضا .

※ صدر فى بغداد للدكتور عبد الحسين الفتلي تحقيق الجزء الاول من كتاب « الاصول فى النحو » لابي بكر ابن السراج المتوفى سنة 316 هـ .

※ صدر لعبد اللطيف الراوي « المجتمع العراقي فى شعر القرن الرابع للهجرة » وهي الرسالة التي حصل بها على الماجستير بامتياز من جامعة بغداد . صدر عن مكتبة النهضة .

※ صدر فى بغداد للدكتور محسن غياض « التشيع واثره فى العصر العباسي الاول » وهي الرسالة التي نال بها الدكتوراه سنة 1965 من جامعة القاهرة .

※ قررت الحكومة العراقية تعيين المتعطلين من خريجي الكليات والمعاهد العالية ويقدر عددهم بعشرة آلاف .

الكـــويــــت :

※ توفي الدكتور عبد الحي حجازي عميد كليـــة الحقوق بجامعة الكويت ووكيل كلية الحقوق بجامعة عين شمس .

آسيــــا :

التايـلانــــــد :

※ قابلت مجموعة من الشخصيات الاسلاميـــة فى التايلاند رئيس وزراء التايلاند السيد سيناي وهارساكي وقدمت له برنامجا مكونا من 4 نقط لحل المشاكل التي تزداد استفحالا فى جنوب التايلاند حيث يشكـــل المسلمون غالبية السكان . واكـدت الشخصيـــات الاسلامية للوزير الاول التايلاندي ان عمليات القمع العمياء التي تجري فى جنوب البلاد قد اثرت كثيرا على مواقف السكان المسلمين وطلبت من رئيس الـــوزراء سحب قوات الجيش التايلاندي وقوات الشرطـــة الحكومية التي تقاتل ما تدعوه بالانفصاليين ورجـــال العصابات من جنوب التايلاند .

واكدت مجموعة الشخصيات الاسلامية انه يجب اتخاذ الاجراءات التالية :

— انشاء لجنة فى جنوب التايلاند تضم ممثلين عن الجيش والشرطة والسلطات المدنية لتضع برنامجـــا لتطوير جنوب التايلاند .

— يجب متابعة ومعاقبة كل أعضـــاء الادارة او الشرطة التايلاندية المذنبين بخرق القانون وبالفساد .

— يجب الاهتمام بشكل خاص بالتعليم فى جنوب التايلاند ويجب ان يسمح للمسلمين بالعمل فى الادارات الحكومية .

وتجدر الاشارة الى ان عمليات الثوار المسلمين فى جنوب التايلاند زادت منذ بداية سنة 1974 وخاصة مقاطعات يالا وناراتورات وباتاني وناتولند .

※ فى نبا لوكالة الانباء الفرنسية من بانكوك ان رئيس وزراء تايلاند استقبل جماعة من مسلمي سيام وقـــد عرضوا عليه خطة مكونة من أربع نقاط تتعلق بأوضاع مسلمي مناطق جنوب تايلاند والتي تسكنها اغلبية من المسلمين . وقد اقترحوا تشكيل لجنة تضم ممثلين عن

الجيش والبوليس والسلطات المدنية لوضع برنامج للتنمية في الجنوب وكذلك الاهتمام بصفة خاصة بالتعليم ومنح المسلمين فرصة للعمل في الادارة .

* غادر جدة عائدا الى بانكوك سعادة الاستاذ علي عيسى ممثل رابطة العالم الاسلامي في تايلاند بعد زيارة للمملكة العربية السعودية اجتمع خلالها بالامين العام لرابطة العالم الاسلامي الشيخ محمد صالح قزاز وبحث معه أوضاع المسلمين في تايلاند واحتياجاتهم ..

وقد صرح سعادته بأنه وجد من الامين العام للرابطة الشيخ محمد صالح القزاز كل تفهم وعناية واهتمام بأمور المسلمين .. كما وجدت منه ترحيبا بانشاء مكتب للرابطة هناك يتولى نشر الدعوة الاسلامية في تايلاند ...

وقد اجرت جريدة (اخبار العالم الاسلامي) مقابلة صحفية مع الاستاذ علي عيسى تحدث فيها عن المسلمين في تايلاند وأوضاعهم واحتياجاتهم ...

اندونيسيا :

* اصدر وزير الداخلية الاندونيسي قرارا جديدا باقفال دور الشر والفسق في جاكارتا الشمالية .

وكان القرار يستثنى بعض الاماكن .. لذا طالبت الصحافة الاسلامية في اندونيسيا بأن يكون القرار شاملا ..

والجدير بالذكر انه كان قد صدر قرار سابق باغلاق اماكن القمار في جاكرتا ..

* اعلن المرشح لمنصب القسيس في جاكارتا — جيداه كنتيغ — اعتناقه الدين الاسلامي عن رضى واقتناع ، وقد تم اشهار اسلامه في مسجد جامع ميدان وقد اختار لنفسه اسم — خالد كنتيغ — . وعقب اشهار اسلامه اعلن عن رغبته في العمل في ميدان الدعوة الاسلامية لتعريف الناس بالاسلام وشرحه لهم ..

كما اعتنق الاسلام في جاكرتا ايضا احد رجال الاعمال الخاصة بشؤون الاخشاب ضمن التعاون الياباني — الاندونسي ، وهو الياباني ميتسويوسي ناكشيما — الذي اختار لنفسه اسم — محمد — . وعقب اعلانه اعتناق الاسلام قام بدفع مبلغ 25 الف روبية اندونيسية مقدار الزكاة الشرعية عن أمواله .

* في اندونيسيا 257 محكمة شرعية تعمل تحت اشراف مديرية المحاكم الشرعية في وزارة الشؤون الدينية ، جاء ذلك في احصاء صدر مؤخرا في جاكرتا .

* اصدر وزير الداخلية الاندونسي السيد عامر محمود امرا بحظر نشاط محلات القمار ومنع ممارسة القمار باية صورة كانت وعدم منح تراخيص لمحلات القمار اطلاقا .

* قدم الرئيس الاندونسيي الجنرال سوهارتو مبلغ 315ر357ر8 روبية اندونيسية كمساعدة مالية للمشاريع الاسلامية في مجموعة جزائر « رياو » .

مانيلا :

* اجتمع الرئيس الفليبيني فرناندو ماركوس ، والرئيس الاندونيسي سوهارتو ، واستمرت اجتماعات الرئيسين التي ابتدات في 29 مايو المنصرم في مينادو — جزر سليبيس — لمدة يومين .

وذكر مصدر رسمي في مانيلا أن هذا اللقاء مع الرئيس الاندونيسي يعد خطوة أولى من جانب رئيس الدولة الفلبينية من أجل التوصل الى حل لمشكلة المسلمين في ميندناو جنوب الفلبين .

واضاف المصدر ان هذه الخطوة الاولى — قد تؤدي الى عقد مؤتمر يضم اندونيسيا وماليزيا والفلبين

ماليزيا :

* قرر المؤتمر الخامس لوزراء خارجية الدول الاسلامية ان يكون الخامس والعشرين من سبتمبر (يوم الميثاق الاسلامي) . وكانت ماليزيا قد تقدمت باقتراح في هذا الشأن اقره المؤتمر بالاجماع ...

والمعروف ان الخامس والعشرين من سبتمبر هو تاريخ عقد مؤتمر القمة الاسلامي الاول الذي كان قد اجتمع في الرباط في عام 1969 ..

* اصدر مؤتمر وزارة الخارجية الاسلامي الخامس في ختام اجتماعاته التي استغرقت خمسة أيام بيانا تضمن 17 قرارا هاما حول مختلف القضايا الاسلامية وفي مقدمتها قضية استرجاع القدس وفلسطين ومسلمي الفلبين والاقليات الاسلامية.. وقد جدد المؤتمر

الدعوة الى الجهاد حتى تتحرر القدس .. واكد الاسلام في الشرق الاوسط بدون استعادة هذه المدينة المقدسة واقرار حقوق الشعب الفلسطيني .. كما وجه نداء الى حكومة مانيلا ناشد فيه وقف حملات الابادة ضد مسلمي الفلبين وحل قضيتهم سلميا عن طريق التفاوض .

* شهدت ماليزيا حفلات بمناسبة اشهار اسلام اربعة الاف في ماليزيا . وقد حضر هذه الحفلات فضلية الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الجامع الازهر الذي كان في زيارة لماليزيا استغرقت حوالي عشرة ايام زار خلالها بعض المؤسسات الدينية هناك .

* نشرت مجلة (قبلة) الاندونيسية تصريحا للسيدة عائشة عبد الغني وزيرة شؤون الرخاء في حكومة ماليزيا بأن على الطلبة الجامعيين في ماليزيا أن يولوا اهتمامهم للتعاليم الاسلامية بجانب الاهتمام الذي يولونه للعلوم الاخرى . وقالت لو امتثلوا الى ذلك لكان هناك جيلا مثاليا يجمع بين الايمان والعلم النافع ، لان التقدم التقني والعلمي البحث لا معنى له للجيل القادم اذا لم يتحل بالخلق الفاضل والعقيدة الصحيحة ..

كوالالمبور :

* أعلن تن سري قادر شمس الدين مدير مكتبة المسجد الجامع في عاصمة ماليزيا كوالالمبور بأن العمل يجري حاليا من اجل ان تصبح هذه المكتبة الكبيرة مستوفية لكافة الكتب والمراجع العلمية في مختلف العلوم وباللغات المختلفة كالملايوية والصينية والانكليزية والعربية .

واضاف شمس الدين يقول وان من الكتب الموجودة بالمكتبة ما يتعلق بالثقافة الاسلامية ، كما ان المكتبة تشير بأن لديها مصاحف وتراجم لمعاني القرآن الكريم باللغات الصينية واليابانية والالمانية .

وقد قدمت حكومة الباكستان للمكتبة سجادة فخمة كهدية منها .

* اقترح السيد طون عبد الرزاق انشاء مشروع للتعاون الاسلامي في الميدان الاقتصادي وزيادة في التجارة بين الدول الاسلامية ، وتخفيف القيود المفروضة على السفر بين الدول الاسلامية ، واستخدام الاموال غير المستعملة لكي تفيد في خدمة الشعوب الاسلامية عن طريق بنك التطوير الاسلامي.

* دعا الوزير الماليزي الى القيام ببحث ودراسة القرآن على ضوء ظروف الحياة الحالية وبعد ان لاحظ ان خصوم الاسلام يتهمونه بمعارضة التقدم قال : « انني الح على هذا المؤتمر لكي يقوم بنشاط من شأنه وضع برنامج مشترك ودقيق للدراسات والابحاث حول هذا الموضوع وقال السيد طون عبد الرزاق ايضا « انه ينبغي على المؤتمر ان يدخل مرحلة جديدة الان ، وان على الدول الاسلامية ان تدعم وحدتها وتساونها وذلك باتخاذ اجراءات عملية تجعل الرغبة في اقامة الوحدة الاسلامية تتحول الى حقيقة .

وطالب الدول الاسلامية بالعمل من اجل تحقيق اكبر مجد للاسلام حتى يصبح ديننا مرة اخرى قوة سلام وتطوير وتقدم ليس من اجل الدول والشعوب الاسلامية فحسب ؛ ولكن لصالح العالم .

* علم من الاوساط القريبة من المؤتمر ان لجنة الخبراء الاقتصاديين في المؤتمر الوزاري الاسلامي قررت انشاء ثلاثة صناديق للمساعدة الاسلامية وهي:
1 ـ الصندوق البترولي تموته الدول الاسلامية المنتجة للبترول وهدفه تعويض الدول الضعيفة الدخل الاعضاء في المؤتمر عن الزيادة في اسعار المواد الوقودية
2 ـ صندوق للتضامن الاسلامي لمساعدة مسلمي الفلبين تقدم له حصة خمسة ملايين دولار من جملة العشرين مليون التي يتوفر عليها صندوق التضامن .
3 ـ صندوق السكرتارية العامة ليشكل نوعا من ميزانية التسيير للجهاز الاداري للمؤتمر الاسلامي .

الهند :

* اعلن رئيس هيئة المنح الجامعية في الهند ان جامعة كلكتا بشرقي الهند هي اكبر جامعة في العالم ، فهناك حوالي 210 كلية ملحقة بهذه الجامعة يزيد عدد طلابها على ربع مليون ويتخرج منها سنويا خمسون الفا حامل ليسانس وتوجد بالجامعة كل انواع الدراسات الموجودة في كل بقاع المعمور .

الباكستان :

* ذكرت الحكومة الباكستانية ان 42 شخصا قتلوا منذ 3 اسابيع اثناء المصادمات التي وقعت بين المسلمين وجماعة القاديانية .

واضاف المتحدث باسم الحكومة ان 27 من بين القتلى كان المنتمين الى هذه الطائفة كما كذب الاتهامات

التي وجهها ميرزا نصير احمد زعيم القاديانيين واكد ان الحكومة قامت بواجبها الشرعي والانساني لتوفير الحماية التامة لمعتنقي ديانة أخرى . تعرض علـــى البرلمان .

اسـلام ابـــاد :

* افتتح كوثر نيازي وزير الاعلام والحج والاوقاف المركزي فى حكومة باكستان الاسلامية الفصل الاول فى المركز الوطني فى كراتشي لتعليم اللغة العربية وهو واحد من عشرة فصول تقرر افتتاحها فى جميع انحاء باكستان لتعليم اللغة العربية وتعميم نشرها .

وفى خطاب الافتتاح حث السيد كوثر نيازي على ضرورة الحاجة الى تعليم اللغة العربية لتقوية دعائم الاخوة مع البلدان العربية الشقيقة .

وقال السيد كوثر نيازي — ان من الطبيعي بعد نجاح مؤتمر القمة الاسلامي فى لاهور الذي اكد المزيد من التعاون والاتصال الوثيق بين جميع الدول الاسلامية فى افريقيا وانها لغة واسعة الانتشار مفهومة يتحدث بها الناس فى جميع انحاء العالم .

وتحدث السيد كوثر نيازي اجمالا عن الخطوات التي اتخذتها حكومة باكستان لتعزيز تعليم اللغة العربية فقال — ان الدستور الباكستاني الجديد حث على ان من مسؤولية الحكومة تقديم كل التسهيلات الممكنة لتعليم اللغة فى جميع المجالات ان يزداد الاهتمـــام فى باكستان بتعليم اللغة العربية .

وقال — ان اللغة العربية بالاضافة الى انها لغة القرآن الكريم فانها اللغة السائدة المسيطرة فى بلدان الشرق الاوسط وفى معظم بلدان الدول العربية وفى البلاد — ووفاء بالتزامات هذا الدستور فان الحكومة الان قد باشرت القيام باعداد برنامج لتعليم اللغـــة العربية فى جميع انحاء البلاد وقد بدىء العمل فى هذا الاتجاه واعرب عن امله بأن هذا سوف يساعد على تقوية المزيد من الاواصر الروحية والثقافية مع شقيقاتنا البلدان الاسلامية . وقال السيد كوثر نيازي — انني مغتبط للغاية ان أرى الناس تستجيب لتعلم العربيـــة وهذا امر مشجع للغاية — واكثر من ذلك غبطة ان الشباب قد بدأ يلتحق بمركز تعلم هذه اللغة ووعد بأن الحكومة ستعمل على زيادة مقاعد الفصل ومد كـــل مساعدة لتحقيق اهداف المركز . وازاح اللثام بـــان الترتيبات قد اتخذت ايضا لتعليم العربية عن طريق راديو باكستان والتليفزيون ليتاح للكثير الالمام باللغة العربيـــة .

وقال ان اللغة العربية هي لغة علم وادب وانها غنية بثقافتها وانها تراث خالد للمسلمين وان الغرب اخذ معظم علومه ومعرفته من اللغة العربية واعرب عن امله فى ان يستعيد المسلمون امجادهم الزاهرة عن طريق احياء ثقافتهم .

* تسود باكستان الان رغبة شاملة لتعليم اللغـــة العربية ، وتبدى الحكومة اهتماما بالغا لجعل اللغة العربية تعم البلاد ..

وقد وجه دولة السيد ذو الفقار علي بوتو رئيس وزراء باكستان رسالة الى مؤتمر ترويج الذي عقد فى حيدر اباد فى الشهر الماضي أكد فيها على ضرورة العمل على نشر اللغة العربية فى باكستان وقال دولته ..

ان اللغة العربية قريبة جدا من قلوب الباكستانيين لانها لغة القرآن الكريم والعقيدة الاسلامية التي قامت على اساسها دولة باكستان .

* عالم باكستاني هو الدكتور سيد سلام الدين حيدر ابتكر اختراعا سيستفيد منه مئات الملايين مـــن الشعوب التي تكتب بالخط العربي ، فمن المعروف ان الحرف فى الكلمة العربية يعتمد على موقعه فيها ، وقد ابتكر الدكتور حيدر آلة كومبيوتر — تنتج 138 رمزا استنبطها من 28 حرفا الاصلية ، وبذلك فقد تمكن من ترجمة المؤلفات المكتوبة بالعربيـــة الـــى معـــادلات حسابيـــة اي الـــى لغـــة يفهمهـــا الكومبيوتـــر هذا الاختراع سيكون منعطفا هاما فى تاريخ الثقافـــة العربية ، وهو سيمكن من عملية تحليل النصـــوص القديمة ومقارنتها وتحقيقها .

أ و ر بـــا :

فـرنســـا :

* القى المستشرق الفرنسي جاك برك محاضرة فى موضوع الثقافة العربية المعاصرة بدعوة من عميد كلية الاداب والعلوم الانسانية فى الجامعة اللبنانية .

* فى فاتح مارس أعطى المجلس الاعلى للتربيـــة الوطنية رأيه فى مشروع قرار يحدد مواعيد العطلـــة المدرسية لعام 74 — 75 سيكون فى 16 سبتمبر 74 اما العطلة فى سنة 75 فتبدأ فى نهاية السبت 28 يونيو

* « اوجه الشبه بين لامارتين وعمر بن ابي ربيعة » هو عنوان الكتاب الذي بدأ المستشرق الفرنسي الفونسو لارجيه كتابة مسوداته لدفعه الى المطبعة قريبا .

ففي رسالة خاصة من باريس ان المستشرق لاجيه طلب مؤخرا كتابا كان قد اصدره المرحوم الدكتور زكي مبارك ، بعنوان « عمر ابن ابي ربيعة ، حياته ، وشعره » كمصدر من المصادر التي يعتمد عليها في اصدار كتابه الذي سيحكي عن اوجه الشبه بين حياة الشاعر الفرنسي لامارتين الذي كان يسمى في عصره « شاعر الحب والجمال » وبين حياة الشاعر العربي العاطفي ابن ابي ربيعة .

وتشير الرسالة الى ان احدى كبريات دور النشر الفرنسية طلبت الى المؤلف بيعها حقوق اصدار الكتاب باللغتين العربية والانكليزية .

اضافة الى اللغة الفرنسية التي سيصدر بها الكتاب .

وكان المرحوم زكي مبارك قد اصدر كتابه المشار اليه في الثلاثينات وهو عبارة عن محاضرات القاها في الجامعة المصرية تم طبعها في كتاب احتوى حياة واخبار ابن ابي ربيعة الخاصة والعامة والتي وقعت له في الجزيرة او الحجاز او الشام والعراق، وحتى شيخوخته

* دعي المستشرق الفرنسي شارل بلا لمهرجان المربد والقاء محاضرات على طلبة الماجستير والدكتوراة في قسم اللغة العربية في كلية الاداب بجامعة بغداد .

* عرضت اخيرا في جامعة السوربون بباريس نماذج مختارة من الزخارف الاسلامية .. وقد تقاطر الفرنسيون لمشاهدة المعرض الذي احتوى على اشكال من فنون الكتابات والخط العربي والزخارف والنقوش الاسلامية .

وقد لاقى المعرض اهتماما خاصا من قبل رجال الفكر والادب الفرنسيين .

وقام بافتتاح المعرض وزير الاعلام الفرنسي . كما خصص تلفزيون باريس وبعض بلدان اوربا برامج خاصة لتعريف المشاهدين بالفن الاسلامي الاصيل كما اجريت احاديث ولقاءات مع بعض الشخصيات الاسلامية . ويقوم الاستاذ عبد الغني العاني الذي يحضر رسالة الدكتوراه في مادتي القانون والفن الاسلامي بالقاء محاضرات في الجامعة للتعريف بالفن الاسلامي وجوانب الابداع فيه ..

ونظرا للاقبال الذي لقيه المعرض ، فقد عمدت احدى شركات الطباعة والنشر في باريس الى التعاقد مع الاستاذ عبد الغني العاني على طبع مجموعة من النماذج الفنية في المعرض في شكل بطاقات معايدة .

وقد تم حتى الان طبع اكثر من اربعة ملايين بطاقة تحمل نماذج من الفن الاسلامي الرفيع .

* صدر اخيرا عن دار النشر الفرنسية (سيغيرس) كتاب جديد للمستشرق فانسان مونتيل بعنوان « مفاتيح الفكر العربي » يقع في 204 صفحة ، والكتاب عبارة عن حصيلة دراسة مونتيل حول الدور البارز للفكر العربي في اغناء التراث الانساني وخاصة في ميدان الفلسفة .

والاستاذ فانسان مونتيل بدأ اتصالاته العملية على صعيد الفكر والدراسة مع التراث العربي منذ ثلاثين سنة وله مؤلفات ذات طابع استشراقي كلاسيكي وهو في مؤلفه الجديد والمكثف المليء بالاستشهادات والحجج يحاول التاكيد على ضرورة الاعتراف — اعتراف الغرب طبعا — باصالة الفكر العربي وما ابدع فيه سواء في ميدان الفلسفة العامة او في ميدان التصوف او العلوم العقلانية كعلم الاجتماع الذي اشتهر فيها ابن خلدون .

بلجيكا :

* وافق مجلس الشيوخ البلجيكي باجماع على مشروع قانون يعترف للدين الاسلامي بنفس الحقوق التي يعترف بها للدين المسيحي — البروتستانتي والانجليكاني — والدين اليهودي .

وتشرف وزارة العدل البلجيكي على الادارات التي تقوم بتسيير امور الديانة الاسلامية وغيرها . وستقوم الادارات الاقليمية البلجيكية بمهمة تلقي التبرعات المالية والتي يدفعها وزراء الدول الاسلامية .

اسبانيا :

* مائة وسبعة وستون عارضا يشتركون في المعرض الثالث والثلاثين للكتاب ، وقد دشن بمدريد ، وقد عرضت هذه الكتب في 257 واجهة وجناحين تابعين

للمؤسسة الوطنية للاحصاء ودار نشر التراث الوطني. كتب من دول ولغات عديدة : الارجنتين والمكسيك والبرتغال وهنغاريا تكمل التشكيلات المتنوعة من الكتب الاسبانية ، وقد وصلت قيمة المبيعات من هذه الكتب فى العام الماضي الى 47 مليون بسيتا ، وينتظر ان تدر خمسين مليونا فى هذا العام ، وهذه النظرة المتفائلة لها ما يبررها من التحسينات التي ادخلت على فن الطباعة اذ انه فى عام 1973 طبع 23.608 كتاب بينما فى عام 1972 لم يتجاوز 20.858 كتابا .

وكان قد عقد فى برشلونة المؤتمر الرابع الدولي لجمعيات المكتبات برعاية المؤسسة الوطنية للكتاب الاسباني ، ونشاط آخر : الحلقة الدراسية الصيفية الخامسة المكرسة لتأهيل اصحاب المكتبات فى تلك المناطق الاسبانية التي تضم مراكز للتأهيل من هذا النوع ، وهذا أيضا برعاية المؤسسة الوطنية للكتاب وبمعاونة مدرسة المكتبات بمدريد .

وقد أجريت مباريتان بمناسبة هذا المعرض الواحدة للصحفيين المهنيين بجائزة واحدة وهي عبارة عن تشكيلة من مائة كتاب تحمل تواقيع مؤلفيها ، والمباراة الاخرى للواجهات التي تعرض الكتب فى العاصمة الاسبانية والجوائز رحلات سياحية .

* كان مثقفو مدينة الدار البيضاء بالملكة المغربية فى موعد مع المحاضرة السادسة التي نظمها المعهد الاسباني خوان رمون خمينز بشارع انفا بالدار البيضاء كان موضوع هذه المحاضرة « ابن رشد رجل الحاضر» القاها الدكتور رفائيل دي مندزبالي الذي الكاتب العام لوزارة التربية الوطنية سابقا باسبانيا والقاضي حاليا بالمحكمة العليا بمدريد والمدعي العام بمجلس الكورتيس باسبانيا .

والاستاذ رفائيل دي مندزبال باحث اسباني مشهور وكاتب معروف ألف كثيرا عن ابن رشد له مثلا كتاب « ابن رشد اندلسي من اجل اوربا طبع بمدريد سنة 1971 القى فيه الاضواء على ابن رشد الفيلسوف والقاضي والطبيب والرياضي باسلوب رائع ولكن أيضا محب كبير ومما زاد فى جمال هذا الكتاب أنه مزين بصور لاكبر فناني أوربا تظهر هذا العربي — الاندلسي المسلم تارة على صورة رمز لتداخل الثقافتين الاسلامية والاغريقية وتارة على صورة طبيب زادت بحوثه العميقة فى هذا الميدان فى ايمانه بالله وتارة اخرى على صورة بثلاث ايد ترمز مجتمعة الى اتزانه النفسي رغم عمق فلسفته وتشعبها وتارة متوسطا فيلسوفين اغريقيين كدليل على عمق معرفته بهما وتبسيط تعاليمهما الصعبة المعقدة للعالم الحاضر ، وغيرها من لوحات نفسية .

ولمندزبال بحوث اخرى قيمة منشورة مثل « بنو رشد قضاة قرطبة » نشر سنة 1959 فى مجلة وزارة العدل الاسبانية . وله ايضا « تاريخ القضاة المسلمين بجيان » وهي سلسلة من المقالات بدأ بنشرها ابتداء من سنة 1960 ولا زالت تصدر حتى الان ، تظهر فى مجلة « مناظر » وله : (ابن رشد الفيلسوف والقاضي) نشر بالمجلة القانونية سنة 1962 ، وله ايضا : (التنظيمات القضائية باسبانية المسلمة) نشر سنة 1971 ومقالات وابحاث اخرى كثيرة تدور جلها حول عائلة ابن رشد والقضاة المسلمين بالاندلس .

ولقد ركز السيد المحاضر الذي قدمه الى الجمهور المستشرق السيد انصيصو سيرانو .. الحديث حول ابن رشد ، الرجل العالم الذي كان قنطرة عبرت عليها العلوم التي رقت أوربا .

كما بين السيد المحاضر ، معتمدا على حجج عثر عليها أو على الاقل استطاع ان يبرزها بشكل واضح ، أن ابن رشد احسن من يمثل هذا الرباط المقدس الذي يربط الاندلس العربية الاسلامية بالمغرب . ذلك أن ابن رشد — يقول المحاضر — ان عاش باسبانيا ، فقد عمل بالمغرب ، كما عمل بالاندلس ولمدة ليست بالقصيرة ، ثم توفى بالمغرب ولكنه دفن بالاندلس . وهذا يمثل رباطا واي رباط ، نرجو ان يثمر بين ثقافتينا ، حاضرا ومستقبلا .

البرتغال :

* فى نبأ عن نشاطات الجالية الاسلامية فى العاصمة البرتغالية — لشبونة — جاء ان الاقلية الاسلامية فى المدينة تقدمت بطلب الى الحكومة البرتغالية للاعتراف رسميا بالدين الاسلامي ، وتقديم الامتيازات للمسلمين فى مجالات التعليم والتربية والعبادات اسوة بالمسيحية.

لندن :

* ادلى المستر كيلر مدير مهرجان العالم الاسلامي الذي سيعقد فى لندن عام 76 م بحديث لوكالة الانباء السعودية عن هذا المهرجان وفكرته فقال :

ان فكرة اعداد مشروع المهرجان بدأت سنة 1970 م في لندن نظرا للحاجة الماسة لابراز الثقافة الاسلامية بطريقة يفهم بها الغرب الحضارة الاسلامية على حقيقتها ، ومحاولة لتغيير مفاهيمهم الخاطئة عن الاسلام وعن البرنامج .. قال كيلر انه سوف يشمل عرض الافلام ونشر الكتب الاسلامية والمحاضرات وترتيل القرآن الكريم وعقد مؤتمرات يشترك فيها كبار علماء الاسلام وابرز قادة الجمعيات الثقافية الاسلامية وعرض روائع الفنون الاسلامية في مناطق لندن وكذلك العمل على اعداد الموسوعة الاسلامية ، وقال المستر دنكان : ان عملية اعداد المهرجان هي عملية شاقة تتطلب الاستمرار في الاتصالات بين الدول الاسلامية ، وقال : اننا في زيارتنا للمملكة العربية السعودية وجدنا تفهما ودعما كبيرين من جلالة الملك فيصل المعظم .

※ توفي البروفسور بارنز الاستاذ الحجة باللغة القبطية وتاريخ مصر القديم بجامعة اكسفورد وذلك في احدى السيارات العامة وهو في طريقه لالقاء محاضرة وكان الاستاذ الراحل يبلغ الحادية والستين من العمر ولن تستطيع جامعة اكسفورد ان تجد بديلا له واكبر الظن ان منصبه سيبقى شاغرا فترة طويلة . وقد كان احد الطلبة المصريين يعد رسالة دكتوراه تحت اشرافه

ايطـــالـيـــــا :

※ وافق المجلس البلدي لمدينة روما على منح قطعة ارض مساحتها ثلاثين الف متر مربع في شمال مدينة روما لمشروع بناء مسجد كبير وقاعة مؤتمرات ومركز اسلامي ، وهو المشروع الذي حظى بدعم واسهام جلالة الملك فيصل المعظم . وسيقوم المهندس التونسي المقيم في ايطاليا عبد المجيد بوزيد بالتعاون مع مهندس معماري ايطالي بوضع كافة التصميمات المطلوبة للمباني على اصول فن العمارة الاسلامي ، وسيكون للمسجد باذن الله سبع مآذن وقبة على الطراز الاسباني — المغربي ، وسيستخدم العمال الايطاليون الزخرفة والنقوش فسيتولاها مهندسون محترفون من كافة ارجاء العالم الاسلامي .

※ افردت صحيفة لوسيرفاتوري رومانو الايطالية مقالا خاصا في عددها الاخير لاول مسجد يقام في العاصمة الايطالية وتبلغ نفقات انشائه 20 مليون دولار تقريبا . وسيعلو المسجد قبة من الطراز الاسلامي العربي وسبع مآذن ، وستقام ملحقات في حديقة واسعة ، كما ستضم قاعة للمؤتمرات . وجدير بالذكر ان اكثر من 150 الف مسلم يعيشون في ايطاليا من بينهم 40 الف في روما والمعروف ان عددا من الحكومات الاسلامية ستساهم في بناء هذا المسجد كما ان رابطة العالم الاسلامي لها دور بارز في اظهار هذا المسجد الى حيز الوجود .

المانيـــا :

※ تقرر ان يتم تشييد مسجد اسلامي كبيـــر في فرانكفورت وسوف يكون اكبر المساجد الاسلامية التي شيدت في المانيا الاتحادية حتى الان .

وقد تعهد مشيخة ابو ظبي الداخلة في اتحاد الامارات العربية بتحمل نفقات تشييده مع المركز الثقافي والمدرسة الدينية اللذين سوف يلحقان به . وقد كان لا يوجد في فرانكفورت قبلا سوى مسجد صغير حتى الان كانت قد شيدته طائفة الاحمدية .

※ قرر المركز الاسلامي في ميونيخ انشـــاء دار للحضانة تتولى تعليم وتدريس ابناء المسلمين الدين الاسلامي ومبادىء اللغة العربية ..

وقد لاقت هذه الفكرة تأييدا من المسلمـــين في ميونيـــخ ...

النمســـا :

※ في خبر من النمسا عن الموسيقار العراقي لويس زنبقة المقيم في فيينا منذ قرابة عشرين عاما جاء فيه انه قد انتهى من تأليف موسيقى خاصة لقصيـــدة الشاعر العراقي بلند الحيدري « عقم » تأخذ طابع العطاء السمفوني . والموسيقار زنبقة معـــروف في الاوساط الفنية في النمسا كوجه من الوجوه البارزة في الحقل الموسيقي وقد دخل اسمه قاموس الموسيقيين العالميين في نسختيه الانجليزية والالمانية .

يـوغـوسـلافيـا :

※ اقترت مجموعة من الخبراء مشروع انشاء كلية اسلامية في مدينة « سراييفو » بالمنطقة الاسلاميـــة بيوغسلافيا .

وقد اختيرت عمارة « جولاغين دوور » لتكون مقرا للكلية بعد ان تجري عليها بعض الاصلاحـــات والتعديلات .

❊ صدر مؤخرا كتاب قيم تحت عنوان « حضارة الاسلام » بقلم الاستاذ تركس اسماعيل آفيح ، استاذ جامعة زاغرب . وهو اول جزء من الاجزاء الستة التي ينوي المؤلف اصدارها . والجزء الاول يحتوي على 597 صفحة ويتناول الموضوعات المهمة من العقيدة والفلسفة والعلم . وقد تعرض المؤلف لهذه الموضوعات بكل دقة وتحقيق علمي بالغ . هو اول كتاب بلغتنا من هذا النوع ، وهو من الكتب النادرة فى العالم .

وهذا الكتاب بلا شك يشكل مرجعا هاما فى دراسة ما انجزه الاسلام فى ميادين مختلفة ، فيه بحوث قيمة فيما يتعلق بالمذاهب فى علم التوحيد وخصائص ومميزات كل مذهب من الاشعرية والماتريدية والمعتزلة وغيرها من الفرق الكلامية . ثم فيه دراسة مستفيضة عن التصوف وطريقاته المختلفة وتعاليمها وافكارها ومبادئها وكبار رجالاتها . وفيه بحوث فى منتهى الاهمية عن الشيعة من الزيدية واثنا عشرية وما يتعلقبهما مما يختص به كل منهما من المبادىء والتعاليم . ومما يلفت النظر على وجه الخصوص بحثه عن نظر الشيعية الى الامام وعما يتصف به من صفات العصمة والولاية والالهام والكشفوالكرامات. وعن الامامالمنتظر هوالامام الثاني عشر الذي اختفى وانه سيعود وسيظهر من جديد .

والكتاب الثاني الذي تحت الطبع يبحث عن الامة الاسلامية وعن الفلسفة السياسية الاسلامية وعن نظرية الخلافة وعن اصول الفقه الاسلامي وعن مذاهب الفقه وعن الادب والفن فى الاسلام .

وهناك كتب اخرى صدرت فى هذه الايام وتتصل محتوياتها بحياة المسلمين من نواح مختلفة . ولا يتسع المكان والوقت لذكر ما فيها بالتفصيل ولذلك نذكرها بالاسماء فقط :

1 ـــ تنظيم وضع المسلمين حسب الحقوق الدولية بقلم الدكتور فلاديمير داغان .

2 ـــ الادب الاسلامي فى البوسنه والهرسك على لغات الامم الاسلامية ، وهي اللغة العربية والتركية والفارسية ، بقلم الدكتور حازم شعبانو ويتش .

3 ـــ العالم العربي والاشتراكية ، بقلم الاستاذ ستويان غليغوريتش .

4 ـــ اصل المسلمين التوربش فى مقدونيا ، بقلم الدكتور غالب باليكر وشيو .

5 ـــ العرب ـــ بحث تنشره مجلة « بوليتيكا »

6 ـــ العناية بصحة الحجاج من يوغوسلافيا فى اواخر القرن الماضي ، بقلم عائشة اسماعيل بكوويتش

7 ـــ لعبة تينيس مصدرها المسلمون ، بقلم المهندس على بييتيتش .

❊ قال فضيلة مفتي بلغراد ان المؤتمرات الاسلامية سيكون لها اثر كبير فى المستقبل لانها تضع اسس التعارف والتعاون وتنسيق العمل الاسلامي على الوجه المطلوب ..

وقال فى حديث صحفي أدلى به لمجلة (اليمامة) السعودية ان هذه المؤتمرات والاجتماعات لو لم ينتج عنها سوى التعارف بين المسؤولين عن تنظيم حياة المسلمين فى كل مكان لكان ذلك خيرا كثيرا .. ودعا الى العمل على تطبيق المقررات والتوصيات التي تصدر عن المؤتمرات الاسلامية حتى تكون مثمرة ومفيدة ومباركة ..

وقال عن الدعوة الى نشر الاسلام فى العالم اننا باسلوب عملي وعقلي منطقي نستطيع ان نقنع غير المسلم بعظمة الاسلام وفضله على سائر الاديان .. لذا يجب ان يكون الداعي واعيا متمسكا بالدين كل التمسك ليكون مثالا حيا لدينه ..

امريكـــا :

❊ وجه اتحاد الطلبة المسلمين بالولايات المتحدة وكندا الدعوات الى الهيئات ووسائل الاعلام الاسلامية لحضور المؤتمر الثاني عشر للاتحاد الذي يعقد فى الفترة من 12 ـــ 15 شعبان القادم بجامعة « توليدو » بولاية اوهايو الاميركية . وسيكون موضوع البحث فى المؤتمر هو « مستقبل الاسلام والمسلمين فى اميركا الشمالية » .

❊ تعد الاستاذةغادة هاشم تليحمر، الباحثة بجامعة الينوي بالولايات المتحدة الامريكية ، رسالة دكتوراه موضوعها : « الحكم المصري فى سواكن ومصوع » . وذلك فى الجامعة المذكورة ، تحت اشراف البروفسور روبرت هيس .

❊ الاستاذ جاري لايزر ، من الولايات المتحدة الامريكية ، وهو يعد رسالة دكتوراه موضوعها « انشاء

المدرسة وتطورها في مصر من نهاية العهد الفاطمي الى نهاية العهد الايوبي » وذلك في جامعة بنسلفانيا بالولايات المتحدة الامريكية تحت اشراف الدكتور جورج المقدسي ، وقد اطلع على عدد من المخطوطات المتعلقة بموضوعه .

※ تكشف ارقام الامم المتحدة عن ارتفاع عدد الاميين في العالم بما يقارب الخمسين مليونا بين1960 و 1970 بحيث صبح مجموع الاميين في العالم 783 مليون بانتهاء عام 1973 .

ويقلل من اهمية هذا الرقم كونه لا يتعدى 34 بالمائة من سكان العالم لكن الاخطر هو توزيع النسبة الذي يأخذ الشكل التالي :

في أوربا 3٫6 بالمائة ، في الاميركيتين 12٫7 بالمائة في آسيا 46٫8 بالمائة وفي افريقيا 73٫7 بالمائة .

※ صدر في سان باولو بالبرازيل للشاعر المهجري فليب لطف الله رئيس جامعة القلم كتاب بعنوان « نسمات برازيلية » في 232 صفحة حجم كبير .

الاتحاد السوفياتي :

سيحتفل المسلمون السوفييت في هذا العام بحدث كبير في حياتهم الدينية ؛ الا وهو الذكرى المئتان بعد الالف (حسب التقويم الهجري) لميلاد مفكر آسيا الوسطى البارز الامام البخاري .

وفي اللقاء الذي جرى منذ وقت غير بعيد بين رؤساء وممثلي الادارات الدينية الاربع لمسلمي آسيا الوسطى وكازاخستان ، القسم الاوربي من الاتحاد السوفياتي وسيبيريا ، وما وراء القفقاس ، وكذلك شمال القفقاس الهيئات الدينية الاقليمية التي توجه الحياة الروحية لمسلمي الاتحاد السوفياتي) ، تم تشكيل لجنة تنظيمية لاجل الاعداد للاحتفال بهذه الذكرى . وقد ترأسها المفتي ضياء الدين بابا خانوف، رئيس الادارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وكازاخستان ، اكبر ادارة دينية للمسلمين في الاتحاد السوفياتي . وفي حديث معمراسل وكالة انباء نوفوستي تكلم عن الاعداد للاحتفالات المقبلة .

قال ضياء الدين بابا خانوف : « لقد اصبح من التقاليد الجيدة في الاتحاد السوفياتي الاحتفال بالمناسبات المشهودة في حياة اكبر مفكري علماء الدين والحضارة الاسلامية . ولم يمضي وقت طويل ، مثلا ، على الاحتفال بذكرى كل من ابن سينا والفارابي وابي ريحان البيروني . وفي هذا السام سنحتفل بذكرى الامام البخاري (واسمه الكامل ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري) الذي نقف من تراثه موقف الاحترام العميق .

وتابع المفتي قائلا : « وهذا الرجل العظيم الذي انجبته عقيدتنا ولد في سنة 194 هجرية في بخارى ، وتوفي سنة 256 هجرية قرب سمرقند . وقد ادى في شبابه فريضة الحج الى مكة المكرمة ، حيث بدأ بجمع الحديث ، ومن ثمة تجول ، لهذا الهدف ، في الشرق العربي وايران وآسيا الوسطى . وان اقوال النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم التي جمعها قد دخلت في « الجامع الصحيح » ، اهم مصدر للتقاليد والقانون والتاريخ الاسلامي . وهذه المجموعة ، كما نوه ضياء الدين بابا خانوف ، ترجمت الى الكثير من لغات العالم ، مثل التركية والفارسية والاوردو وغيرها ويدرسها جميع علماء الدين المسلمين في العالم .

وكذلك ، فان الامام البخاري قد ادى قسطا بارزا في الدعوة الى الاسلام . واعماله ، كما يشهد التاريخ ، جمعت عشرات الالوف من المؤمنين » .

واذا تطرق ضياء الدين بابا خانوف الى الاجراءات التي تنوي اللجنة التنظيمية القيام بها بمناسبة الذكرى المئتين بعد الالف لميلاد هذا المفكر من آسيا الوسطى ، اعلن يقول :

« من المقرر اجراء الاحتفالات المقبلة من 20 ولغاية 23 آب من هذا العام على ارض اوزبكستان. وفي البداية ستقام الصلاة في مسجد (« الامام البخاري» الواقع في قرية خرتنغ قرب سمرقند ، حيث ضريح العالم . ومن ثمة يفتتح في طشقند مؤتمر علمي — ديني

ان اللجنة التنظيمية ، كما اشار رئيسها ، تامل في ان يستجيب لدعوتها الحضور الى وطن الامام ، بمناسبة الاحتفالات ، الكثير من الشخصيات الاسلامية في مختلف بلدان العالم ، ومن بينها الاقطار العربية . وخلال رحلتي التي تمت بها منذ وقت غير بعيد الى

الاقطار العربية ، اقتنعت بذلك الاهتمام الكبير الذي يتجلى فيها اتجاه هذه المناسبة . وخلال احاديثي مع كبار رجال الدين ، مثل محمد صالح الكزاز الامين العام لرابطة العالم الاسلامي ، والقاضي احمد زيارة مفتي الجمهورية العربية اليمنية ، واحمد عبد العزيز مبارك رئيس قضاة الامارات العربية المتحدة ، سمعت تقديرا رفيعا سواء لشخصية الامام البخاري او لتراثه الروحي

واضاف المفتي قائلا : « واخيرا سيعاد ، بمناسبة الاحتفالات ، اصدار جملة من مؤلفات هذا المفكر ، ولاسيما « الجامع الصحيح » وستصدر مجموعة من مؤلفات رجل الدين حول قضايا الاداب والاخلاق « الادب المفرد » وغير ذلك .

وفي ختام الحديث مع مراسل نوفوستي ، قال ضياء الدين بابا خانوف رئيس الدائرة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وكازخستان : « ان مسلمي الاتحاد السوفياتي يتوقعون ان يكون الاحتفال بذكرى ميلاد الابن البارز لآسيا الوسطى حدثا كبيرا في العالم الاسلامي ، وسيساعد على توطيد عرى الرابطة الروحية بين المؤمنين والعلماء في مختلف البلدان .



فهرس العدد السابع

صفحة

صفحة

ديوان المجلة :

دراسات مغربية :

قصة العدد :

معرض الكتب :